



المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدراسات العليا
قسم الدعوة

الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي

في المجتمعات الإسلامية المعاصرة
رسالة ماجستير

لإعداد: إبراهيم بن صالح الحيدرة

إشراف الدكتور: عبد الله بن محمد المطلق
وكيل المعهد العالي للقضاء

العام الجامعي ١٤٠٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكــــر وتقدیــــر

عرفاننا بالفضل لأهل الفضل، وشعورنا بواجب الشكر لأهل المعروف، وقيامنا بواجب مقابلة الإحسان بالإحسان، أقدم شكري وتقديري لشيخى الفاضل، وأستاذي الكريم، الدكتور/ عبد الله بن محمد المطلق، وكييل المعهد العالي للقضاء، على ما قام به من جهد في إشرافه على هذه الرسالة، ومتابعة مستمرة في جميع خطوات البحث.

واني لأحمد له حسن توجيهاته، ودقة تلميحاته، مما كان له أثر كبير على البحث، وفائدة عظمى للباحث، أسأل الله أن يجزيه عني خير الجزاء، وأن يبارك له في علمه وعمله.

كما أرفع الشكر والتقدير إلى حصن العلم، وقلعة الإسلام، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، التي لا ينكر فضلها - على هذا البلد بخاصة، وعلى كثير من بلاد المسلمين بعامة - إلا مكابر وجاحد، وأخص تلك الأيدي المظضة، والعقول المتوقدة، التي تقف وراء انجازاتها المتعددة في المواقع المختلفة.

وأقدم الشكر والتقدير لمن لهم فضل تعليمي ورعايتي، إلى والدي ووالدتي الكريمين، وإلى أساتذتي الأجلاء في كل مراحل التعليم، وإلى مشايخي الفضلاء في كلية الدعوة والإعلام، وفي مقدمتهم فضيلة الدكتور / سعود بن محمد البشر، عميد الكلية، على ما أجده من رعاية وتوجيه، سائلا الله أن يجزي الجميع خير الجزاء.

وأعمم الشكر والتقدير والعرفان إلى الاخوة العاملين في مكتبات جامعة الإمام، ومكتبة جامعة الملك سعود، على ما يقدمونه من خدمات للباحثين، وإلى كل من له يد أو فضل علي في إخراج هذا البحث، وأدعو الله للجميع بالتوفيق والسداد، وحسن الجآب.

والحمد لله رب العالمين أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا.

المقدمة

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد :

فبعد إنهاء السنة التمهيديّة لمرحلة الماجستير في قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، كان لابد من اختيار بحث مناسب ليكون رسالة علمية لهذه المرحلة، وقد وضعت لنفسي عدة اختيارات في مواضيع يمكن التقدم بواحد منها ليكون رسالة علمية مناسبة لقسم الدعوة.

وبعد البحث والتنقيب والاستشارة، ترجح عندي التركيز على أحدهما، وهو موضوع يجمع بين الدعوة والعقيدة، ذلك أن الصلة بينهما من أشد الصلات وأوثقها.

وبعد وضع التصورات الأوليّة للموضوع قمت باستشارة أساتذتي الأجلاء، واستقر الرأي على دراسة الانحراف العقدي في المجتمعات الإسلاميّة المعاصرة، وتأكيد مسئولية الدعوة في مواجهته، وصار عنوان الرسالة :

(الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي في المجتمعات الإسلاميّة المعاصرة)

وبعد أن قطعت بعض المراحل في البحث عرفت فضل الله علي، ومزيد نعمائه أن وفقني إلى هذا الموضوع الذي تعلمت منه الشيء الكثير.

ومما زادني رغبة وحبا لهذا البحث كونه مبنيا على مشكلة فعلية، وقضية قائمة، هي من أهم المشاكل وأكبرها وأخطرها في حياة أمة أمة، وهي مشكلة الانحراف عن العقيدة الصحيحة.

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

إن خطورة الانحراف العقدي على المجتمعات الإسلاميّة أمر واضح لا لبس فيه، وذلك أن الانحراف في العقيدة ليس كغيره من الانحرافات، فهي أهم مقومات حياة الإنسان، أي إنسان، وأهم مقومات حياة الأمة أي أمة، وما شقي البشر واستعبد بعضهم بعضا طوعا أو كرها إلا بسبب الفساد والانحراف عن العقيدة الصحيحة.

وبالعقيدة الإسلامية يعرف المسلم ربه ونبيه ودينه، ويملك التصورات الصحيحة عن الكون، والحياة، والموت، واليوم الآخر، وتعطيه هذه العقيدة مصادر التلقي لعباداته وعلاقاته ومعاملاته مع الأحياء والأشياء من حوله.

ولذلك نجد أن أي انحراف في العقيدة يؤثر كثيرا على المسلم والجماعة المسلمة، ويجعلها جسدا بلا روح، وبناء من غير أساس يمكن سقوطه وإسقاطه في أي وقت.

ويمكن القول بأن آثار الانحراف ونتائجه عديدة لا يمكن حصرها، بسبب عظم الأمر المنحرف عنه، وأهميته، وهي هنا العقيدة أساس الدين، وروحه، ولبه.

ومع هذا يمكن أن نشير إلى شيء من هذه الآثار والنتائج، فمن ذلك :

- العبودية لغير الله، سواء في الدعاء والخوف والرجاء، أو التلقي والقبول، أو العمل والتوجه، وهذا الأمر خروج عن مراد الله من الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وبالتالي سبب لتعاسته وشقاؤه دنيا وأخرى.

- تشويه الدين الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل به كتاب الله تعالى، بالإضافة إليه، أو النقص منه، نظرا لاختلال الموازين لدى أصحاب الانحراف ودعاته، ومن ثم تسمى الأشياء بغير مسمياتها، حتى يدعي الإسلام أقوام ما هم بمسلمين، وليسوا على منهج الإسلام في شيء.

- الظلم والفساد في الأرض، لعدم تطبيق منهج الله فيها، فما من أمة رفضت حكم الله إلا حكمت غيره، فصرفت الحاكمية عن الله إلى بشر ضعاف ناقصين لهم مآربهم وشهواتهم، ولنا في الحياة المعاصرة شواهد لاتصى.

- التخبط والضلال في الأفكار والتصورات والمفاهيم، وبالتالي المراع النكد والفصام المستمر في ذهن المنحرف، ومن ثم المعيشة الضنك، قال تعالى: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا. ونحشره يوم القيامة أعمى). (١)

لذلك كان من المهم جدا دراسة الانحراف العقدي، وبيان مظاهره وأسبابه قدر

المستطاع، حتى يحذره المسلمون.

وكما تدرس الأمراض المنتشرة، ويبحث عن وسائل العلاج حتى لا تفتك بأبدان البشر، فإن دراسة الانحراف العقدي أمر أهم وأوجب، فهو الموت الذي لأحياء معه، والمرض المهلك الذي إن لم يتدارك بالعلاج أهلك صاحبه دنيا وأخرى، قال ابن تيمية رحمه الله:

"وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يقدّر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتاً لا ترجى معه الحياة أبداً، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبداً". (١)

والدعوة بمؤسساتها وهيئاتها ومدارسها وأفرادها مسئولة مسئولية مباشرة عن مواجهة الانحراف العقدي، وجعله أول وأهم أعمالها وأنشطتها.

وما دام هذا البحث قدم لنيل درجة علمية في قسم الدعوة فإنني أؤكد على أهمية الربط بين دراسات الدعوة بمعنى النشر والبلاغ، وبين مضامينها، ومن أهمها العقيدة، وهذا الأمر كان أحد الأسباب الرئيسية في اختياري لهذا الموضوع.

وبالإضافة إلى ما سبق فإن دراسة الانحراف العقدي وبيان مظاهره وأسبابه ينتج المعرفة بالشعر وأهلده، ومن عاش في بيئة يندر فيها الانحراف العقدي فإنه سيرداد يقينا وإيماناً بما لديه من الحق إذا عرف نقيضه وضده.

قال ابن تيمية رحمه الله: "كل من كان أعرف بفساد الباطل كان أعرف بصحة الحق". (٢)

وكما يقال: "الضد يظهر حسنه الضد"، "وبضدهما تتميز الأشياء"، وأقرر هنا أنني وجدت هذا الأمر في نفسي، فإن ما نعيشه من نعمة التوحيد وصفاء العقيدة، أنسنا أنواع الانحرافات المنتشرة في العالم الإسلامي، وبعد أن اتضحت لدي، زاد

(١) مجموع الفتاوى، ٩٦/١٩، طبعة بإشراف رئاسة شؤون الحرمين.

(٢) درء تعارض العقل والنقل، ٢٥٨/٥، تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠١هـ.

يقيني وإيماني بأهمية عقيدة التوحيد، وفضلها على الإنسان والمجتمعات.
وإنها نعمة عظيمة ما بعدها نعمة، وتستوجب منا الحمد والشكر لله رب
العالمين، أن هدانا لهذا.

- أهداف الدراسة:

إن تحديد الأهداف أمر مهم في أي عمل، لذلك كانت الأهداف الأساسية لهذه
الدراسة ما يلي:

١ - تأكيد مسئولية الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي، وارتباط الدعوة
الوثيق بأهم مضمون تحمله وهو العقيدة، نشرها لها، ودفاعا عنها، وإصلاحا لما
فسد في أذهان الناس منها.

٢ - تبيان أبرز مظاهر الانحراف العقدي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة،
وأهم أسبابه، مع الربط بين أنواع الانحراف، الاعتقادية والقولية والعملية.

٣ - بيان الوسائل الملائمة للدعوة في مواجهة الانحراف العقدي، وذلك
بالنظر إلى توجيهات الإسلام وتشريعاته والاستفادة من الوسائل الاتصالية
الحديثة.

- خطة البحث :

هذا البحث يشتمل على مقدمة، وثلاثة أبواب، وخاتمة، وستة فهارس.

وهي كما يلي :

- المقدمة، وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وأهداف الدراسة،
وخطة البحث، ومنهج البحث، وأهم المعوقات التي واجهتني أثناء
البحث.

- الباب الأول : العقيدة في منهج الدعوة الإسلامية، ويشتمل على فصلين:

- الفصل الأول: العقيدة الإسلامية؛ أسسها وثمراتها، وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول : الإيمان .

- المبحث الثاني: التوحيد .
- المبحث الثالث : ثمرات العقيدة الإسلامية .
- الفصل الثاني : أهمية الدعوة إلى العقيدة، وفيه مبحثان :
 - المبحث الأول : البدء بالدعوة إلى العقيدة .
 - المبحث الثاني: ارتباط الأعمال والشرائع في الإسلام بالعقيدة .
- الباب الثاني : الانحراف العقدي، مظاهره وأسبابه؛ ويشتمل على فصلين :
 - الفصل الأول: أبرز مظاهر الانحراف العقدي؛ وفيه خمسة مباحث :
 - المبحث الأول : البدع .
 - المبحث الثاني: الشرك .
 - المبحث الثالث: إنكار ما علم من الدين بالضرورة .
 - المبحث الرابع: عدم الحكم بما أنزل الله .
 - المبحث الخامس: مخالفة مفهوم الولاء والبراء .
 - الفصل الثاني: أهم أسباب الانحراف العقدي؛ وفيه خمسة مباحث :
 - المبحث الأول : الانحراف الموروث في العقيدة .
 - المبحث الثاني: الجهل، واستغلال أصحاب المصالح له .
 - المبحث الثالث: الاستعمار السياسي .
 - المبحث الرابع: الغزو الفكري .
 - المبحث الخامس: ضعف إجراءات حماية العقيدة .
- الباب الثالث : وسائل الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي؛ ويشتمل على ثلاثة فصول:
 - الفصل الأول : الوسائل المباشرة؛ وفيه خمسة مباحث :
 - المبحث الأول : الاتصال الشخصي .
 - المبحث الثاني : الخطابة .

- المبحث الثالث : الحوار والمناظرة والجدال بالحسنى.
- المبحث الرابع : التعليم .
- المبحث الخامس: الجهاد.
- الفصل الثاني: الوسائل غير المباشرة؛ وفيه ثلاثة مباحث :
 - المبحث الأول : الكتاب والمحافة .
 - المبحث الثاني : الإذاعة، والتسجيلات الصوتية.
 - المبحث الثالث : التلفاز، والتسجيلات المرئية.
- الفصل الثالث : نماذج من جهود بعض الهيئات العاملة في الدعوة والتعليم الإسلامي؛ وفيه مبحثان :
 - المبحث الأول : الهيئات المتخصصة في الدعوة؛ وكانت الهيئات المختارة هي :
 - أولا : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
 - ثانيا : رابطة العالم الإسلامي.
 - ثالثا : منظمة الدعوة الإسلامية.
 - المبحث الثاني : الجامعات الإسلامية؛ وكانت الجامعات المختارة هي:
 - أولا : الجامع الأزهر .
 - ثانيا : الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
 - ثالثا : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
 - رابعا : جامعة أم القرى.
- الخاتمة؛ واشتملت على :
 - ملخص البحث .
 - أهم النتائج .
 - التوصيات والمقترحات.

- الفهارس؛ وهي ستة فهارس :

- فهرس الآيات .
- فهرس الأحاديث والآثار .
- فهرس الأعلام .
- فهرس الفرق والطوائف والقبائل .
- ثبت المصادر والمراجع .
- فهرس المحتويات .

- منهج البحث :

طابع هذا البحث تقريرى لما هو كائن بالفعل من مظاهر الانحراف وأسبابه، لكونه مخصصا عن المجتمعات الإسلامية المعاصرة، والمقصود بالمعاصرة تلك الفترة الزمنية التي يمكن أن نعيشها مع آخرين، ونسميهم "معاصرين" وان لم نلتق بهم فعلا.

كما أنني استخدمت المنهج التطيلي لدلالات الألفاظ، وحدودها، وبيان المعاني التي أخذت منها في الاصطلاحات المختلفة حسب الحاجة.

بالإضافة الى المنهج التاريخي في تقصي الحقائق، وتتبع تاريخ بعض الانحرافات، أو الفرق، أو الهيئات.

أما المنهج النقدي فهو ظاهر عند معالجة بعض الآراء المنحرفة، وتفنيدها من خلال ما ورد في كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأقوال السلف الصالح.

- أهم المعوقات التي واجهتني أثناء البحث :

لابد لكل باحث أن يواجه عددا من المعوقات عند البحث، وكان من أهمها بالنسبة لي في هذا البحث :

أولا : تعدد الانحرافات، وكثرتها، ومعوية مناقشة جميع مظاهرها باستفاضة

وتوسع، فكان لزاما علي أن أوجد الأطر العامة للانحراف، وأبين القواعد الشرعية فيه، ثم أذكر نماذج له، فالدراسة إذا تعتمد على النماذج المختارة، وليست تتبعا لكل شيء.

ثانيا: قلة المصادر الحديثة التي يمكن الاعتماد عليها، سواء عن الفرق الإسلامية، أو مظاهر الانحراف في المجتمعات الإسلامية المعاصرة بصورة عامة، وعلى الرغم من وجود مؤلفات حديثة عن الفرق الإسلامية إلا أنها تركز على الدراسة النظرية والتاريخية لتلك الفرق، دون ما تعيشه هذه الفرق في واقعها المعاصر، وكذا عن مظاهر الانحراف المختلفة عند ذكر النماذج لتلك الانحرافات؛ وقد قمت بالاستعانة بالكتابات المتفرقة عن الفرق في واقعها المعاصر، وكذا عن مظاهر الانحراف المختلفة عند ذكر النماذج لتلك الانحرافات، وأشارت في الخاتمة إلى دراسة مسحية عن العالم الإسلامي (عقديا).

أحمد الله على توفيقه إياي لهذا البحث، وأسأله سبحانه أن ينفعني به في الدنيا والآخرة، وأن ينفع به اخواني المسلمين، كما أسأله سبحانه العون والتوفيق والسداد في الأمر كله.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

إبراهيم الحميدان

الباب الأول

العقيدة في منهج الدعوة الإسلامية

الفصل الأول: العقيدة الإسلامية أسسها، ومبادئها.

الفصل الثاني: أهمية الدعوة إلى العقيدة.

الفصل الأول: العقيدة الإسلامية، أسسها، وثمراتها

المبحث الأول: الإيمان .

المبحث الثاني: التوحيد .

المبحث الثالث: ثمرات العقيدة الإسلامية .

المبحث الأول : الإيمان

أولاً : مفهوم الإيمان لغة :

الإيمان عند أهل اللغة : التصديق. (١)

جاء في لسان العرب(٢) : "اتفق أهل العلم من اللغويين و غيرهم أن الإيمان معناه التصديق، قال الله تعالى : (قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا..) الآية". (٣)

أما شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فيرى أن لفظ الإيمان ليس مرادفاً للفظ التصديق، مع صحة المعنى في بعض الاستعمالات، مثل قوله تعالى : (وما أنت بمؤمن لنا) (٤) إلا أن ذلك لا يوجب الترادف. (٥) و أورد لذلك وجوهاً أربعة :

أحدها : أن يقال للمخبر إذا صدقته : صدقه، ولا يقال: آمنه وآمن به، بل

(١) انظر: الجوهرى، إسماعيل بن حماد، الصحاح ٢٠٧١/٥، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٢ ، ١٣٩٩ هـ.

- وابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ٢٣/١٣، دار صادر - بيروت .

- والجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات، ص ٦٠، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥ هـ .

- و د. إبراهيم أنيس، و زملاؤه، المعجم الوسيط ٢٨/١، دار الباز للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، ط ٢ ، ١٣٩٣ هـ.

(٢) ٢٣/١٣ مرجع سابق.

(٣) سورة الحجرات ١٤ .

(٤) سورة يوسف ١٧ .

(٥) الترادف : ترادف الكلمتين أن تكونا بمعنى واحد، وكذلك ترادف الكلمات.

المعجم الوسيط ٢٣٩/١ مرجع سابق.

يقال آمن له، كما قال تعالى : (فاعمن له لوط)(١) وقال: (فمآ آمن لموسى إلا ذرية من قومه)(٢) وقال فرعون: (ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم)(٣) فان قيل: قد يقال: ما أنت بمصدق لنا. قيل: اللام تدخل على ما يتعدى بنفسه إذا ضعف عمله، إما بتأخيرها، أو بكونه اسم فاعل، أو مصدرا، أو باجتماعهما، فيقال: فلان يعبد الله و يخافه ويتقيه، ثم إذا ذكر باسم الفاعل قيل: هو عابد لربه، متق لربه، خائف لربه، وكذلك تقول: فلان يرهب الله، ثم تقول: هو راهب لربه، وإذا ذكرت الفعل وأخرته تقويه باللام، كقوله: (وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون) (٤)

فقول القائل : ما أنت بمصدق لنا، أدخل فيه اللام كونه اسم فاعل، وإلا فإنما يقال: صدقته، لا يقال: صدقت له، ولو ذكروا الفعل لقالوا: مامدقتنا، وهذا بخلاف لفظ الإيمان، فإنه تعدى إلى الضمير باللام دائما، لا يقال: آمنتك قط، وإنما يقال: آمنت له، كما يقال: أقررت له، فكان تفسيره بلفظ الإقرار أقرب من تفسيره بلفظ التصديق، مع أن بينهما فرقا.

الثانى : أنه ليس مرادفا للفظ التصديق في المعنى، فان كل مخبر عن مشاهدة أو غيب يقال له في اللغة: صدقت، كما يقال: كذبت، فمن قال: السماء فوقنا، قيل له: صدق، كما يقال: كذب، وأما لفظ الإيمان فلا يستعمل الا في الخبر عن الغائب، لم يوجد في الكلام أن من أخبر عن مشاهدة، كقوله: طلعت الشمس، وغربت، أنه يقال: آمناء، كما يقال: صدقناه، ولهذا، المحدثون والشهود ونحوهم يقال: صدقناهم، وما يقال: آمناء لهم ...

(١) سورة العنكبوت ٢٦ .

(٢) سورة يونس ٨٢ .

(٣) سورة الشعراء ٤٩ .

(٤) سورة الأعراف ١٥٤ .

الثالث : أن لفظ الإيمان في اللغة لم يقابل بالتكذيب، كلفظ التصديق، فإنه من المعلوم في اللغة أن كل مخبر يقال له: صدقت، أو كذبت، ويقال: صدقناه أو كذبناه، ولا يقال لكل مخبر: آمننا له أو كذبناه، ولا يقال: أنت مؤمن له أو مكذب له، بل المعروف في مقابلة الإيمان لفظ الكفر، يقال: هو مؤمن أو كافر...

الرابع : أن من الناس من يقول: الإيمان أصله في اللغة من الأمن الذي هو ضد الخوف، فأمن، أي: صار داخلا في الأمن.. (١)

وبهذا نصل الى أن لفظ "الإيمان" في اللغة لا يعني التصديق فقط، بل إنه يعني التصديق وغيره من الأمن والثقة والإقرار.

وهذه النتيجة ستكون كبيرة الفائدة، لتأييدها لمقصود الشرع من لفظ "الإيمان" الوارد في القرآن والسنة.

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، كتاب الإيمان ص ٢٧٥-٢٧٨ بتصريف واختصار، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٦هـ .

ثانيا : مفهوم الإيمان شرعا :

يرى السلف الصالح - رضوان الله عليهم - أن الإيمان شرعا هو : قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية . وهذا هو الصواب في مفهوم الإيمان شرعا، وذلك لدلالة الآيات، والأحاديث الصحيحة عليه .

"وهو مذهب الأوزاعي (١) ومالك (٢) والشافعي (٣) وأحمد بن حنبل (٤) وإسحق ابن راهويه (٥)، وسائر أهل الحديث، وأهل المدينة رحمهم الله، وأهل الظاهر،

(١) أبو عمرو، عبدالرحمن بن عمرو بن محمد الدمشقي (٨٨-١٥٧) هـ رحمه الله .
الذهبي، تذكرة الحفاظ (١/١٧٨)، دار إحياء التراث العربي، بيروت .
- وابن خلكان، وفيات الأعيان ١٢٧/٣، تحقيق د. إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت .

(٢) أبو عبدالله، مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث، أحد أعلام الإسلام، واليه ينسب المذهب المالكي في الفقه، من مصنفاته : (الموطأ) ولد سنة (٩٣) هـ وتوفي سنة (١٧٩) هـ رحمه الله . ابن حجر، تهذيب التهذيب ٥/١٠ ، دار صادر - بيروت .

(٣) أبو عبدالله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي (١٥٠-٢٠٤) هـ من مصنفاته : (الأم) واليه ينسب المذهب الشافعي رحمه الله . ابن حجر، تهذيب التهذيب ٢٥/٩ ، مرجع سابق .

(٤) أبو عبدالله، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي البغدادي (١٦٤-٢٤١) هـ أحد الأعلام، واليه ينسب المذهب الحنبلي، من مصنفاته : (المسند) رحمه الله . تذكرة الحفاظ للذهبي ٤٣١/٢ مرجع سابق .

(٥) أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم التميمي الحنظلي المروزي، المعروف بابن راهويه، (١٦٦-٢٣٨) هـ رحمه الله، الذهبي، تذكرة الحفاظ ٤٣٣/٢ مرجع سابق .

وجماعة من المتكلمين". (١)

وقد أوضح شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - أقوال السلف، وأئمة السنة في تفسير الإيمان، فقال:

"تارة يقولون : هو قول وعمل، وتارة يقولون: هو قول وعمل ونية، وتارة يقولون: قول وعمل ونية واتباع السنة، وتارة يقولون: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وكل هذا صحيح .

فإذا قالوا: قول وعمل، فإنه يدخل في القول القلب واللسان جميعا، وهذا هو المفهوم من لفظ القول والكلام ونحو ذلك إذا أطلق... (٢)

والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل، أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية، قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة فلأن ذلك كله لا يكون محبوبا لله إلا باتباع السنة، وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولا فقط (٣) فقالوا: بل هو قول وعمل.

والذين جعلوه أربعة أقسام، فسروا مرادهم، كما سئل سهل بن عبدالله التستري (٤) عن الإيمان ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان

(١) ابن أبي العز الصنفي، شرح الطحاوية، ص ٣٣٢، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ط ١٤٠٤هـ .

(٢) أورد المؤلف - رحمه الله - بعد ذلك تفصيلا في مسمى (الكلام) و (القول) رأيت الاستغناء عنه.

(٣) يقصد الكرامية، انظر : شرح الطحاوية ص ٣٧٣، مرجع سابق.

(٤) أبو محمد، سهل بن عبدالله بن يونس بن عيسى بن عبد الله بن ربيع =

قولا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولا وعملا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولا وعملا ونية بلا سنة فهو بدعة". (١)

وقال الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (٢) رحمه الله:

"اعلم رحمك الله: أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر - الإيمان - فرقتين:

فقال أحدهما: الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب، وشهادة الألسنة، وعمل الجوارح.

وقالت الفرقة الأخرى: بل الإيمان بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى و بر، وليست من الإيمان.

وإننا نظرنا في اختلاف الطائفتين، فوجدنا الكتاب والسنة يصدقان الطائفة التي جعلت الإيمان بالنية والقول والعمل جميعا، وبينما ما قالت الأخرى". (٣)

ثم ساق - رحمه الله - الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك.

و عقد الحافظ محمد بن منده (٤) في كتاب الإيمان مبحثا بعنوان: (ذكر خبر

= التستري - بضم التاء، وسكون السين المهملة، وفتح التاء الثانية - كان صاحب كرامات، ولم يكن له نظير في وقته في المعاملات والورع، ت ٢٨٣هـ بالبرمة رحمه الله. ابن ظلكان، وفيات الأعيان ٤٢٩/٢، مصدر سابق.

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى ١٧٠/٧، ١٧١، طبعة بإشراف رئاسة شؤون الحرمين.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادي، الحافظ اللغوي الفقيه، صاحب المصنفات (١٥٧-٢٢٤)هـ رحمه الله. الذهبي، تذكرة الحفاظ ٤١٧/٢ مرجع سابق.

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ٩، ١٠، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٤) الإمام الحافظ أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده، ولد بأصبهان، سنة ٣١٠هـ وتوفي سنة ٣٩٥هـ. الذهبي، تذكرة الحفاظ ١٠٣١/٣

- ١٠٣٦، مرجع سابق.

يبدل على أن الإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالأركان، يزيد وينقص(١)

ثم أورد تحت هذا العنوان روايات حديث أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - وإقراره لمن أنكر على مروان أخراجه منبر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من المسجد إلى مملئ العيد، ثم تقديمه الخطبة على الصلاة مخالفاً بذلك العمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

و قد قال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، يعني في تغيير المنكر، ثم أيد ذلك بقوله: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: [من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان](٢)

فقد نص على أن العمل باليد أو القول باللسان أو الاعتقاد بالقلب من الإيمان، وأن الإيمان يزيد عند المرء حتى يدفعه إلى تغيير المنكر بيده، وينقص حتى أنه لا يستطيع ذلك إلا بقلبه، والكل من الإيمان .(٣)

وأختم أقوال السلف بما أورده الامام الموفق ابن قدامة المقدسي (٤) في (لمعة الاعتقاد) حيث كتب ملخصاً جيداً عن مفهوم الإيمان، وبين الأدلة المباشرة

(١) الحافظ محمد بن منده، كتاب الإيمان، تحقيق: د. علي محمد الفقيهي، ٣٤٥/٢، الجامعة الإسلامية بالمدينة، المجلس العلمي، ط ١، ١٤٠١هـ.

(٢) مسلم، صحيح مسلم في كتاب الإيمان / باب كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، ٦٩/١، رئاسة إدارات البحوث، الرياض، ١٤٠٠هـ.

(٣) تعليق المحقق / د. علي محمد الفقيهي، على هذا المبحث ص ٣٤٤ ج ٢ من كتاب الإيمان لابن منده، مرجع سابق.

(٤) موفق الدين عبدالله بن أحمد بن محمد بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠)هـ من مؤلفاته: كتاب (المغني) الشهير في الفقه الحنبلي. انظر: الكتبي، محمد شاكر، فوات الوفيات ١٥٨/٢، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت .

لما قال، مما يغنيننا عن سرد الأدلة الكثيرة الواردة في الكتاب والسنة في هذا الموضوع، قال رحمه الله تعالى :

" والإيمان قول باللسان، وعمل بالأركان، وعقد بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال تعالى: (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاءً ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكوة وذلك دين القيمة)(١) فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق...] (٢) فجعل القول والعمل من الإيمان.

وقال تعالى: (فزادتهم إيماناً)(٣) وقال : (ليزدادوا إيماناً)(٤).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن ذرة] (٥) فجعله متفاضلاً". (٦)

(١) سورة البينة ٥ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم من حديث أبي هريرة، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان، ٦٣/١، مرجع سابق .

(٣) سورة التوبة ١٢٤ .

(٤) سورة الفتح ٤ .

(٥) رواه الإمام البخاري ومسلم، وهذه رواية مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة ١٨٢/١، مرجع سابق.

(٦) ابن قدامة المقدسي، لمعة الاعتقاد (وهي رسالة صغيرة الحجم عظيمة الفائدة) ص ٢٧، ٢٨، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٨٩هـ،

- وانظر: ابن أبي شيبة، الحافظ أبي بكر عبدالله بن محمد، كتاب الإيمان =

ثالثاً : مرتبة الإيمان بين مراتب الدين :

مراتب الدين ثلاث، الإسلام، والإيمان، والإحسان .

وقد وردت هذه المراتب في حديث جبريل المتفق عليه: [بينما نحن عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام(١)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ان استطعت إليه سبيلاً، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ... - إلى قوله صلى الله عليه وسلم لعمر - : أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم][٢)

= ص ٥٠، بتحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، ط ٢، ١٤٠٣ هـ.

- والبيهقي، الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين، الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، ص ١١٥، عالم الكتب، بيروت، ط ٢، ١٤٠٥ هـ.

وانظر: الفوائد لابن القيم ص(١٢)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٤، ١٤٠٧ هـ.

- والنووي: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان ١/١٤٦، ١٤٧، دار الفكر - بيروت، ط ٣، ١٣٩٨ هـ.

(١) في البخاري بدأ بالسؤال عن الإيمان.

(٢) متفق عليه، رواه البخاري، كتاب الإيمان ١/١٨، باب سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة...، المكتبة الإسلامية، استانبول . وهذا لفظ مسلم، كتاب الإيمان =

قال الإمام النووي (١) رحمه الله تعالى: "قوله صلى الله عليه وسلم: [هذا] جبريل أتاكم يعلمكم دينكم] فيه أن الإيمان والإسلام والإحسان تسمى كلها ديناً". (٢)

وقد "جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - الدين ثلاث درجات: أعلاها الإحسان، وأوسطها الإيمان، ويليها الإسلام، فكل محسن مؤمن، وكل مؤمن مسلم، وليس كل مؤمن محسناً، ولا كل مسلم مؤمناً". (٣)

والإسلام هو دين الله الذي أنزل به كتبه، وأرسل به رسله، وهو أن يسلم العبد لله رب العالمين، فيستسلم لله وحده لا شريك له، ويكون سالماً، بحيث يكون متألهاً له غير متألهاً لما سواه. (٤)

والإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، وقد تقدم الحديث عنه في مفهوم الإيمان (شرعاً). (٥)

والإحسان [أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك]، وهذا ما أجاب به النبي - صلى الله عليه وسلم - جبريل عندما سأله عن الإحسان. وإحسان العبادة هو الإخلاص فيها، والخشوع، وفراغ البال حال التلبس بها، ومراقبة المعبود. (٦)

= باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. ٣٦/١ ، مرجع سابق .

وفي البخاري: [هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم].

(١) الإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الحوراني الشافعي (٦٣١-٦٧٦هـ). الذهبي، تذكرة الحفاظ ١٤٧٠/٤ مرجع سابق.

(٢) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ١٦٠/١، مرجع سابق.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، كتاب الإيمان، ص ٢، مرجع سابق.

(٤) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى ٦٢٣/٧، مرجع سابق.

(٥) انظر : ص ٦ .

(٦) انظر: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، حاشية ثلاثة الأصول، ص ٦٥ بتصرف، دار العربية، بيروت، ط ٥، ١٤٠٠هـ.

وقال تعالى: (ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ الله إبراهيم خليلاً). (١)
فإحسان الدين هو - والله أعلم - الإحسان المسئول عنه في حديث جبريل. (٢)
العلاقة بين الإسلام والإيمان :

مر بنا حديث جبريل (٣)، وفيه فرق الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين الإسلام والإيمان.

فجعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة من صلاة، وصيام، وحج ..
وجعل الإيمان هو الأعمال الباطنة من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه،
ورسوله ..

وفي حديث آخر عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم وفد عبد
القيس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقالوا: يا رسول الله، إننا هذا
الحيّ من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلا نخلص إليك إلا في شهر
الحرام، فمرنا بأمر نعمل به، وندعو إليه من وراءنا، قال: [آمركم بأربع:
الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول
الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خمس ماغنمتم... الحديث)] (٤)
ففسر الإيمان بما فسر به الإسلام في حديث جبريل المتقدم .

وليس بين الحديثين تعارض، بل إن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترق
معناهما .

فالإسلام للأعمال الظاهرة، والإيمان للأعمال الباطنة .

(١) سورة النساء، الآية ١٢٥ .

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى، ٦٢٢/٧ مرجع سابق.

(٣) ص ١١ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله
صلى الله عليه وسلم ...، ٤٦/١، مرجع سابق .

وإذا افترقا اجتمع معناهما، ودخل كل واحد في معنى الآخر .
قال ابن تيمية رحمه الله: "فلما ذكر الإيمان مع الإسلام جعل الإسلام هو الأعمال الظاهرة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وجعل الإيمان مافي القلب من الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر.
وإذا ذكر اسم الإيمان مجردا، دخل فيه الإسلام والأعمال الصالحة، كقوله في حديث الشعب: [الإيمان بضع وسبعون - أو بضع وستون - شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق] (١) وكذلك سائر الأحاديث التي يجعل فيها أعمال البر من الإيمان". (٢)

رابعا : أركان الإيمان :

أركان الإيمان ستة، ورد خمسة منها في عدد من الآيات الكريمة، والسادس في الحديث الشريف .
فمن القرآن الكريم قال تعالى : (... كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله...) (٣)
وقال سبحانه: (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين ..) (٤)
وقال تعالى: (... ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضللا بعيد) (٥)

(١) تقدم في ص ١٠ .

(٢) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، كتاب الإيمان، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، ص ١٠، ١١ مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٤) سورة البقرة ١٧٧ .

(٥) سورة النساء ١٣٦ .

وقد مر بنا حديث جبريل (١)، وسؤاله النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، فلما سأله عن الإيمان قال: [أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره ..] فهذه هي أركان الإيمان، و سنذكرها مفصلة إن شاء الله :

الأول : الإيمان بالله :

وهو الاعتقاد الجازم بالله ربا وخالقا، مستحقا للعبادة وحده لا شريك له، وأن له الأسماء الحسنى والصفات العلى .

فهو يتضمن توحيده سبحانه في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . ومعنى توحيده في هذه الأمور: اعتقاد تفرد سبحانه بالربوبية والالوهية وصفات الكمال وأسماء الجلال، فلا يكون العبد مؤمنا حتى يعتقد أن الله رب كل شيء ولا رب غيره، وإله كل شيء ولا إله غيره، وأنه الكامل في صفاته وأسمائه ولا كامل غيره، فهذه ثلاثة أنواع من التوحيد تدخل في معنى الإيمان بالله عز وجل. (٢)

وهذا الركن هو أهم أصول الاعتقاد، وعليه مدار الإسلام، وهو لب القرآن . قال في شرح الطحاوية :

"وغالب سور القرآن متضمنة لنوعي التوحيد (٣)، بل كل سورة في القرآن؛ فالقرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته، وهو التوحيد العلمي الخبري، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلق ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبى، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته، فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن إكرامه لأهل توحيده، وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة

(١) ص ١١ .

(٢) د. محمد نعيم الياسين، الإيمان، ص ٤٠، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر.

(٣) سيأتي بيان أقسام التوحيد في ص ٢٨.

فهو جزاء توحيدده، وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد .
فالقُرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم؛ فـ (الحمد لله رب العلمين) توحيد (الرحمن الرحيم) توحيد (ملك يوم الدين) توحيد (اهدنا الصراط المستقيم) توحيد متضمن لسؤال الهداية إلى طريق أهل التوحيد (الذين أنعمت عليهم)؛ وقوله (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) الذين فارقوا التوحيد". (١)

ولما كان لهذا الركن هذه الأهمية صنف فيه المصنفات، وألفت فيه المؤلفات (٢)، بل إن بعض العلماء سمى العقيدة به، لأنه أهم أجزائها، كما سيأتي، لهذا أفردت له بحثاً مستقلاً هو المبحث الثاني من هذا الفصل. (٣)

الثاني : الإيمان بالملائكة (٤) :

ورد الإيمان بالملائكة في قول الله تعالى: (... كل آمن بالله وملائكته

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٨٨، ٨٩، مرجع سابق.

(٢) كما في مؤلفات ابن تيمية، و محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله، وغيرهم.

(٣) انظر ص ٣٢ .

(٤) الملائكة: "جمع مَلَك - بفتح اللام - قيل: مخفف من مالك، وقيل: مشتق من الألوكة، وهي الرسالة، وهذا قول سيبويه والجمهور، وأصله لأك، وقيل: أصله المَلَك - بفتح الميم وسكون اللام - وهو الأخذ بقوة، وأصله وزن (مفعل) فتركت الهمزة لكثرة الاستعمال، وظهرت في الجمع.

وقال جمهور أهل الكلام من المسلمين: الملائكة أجسام لطيفة أعطيت قدرة

التشكل بأشكال مختلفة، ومسكنها السموات". ابن حجر، فتح الباري ٦/٣٥٢

المطبعة السلفية بالقاهرة ط٣، ١٤٠٧هـ

وكتبه ورسله .. (١)

كما ورد في حديث جبريل - المتقدم - قول الرسول صلى الله عليه وسلم:
[الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره
وشره] (٢)

والإيمان بالملائكة : الاعتقاد الجازم بأنهم موجودون، قاثمون بوظائفهم
التي كلفهم الله بها، (.. لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون) (٣) كما
تواترت بذلك النصوص من القرآن والسنة. (٤)

ثم هم بالنسبة لما هيأهم الله تعالى ووكّلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحي من الله تعالى الى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو
الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال تعالى: (نزل به الروح الأمين على قلبك
لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين) (٥)

ومنهم الموكل بالقطر وتماريفه الى حيث أمره الله عز وجل، وهو ميكائيل
عليه السلام، لما روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما -
وفيه - : ... لو قلت ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان، فأنزل
الله عز وجل: (من كان عدوا لجبريل)... الآية (٦)

(١) سورة البقرة ٢٨٥ .

(٢) تقدم في ص ١١ .

(٣) سورة التحريم ٦ .

(٤) زيد بن فياض : الروضة الندية شرح الواسطية، ص١٥، ١٦، مكتبة الرياض
الحديثة، ط ٢ ، ١٣٨٨ هـ

(٥) سورة الشعراء ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥ .

(٦) سورة البقرة ٩٧ .، و الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل، المسند (١/٢٧٤،
المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٨ هـ

ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت وأعوانه .
قال الله تعالى: (قل يتوفكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم
ترجعون). (١)

وقال تعالى: (... حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون)(٢)
ومنهم الموكل بحفظ العبد في حله وترحاله، وفي نومه ويقظته، وفي كل
حالاته، وهم المعقبات، قال تعالى: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه
من أمر الله). (٣)

قال ابن عباس رضي الله عنهما: المعقبات من الله هم الملائكة يحفظونه من
بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله ظلوا عنه. (٤)

وقال تعالى: (وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة..)(٥)
ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، قال تعالى: (وإن عليكم
لحافظين كراما كتّيبين يعلمون ما تفعلون). (٦)

ومنهم خزنة الجنة، ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال تعالى: (وسيق الذين
اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها
سلم عليكم طبتم فادخلوها خالدين). (٧)

-
- (١) سورة السجدة ١١ .
 - (٢) سورة الأنعام ٦١ .
 - (٣) سورة الرعد ١١ .
 - (٤) ابن كثير، إسماعيل بن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٠٣/٢، المكتبة
التجارية الكبرى، ط ٣، ١٣٧٥هـ
 - (٥) سورة الأنعام ٦١ .
 - (٦) سورة الانفطار ١٠، ١١ .
 - (٧) سورة الزمر ٧٣ .

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفياتهم، وفي يوم القيامة، كما قال تعالى: (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقلّموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلا من غفور رحيم). (١)

ومنهم خزنة جهنم - عيادا بالله منها - وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال تعالى: (وما أدركك ماسقر . لاتبقى ولا تذر لواحة للبشر . عليها تسعة عشر . وما جعلنا أصحاب النار الا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتب ويزداد الذين آمنوا إيمانا...)(٢)

وقال تعالى: (ونادوا يملك ليقض علينا ربك قال إنكم مكثون). (٣)
وفي صحيح مسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها]. (٤)
وغيرهم كثير، لايحصى عددهم إلا الله سبحانه، قال تعالى: (. . وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هى إلا ذكرى للبشر). (٥)

و روى الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه عن أبي ذر - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [إنى أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أطلت السماء، وحق لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك

(١) سورة فصلت ٣٠، ٣١ .

(٢) سورة المدثر ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١ .

(٣) سورة الزخرف ٧٧ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب شدة حر نار جهنم ٢١٨٤/٤ مرجع سابق .

(٥) سورة المدثر ٣١ .

ساجد أو قائم..]. الحديث (١)

فيجب الإيمان بالملائكة الذين وردت أسماءهم في الكتاب والسنة بالتفصيل،
كجبريل وميكائيل، وإسرافيل، ويجب الإيمان بمن لم يرد تعيينه باسمه أو عمله
على الاجمال. (٢)

(١) الإمام أحمد بن حنبل، المسند ١٧٣/٥، المكتب الإسلامي بيروت ط٢، ١٣٩٨هـ،

- والترمذي، سنن الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، كتاب الزهد، باب في قول
النبي صلى الله عليه وسلم: لو تعلمون ما أعلم ٧٤/٧، أشرف على الطباعة،
وأعد التعليق عزت عبيد الدعاس، حمص ط ١، ١٣٨٧هـ.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء ١٤٠٢/٢،
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.

- وانظر: حافظ الحكمي، معارج القبول ٧٨/٢-٩٠ باختصار وتصرف، توزيع
الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد،
الرياض.

(٢) انظر : ابن القيم، إغاثة اللهفان، ١٧٠/٢-١٧٩، تحقيق محمد عفيفي، المكتب

الإسلامي، بيروت، و مكتبة الخاني، الرياض، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- وابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، بتخريج الألباني ص٣٠٠، مرجع
سابق.

- وابن حجر العسقلاني، فتح الباري ٢٥٤/٦ مرجع سابق.

- والشيخ محمد بن عبد الوهاب، أصول الإيمان ص٢١-٢٧ تحقيق إسماعيل
الأنصاري، وعبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، الناشر رئاسة إدارات البحوث
العلمية بالرياض.

- وعبدالعزیز السلماني، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية ص٥٩، ٥٨، ط١١،
١٤٠١هـ.

- ومحمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة ص١٦-١٨، الدار
السلفية بالكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ

الثالث : الإيمان بالكتب :

و الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان كما ورد في الآيات السابقة، و حديث جبريل المتقدم. (١)

ومعنى الإيمان بالكتب: "التصديق بأنها كلام الله، وأن ماتضمنته حق". (٢)
ويتضمن الإيمان بالكتب: "الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين، فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزيور، وصحف إبراهيم، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتباً أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى.

وأما الإيمان بالقرآن : فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب" (٣) وبأنه مهيمن على ما سبقه، وأن الله نسخ به جميع الكتب السابقة، قال تعالى: (... مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيما عليه..)(٤) وأن الله تكفل بحفظه إلى يوم القيامة، قال تعالى: (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحفظون). (٥)

(١) قال في فتح الباري ١/٩٦، ٩٧ : "ومناسبة الترتيب المذكور وإن كانت الواو لا ترتب، بل المراد من التقديم أن الخير والرحمة من الله، ومن أعظم رحمته أن أنزل كتبه إلى عباده، والمتلقي لذلك منهم الأنبياء، والواسطة بين الله وبينهم الملائكة".

(٢) ابن حجر، فتح الباري ١/١٤٤، مرجع سابق .

(٣) ابن أبي العز الحنفي ، شرح الطحاوية ص٣١٢، مرجع سابق .

(٤) سورة المائدة ٤٨ .

(٥) سورة الحجر ٩ .

الرابع : الإيمان بالرسول :

وهو الركن الرابع من أركان الإيمان، كما مر في الآيات السابقة، وحديث جبريل عليه السلام.

وهو يعني الإقرار الجازم بأن الله أرسل رسلاً أمرهم بتبليغ دينه، وهم الرسل، أو لم يأمرهم بتبليغه وهم الأنبياء.

قال في شرح الطحاوية: "وقد ذكروا فروقا بين النبي والرسول، وأحسنها: أن من نبأه الله بخبر من السماء؛ إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول، وإن لم يأمره أن يبلغ غيره فهو نبي وليس برسول، فالرسول أخص من النبي، فكل رسول نبي، و ليس كل نبي رسولا". (١)

"فعلينا الإيمان بمن سمى الله تعالى في كتابه من رسله، والإيمان بأن الله أرسل رسلاً سواهم، وأنبياء، لا يعلم أسماءهم وعددهم إلا الله تعالى الذي أرسلهم، فعلىنا الإيمان بهم جملة، لأنه لم يأت في عددهم نص، وقد قال تعالى: (ورسلاً قد قمصنهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصهم عليك...) (٢) وقال تعالى: (ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقص عليك...) (٣)

وعلىنا الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله، وأنهم بينوه بياناً لا يسع أحداً ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يطل خلافه، قال تعالى: (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) (٤) (وما على الرسل إلا البلاغ المبين) (٥) (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولىتم فأنما على رسولنا البلاغ المبين). (٦)

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ١٥٨ مرجع سابق .

(٢) سورة النساء ١٦٤ .

(٣) سورة غافر ٧٨ .

(٤) سورة النحل ٢٥ .

(٥) سورة النور ٥٤ .

(٦) سورة التغابن ١٢ .

وأما أولو العزم من الرسل، فقد قيل فيهم أقوال، أحسنها : ما نقله البغوي وغيره عن ابن عباس وقتادة أنهم : نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد، صلوات الله وسلامه عليهم، قال : وهم المذكورون في قوله تعالى: (وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ..(١) وفي قوله تعالى: (شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ماتدعوهم إليه ..(٢)

وأما الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم، فتصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع، إجمالا وتفصيلا".(٣)

الخامس : الإيمان باليوم الآخر :

ومعناه بصورة إجمالية : الإيمان بكل ما أخبر به الله عز وجل في كتابه، وأخبر به رسوله صلى الله عليه وسلم، مما يكون بعد الموت من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، والبعث، والحشر، والمصفا، والحساب، والميزان، والحوض، والمراط، والشفاعة، والجنة والنار، وما أعد الله تعالى لأهلها جميعا.(٤)

والأهمية هذا الركن فأننا نجد كثيرا ما رُبط الإيمان به بالإيمان بالله عز وجل، قال تعالى: (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر)(٥)

(١) سورة الأحزاب ٧ .

(٢) سورة الشورى ١٣ .

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ص ٣١٢ مرجع سابق.

(٤) د. محمد نعيم الياسين، الإيمان ص ٤٣، مرجع سابق .

(٥) سورة البقرة ١٧٧ .

وقال تعالى: (.. من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(١) وقوله تعالى: (قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر..)(٢)

و من أهميته كذلك كثرة أسمائه في القرآن، تلك الأسماء التي تحمل دلالات رهيبة، ومعان عظيمة، ومنها: الساعة، الحاقة، يوم الدين، يوم الحساب، الطامة، الصاخة، الغاشية، الواقعة، وغيرها.

ويتضمن الإيمان باليوم الآخر الأمور التالية: (٣)

١ - فتنة القبر وسؤال الملكين :

وهذا يحدث بعد انتقال الإنسان من الدنيا .

روى البخاري عن أسماء - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [ما من شيء لم أكن أريته إلا قد رأيت في مقامي هذا، حتى الجنة والنار، وإنه قد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور، مثل أو قريب من فتنة المسيح الدجال، يؤتى أحدكم فيقال له: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو قال الموقن - فيقول: هو رسول الله، هو محمد صلى الله عليه وسلم، جاءنا بالبينات والهدى فأمننا وأجبنا واتبعنا ومدقنا، فيقال له: ثم صالحا، قد كنا نعلم أن كنت تؤمن به، وأما المنافق - أو قال المرتاب - فيقال له: ما علمك بهذا الرجل، فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئا فقلت ..](٤)

(١) سورة البقرة ٦٢ .

(٢) سورة التوبة ٢٩ .

(٣) استفتت في تفصيل الإيمان باليوم الآخر من : د. محمد نعيم ياسين، الإيمان ص ٥٠-٧١ - بتمرف واختصار -، مرجع سابق.

(٤) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب من قال في الخطبة بعد الشفاء أما بعد (١/٢٢١)، كتاب العلم، باب من أجاب الفتيا بإشارة اليد والرأس، ٢٩/١ مرجع سابق.

٢ - عذاب القبر ونعيمه :

ومن ذلك قوله تعالى عن آل فرعون: (وحاق بهال فرعون سوء العذاب. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب)(١) وروى البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: مر النبي - صلى الله عليه وسلم - على قبرين، فقال: [إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، ثم قال: بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله]. (٢)

٣ - أشراف الساعة :

قال تعالى: (يسألونك عن الساعة أيان مرسها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السموات والأرض لاتأتاكم الا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (٣) فليس لأحد علم الساعة سوى الله سبحانه، إلا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أخبرنا بأشراطها وعلاماتها، وهو ما يجب أن نؤمن به، ومن ذلك ماورد في حديث جبريل: أنه سأل الرسول - صلى الله عليه وسلم - عن الساعة، فقال: [ماالمسئول عنها بأعلم من السائل، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان..] (٤) وغير ذلك من العلامات الواردة في القرآن والسنة.

(١) سورة غافر ٤٥ .

(٢) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب عذاب القبر من الغيبة والبول، ١٠٣/٢ مرجع سابق .

(٣) سورة الأعراف ١٨٧ .

(٤) سبق تخريجه في ص ١١ .

٤ - بداية اليوم الآخر :

وهو ماورد في كتاب الله من أوصاف وبيان لبداية اليوم الآخر، وخاصة ماورد في سور الانفطار، والتكوير، والانشقاق، حيث تنشق السماء، وتتناثر النجوم، وتتمادم الكواكب، وتتفتت الأرض، وتغدو صعيدا جززا، وتصبح الجبال كثيبا مهيلا، قال تعالى: (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار)(١)، ويكون هذا على أثر النفخة الأولى، قال تعالى: (فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة . وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة . فيومئذ وقعت الواقعة . وانشقت السماء فهي يومئذ واهية)(٢).

٥ - البعث :

قال تعالى: (يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة)(٣)
فالراجفة النفخة الأولى، والرادفة النفخة الثانية، كما فسرها ابن عباس(٤).

وبعد النفخة الثانية تبعث الأجساد بأرواحها، فيحيى الأموات، فيقول الكفار والمنافقون: (يؤيلنا من بعثنا من مرقدنا..)(٥) فيقول المؤمنون (.. هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون)(٦).

وفي الحديث أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - أول من يخرج من قبره: [لاتخيرونني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق،

(١) سورة إبراهيم ٤٨ .

(٢) سورة الحاقة ١٢-١٦ .

(٣) سورة النازعات ٦، ٧ .

(٤) ابن حجر، فتح الباري (١/٣١٠، ٣١١)، مرجع سابق .

(٥) سورة يس ٥٢ .

(٦) سورة يس ٥٢ .

فإذا موسى بباطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعد فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى الله]. (١)

٦ - الحشر :

والحشر هو سوق الناس إلى الموقف، وهو المكان الذي يقفون فيه انتظاراً لفصل القضاء بينهم، وهم كما خلقوا أول مرة .
فعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: [يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا، قلت: يارسول الله النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض ؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض]. (٢)

٧ - العرض والحساب، ثم الجزاء :

قال تعالى: (يوميذ تعرضون لاتخفى منكم خافية)(٣) وقال تعالى: (وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقنكم أول مرة ..). (٤)
وعن عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يارسول الله: أليس قد قال الله

(١) البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب نفخ الصور ١٩٣/٧ ، مرجع سابق .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب كيف الحشر ١٩٥/٧ ، مرجع سابق .

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ١٩٤/٤ مرجع سابق .

(٣) سورة الحاقة ١٨ .

(٤) سورة الكهف ٤٨ .

تعالى: (فأما من أوتى كتبه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا)(١) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب].(٢)

وعن الجزاء قال تعالى: (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون).(٣)

٨ - الحوض والشفاعة :

قال صلى الله عليه وسلم : [أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبدا..]. الحديث.(٤)

ولنبيينا - صلى الله عليه وسلم - الشفاعة العظمى، كما ورد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً].(٥)
وقبل ذلك يشفع صلى الله عليه وسلم في أهل الموقف حتى يقضى بينهم.(٦)

(١) سورة الانشقاق ٨،٧ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من نوقش الحساب عذب ١٩٦/٧ مرجع سابق.

(٣) سورة القصص ٨٤ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبيينا صلى الله عليه وسلم وصفاته ١٧٩٣/٤ مرجع سابق.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الايمان، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: أنا أول الناس يشفع .. ١٨٨/١، مرجع سابق .

(٦) للاستزادة انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ١٤٧/٣ مرجع سابق .

٩ - الميزان والصراف :

قال تعالى: (ونضع الموزين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين). (١)
وفي الحديث الذي أخرجه الشيخان عن أبي هريرة (وفيه): [ويضرب الصراف بين ظهري جهنم .. الحديث]. (٢)

١٠ - الجنة والنار :

قال تعالى: (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد). (٣)
وقال تعالى: (إن المتقين في مقام أمين . في جنات وعيون). (٤)
فنؤمن بهذه الأمور كلها، أما كيفياتها فإننا نقتصر على ما أخبرنا الله ورسوله عنه، وذلك أنها من أمور الغيب التي تخفى على الإنسان، ولا تخضع لمقاييسه وعقله المحدود .

السادس : الإيمان بالقدر خيره وشره :

هذا هو الركن السادس من أركان الإيمان .
وقد ورد في حديث جبريل المتقدم (٥) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم

(١) سورة الأنبياء ٤٧ .

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب: الصراف جسر جهنم ٢٠٥/٧، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب معرفة طريق الرؤية ١٦٣/١ مرجع سابق.

(٣) سورة ق ٣٠ .

(٤) سورة الدخان ٥٢، ٥١ .

(٥) تقدم في ص ١١ .

- أجاب جبريل - عليه السلام - عن الإيمان بقوله: [أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره].

والقدر هو تقدير الله تعالى للكائنات حسبما سبق به علمه، واقتضت حكمته. (١) قال تعالى: (وخلق كل شيء فقدره تقديرا) (٢) وقال تعالى: (وكان أمر الله قدرا مقدورا) (٣) وقال تعالى: (الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى) (٤) وقال تعالى: (انا كل شيء خلقه بقدر). (٥)

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: [كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء]. (٦) وللقدر أربع مراتب (٧) :

المرتبة الأولى : العلم :

فنؤمن بأن الله تعالى بكل شيء عليم، علم ماكان وما يكون وكيف يكون بعلمه الأزلي الأبدي، فلا يتجدد له علم بعد جهل، ولا يلحقه نسيان بعد علم.

(١) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٣٢، مرجع سابق.

(٢) سورة الفرقان ٢ .

(٣) سورة الأحزاب ٢٨ .

(٤) سورة الأعلى ٢،٢ .

(٥) سورة القمر ٤٩ .

(٦) مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، ٢٠٤٢/٤، مرجع سابق.

(٧) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٤٨/٣ مرجع سابق.

- وانظر: محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٣٢، ٣٣، مرجع سابق.

المرتبة الثانية : الكتابة :

فنؤمن بأن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيامة (ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض إن ذلك فى كتابٍ على الله يسير). (١)

المرتبة الثالثة : المشيئة :

فنؤمن بأن الله تعالى قد شاء كل ما فى السموات والأرض لا يكون شيء إلا بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن .

المرتبة الرابعة : الخلق :

فنؤمن بأن الله تعالى : (خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل له مقاليد السموات والأرض) (٢) أمـ.

فكل شيء يتم بقدر الله، وليس للعاصي أن يحتج بقدر الله، لأن الله سبحانه أعطاه إرادة وعقلاً يميز بهما بين الأشياء صحيحها وسقيمها، إلا أن ذلك كله تحت إرادة الله الشاملة، "والمحققون من أهل السنة يقولون: الإرادة فى كتاب الله نوعان : إرادة قدرية كونية خلقية، وإرادة دينية أمرية شرعية، فالإرادة الشرعية هى المتضمنة للمحبة والرضى، والكونية هى المشيئة الشاملة لجميع الموجودات". (٣)

(١) سورة الحج ٧٠ .

(٢) سورة الزمر ٦٢، ٦٣ .

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ص١١٤، مرجع سابق.

وانظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤٠٩/٢-٤١٢ مرجع سابق.

المبحث الثاني : التوحيد .

أولاً : مفهوم التوحيد

التوحيد لغة :

الحكم بأن الشيء واحد، والعلم بأنه واحد. (١)

وهو مصدر : وحده يووحده توحيداً، جعله واحداً، أي فرداً، والواحد والأحد وصف

اسم الباري تعالى لاختصاصه بالأحادية. (٢)

واستخلص الدكتور محمد خليل هراس رحمه الله من معاجم اللغة من مادة

(وحد) - التي تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله، وعدم وجود

نظير له فيما هو واحد فيه - معنى لغوياً للتوحيد فقال : إذا عدي بالتضعيف

ف قيل: وحد الشيء توحيداً كان معناه إما جعله واحداً، أو اعتقده واحداً، فتوحيد

الله معناه : اعتقاد أنه إله واحد لا شريك له، ونفي المثل والنظير عنه،

والتوجه إليه وحده بالعبادة .

وإذا قيل : الله واحد أو أحد، كان معنى ذلك انفراده بما له من ذات

وصفات وعدم مشاركة غيره له فيها. (٣)

(١) الجرجاني، علي بن محمد بن علي، التعريفات ص ٩٦، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط ١ ، ١٤٠٥هـ .

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد، ص ١١ بتصرف، ط ٣،

١٤٠٨هـ

(٣) د. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، ص ٦، بتصرف يسير، دار الكتب

العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ .

التوحيد اصطلاحاً :

قد تطلق كلمة التوحيد، فيراد بها المعنى الاصطلاحي .

وقد تطلق فيراد بها العلم المدون بهذا الاسم .

فأما المعنى الاصطلاحي فقد ذكر العلماء تعريفات كثيرة منها :

١ - ما ذكره الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي بقوله :

- أفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً

وأفعالاً. (١)

٢ - وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله :

- التوحيد هو أفراد الله بالعبادة. (٢)

ثم وجه الشيخ عبد العزيز بن باز هذا التعريف بقوله: وإنما سمي أفراد الله بالعبادة توحيداً لأن العبد باعتقاده ذلك قد وحد الله عز وجل، واعتقده واحداً فعامله على ضوء ذلك بإخلاص العبادة له سبحانه، ودعوته وحده، والإيمان بأنه مدبر الأمور، وخالق الخلق، وأنه صاحب الأسماء الحسنى والصفات الكاملة، وأنه يستحق العبادة دون كل ما سواه. (٣)

٣ - وقال الشيخ عبدالعزيز السلمان :

- حد التوحيد : علم العبد واعترافه واعتقاده وإيمانه بتفرد الرب بكل

صفة كمال، وتوحيده في ذلك، واعتقاده أنه لا شريك له في كماله، وأنه ذو

(١) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، ص١٧، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ١٤٠٦هـ.

(٢) كشف الشبهات، ص٣، المكتبة السلفية، القاهرة، ط٤، ١٣٩٩هـ.

- وانظر: عبدالرحمن بن قاسم، الدرر السننية ١/٤٨، دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ط ٣، ١٣٩٨هـ.

(٣) عبد العزيز بن باز، مجموع فتاوى الشيخ ابن باز، ٣٤/٢، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ١ ، ١٤٠٨ هـ

الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين. (١)

٤ - وقال الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله :

- هو واجب الله على بني الإنسان أن يعبدوه ويوحدوه في ألوهيته وربوبيته، ولا يشركوا به شيئاً، لقوله تعالى: (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون). (٢)

٥ - وقال الجرجاني في التعريفات: (٣)

- تجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل في الأوهام والأذهان، وهو ثلاثة أشياء : معرفة الله تعالى بالربوبية، والاقرار بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة .

٦ - وقال الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد : (٤)

- اعتقاد أن الله واحد لا شريك له .

- مناقشة التعريفات :

من استعراض التعريفات السابقة نرى أنها تتفق فيما بينها بالتزامها جميعاً بالأمر اللغوي لكلمة التوحيد، لكنها تختلف في النظر إليه بالمعنى الاصطلاحي، وكذلك بالقدرة على تحديد التعريف وجعله جامعاً مانعاً .

فالتعريف الأول - في نظري - هو أكثرها اختصاراً وشمولاً .

أما تعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب للتوحيد بأنه "أفراد الله بالعبادة"، فهذا إنما هو تعريف توحيد الألوهية، لهذا نجد أن الشيخ عبدالعزيز

(١) عبد العزيز السلمان، الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية، ص ٤١٧، ط ١١ .

(٢) سورة الذاريات ٥٦ .

الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة ص٩، مكتبة دار الأرقم، الكويت، ط١،

١٤٠٢هـ.

(٣) التعريفات، ص ٩٦ ، مرجع سابق.

(٤) رسالة التوحيد، دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ

ابن باز وجه هذا التعريف ليشمل أنواع التوحيد الثلاثة .
أما التعريف الثالث فمع شموله للمقصود من كلمة التوحيد اصطلاحاً إلا أن فيه طولاً وتكراراً للألفاظ .
أما التعريف الرابع فهو في الحقيقة تأكيد لأهمية التوحيد، وجعله واجباً دون بيان معناه، إضافة إلى أنه لم يذكر الأسماء والصفات .
أما التعريفان الخامس والسادس، فهما يقتصران على توحيد الربوبية، الذي لا يغني التصديق به، ولا ينجي من عذاب الله، فلا بد من توحيد الألوهية والأسماء والصفات .
وعلى هذا يترجح التعريف الأول، فقد شمل الألوهية في قوله: "أفراد المعبود بالعبادة" وشمل الأسماء والصفات والربوبية في قوله: "مع اعتقاد وحدته والتصديق بها ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً".
هذا إلى جانب اختصاره كما سبق .

- علم التوحيد :

أما كلمة "التوحيد" كعلم مدون بهذا الاسم، فإن من العلماء من جعلها تشمل جميع مباحث العقيدة، لكون التوحيد أهم مباحثها، ومنهم من قصرها على ما وضعت له .

ومن تعريفات التوحيد كعلم :

١ - تعريف الشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي، فهو يقول:

- علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية، مكتسب من أدلتها النقلية

والعقلية. (١)

(١) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران، ص١٧، مرجع سابق.

٢ - وعرفه الشيخ محمد عبده بقوله:

- علم يبحث فيه عن وجود الله، وما يجب أن يثبت له من صفات، وما يجوز أن يوصف به، وما يجب أن ينفي عنه، وعن الرسل لإثبات رسالتهم، وما يجب أن يكونوا عليه، وما يجوز أن ينسب اليهم، وما يمتنع أن يلحق بهم. (١)

٣ - وعرفه الشيخ عبد المجيد الزنداني في كتاب التوحيد (٢) بقوله:

- علم يبحث في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية والنقلية التي تزيل كل شك .

وهو العلم الذي يكشف باطل الكافرين وشبهاتهم وأكاذيبهم، وبه تستقر النفوس، وتطمئن القلوب بالإيمان.

٤ - وأورد الدكتور محمد خليل هراس التعريف المشهور عند المتكلمين، وهو :

- علم يقتدر به على إثبات العقائد الدينية عن أدلتها اليقينية. (٣)

مناقشة التعريفات :

لا شك أن تعريف علم التوحيد يتأثر كثيرا بنظرة واضع هذا التعريف للمعنى الاصطلاحي لكلمة التوحيد .

لذلك نجد أن الشيخ محمد عبده ركز على أنه علم يبحث في وجود الخالق وصفاته، بينما الأكثر على أنه علم يبحث في العقائد الدينية وإثباتها جميعا.

ثم ذكر الشيخ أيضا أنه يبحث في الرسل، وما هم عليه، وإثبات رسالتهم، وهذا صحيح، إلا أنه إذا ذكر الرسل، فلا بد من ذكر اليوم الآخر، والملائكة، والكتب، وغيرها من مباحث العقيدة، لكي لا يفهم أن هذا العلم مقتصر على إثبات

(١) رسالة التوحيد، ص ٤٣، مرجع سابق .

(٢) كتاب التوحيد، ٥/١، دار المجتمع، جدة، ط٢، ١٤٠٧هـ

(٣) دعوة التوحيد، ص ٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٦ هـ

وجود الله، وإثبات رسالات الرسل، فهذا التعريف إذا غير جامع .
أما التعريفات الثلاثة الأخرى فهي متفقة تقريبا، لكن بالنظر الى كل واحد على حدة نجد أن التعريف المشهور عند المتكلمين، والذي أورده الدكتور/ محمد خليل هراس، هو أشمل هذه التعريفات وأكثرها اختصارا.
ويتفق تعريف الشيخ عبد المجيد الزنداني مع تعريف أحمد بن حجر آل بوطامي في توضيح معنى الأدلة اليقينية، بإضافة "العقلية والنقلية" عند الثاني، و"العقلية والعقلية" عند الأول، ولا شك أن الأدلة اليقينية النقلية تأتي في المرتبة الأولى، مما يجعل تعريف آل بوطامي أفضل من تعريف الزنداني.
هذا إذا استبعدنا الجزء الأخير من تعريف الزنداني، وفيه: أنه علم يكشف باطل الكافرين... الخ، فهو استطراد لاجابة إليه، لأنه يتحدث عن بعض شمرات هذا العلم.

ثانياً : أقسام التوحيد :

كان الصدر الأول من المسلمين يتلقون العقائد وغيرها مما يتصل بالإسلام من القرآن الكريم، والسنة النبوية مباشرة .

ولما توسعت دولة المسلمين، ودخل فيها أقوام وأجناس من بيئات مختلفة، بما تحمله من أفكار وتصورات للعلوم ومناهجها، نشأت الحاجة إلى توضيح العقيدة لهم، ووضعها في أطر محددة، دون أن تخرج على ما جاء في الكتاب والسنة .

وهذا - ولا شك - مطلب مهم، سيما وأن الكثير من المسلمين الجدد لا يتقنون العربية حتى يفهموا مراد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

فكان من بعض التقسيمات عند أهل السنة والجماعة للتوحيد ، تقسيمة إلى ثلاثة أقسام (١) :

١ - توحيد الربوبية .

٢ - توحيد الألوهية .

٣ - توحيد الأسماء والصفات .

القسم الأول : توحيد الربوبية .

الرب في الأصل: التربوية، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام، يقال: ربه ورباه ورببه، وقيل: لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن، يعني : لأن يملكني.(٢)

وتعريف الربوبية معناه : الاعتقاد الجازم بأن الله هو الخالق المدبر، المالك المتصرف، الرازق، المحيي المميت، رب الأرباب، ومسبب الأسباب، كما قال سبحانه عن نفسه: (... ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العلمين). (٣)

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ص ٧٨ مرجع سابق .

(٢) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن،

ص ١٨٤، تحقيق محمد سيد الكيلاني، شركة مصطفى البابي الحلبي ١٣٨١هـ

(٣) سورة الأعراف ٥٤ .

والآيات والأحاديث الدالة على وحدانية الله - في الخلق، والتدبير، والرزق، والإحياء، والإماتة، وغيرها من الأفعال التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يشاركه فيها أحد سبحانه (١) - كثيرة جداً، ومن ذلك :

قول الله تعالى : (يأئبها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون . الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون)(٢)

وقوله تعالى : (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون). (٣)

وغیرها من الآيات الكثيرة.

ومن الحديث قوله - صلى الله عليه وسلم - في سيد الاستغفار: [اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت].. (٤)

والإقرار بتوحيد الربوبية عام في البشر، ولم يستطع أحد اشبات ما يخالفه. (٥)

(١) للتوسع والاستزادة انظر: الحافظ ابن مندة، كتاب التوحيد (١/١٢٤-٣٠٥،

الناشر: مركز شئون الدعوة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٢) سورة البقرة ٢١، ٢٢ .

(٣) سورة البقرة ١٦٣، ١٦٤ .

(٤) البخاري، صحيح البخاري، من حديث شداد بن أوس، كتاب الدعوات، باب أفضل

الاستغفار، ١٤٥/٧، مرجع سابق.

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٩٦/٣ مرجع سابق.

كما أن الإلحاد - بمعنى إنكار وجود الخالق - لم يكن مشتهرا بين أجناس البشر إلا في القرن الثامن عشر الميلادي، وذلك عندما ظهر المذهب الشيوعي .

وهذا النوع من التوحيد لا يكفي، ولا ينجي من العذاب (١)، ولهذا كانت بعثة الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - لدعوة الناس إلى توحيد العبادة الذي هو توحيد الألوهية، قال تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت...) (٢) وقال تعالى: (يأئبها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون). (٣)

وقال صلى الله عليه وسلم : [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله...]. (٤)

وذلك يتضمن الإقرار به، وعبادته وحده، فإنه الإله المعبود، ولم يقل حتى يشهدوا أن لارب إلا الله، فإن اسم الله أدل على مقصود العبادة له، التي خلق لها الخلق، وبها أمرهم. (٥)

ومع ذلك فإنه إذا نشأت الحاجة إلى إثبات وجود الخالق سبحانه ووحدانيته جل وعلا في أفعاله فلا بد من قيام المسلمين بها، لأن الإلحاد صار فكرا محميا

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٠٥/٣، و ٣٢/٢ مرجع سابق .

(٢) سورة النحل ٣٦ .

(٣) سورة البقرة ٢١ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ٥٢/١ مرجع سابق .

(٥) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ١٣/٢، ١٤ - بتصريف يسير - مرجع سابق.

وانظر: محمد بن إسماعيل المنعاني، تطهير الاعتقاد من ١٤، ١٩، المكتب الإسلامي، ط ٥، ١٤٠٥هـ.

- وانظر: محمد بن عبد الوهاب، كشف الشبهات، من ٣، مرجع سابق.

- وانظر: محمد بن علي الشوكاني، الرسائل السلفية (كتاب الدر النضيد)،

ص ١٦، ١٧ دار الكتب العلمية ، بيروت .

بقوة السلاح قصد نشره، والدعوة إليه بكافة الوسائل، كما في البلاد الشيوعية، ومبثوثا في مناهج العلوم، ونظرياته في أنحاء العالم شرقيه وغربيه(١)، ولم تسلم من ذلك البلاد الإسلامية، إضافة إلى أن توحيد الألوهية يبنى على توحيد الربوبية.

القسم الثاني : توحيد الألوهية .

إله : على فعال، بمعنى مفعول، لأنه مألوه، أي : معبود.(٢)

ومعناه : إفراد الله بالعبادة .

قال في شرح الطحاوية: "توحيد الألوهية : وهو استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له".(٣)

وهو التوحيد الذي أرسلت به الرسل، كما سبق بيانه .

وهو كذلك متضمن لتوحيد الربوبية (٤)، فإن عبادة الله جل وعلا تستلزم

الإقرار به ربا وخالقا .

أما العبادة فقد عرفها ابن تيمية رحمه الله بقوله : العبادة : "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة، فالصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والوفاء بالعهود، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد

انظر:

(١) د. جعفر إدريس، تصور للبرامج الدينية الموجهة لمن لا يتحدثون العربية من تظاهرات دول الخليج، مبحث (المادة المقدمة) غير منشور.

ومحاضرة مسجلة بعنوان: مناهج العلوم الانسانية ومشكلاتها، ألقى في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، عام ١٤٠٧هـ توزع في المركز.

(٢) الرازي، محمد بن أبي بكر، مختار الصحاح من ٢٢، دار القلم، بيروت.

(٣) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، من ٧٦، مرجع سابق.

(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، من ٨١، مرجع سابق.

للكفار والمنافقين، والإحسان للجار، واليتيم، والمسكين، وابن السبيل،
والمملوك من الأدميين والبهايم، والدعاء، والذكر، والقراءة، وأمثال ذلك من
العبادة.

وكذلك حب الله ورسوله، وخشية الله والإنابة إليه، وإخلاص الدين له،
والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء
لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك هي من العبادة لله" (١)

وأما في اصطلاح العلماء فقد عرفها طائفة منهم بقولهم :

"العبادة ما أمر به شرعا، من غير اطراد عرفي، ولا اقتضاء عقلي .

وعرفها طائفة بأنها : كمال الحب مع كمال الخضوع" (٢)

وتوحيد الألوهية هو معنى ومقتضى (لا إله إلا الله) وهي "نفي وإثبات، نفي

الإلهية عما سوى الله تعالى من المخلوقات، وإثباتها لله عز وجل". (٣)

وهذا التوحيد يشمل الأملين العظيمين لدين الإسلام: الإخلاص والمتابعة .

- فالإخلاص : بأن لا نعبد إلا الله .

- والمتابعة : بأن لا نعبده إلا بما شرع .

"وهذان الأصلان هما تحقيق "شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله"

كما قال تعالى: (ليبلوكم أيكم أحسن عملا) (٤)

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، كتاب العبودية، ص٣٨، ٣٩، المكتب

الإسلامي، دمشق، وبيروت، ط ٥، ١٣٩٩هـ .

(٢) أحمد بن إبراهيم بن عيسى، شرح نونية ابن القيم، ٢/٢٥٩، المكتب الإسلامي،

بيروت، ودمشق، ط٣، ١٤٠٦هـ

(٣) محمد بن عبد الوهاب، مجموعة التوحيد، ص ٢٥٠، الناشر: مؤسسة الدعوة

الإسلامية الصحفية بالرياض،

- وانظر: حافظ الحكمي، معارج القبول، ١/٢٥٠ مرجع سابق.

(٤) سورة الملك ٢ .

قال الفضيل بن عياض: أظمه و أموبه، قالوا: يا أبا علي، ما أظمه وأموبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالما ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالما لم يقبل حتى يكون خالما صوابا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة، وذلك تحقيق قوله تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا)(١)." (٢)

القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات .

أسماء الله وصفاته سبحانه ثابتة بالكتاب والسنة .

والعلم بها، والاعتقاد الحق في كيفية الإيمان بها أحد أقسام توحيد الله

جل وعلا .

"ولا يمكن أحداً أن يعبد الله على الوجه الأكمل حتى يكون على علم بأسماء

الله تعالى وصفاته ليعبده على بصيرة، قال الله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى

فادعوه بها..)(٣) وهذا يشمل دعاء المسألة ودعاء العبادة .

فدعاء المسألة أن تقدم بين يدي مطلوبك من أسماء الله تعالى ما يكون

مناسبا، مثل أن تقول: ياغفور اغفر لي، ويارحيم ارحمني، وياحفيظ احفظني،

ونحو ذلك.

ودعاء العبادة أن تتعبد لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء، فتقوم بالتوبة

اليه لأنه التواب، وتذكره بلسانك لأنه السميع، وتتعبد له بجوارحك لأنه البصير،

وتخشاه في السر لأنه اللطيف الخبير، وهكذا .." (٤)

(١) سورة الكهف ١١٠ .

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٣٣/١، مرجع سابق.

- وانظر: أحمد بن عيسى، شرح نونية ابن القيم، ٢٥٧/٢-٢٥٩ مرجع سابق.

(٣) سورة الأعراف ١٨٠ .

(٤) محمد بن صالح العثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى،

ص٦٠،٦، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥هـ .

"ومذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه، وبما وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - من غير تحريف، ولا تعطيل، ومن غير تكيف، ولا تمثيل، ونعلم أن ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو حق ليس فيه لغز ولا أحاجي، بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول، وأفصح الخلق في بيان العلم، وأفصح الخلق في البيان والتعريف والدلالة والإرشاد.

وهو سبحانه ليس كمثله شيء، لافي نفسه المذكورة بأسمائه وصفاته، ولا في أفعاله، ... ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل، فلا يمثلون صفات الله بصفات خلقه، كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه، ولا ينفون عنه ما وصف به نفسه، ووصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - فيعطلوا أسماءه الحسنی، وصفاته العلیا، ويحرفوا الكلم عن مواضعه، ويلحدوا في أسماء الله وآياته". (١)

ومن أسماء الله تعالى : الأحد، الصمد ، كما في سورة الإخلاص: (قل هو الله أحد . الله الصمد). (٢)

والأول، والآخر، والظاهر، والباطن، كما في قوله تعالى : (هو الأول والآخر والظاهر والباطن ..). (٣)

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٧، ٢٦/٥، مرجع سابق.

- وابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٢١٦ ، مرجع سابق.

- والمصابوني، أبو إسماعيل عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل، عقيدة السلف أصحاب الحديث، تحقيق بدر البدر ص ٤، ٣، الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ .

و محمد بن علي الشوكاني، الرسائل السلفية (رسالة التحف في مذهب أهل السلف) ص ٩، ١٠، مرجع سابق.

(٢) سورة الإخلاص ٢، ١ .

(٣) سورة الحديد ٣ .

وغيرها (١) كثير .

← أما الصفات فهي أوسع من الأسماء، وذلك أن كل اسم متضمن لمفحة من صفات الله عز وجل، مثل "السميع" يتضمن إثبات السميع اسما لله تعالى، وإثبات السمع صفة له، وإثبات حكم ذلك ومقتضاه، وهو أنه يسمع السر والنجوى، كما قال تعالى: (والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير). (٢)

ومثل "الحي" كما قال تعالى: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم...) (٣) حيث يتضمن إثبات الحي اسما لله عز وجل، وإثبات الحياة صفة له. (٤)

وصفات الله تعالى تنقسم الى قسمين : ثبوتية، وسلبية.

فالثبوتية ما أثبتته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات كمال لانقصر فيها بوجه من الوجوه، كالحياسة، والعلم، والقسرة، والاستواء على العرش، والنزول إلى السماء الدنيا، والوجه، واليدين، ونحو ذلك، فيجب إثباتها لله تعالى حقيقة على الوجه اللائق به. (٥)

(١) عدد الشيخ محمد بن عثيمين في كتابه القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، تسعة وتسعين اسما من القرآن والسنة، ص١٥، ١٦، مرجع سابق.

(٢) سورة المجادلة ١ .

(٣) سورة البقرة ٢٥٥ .

(٤) محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، ص ١٠، ٢١، بتصرف، مرجع سابق .

(٥) محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، ص٢١، ٢٢، باختصار، مرجع سابق.

والصفات السلبية مانفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وكلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والعجز، والتعب، فيجب نفيها وإثبات ضدها، مثل قوله تعالى: (وتوكل على الحى الذي لا يموت...)(١) فنفي الموت يتضمن كمال حياته .
وقوله تعالى: (... ولا يظلم ربك أحداً)(٢) نفي الظلم عنه يتضمن كمال عدله.(٣)

والصفات الثبوتية تنقسم الى قسمين : ذاتية وفعلية .
فالذاتية هي التي لم يزل ولا يزال متمفا بها، كالعلم، والقدرة، والسمع، والبصر، والعزة، والحكمة، والعلو، والعظمة، ومنها الصفات الضربية، كالوجه، واليدين، والعينين.
والفعلية هي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها، وإن شاء لم يفعلها، كالاستواء على العرش، والنزول الى السماء الدنيا.(٤)

التلازم بين اقسام التوحيد الثلاثة :

ان اقسام التوحيد الثلاثة بينها تلازم وصلة قوية، فتوحيد الإلهية يتضمن توحيد الربوبية - كما ذكرنا سابقا (٥) - فمن عبَد الله وحده لا شريك له فقد أقر بربوبيته من كونه خالقا رازقا متمرفا بكل شيء، وهو كذلك يتضمن توحيد الأسماء والصفات، إذ المقصود إفراده سبحانه بأسمائه وصفاته .

(١) سورة الفرقان ٥٨ .

(٢) سورة الكهف ٤٩ .

(٣) محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، ص ٢٣ ، باختصار، مرجع سابق .

(٤) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٥) انظر ص ٤١ .

كما أن توحيد الربوبية حجة على من عرفه وأقر به، إذ إن الخالق الرازق المدير هو المستحق للعبادة دون سواه.

أما توحيد الأسماء والصفات فهو يتمثل بالقسمين السابقين، إذ يقوم على أفراد الله سبحانه بكل أسمائه الحسنى، وصفاته العلى المتضمنة لمعنى الربوبية والإلهية.

فاسم الرب، والخالق، والرازق، ونحوها، له جل وعلا، وهي في توحيد الربوبية.

واسم الله، والإله، ونحوها، له جل وعلا، وهي في توحيد الإلهية.
وهكذا نجد التلازم والصلة القوية قائمة بين أنواع التوحيد الثلاثة. (١)

وقد أعاد بعض العلماء هذه الأقسام الثلاثة إلى قسمين :
الأول : التوحيد العلمي الخبري، ويشمل توحيد الربوبية، والأسماء والصفات.
الثاني: التوحيد القمدي الإرادي، ويشمل توحيد الألوهية. (٢)

(١) للاستزادة، انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٧/٢ مرجع سابق، وانظر:

- ابن القيم، مختصر المواعق المرسله، ٧٣/١ مرجع سابق .
- عبيد العزيز السلطان، الكواشف الجليلة عن معاني الواسطية ص٤٢١، ٤٢٢،
مرجع سابق.

- د. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، ص ٧٢، مرجع سابق.

- د. محمد نعيم الياسين، الإيمان، ص ٧، مرجع سابق.

(٢) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣٦٧/١، ٣٦٨، مرجع سابق .

- ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٨٩، مرجع سابق.

- أحمد بن عيسى، شرح نونية ابن القيم ٤٥٠/٢، مرجع سابق .

المبحث الثالث : ثمرات العقيدة الإسلامية

تمهيد :

إن العقيدة الإسلامية المبنية على الإيمان باللذ، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره، تثمر ثمرات عظيمة على الإنسان .
وذلك أنها عقيدة حقة، أنزل بها خالق الكون كتبه، وأرسل رسله، ولم تخترها عقول البشر الناقمة .

لهذا فإن ثمراتها أعظم الثمرات وأكملها وأتمها، بل إننا لانستطيع حصر تلك الثمرات كلها وتعدادها كاملة لكثرتها، وسنحاول أن نذكر أهمها .

والإيمان هو أكبر منة ينعم الله به على عبد من عباده، فهو يجعل للوجود الإنساني حقيقة مميزة، ويجعل له في نظام الكون دوراً أميلاً، ويعطيه تصوراً صحيحاً للقيم والأشياء والأشخاص والأحداث من حوله، بل إن من سعة تصوره أنه يخرج من نطاق ذاته المحدودة في الزمان والمكان.

فهو بالقياس إلى جنسه فرد من الإنسانية، ترجع إلى أصل واحد، وهذا الأمل خلقه الله بيده .

وهو بالقياس إلى انتمائه فرد من الأمة المؤمنة الواحدة، الممتدة في شعاب الزمن، السائرة في موكب كريم يقوده أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

ثم يتسع تصوره حتى يتجاوز ذاته وجنسه وأمته، ليعرف أن هذا الوجود الصادر عن الله، مؤلف من كائنات حية، كلها تتوجه إلى خالقها بالدعاء والتسبيح. (١)

والإنسان مخلوق جهزه الله بالعقل وأدواته، وهو يحمل أسئلة كثيرة، تبعا للوظيفة التي خلق من أجلها .

انظر:

(١) سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن ٢/٢٢٤، ٢٢٥ - بتصرف - جمع أحمد

فائز، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٣٩٧ هـ

والأسئلة الكبرى في ذهن الإنسان ثلاثة تلح عليه في داخله، وتضعه أمام مشكلات ثلاث لا بد من حلها، فإما أن يعيش في قلق وحيرة تجاهها، وإما أن يطرحها عن فكره طرحاً كلياً، ويعيش في دوامة كما تسير مطالب حياته، وإما أن يظفر بطنها حلاً صحيحاً يطمئن إليه قلبه، وتهدأ إليه نفسه، فيسير بحياته بهديه.

السؤال الأول : من الذي أوجدني بعد أن لم أكن شيئاً مذكوراً ؟

السؤال الثاني: ماهي الغاية التي وجدت من أجلها مزوداً بخمائن من عقل، وإرادة حرة، وغرائز، وأهواء، وشهوات في حياة ذات مسالك متشعبة؟

السؤال الثالث: إلى أين المصير بعد عبور جسر هذه الحياة، وما هي النتائج التي تترتب على أعمالها فيها ؟

وقد أعطانا الإسلام الأجوبة على هذه الأسئلة الملحة، ولفلت أنظارنا إلى الأدلة العقلية، والبراهين الواقعية التي تدل عليها، وقدم لنا الحل الأكبر للمشكلات المحيرة للإنسان في هذه الحياة. (١) كل ذلك من خلال العقيدة الإسلامية.

ولك أن تنظر إلى إنسان لا يحمل العقيدة الإسلامية، - وبالتالي لم يستطع الإجابة على الأسئلة الملحة السابقة - من خلال الصورة الشعرية التالية :

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيت

كيف جئت ؟ كيف أبصرت طريقاً ؟

لست أدري

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية، وأسسها، ص ٧٢، دار القلم

أجديد أم قديم أنا في هذا الوجود ؟
هل أنا حر طليق أم أسير في القيود ؟
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود ؟
أتمنى أنني أدري ، و لكنني

لست أدري

وطريقي ماطريقي؟ أطويل أم قصير ؟
هل أنا أمدد أم أهبط فيه وأغور ؟
أنا السائر في الدرب أم الدرب تسير ؟
أم كلانا واقف ، والدهر يجري ؟

لست أدري

ليت شعري وأنا في عالم الغيب الأمين ؟
أتراني كنت أدري أنني فيه دفين ؟
وبأني سوف أبدو وبأني سأكون ؟
أم تراني كنت لا أدرك شيئاً ؟

لست أدري

أتراني قبلما أصبحت كنت انسانا سويا ؟
كنت محوا أو محالا أم تراني كنت شيئا ؟
ألهذا اللغز حل ؟ أم سيبقى أبديا ؟
لست أدري ... ولماذا لست أدري ؟

لست أدري (١)

(١) ايليا، أبو ماضي، من قصيدة له طويلة بعنوان (الطلاسم) في ديوانه الجداول

ص١٣٩، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٧، ١٩٧٠ م .

ما أسوأ هذه الحيرة، وما أسوأ هذا القلق الذي ينتج عنها، وأين هذا من المسلم الذي يعرف كل الحقائق ^{هنا} مما يثمر له طمأنينة كاملة، وسيرا حسنا في هذه الدنيا، وحياة أفضل يوم القيامة، قال تعالى :

(أومن كان ميتا فأحييناهُ وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ...) (١)

وسنبين فيما يلي الثمرات المرتبطة بكل ركن من أركان الايمان، ومع ذلك لابد من الإشارة إلى أن الاسلام يطلب منا الإيمان بهذه الأركان جميعا، وأن جحد واحد منها كفيلا بإخراج الانسان من الإسلام الى الكفر .

أولا : ثمرات الإيمان بالله وتوحيده :

١ - الإيمان بالله يجب على أسئلة النفس الكثيرة حول الكون ومظاهر الحياة المختلفة، التي لابد من موجد لها، ومصرف لشؤونها، مما لا دخل للإنسان فيه، كوجود الإنسان نفسه ومماته، وجريان الرياح، ونزول الأمطار، وحركات البحار، وغير ذلك مما يجد الإنسان نفسه صغيرا أمامها، ويجد قدرته أضعف بكثير من أن تكون سببا في حدوثها.

ولهذا يمتن الله على عباده في كثير من الآيات، مبينا لهم أنه وحده مالك الملك، ومصرف الأمور، وبالتالي هو وحده المستحق للعبادة دون سواه .

يقول تعالى : (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخلقون . أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون). (٢)

ويقول تعالى : (أفأرأيتم ماتمنون . أن أنتم تخلقونه أم نحن الخلقون أفأرأيتم ماتحرضون، أن أنتم تزرعونه أم نحن الزرعون أفأرأيتم الماء الذي

(١) سورة الأنعام ١٢٢ .

(٢) سورة الطور ٣٥-٣٧ .

تشربون . أنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون . لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون . أفرايتم النار التي تورون . أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون). (١)

٢ - إن العبودية الخالصة لله وحده، هي الحرية الحقيقية التي هي مطلب كل إنسان، وذلك لأنها تصرف جميع أنواع العبودية بين الإنسان وأخيه، وبينه وبين مخلوقات الله الأخرى إلى الله وحده، فلا خوف إلا من الله، ولا رجاء إلا في الله، ولا اتكال إلا على الله، مما يجعل النفس عزيزة كريمة في تعاملها مع الأحياء والأشياء من حولها .

٣ - الإيمان بالله يورث طمأنينة الإنسان، وراحته، وسعادته، وذلك أنه مسطور على الإيمان بالله، فما يأتي من عوارض أو أسباب تبعده عن هذه الفطرة فهو شيء غريب، لاتقبله نفسه إن كانت على فطرتها الأولى، ولا ترتاح له، فتبقى في هم وغم، حتى تعود إلى أمالتها وفطرتها بالإيمان بالله سبحانه وتعالى، ولهذا فإنك ترى المجتمعات التي قد تعرف الله في ربوبيته ولكنها لاتوحده ولا تملك تمورا واضحا للألوهية، تراها في شقاء وبؤس، مع توفر المأكل الجيد، والمسكن الجيد، وكل وسائل الحياة الرغيدة، فليست السعادة والطمأنينة بالمال، أو الأولاد، بل هي من داخل الانسان، وهي ثمرة الإيمان بالله وحده لاشريك له، قال تعالى : (قل إن الله يبذل من يشاء ويهدي إليه من أناب . الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب). (٢)

"وليس هناك أضييق من صدر الملحد والشاك في الله والآخرة .

إن حياته أضييق من سجن، بل من "زنزانة" في سجن، إنه يعيش معزولا عن الأزل

(١) سورة الواقعة ٥٨-٥٩، ٦٢-٦٤، ٦٨-٧٢ .

(٢) سورة الرعد ٢٧، ٢٨ .

والأبد، عن الأمس والغد، لا يعرف إلا يومه، ولا يعرف من يومه إلا لذاته المحسة، وهو يعيش معزولا عن الوجود العريض، لا يرى منه إلا شخصه وشخوصا محدودة أخرى، ولا يرى من شخصه إلا جسمه المادي، ودوافعه الحيوانية". (١)

وصدق الله العظيم إذ يقول: (ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آيتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى). (٢)

٤ - إن الصدق في توحيد الله يجعل اتباع الأوامر، واجتناب النواهي، أمرا سهلا ميسورا، بل ومحبوبا إلى النفس مرغوبا فيه، مهما بلغت المشقة في ذلك.
قرأ أبو طلحة الأنصاري - رضي الله عنه - سورة "براءة" حتى بلغ قول الله تعالى: (انفروا خفافا وثقالا وجهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله..)(٣)
فقال: خفافا وثقالا: شبابا وكهولا، ماسمع الله عذر أحد، وقال لبنيه: أي بني؛ جهزوني.. جهزوني.. يعني للجهاد - فقال بنوه: يرحمك الله، قد غزوت مع النبي - صلى الله عليه وسلم - حتى مات، ومع أبي بكر حتى مات، ومع عمر حتى مات، فنحن نغزوا عنك، قال: لا.. جهزوني.. فجهزوه بجهاز الحرب، فغزا في البحر، فمات في البحر، فلم يجدوا جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد سبعة أيام، فدفنوه فيها رضي الله عنه.

وخرج سعيد بن المسيب إلى الغزو، وقد ذهب إحدى عينيه، ف قيل له: إنك عليل. فقال: استنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكنني الحرب كثرت السواد والمتاع.

ورأى بعضهم في غزوات الشام رجلا قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، فقال

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٩٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ط ٧، ١٤٠١هـ

(٢) سورة طه ١٢٤-١٢٦ .

(٣) سورة التوبة ٤١ .

له: يااعم، إن الله قد عذرك. فقال: ياابن أخي قد أمرنا بالنفير خفافا وثقالا. (١)

٥ - الإيمان بالله يثمر القوة في نفس المؤمن، وفي الجماعة المؤمنة مهما كانت قليلة العدد والعدة، وذلك أن المؤمن والجماعة المؤمنة لاتستمد قوتها من المخلوقين الضعفاء، ولا من الأسباب الأرضية الضعيفة، بل من الله سبحانه وتعالى القوي العزيز، لهذا فإنك تجد مؤمنا واحد يعادل العدد الكثير في ميدان النزال، وتجد الجماعة المؤمنة قليلة العدد والعتاد تهزم أعتى الجيوش وأشرسها، لأنها مرتبطة بقوة الله، مستيقنة أن النصر بيده، وأن حزبه هم الفائزون، وهم المفلحون.

قال تعالى: (وإما عاد فاستكبروا في الأرض وقالوا من أشد منا قوة أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجدون). (٢)
وقال تعالى: (... ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز). (٣)
ومنشأ القوة بأنواعها المختلفة عند المؤمن الاتكال على الله سبحانه، والثقة بوعده لعباده المؤمنين، قال تعالى: (ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بلغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا). (٤)

"ذلك هو شأن الإيمان إذا عمقت جذوره، وقوي سلطانه على النفس، أنه يمد صاحبه بيقين لايهن، وهمة لاتنني، وأمل لايخبو، ودافع لايتوقف، وعزم لايخور، هو يملك الدنيا، ولكنها لاتملكه، ويجمع المال ولكنه لايستعبده، وتحيط به النعمة

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، في تفسير (خفافا وثقالا) ١٥١، ١٥٠/٨

بتصرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م .

(٢) سورة فصلت ١٥ .

(٣) سورة الحج ٤٠ .

(٤) سورة الطلاق ٣ .

ولكنها لاتبطره، وينزل به البلاء ولكنه لايقهره، لاتزيد الشدائد إلا عزيمة مع عزيمته، وقوة إلى قوته، كالذهب الأصيل، لاتزيد النار إلا نقاء وصفاء.
من كان يصدق أن مجموعة قليلة العدد، ضئيلة العدد، من جزيرة العرب، لم يكن لهم فلسفة اليونان، ولا مدنية الرومان، ولا حكمة الهند، ولا صنعة الصين، تملك الدنيا بزمام، وترث ملك الأكاسرة، وتحطم امبراطورية القياصرة، وتنشر دينا جديدا، وحضارة جديدة في الآفاق، وفي أقل من ربع قرن من الزمان؟". (١)

٦ - الإيمان بالله يجدد للنفس نشاطها حتى تواجه الغد بما واجهت به الأمس، ولا يزيدها مرور الأيام إلا مضاء على الحق، وعزيمة على الرشد، فالمؤمن الصادق يخجل أن يراه الله - عز وجل - كسولا متوانيا، وقد أمره بالجد والاجتهاد، والأخذ بالأسباب، وكيف يكون حاله لو فاجأه الموت وهو كسلان بليد؟ وكيف يلقي الله خاملا عاطلا، والآيات تلاحقه: (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون..). (٢)

والمؤمن يعلم أن الإيمان قرين العمل الصالح، كما في كتاب الله عز وجل:
(ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا). (٣)
والعمل الصالح عبادة بأي صورة كان، إذا خلص لله ولم يناقض ماأمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم. (٤)

(١) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٢٤٢، ٢٤٣، مرجع سابق .

(٢) سورة التوبة ١٠٥ .

(٣) سورة مريم ٩٦ .

(٤) د. محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، ص ١٤٧، - بتصرف - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ودار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط ٢، ١٤٠٦هـ .

٧ - لشهادة "أن لا إله إلا الله" عند الموت تأثير عظيم في تكفير السيئات وإحباطها، لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها، قد ماتت منه الشهوات، ولانت نفسه المتمردة ... فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فظهرته من ذنوبه وأدخلته على ربه بشهادة صادقة خالصة وافق ظاهرها باطنها، وسرها علانيتها. (١)

٨ - الإيمان بالله يثمر ثمارا عظيمة على حياة الإنسان المدنية والاجتماعية، فهو ينشئ الجماعة الإنسانية على الشعور بالتبعية، ويطهر نفوسهم، ويقيم أعمالهم على أساس متين من خشية الله في السر والعلانية، ويصلح علاقاتهم بعضهم مع بعض، ويطبعهم بطابع الالتزام والتقيد بالنظام الإلهي، والقيام على حدوده من داخل أنفسهم .

كل ذلك من معجزات الإيمان بالله، إذ لا قبل لأية قوة حاكمة في الدنيا، ولا لأي تعليم أو توجيه أو تربية، ولا لأي وعظ أو تلقين، أن تقوم بأداء مهمة إصلاح الأخلاق، وتنظيم الأعمال على مثل هذا النطاق الواسع، وبمثل هذه الجذور العميقة .

فالإيمان بالله هو العامل الوحيد الذي يصلح الإنسان ويتولى دائما مهمة إرشاده إلى طريق التقوى والطاعة والانقياد في السر والعلانية، ولا يترك نفسه - مهما كانت شرسة - دون أن يؤثر فيها تأديبا وتأنيبا .

إن الاعتقاد بعلم الله وقدرته هو الذي يرجع على الإنسان بهذه الفائدة العظيمة، وما هذا الاعتقاد إلا جزء من أجزاء الإيمان بالله سبحانه وتعالى .

قال تعالى: (إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء). (٢)

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الفوائد ص ٦٤، ٦٥ - باختصار -

دار الكتب العلمية، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٧هـ

(٢) سورة آل عمران ٥ .

وقال تعالى : (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد). (١)

ولذا فإن الله سبحانه ما أنزل في القرآن حكما من الأحكام الا وقد أعقبه بالتنبيه على إرتباطه بالله، مثل قوله سبحانه: (تلك حدود الله فلا تعتدوها). (٢)

٩ - وأخيرا فالإيمان بالله هو أول وأهم شيء في نظام الإسلام للعقائد، بحيث إن كل مافيه من العقائد الأخرى إنما هي فروع لهذا الأساس، وإن كل مافيه من الأحكام الخلقية، والقوانين المدنية، إنما تستمد قوتها من هذا الأساس. (٣)

(١) سورة ق ١٦ .

(٢) سورة البقرة ٢٢٩ ؛ أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها

ومبادئها (الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر) ص١٥٥-١٥٨

- بتصرف - دار الخلافة للطباعة والنشر.

(٣) المرجع السابق، ص ١٢٥ .

ثانيا : ثمرات الإيمان بالملائكة :

١ - الإيمان بالملائكة على الوجه الصحيح - كما ورد في القرآن والسنة - يثمر التصور الواضح والجلي عنهم، بحيث لاتشوبه شائبة الشك، أو غيره من النظرات الخاطئة التي تلاحظ عند غير المسلمين قديما وحديثا.

وأصل الخطأ في أمر الملائكة وتصور وجودهم ومهامهم أن ذلك كله أمر غيبي، لا يخضع لمقاييس البشر وعقولهم، بل مرده إلى ما بينه الله سبحانه في كتبه، وعلى السنة رسله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

فمن أخذ علمه من كتب الله ورسله، سلم واستنار بالمعلومات الصحيحة، ومن تركها إلى غيرهما من عقول البشر وفرضياتهم ضل وجهل .

فهم عباد لله كلفهم بوظائف محددة، ولا يملكون من أمرهم شيئا، بل الأمر كله لله جل وعلا، قال تعالى: (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون . يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون). (١)

٢ - الإيمان بالملائكة إيمان بشيء غيبي، وقد مدح الله المؤمنين بالغيب في مواضع كثيرة من كتابه الكريم، قال تعالى: (الم . ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون). (٢)

وهذا ينطبق أيضا على الإيمان بالله واليوم الآخر، وغيرها من أمور الغيب التي لا يدركها الإنسان بحواسه .

وهو كذلك من البر، قال تعالى: (... ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين...). (٣)

(١) سورة النحل ٤٩، ٥٠ .

(٢) سورة البقرة ١-٣ .

(٣) سورة البقرة ١٧٧ .

٣ - زيادة تآليه الله وتعظيمه جل وعلا عندما يعلم أن له ملائكة سخرهم لعقاب الكافرين ونصرة المؤمنين .

قال تعالى: (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي فى قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان). (١)

وقال تعالى: (... ولو ترى إذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون). (٢)

٤ - دوام مراقبة الله والخوف منه عندما يعلم المسلم أن هناك ملائكة ترافقه وتحصي عليه أعماله وأقواله، لذلك تجده دائم المراقبة لله والخوف منه، ولو كان وحيدا خاليا فى أعالي الجبال، أو قيعان البحار. (٣)

قال تعالى: (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد . إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد). (٤)

وقال تعالى: (وإن عليكم لحافظين . كراما كتبين). (٥)

(١) سورة الأنفال ١٢ .

(٢) سورة الأنعام ٩٣ ؛ غازي التوبة، فى مجال العقيدة (نقد وعرض) ص١٢٧، ١٢٨، - بتصرف - مؤسسة الرسالة، ط ١ ، ١٤٠٦هـ -

(٣) المرجع السابق، ص١٢٩ - بتصرف - وكذلك :

د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية فى مواجهة المذاهب الهدامة ص٢٨٦ - بتصرف - دار البحوث العلمية، الكويت، ط ١ ، ١٤٠٣هـ -

(٤) سورة ق ١٦-١٨ .

(٥) سورة الانفطار ١٠، ١١ .

٥ - تقوية الشعور بحب الله لعباده ورحمته بهم، عندما يعلم أن الله تعالى قد أكل به من الملائكة من يحفظه، وسخر له منهم من يستغفر له. (١)
قال تعالى: (له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله..)(٢)
وقال تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين ءامنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . ربنا وأدخلهم جنّات عدن التي وعدتهم ومن صلح من ءآبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم . وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم). (٣)
وبعد ذلك صحبتهم على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين(٤)، وحفظهم لهم.

٦ - حمل الإنسان على التشبه بهم في طاعة الله تعالى، وتطبيق شرعه، فهو عندما يعلم أنهم يماحبونه دائما فإنه يرضى حق صحبتهم له بالتزام آداب الشريعة، لأن مرافقيه يلتزمون هذه الآداب.(٥)
قال تعالى: (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون). (٦)

-
- (١) د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ص ٢٨٦ - بتصرف - مرجع سابق.
- (٢) سورة الرعد ١١ .
- (٣) سورة غافر ٧-٩ .
- (٤) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٣٩ ، مرجع سابق.
- (٥) د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة ص ٢٨٦ - بتصرف - مرجع سابق.
- (٦) سورة الأعراف ٢٠٦ .

وقال تعالى: (الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به...) (١).

٧ - والإيمان بالملائكة الذين أخبر عنهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بقوله: [... أظنت السماء وحق لها أن تثبط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد أو قائم ...] (٢) ثم قرأ: (وما منا إلا له مقام معلوم . وإنا لنحن المافون . وإنا لنحن المسبحون) (٣) الإيمان بوجودهم وبغيرهم من مخلوقات الله الخاضعة لربها يعرفنا أن العصاة لله في هذا الكون قليلون، ليس لهم نسبة تذكر في نظام الكون، وإن كانت نسبتهم كبيرة في بني البشر. (٤)

ثالثا : ثمرات الإيمان بالكتب :

١ - معرفة فضل الله وعظيم منته، إذ لم يترك البشر دون توجيه وبيان، ومنه إنزال الكتب، ففي رسالات الرسل كتب كثيرة، منها ما علمنا اسمه، كالتوراة والانجيل، والقرآن، ومنها ما لم نعلم اسمه .
والمهم أن الله سبحانه لم يترك عباده هملا .
و من تمام نعمته سبحانه انزال القرآن الكريم، بعد أن حرفت الكتب السابقة، واختلط فيها الحق بالباطل، بعد التحريف والتبديل، وقد حفظ الله سبحانه وتعالى كتابه الكريم "القرآن" من التبديل والتحريف فقال سبحانه :
(إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). (٥)

(١) سورة غافر ٧ .

(٢) سبق في ص ١٩، ٢٠ .

(٣) سورة المافات ١٦٤-١٦٦ .

(٤) عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد، ٩/٢، مرجع سابق .

(٥) سورة الحجر ٩ .

٢ - الشعور بوحدة البشرية، ووحدة دينها(١)، فعلى الرغم من كون الرسائل متفرقة مكانا وزمانا، وهي كذلك مختلفة بالنسبة إلى من أرسلت إليهم، إلا أن الدين واحد، والاعتقاد واحد، وهو ما تشترك في الدعوة إليه كتب الله سبحانه، فكلها لهداية الناس.

قال تعالى : (نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بعائت الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام). (٢)

٣ - معرفة مافي الكتب السابقة من حق، من خلال عرضه على ماورد في القرآن الكريم، فالقرآن يصدق الكتب السابقة، وهو المرجع الوحيد لمعرفة مافيها من حق، وهذا من شأنه إقامة الحجة على أتباع هذه الكتب، كاليهود والنصارى، في كثير من القضايا، مثل : اثبات وحدانية الله سبحانه، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومحدودية رسالة عيسى - عليه السلام - إلى بني إسرائيل، وغيرها من القضايا .

قال تعالى: (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه...). (٣)

٤ - تنقية روح المؤمن من التعصب الذميم ضد الديانات السماوية وأتباعها، ماداموا على الطريق الصحيح. (٤)
ففي الوقت الذي يكفر هؤلاء بالقرآن، نحن نؤمن بالتوراة، والإنجيل،

(١) عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد، ١٠/٢، مرجع سابق .

(٢) سورة آل عمران ٣، ٤ .

(٣) سورة المائدة ٤٨ .

(٤) عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد، ١٠/٢، بتصرف، مرجع سابق.

والزبور، وغيرها، وهذا مما يجعل أهل الكتاب قريبين من الإسلام والمسلمين لو أنصفوا، فنحن نؤمن بأن لدياناتهم أملا سماويا وكتبا أنزلت عليهم، ثم حرفت.

٥ - كتاب الله الكريم الذي سلم من التحريف، وحفظ بحفظ الله له، مصدر أكيد وموثوق لأخبار كثيرة، سواء ما كان غيبا كالملائكة، واليوم الآخر، أو ما كان من جنس الغيب (١)، كأخبار الأمم السابقة التي اختلفت في شأنها الكتابات التاريخية.

لهذا نجد أن الله سبحانه يمتن على رسوله - صلى الله عليه وسلم - بذكر أخبار تلك الأمم .

ففي آل عمران بعد ذكر قصة مريم وعيسى عليهما السلام - وغيرها من الأخبار - يقول تعالى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون). (٢)

وفي سورة هود بعد ذكر قصة نوح عليه السلام، يقول تعالى: (تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العقبه للمتقين). (٣)

وفي سورة يوسف يقول تعالى: (ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون). (٤)

(١) انظر : محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير ٥٠٣/٢، في تفسير قوله تعالى:

(تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل

هذا...) هود ٤٩ ، الناشر دار الفكر (١٤٠١ هـ

(٢) سورة آل عمران ٤٤ .

(٣) سورة هود ٤٩ .

(٤) سورة يوسف ١٠٢ .

٦ - الشرائع في الديانات السماوية إنما تؤخذ أولاً من الكتب المنزلة فيها.

وفي الإسلام كتاب الله الكريم (القرآن) أول مصدر للتشريع، فالإيمان به يثمر الاستفادة من تشريعاته العادلة، وأحكامه السماوية، والتي هي تنزيل من حكيم حميد.

٧ - بالإيمان بالكتب تظهر حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مناسباً لجميع الخلق في كل عمر ومكان إلى يوم القيامة. (١)

٨ - زيادة اليقين بصحة دين الإسلام، حيث إن القرآن الكريم لم يطرأ عليه تغيير أو تعديل، وما يزال الناس منذ صدر الرسالة يحفظونه في أماكن وأزمنة مختلفة، دون أن يحدث له التغيير، حتى وصلنا كذلك، فهو معجزة هذا الدين الباقية إلى قيام الساعة.

٩ - وأخيراً فالقرآن جامع لكل ما يقوم عليه الإسلام، فمن آمن به فكأنه آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، لأن كل هذه الأمور المذكورة في القرآن بكامل تفاصيلها، وما الثمرة اليقينية لصحة الإيمان بالقرآن إلا أن ينال الإنسان الإيمان كله. (٢)

(١) محمد بن صالح بن عثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٣٩، مرجع سابق.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها (الإيمان) ص ٢١٨، مرجع سابق.

رابعاً : ثمرات الإيمان بالرسول :

١ - ان جملة المعتقدات، وأركان الإيمان متوقفة في صحتها على الإيمان بالرسول، فهم الذين اختارهم الله من بين خلقه ليقوموا بمهمة الإرشاد والبلاغ، لذلك فإن أي إنسان يبني تصوراته عن الله أو الملائكة أو اليوم الآخر من غير طريق رسل الله فإن عقيدته لن تصح أبداً، بل ليس من الممكن أساساً أن تتزود الإنسانية بمثل هذه الأمور من غير طريق الرسول. (١)

وهكذا الأمر بالنسبة للعبادات وأصول التشريع وفروعه، فالإقرار بالرسالة هو الذي يجعل هناك ضابطاً لما يريد الله من البشر كي يتلقى البشر في كل مايتعلق بالدينونة لله من مصدر واحد، هو هذا المصدر، وكما لايقوم كل يوم طاغوت مفتر يقول للناس قولاً، ويشرع للناس شرعاً، ثم يزعم أنه شرع الله وأمره بينما هو يفتره من عند نفسه. (٢)

٢ - الإيمان بالرسول كلهم استكمال لشرط الإيمان، وعدم الإيمان بواحد من رسل الله هو كفر بهم جميعاً.

يقول الله سبحانه: (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً . والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفوراً رحيماً). (٣)

(١) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها (الإيمان) ص١٢١، بتصريف، مرجع سابق.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن ١٨٥٣/٤، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ٨، ١٣٩٩م

(٣) سورة النساء ١٥٠-١٥٢ .

ولقد كان اليهود يدعون الإيمان بأنبيائهم، وينكرون رسالة عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، كما أن النصارى يقفون بإيمانهم عند عيسى عليه السلام، وينكرون رسالة محمد - صلى الله عليه وسلم - كذلك. (١)

٣ - ظهور حكمة الله سبحانه، وعنايته بخلقه، ورحمته بهم، حيث أرسل لكل قوم رسولا من جنسهم - البشري - لم يترك أمة من الأمم دون رسول، قال تعالى: (ولكل أمة رسول...) (٢) وقال تعالى: (وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) (٣) ثم أرسل محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة الخاتمة إلى البشر جميعا (قل يأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا...) (٤)

فجعل الرسل من جنس المرسل اليهم، وجعلهم الواسطة بينه وبينهم، وجعل الملائكة الكرام واسطة بينه وبين الرسل، قال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم...) (٥)

ومعلوم أن العباد محتاجون إلى الرسل، "وحاجة العبد إلى الرسالة أعظم من حاجة المريض إلى الطب، فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها مات قلبه موتا لا ترجى الحياة معه أبدا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدا". (٦)

"وليسست حاجة أهل الأرض إلى الرسول كحاجتهم إلى الشمس والقمر والرياح والمطر، ولا كحاجة الانسان إلى حياته، ولا كحاجة العين إلى ضوءها، والجسم إلى

(١) سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن، جمع أحمد فائز ٢/٢٤، ٢٥، مرجع سابق

(٢) سورة يونس ٤٧ .

(٣) سورة فاطر ٢٤ .

(٤) سورة الأعراف ١٥٨ .

(٥) سورة آل عمران ١٦٤ .

(٦) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى ١٩/٩٦، مرجع سابق.

الطعام والشراب، بل أعظم من ذلك، وأشد حاجة من كل ما يقدر ويخطر بالبال، فالرسل وسائط بين الله وبين خلقه في أمره ونهيه، وهم السفراء بينه وبين عباده". (١)

"ومن هنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر، فإنه لاسبيل إلى السعادة والفلاح لافي الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم". (٢)

٤ - دعم معنى الأخوة بين بني الإنسان، فإذا عرفنا أن الرسل من بني آدم، فهم إذا إخوان، وإذا عرفنا أن دينهم جميعا هو دين الإسلام، فنحن إذا ندين بدين واحد(٣)، قال تعالى: (إنّا أوحينّا إليك كما أوحينّا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينّا إلى إبراهيم واسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وعيسى ويونس وهارون وسليمان وأتينّا داود زبوراً . ورسلا قد قصصنهم عليك من قبل ورسلا لم نقصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً)(٤) وقال تعالى: (يثأبها الرسل كلوا من الطيبات واعلموا أنّي بما تعملون عليم . وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون . فتقطعوا أمرهم بينهم زبوا كل حزب بما لديهم فرحون). (٥)

(١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحلّيم، مجموع الفتاوى ١٠١/١٩، مرجع سابق.

(٢) ابن القيم، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر بن أيوب، زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٥/١، دار الباز بمكة المكرمة.

(٣) د. محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، ص ١٥٢ - بتصريف - مرجع سابق.

(٤) سورة النساء ١٦٢، ١٦٤ .

(٥) سورة المؤمنون ٥١-٥٣ .

٥ - سهولة التعامل مع أصحاب الديانات السماوية الأخرى، ومن ثم دعوتهم الى الإسلام، ولعل ماحدث مع النجاشي في الحبشة خير شاهد على ذلك، فإنه لما عرف نظرة الإسلام إلى عيسى وأمه عليهما السلام تأثر كثيرا، وكان ذلك سببا لطرده وفد قريش الذين جاؤوا يحرضونه على المهاجرين المسلمين الى الحبشة، ومن المعروف أن تقدير شخصية مرموقة عند قوم من الاقوام سيؤثر فيهم كثيرا، فما بالك بالرسول صلوات الله وسلامه عليهم، وهو مدخل مهم ونافع للدعوة مع أصحاب الديانات السماوية، كاليهودية والنصرانية.

ومما يعين على ذلك ويؤكدده أننا نحن المسلمين لانقدر هؤلاء الرسل مجاملة لاتباعهم، بل إن ذلك جزء من عقيدتنا، فنحن نؤمن بهم ونحبهم ونقدرهم، ونقتدي بهم، ونصلي ونسلم عليهم عند ذكرهم، وهو مالا يفعله أتباعهم والمنتسبون اليهم بنفس القدر والكيفية.

٦ - الاستمرار في الدعوة إلى الله، والصبر على المشاق والمكاره مهما كثرت أو طالت، وعدم الوهن والحزن، لأن ما أصاب رسل الله في ذلك أشق وأكبر، وكان الله معهم، وناصرهم، فصارت العقبي لهم، كل ذلك من شأنه أن يبني الثقة في نفس المسلم، والطمأنينة برعاية الله له وعونه وتوفيقه.

كما نجد في القرآن الكريم كثيرا من قصص الأنبياء تسلية للرسول - صلى الله عليه وسلم - وللمؤمنين جميعا، حتى لا يظنوا أنهم هم الذين يفتنون ويؤذون فقط، قال تعالى: (ولقد استهزئ برسلك من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون)(١)

وقال تعالى: (وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع

الأمور)(٢)

(١) سورة الأنعام ١٠ .

(٢) سورة فاطر ٤ .

وقال تعالى : (ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتهم نصرنا ولا مبدل لكلمت الله ولقد جاءك من نبى المرسلين)(١)

٧ - محبة الرسل وتعظيمهم وتقديرهم على ما قاموا به من جهود في تبليغ رسالة الله(٢)، والنصح لعباده، وتحملهم في ذلك المشاق والمكاره، ورحمتهم بأمتهم، وتيسيرهم عليهم، وسؤال الله سبحانه التخفيف عنهم، قال تعالى: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم)(٣)

وقال تعالى: (واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه في قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الرشدون). (٤)

(١) سورة الأنعام ٣٤ .

(٢) محمد بن صالح بن عثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة ص ٤٠ - يتصرف -

مرجع سابق.

(٣) سورة التوبة ١٢٨ .

(٤) سورة الحجرات ٧ .

خامسا : ثمرات الإيمان باليوم الآخر :

١ - الإيمان باليوم الآخر دليل على صدق توحيد الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: (إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ)(١) فجمع السياق بين الإيمان بوحداية الله والإيمان بالآخرة، بل جعل أحدهما دالا على الآخر، لارتباط عبادة الله الواحد بعقيدة البعث والجزاء، فبالآخرة تتم حكمة الخالق الواحد، ويتجلى عدله في الجزاء.(٢)

ونجد الإيمان بالله واليوم الآخر مرتبطين في آيات كثيرة، قال تعالى: (ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر...) (٣) وقال تعالى: (من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)(٤) وقال تعالى: (ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر...) (٥) وقال تعالى: (قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر...) (٦).

٢ - وهو كذلك فسحة في التصور وسعة في النفس، إذ يتبين للمؤمن قيمة الدنيا وقيمة الآخرة، فيعلم أن الآخرة خير وأبقى، فلا تغره الدنيا، ولا يقف في تصوره عند حدودها الضيقة وآمالها الكاذبة، بل ينطلق إلى آفاق الآخرة، إلى الجنة ونعيمها الدائم الذي لا تشوبه الأكدار، ولا تفسده المطامع، فيؤثر الآخرة على الدنيا.

(١) سورة النحل ٢٢ .

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، ٢١٦٧/٤ - يتصرف - مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة ١٧٧ .

(٤) سورة البقرة ٦٢ .

(٥) سورة البقرة ٢٣٢ .

(٦) سورة التوبة ٢٩ .

٢ - الحرص على طاعة الله سبحانه رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفاً من عقاب ذلك اليوم(١)، مما له أثر كبير في توجيه سلوك الإنسان وتقويمه وتحديده، سواء كان هذا السلوك مع نفسه، أو مع الناس، أو مع خالقه جل وعلا. (٢)

وكذلك تهذيب الغرائز (٣)، وأن لا تكون ممارفها إلا في ما يرضي الله سبحانه، والبعد كل البعد عن أسباب سخطه جل وعلا، لأنه يعلم أنه مسئول ومحاسب عن أعماله، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر .

فهو إذا صمام الأمان في هذه الحياة الدنيا، وهو الضابط الوثيق الذي يحرس الأطلاق، والحارس الأمين الذي يضمن تنفيذ الشريعة(٤)، فهو يمنع لحظة العين أن تمتد إلى محرم، ويردع الفم أن يهمس بمحرم، ويمنع القدم أن تمشي إلى محرم، قال تعالى: (ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقه منشوراً . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). (٥)

-
- (١) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٤٠، مرجع سابق.
- (٢) انظر: محمد المبارك، نظام الإسلام، (العقيدة والعبادة) ص ١٥٥، - بتصرف - المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة ١٤٠٥هـ.
- وانظر: د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، ص ٣٦٠، - بتصرف - مرجع سابق.
- وانظر: د. محمد نعيم الياسين، الإيمان، ص ٤٤، - بتصرف - مرجع سابق.
- (٣) د. محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، ص ١٥٥، مرجع سابق.
- (٤) د. عبدالله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ص ٢٧، ٢٨ - بتصرف - مكتبة الأقصى، عمان، ط ٣، ١٤٠٠ هـ.
- (٥) سورة الإسراء ١٣، ١٤ .

٤ - تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها. (١)

وكذلك ما يصيبه من ظلم فلا يستطيع رده، لأنه يعلم أن هناك حسابا وقصاما يوم القيامة لا ينجو منه هذا الظالم حتى يقتص منه .
"فالمؤمن لا يكثر لمشاق الحياة، ولا يستغرق في ملذات الدنيا، إذ يتذكر دائما لقاءه بربه، ويرجو حسن العاقبة، وينتظر رحمة ربه في الحياة الآخرة" (٢)
فتراه مطمئن النفس، هادئ البال، في وقت كثر فيه القلق، وأصبح منتشرا بين عدد كبير من البشر.

٥ - استمرار التبشير بالخير، وفعل الخير، وقيادة الخير، وعدم اليأس من خلال رؤية النتائج القريبة، و التضحيات الأليمة. (٣)
وهي صفات ومشاعر ضرورية للداعية المسلم، فالدنيا والآخرة متصلتان، وليس الموت نهاية المطاف حتى يرهبه أو يخشاه.

٦ - يتضمن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بما يحدث للكون من تغير وتبدل عند قيام الساعة، وعندما يؤمن المسلم أن كل هذا الكون سيختل نظامه، ويفقد ترابطه، ويصغر كبيره، فإنه سيوجه تعظيمه لله تعالى الذي سيفعل هذا، لأن هذا يعني أنه أكبر وأعظم من الكون. (٤)

(١) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٤٠، مرجع سابق.

(٢) د. محمد المبارك، نظام الإسلام، (العقيدة والعبادة) ص ١٥٨، مرجع سابق.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن ١٤٠٨/٣ - بتصرف - مرجع سابق.

(٤) غازي التوبة، في مجال العقيدة، نقد وعرض ص ١٤٢، - بتصرف - مرجع سابق.

سادسا : ثمرات الإيمان بالقدر - خيره وشره - :

١ - دفع النفس وانطلاقها للعمل في ميدان الحياة، بحثا عن أقدار الله النافعة، وعدم الكسل، أو التواني عن فعل جميع الأسباب الممكنة للوصول إليها، ومن ثم الانتفاع بها.

وكذلك التعرف على الأقدار الضارة لاجتنابها، والابتعاد عن أسبابها، حتى لا يقع فيها، وعلى هذا الأساس قام التقدم العلمي والحضاري الذي رفع لواء علماء المسلمين منذ زمن بعيد. (١)

٢ - الاعتماد على الله عند فعل الأسباب، لأن السبب والمسبب كلاهما بقضاء الله وقدره. (٢)

فإن كل ما يحدث في الكون إنما يحدث بقضاء الله وقدره، فليست الأسباب هي التي تنشئ النتائج، بل الأسباب والنتائج بيد الله تعالى. (٣)

٢ - العلم بتكريم الله سبحانه لهذا الإنسان، بأن جعل له إرادة واختيارا، وهو الأمر الذي لم تكرم به أكثر المخلوقات، وبه يمدح المحسن على إحسانه، ويذم المسيء على إساءته، ولذلك أيضا فرق الله بين من يفعل الشيء بإرادته واختياره، وبين من يفعله مكرها عليه، إذ لا يؤاخذ الله الفاعل المكره، فيما يتعلق بحق الله تعالى.

(١) عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد، ١٤/٢ - بتصرف - مرجع سابق.

(٢) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة ص٤١، مرجع سابق.

(٣) سيد قطب، طريق الدعوة في ظلال القرآن، ص ١٥٩، - بتصرف - جمع أحمد فائز، مرجع سابق.

٣ - الشعور بالمسئولية والتبعة في تصرفات الافراد وعلاقاتهم فيما بينهم، فما دام أن لكل واحد منهم إرادة واختياراً فهو إذا مسئول عن كل مايسببه من نتائج حميدة أو سيئة، وهذا الشعور بالمسئولية أعظم سبب فيما يتعلق بالإقدام على فعل ما، أو تركه، وهو كذلك أيضا أهم عامل في ضبط علاقات الافراد فيما بينهم، وعلاقاتهم مع خالقهم جل وعلا، وبهذا تنهض الأمم، وترتقي الشعوب رقياً حقيقياً، وليس زائفاً .

٤ - انتزاع كل مظاهر الجبن والخوف من نفس المؤمن، والشجاعة والإقدام عند المواجهة، فان المؤمن إذا اعتقد أن ماأصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، بذلك يندفع لجهاد الكفار، دون أن يهتم كثيراً بوسائلهم واستعداداتهم، بل إن المؤمن الصادق الذي يحمل هذه العقيدة لاترهبه قوى الأرض مجتمعة، ولا تقف أمامه، وهذا هو التفسير الصحيح للأعمال التي حققها الإيمان على يد الجماعة المؤمنة التي انطلقت بهذا الدين، فإن ماقام به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وأتباعه من أعمال تشبه الخوارق، ففتحوا البلاد وهزموا الجيوش الكبيرة، كل ذلك إنما هو ثمرة الإيمان بالله واليوم الآخر، وبقدر الله النافذ.

٥ - الرضا وعدم القلق عند فوات المقصود، أو حصول المصائب، لأنه تم بقدر الله عز وجل وقضائه .

وانك لترى المسلم تحصل له المصيبة في أهله، أو ماله، أو نفسه، فلا ترى الضجر والقلق على وجهه، بل تجده حامداً لله على ماقدر، شاكراً له لطفه بأن لم يقدر له أسوأ من ذلك .

أما الكافر فإنك تجده ساخطاً قلقاً لحصول أدنى المصائب وأقلها، حتى يصل به الأمر الى قتل نفسه تخلصاً من هذا القلق الشديد، فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة، قال تعالى : (ماأصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى

كتلب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور). (١)

٦ - طرد الإعجاب بالنفس عند حصول المراد، لأن ذلك نعمة من الله بما قدره من أسباب الخير والنجاح، فيشكر الله تعالى على ذلك، ويدع الإعجاب (٢)، وبهذا يسلم المؤمن من الغرور الذي يكون سببا في أمراض كثيرة، كالكبر، والبطر على الخلق، وهو مالا يرضاه الله لعباده.

والآية السابقة أشارت إلى أن ما يحدث للإنسان مكتوب مقدر، لئلا يحزن على ما فات، ولا يفرح بما أوتي فرحا يجلب الاختيال والفخر المذموم، قال تعالى: (لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كل مختال فخور). (٣)

وذلك كله يجعل المؤمن الصادق يحمد الله على توفيقه، وتيسير أمره، فهو من قضاة وقدره، كما أنه يصبر على المكروه والضراء، وهذا مصداق قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم عن صهيب رضي الله عنه: [عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له]. (٤)

(١) سورة الحديد ٢٢، ٢٣ .

(٢) محمد بن صالح العثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، ص ٤١، مرجع سابق.

(٣) سورة الحديد ٢٣ .

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ٢٢٩٥/٤، مرجع سابق.

الفصل الثاني : أهمية الدعوة إلى العقيدة .

المبحث الأول : البدء بالدعوة إلى العقيدة .

المبحث الثاني : ارتباط الأعمال والشرائع في الإسلام بالعقيدة .

المبحث الأول : البدء بالدعوة الى العقيدة

تمهيد :

تشكل الدعوة إلى العقيدة أهمية كبرى في مجال الدعوة إلى الإسلام .

وهذه الأهمية تتمثل في كون العقيدة أول شيء يدعى إليه الناس.

ومع التسليم بأن الإسلام كل لا يتجزأ، وأن العبد مطالب به كله، وإلا كان ممن قال الله فيهم: (أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)(١) إلا أن هذا الكل يشبه البناء المتكامل الذي يتكون من أساس وبنء ظاهر، فالأساس في بناء الإسلام هو العقيدة، والبنء الظاهر هو مقتضيات العقيدة، أو ما اصطلح عليه باسم (الشريعة) فإذا صلح الأساس، وكان قويا متينا جاء البناء الظاهر على مثل ذلك .

ولقد عني القرآن الكريم ببناء العقيدة، فلا تكاد تظو سورة من سوره، بل لاتكاد تظو آية من آياته من ذكر للعقيدة، أو إشارة اليها، أو بيان لحكم شرعي مع ربطه بالاعتقاد والعقيدة، "هذا بالإضافة إلى أن القرآن المكي ليس فيه شيء من التشريع التفصيلي، بل معظم ما جاء فيه يرجع إلى المقصد الأول من الدين، وهو توحيد الله تعالى، وإثبات وجوده، واستحقاقه وحده جل وعلا للعبادة، والتحذير من عذابه، ووصف يوم الدين وأهواله ونعيمه، وضرب الامثال بما أصاب الأمم الماضية حينما خالفت ما دعاها إليه أنبياءها".(٢)

(١) سورة البقرة ٨٥ .

(٢) محمد الخضري، تاريخ التشريع الإسلامي، ص ١٦، - بتصرف - مكتبة الرياض

الحديثة، الرياض، ط ٧، ١٤٠١هـ.

لهذا كان على الداعية أن "يُدعو أولاً إلى إِملاح العقيدة بالأمر بإِخْلَاص العبادة لله، والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، كما هي طريقة الرسل جميعاً، كما قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت ...) (١) وقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) (٢)

١ - نماذج من دعوات الرسل - صلوات الله وسلامه عليهم - في القرآن الكريم.
دعوة الأنبياء في أساسها ومنطلقاتها هي دعوة إلى العقيدة، كما قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه إنى لكم نذير مبين. أن لاتعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم أليم). (٣)
وقال عن هود عليه السلام: (وإلى عاد أخاهم هودا قال يقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون. قال الملا الذين كفروا من قومه إنا لنترك فى سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال يقوم ليس به سفاهة ولكنى رسول من رب العلمين . أبلغكم رسلت ربي وأنا لكم ناصح أمين . أوعجبتكم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بمطمة فاذكروا ءآلاء الله لعلكم تفلحون . قالوا أجتئنا لنعبد الله وحده ونذر ماكان يعبد ءاباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من المدقين . قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجدلوننى فى أسماء سميتوهما أنتم وءاباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا إننى معكم من المنتظرين . فأنجينه والذين

(١) سورة النحل ٣٦ .

(٢) سورة الأنبياء ٢٥ ؛ د. صالح الفوزان، مقدمة كتاب منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل، للدكتور/ ربيع بن هادي المدخلي، ص٤، الدار السلفية، الكويت، ط ١ ، ١٤٠٦ هـ.

(٣) سورة هود ٢٥، ٢٦ .

معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا وما كانوا مؤمنين). (١)

وقال عن صالح عليه السلام: (وإلى شمود أخاهم مثلها قال يُلقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم). (٢)

وقال عن إبراهيم عليه السلام: (وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . إنما تعبدون من دون الله آوثناً وتخلقون إفكا إن الذين تعبدون من دون الله لايملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين). (٣)

وقال سبحانه عن إبراهيم مع الملك "نمرود بن كنعان" ملك بابل (٤) : (ثم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لايهدى القوم الظالمين). (٥)

وقال سبحانه عن يوسف - عليه السلام - وهو في السجن، حيث يدعو من معه إلى توحيد الله: (ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إنى أرئنى أعصر خمرا وقال الآخر إنى أرئنى أحمل فوق رأسى خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نرئك من المحسنين . قال لاياتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله من قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمنى ربى إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كفرون . واتبعت ملة آبائى إبراهيم وإسحق ويعقوب ماكان لنا أن نشرك بالله من

(١) سورة الأعراف ٦٥-٧٢ .

(٢) سورة الأعراف ٧٣ .

(٣) سورة العنكبوت ١٦-١٨ .

(٤) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم (١/٣١٣) ، مرجع سابق.

(٥) سورة البقرة ٢٥٨ .

شئء ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون. يلاحظى السجن الأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ماتعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وءاباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا آياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون). (١)

وقال سبحانه عن موسى عليه السلام: (وهل أتلك حديث موسى . إذ رءا نارا فقال لأهله امكثوا إنى ءانست نارا لعلى ءاتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى. فلما أتتها نودى ي موسى . إنى أنا ربك فاطع نعليك إنك بالواد المقدس طوى. وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى. وأقم الصلوة لذكرى . إن الساعة ءاتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى). (٢)

وقام موسى عليه السلام بالدعوة، وآزره الله سبحانه بأخيه هارون عليه السلام، واستنكر فرعون أن يكون هناك ربا غيره، قال تعالى عن فرعون: (قال لين اتخذت إلها غيرى لأجعلنك من المسجونين)(٣)

ثم قال له موسى بهدوء ولين : (قال أولو جئتك بشئء مبين)(٤) فرد فرعون: (قال فأت به إن كنت من الصدقين)(٥)

ثم كان ماكان من أمر الاتفاق على موعد، وإحضار السحرة، حيث غلبت معجزة موسى سحر السحرة الذين انبهروا بذلك فأمنوا بالله رغم تهديد فرعون ووعيده، قال تعالى: (فألقي السحرة ساجدين . قالوا ءامنا برب العلمين. رب موسى وهرون. قال ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر فلسوف

(١) سورة يوسف ٣٦-٤٠ .

(٢) سورة طه ٩-١٥ .

(٣) سورة الشعراء ٢٩ .

(٤) سورة الشعراء ٣٠ .

(٥) سورة الشعراء ٣١ .

تعلمون. لأقطنن أيديكم وأرجلكم من خلف ولأصلبنكم أجمعين . قالوا لاضير إننا إلى ربنا منقلبون. إننا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطيانا أن كنا أول المؤمنين). (١)

"ثم انحرف كثير من بني إسرائيل، وادعى أحبارهم أنهم الصلة بين الناس وبين الله، وأنه بدون الأحبار لاتتم صلة العبد بربه.

وكذلك حرفوا التوراة، فكانوا يكتبون للعامّة شرائع من الخرافات والبيدع، ويدعون أنها من عند الله، قال تعالى: (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت بأيديهم وويل لهم مما يكسبون)(٢) وقال تعالى: (... وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)(٣) وقال تعالى: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين..)(٤)

وكان من انحرافاتهم تحريض الفقراء إلى أن يقدموا للهيكل الأموال والنذور، مع حاجتهم الماسة لهذا المال، وكان منهم من أنكر القيامة واستبعد الحشر، وكفر بيوم الحساب". (٥)

"ذلك أرسل الله تعالى نبيه عيسى - عليه السلام - إليهم ليخرجهم من ظلمات الجهل والفساد إلى نور الهداية والصلاح والخير، ليسيروا في حياتهم على مابين لهم تشريع الله الذي أنزله إليهم، وأوضحه في كتابه الحكيم.

(١) سورة الشعراء ٤٦-٥١ .

(٢) سورة البقرة ٧٩ .

(٣) سورة البقرة ٧٥ .

(٤) سورة النساء ٤٦ .

(٥) سعد صادق محمد، الأنبياء في القرآن الكريم، ص ٢٢٧، ٢٢٨ - بتصرف - دار

اللواء ، الرياض، ط ١، ١٤٠٢ هـ.

تلقى عيسى عليه السلام الكتاب الذي جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة، فمضى يجوب البلاد يبشر بني إسرائيل بدعوته، ويؤذن فيهم برسالته، ويدعوهم إلى سبيل الله، ويبصرهم بسبيل الخير والهدى، ويعمل للقضاء على معالم الشرك، ومحاربة الباطل، ويكشف أسرار الكهنة، وينشر على العامة مخازيهم". (١)

فقال لهم عليه السلام كما في القرآن: (ورسولا إلى بنى إسرائيل أنى قد جئكم بآية من ربكم أنى أظق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا بإذن الله وأبرى الأكمه والأبرص وأحى الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين. ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأطل لكم بعض الذى حرم عليكم وجئكم بآية من ربكم فانقوا الله وأطيعون. إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم). (٢)

٢ - نماذج من دعوة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فى القرآن والسنة .

من المعلوم أن نبينا محمدا - صلى الله عليه وسلم - بعث فى زمن ساد فيه الشرك أنحاء الأرض، ولم يبق على الحنيفية أو اليهودية والنصرانية من غير تحريف إلا أفراد قليلون جدا .

وكانت مكة تعج بالأصنام، وكان لكل قبيلة صنم، فخطوا بما تبقى لديهم من دين إبراهيم عليه السلام كثيرا من الشراكيات .

قال ابن اسحاق: "ويزعمون أن أول ماكانت عبادة الحجارة فى بنى إسماعيل أنه كان لا يظعن (٣) من مكة ظاعن منهم، حين ضاقت بهم والتمسوا الفسح فى البلاد إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، فحيثما نزلوا وضعوه، فطافوا

(١) سعد صادق محمد، الأنبياء فى القرآن، ص ٢٣٩، ٢٤٠، مرجع سابق .

(٢) سورة آل عمران ٤٨-٥١ .

(٣) يظعن : ظعن بمعنى سار .

به كطوافهم بالكعبة حتى سلخ ذلك بهم (١) إلى أن كانوا يعبدون ما استحسنا من الحجارة وأعجبهم، حتى خلف الخوف (٢)، ونسوا ما كان عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره، فعبدوا الأوثان، وماروا إلى ما كانت عليه الأمم قبلهم من الضلالات، وفيهم على ذلك بقايا من عهد إبراهيم، يتمسكون بها من تعظيم البيت، والطواف به، والحج والعمرة، والوقوف على عرفة، والمزدلفة، وهدى البدن، والإهلال بالحج والعمرة، مع إدخالهم فيه ما ليس منه، فكانت كنانة وقريش إذا أهلوا قالوا: لبيك اللهم لبيك، لبيك لأشريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك، فيوحدونه بالتلبية، ثم يدخلون معه أصنامهم، ويجعلون ملكها بيديه، يقول الله تبارك وتعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٣) أي : ما يوحدونني لمعرفة حقي إلا جعلوا معي شريكا من خلقي. (٤)

هذا بالإضافة إلى أن عمرو بن لحي قد جلب معه صنما من الشام يقال له هبل، فنصبه، وأمر الناس بتعظيمه. (٥)

لذلك قام صلى الله عليه وسلم بدعوة الناس إلى عبادة الله وحده، مذكرا إياهم أن الخالق المدبر المتصرف هو المستحق للعبادة، دون آلهتهم وأصنامهم التي يدعونها من دون الله، أو يشركونها بالله في دعائهم وعباداتهم المختلفة.

قال تعالى: (قل يأيها الناس إنى رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك

(١) سلخ بهم : خرج بهم.

(٢) الخوف : جمع خلف، وهو القرن بعد القرن.

(٣) سورة يوسف ١٠٦ .

(٤) ابن هشام، السيرة النبوية، ٨٠، ٧٩/١، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

(٥) المرجع السابق ٧٧/١، - بتصرف - .

السموات والأرض لآله إلا هو يحيى ويميت فطامنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون). (١)

وقال تعالى: (قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين. وأمرت لأن أكون أول المسلمين. قل إنى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم. قل الله أعبد مخلصا له ديني. فاعبدوا ما شئتم من دونه قل إن الخسرين الذين خسروا أنفسهم وأهلبيهم يوم القيامة ألا ذلك هو الخسران المبين. لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يعبدون فاتقون. والذين اجتنبوا الطغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب). (٢)

والآيات كثيرة، بل إن القرآن المكي - كما أسلفنا - يبحث أساسا في العقيدة من توحيد الله وعبادته، وبيان النبوة والمعاد.

أما في سيرة النبي - صلى الله عليه وسلم - وسنته، فإنه قد مكث في مكة ثلاثة عشر عاما، يدعو الناس إلى توحيد الله وعبادته وحده، ولم يكن في ذلك العهد كثير من الشرائع .

وفي المدينة كان صلى الله عليه وسلم يهتم كثيرا بأمر العقيدة، ويرسل رسله، وكتبه، آمرا بالبدء بها.

ففي وصيته معادا عندما بعثه إلى اليمن، قال - صلى الله عليه وسلم - له: [إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم طاعوا لك بذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين

(١) سورة الأعراف ١٥٨ .

(٢) سورة الزمر ١١-١٨ .

الله حجاب]. (١)

وفي كتاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى هرقل، عظيم الروم، الذي جاء فيه:

[بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد، عبد الله ورسوله، إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد:

فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك اسم الأريسيين (٢) و (يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون)] (٣).

ولما وصل الكتاب إلى هرقل أرسل إلى أبي سفيان بن حرب في ركب من قريش، وكانوا في تجارة بالشام، وأتوه في إيلياء، فسأل أبا سفيان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسئلة كثيرة منها:

(١) البخاري، صحيح البخاري، رواه عن ابن عباس - رضي الله عنهما - كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع ١٠٩/٥، ورواه في كتاب التوحيد، باب ماجاء في دعاء النبي - صلى الله عليه وسلم - أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى، ١٦٤/٨، ورواه في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ١٠٨/٢، مرجع سابق.

(٢) الأريسيون: الفلاحون، ويقال لهم: الأكارون.

وقيل: هم الخدم والخول، وقيل: نسبة إلى "الأروسية" فرقة في رهب هرقل، وقيل: إنهم أتباع عبدالله بن أريس - رجل كان في الزمن الأول - قتلوا نبيا بعثه الله إليهم، وقيل: الملوك، واحدهم إريس. انظر: ابن حجر، فتح الباري ٥١/١، مرجع سابق.

وانظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٨/١، المكتبة الإسلامية.

(٣) سورة آل عمران ٦٤.

ماذا يأمركم؟ قال أبو سفيان: قلت : يقول: اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمر بالمعصية، والصدق، والعفاف، والصلة... (١)

٣ - نماذج من أقوال سلف الأمة رضوان الله عليهم :

- قال الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :

"لقد عشنا برهة من دهرنا وإن أهدنا يوتى الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة على محمد - صلى الله عليه وسلم - فيتعلم حلالها وحرامها، وما ينبغي أن يوقف عنده فيها كما تعلمون أنتم القرآن، ولقد رأيت رجالاً يوتى أحدهم القرآن فيقرأ ما بين فاتحته إلى خاتمته، لا يدري ما أمره ولا زجره، ولا ما ينبغي أن يوقف عنده منه، ينثره نثر الدقل (٢)". (٣)

"هذا هو المنهج الذي ربي النبي - صلى الله عليه وسلم - الصحابة عليه، الإيمان أولاً، ثم القرآن، أو كما عبر الإمام أبو حنيفة: الفقه في الدين أولاً، ثم الفقه في العلم.

تصحيح العقائد أولاً، ثم تأتي بعد ذلك سائر مقاصد الدين". (٤)

(١) البخاري، صحيح البخاري، رواه في حديث طويل، كتاب بدء الوحي، باب (٧) حدثنا أبو اليمان ٤/١، مرجع سابق.

(٢) الدقل: رديء التمر ويابس. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر، ١٢٧/٢ مرجع سابق.

(٣) الحاكم، المستدرک ٣٥/١، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولا أعرف له علة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص. الناشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة، بالرياض.

(٤) د. عبد العزيز القاري، العقيدة أولاً... لو كانوا يعلمون، ص٢٦، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، ط ٢، ١٤٠٦هـ.

- كما نجد الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في كتابه (الجامع الصحيح) الذي هو أصح الكتب بعد كتاب الله، نجد من دقة فهم هذا الإمام الجليل، وفقهه في الدين أنه صدر كتابه ببدء الوحي، ثم أتبعه بالإيمان، ثم بالعلم، كأنما أراد - رحمه الله - أن ينسب الأذهان إلى أن أول واجب على الإنسان هو الإيمان، وأن الوسيلة إلى الإيمان هو العلم، وأن مصدر الإيمان والعلم هو الوحي، فبدأ ببيان كيفية الوحي، وصفة نزوله، ثم أتبعه بذكر الإيمان والعلم. (١)

- أما الحافظ محمد بن منده (٢) في كتابه الإيمان، فقد عقد مبحثاً سماه: "ذكر أول ما يدعى إليه العبد وهو التوحيد والمعرفة، ثم الصلوات الخمس". (٣) ثم ساق روايتين لحديث معاذ، ووصية الرسول - صلى الله عليه وسلم - له عندما بعثه إلى اليمن. (٤)

وكذلك ذكر حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - حول عزم أبي بكر - رضي الله عنه - على قتال مانعي الزكاة، ومحاوره عمر له، ونصه: "لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر: يا أبا بكر، كيف تقاتل الناس، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه، وحسابه على الله]. فقال أبو بكر: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها.

(١) د. عبد العزيز القارئ، العقيدة أولاً... لو كانوا يعلمون، ص ١٤، ١٥، -

بتصرف -، مرجع سابق.

المرجع السابق ص ١٤، ١٥ - بتصرف -

(٢) تقدمت ترجمته في ص ٨.

(٣) ٢/٣٧٩ رقم ٤٧.

(٤) تقدم في ص ٨٤.

قال عمر : فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر، فعرفت أنه الحق. (١)

- كما وضع الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٢) في كتابه (الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد) باباً سماه: (أول ما يجب على العاقل البالغ معرفته والإقرار به).

"قال الله جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (فاعلم أنه لا إله إلا الله.. (٣) وقال لأمته: (فاعلموا أن الله مولكم.. (٤) وقال: (فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون) (٥) وقال: (قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا.. (٦)

(١) البخاري، صحيح البخاري، رواه عن أبي هريرة، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة ١١٠، ١٠٩/٢ مرجع سابق، و مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله.. ٥١/١، مرجع سابق.

(٢) أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي، من أئمة الحديث، ولد في (خسرو جرد) من قرى بيهق بنيسابور، سنة ٢٨٤هـ ونشأ في بيهق، ورحل إلى بغداد، ثم الكوفة، ومكة، له فضل كبير على المذهب الشافعي، حيث نصره وبسط موجزه، وأيد آراءه، وله تصانيف كثيرة، مات بنيسابور سنة ٤٥٨هـ رحمه الله. انظر : ابن العماد، شذرات الذهب ٣/٣٠٤، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

- والذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦٣/١٨، مؤسسة الرسالة، بيروت، ودمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- وابن خلكان، وفيات الأعيان ٧٥/١ مرجع سابق.

(٣) سورة محمد ١٩ .

(٤) سورة الأنفال ٤٠ .

(٥) سورة هود ١٤ .

(٦) سورة البقرة ١٣٦ .

فوجب بالآيات قبلها معرفة الله تعالى وعلمه، ووجب بهذه الآية الاعتراف به،
والشهادة له بما عرفه، ودلت السنة على مثل ما دل عليه الكتاب". (١)
ثم أورد حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أمرت أن
أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم
وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل]. (٢)
ثم أورد أحاديث أخرى في موت الإنسان على لا إله إلا الله.

٤ - تعليق :

رأينا فيما سبق كيف دل الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح على أن
العقيدة هي أول شيء يدعى له الناس.
فالعقيدة بالنسبة للدين بمنزلة الروح من الجسد، فان صلحت صلح الدين بما
فيه من عبادات وشرائع، وصار مقبولاً عند الله سبحانه وتعالى - كما سنبين في
المبحث الثاني - وان فسدت فسد العمل، وصار مردوداً غير مقبول عند الله، إما
لعدم الإخلاص فيه، أو لعدم موافقته لمراد الله وشريعته التي أنزلها في كتابه
وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم.
على أن ذلك كله لا يعني ترك الدعوة إلى العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى
الله عليه وسلم، أو ترك الأمر بالمعروف، من إقامة للملاة، وإيتاء للزكاة،
وموم رمضان، وبر الوالدين، وصلة الأرحام؛ أو ترك النهي عن المنكر من الزنا،
والربا، والتحاكم الى غير شرع الله، ونحو ذلك.
بل إن دين الإسلام بعد أن أتمه الله، ورضيه لنا ديناً يجب أخذه كله،
والتزامه بكامله.

(١) البيهقي، كتاب الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد ص ١٩، ٢٠ مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، رواه بالفاظ وروايات متقاربة، كتاب الإيمان، باب الأمر
بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، (٥١/١) مرجع سابق.

ومن أكبر الخطأ أن نفرق بين التوحيد، ومقتضيات التوحيد، وقد قام أبو بكر - رضي الله عنه - بقتال مانعي الزكاة مع أنهم كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. (١)

هذا فيما يختص بالمجتمع الإسلامي، وبين المسلمين أنفسهم .
أما دعوة غير المسلمين، فإنه لاشك بوجوب مراعاة الترتيب، ودعوتهم إلى الشهادتين، ثم دعوتهم إلى تحقيق معانها ومقتضاهما .

وفي المجتمع الإسلامي نرى كثيرا من الانحرافات، لكن أخطرها على الفرد والمجتمع في الدنيا والآخرة هو الانحراف في العقيدة، قال الله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء...) (٢)

ولما كان الدعوة هداة خير لمجتمعاتهم، وأدلاء أمناء لأمتهم، كان عليهم أن يهتموا بهذا الأمل العظيم (العقيدة) ويولوه من العناية ما يستحق، "وحرى بالدعاة أن يوجهوا جهودهم إلى تبصير الناس كيف يوحدون ربهم، وكيف يظلمون دينهم لله، وعليهم أن يجعلوا ذلك هو الأمل والأساس، كما كان الرسل من قبل، وعليهم أن يربطوا مشكلات الناس وقضاياهم بالأمل الكبير". (٣)

"فمظاهر الشرك لم تنته من ديار المسلمين، وما يزال في ديار الإسلام أقوام يقصدون الأموات، ويعبدونهم من دون الله بالاستغاثة والاستعانة بهم، والذبح والنذر لهم، والطواف بقبورهم، كما يشكل التحاكم إلى غير شرع الله مظهرا بارزا في الانحرافات العقديّة السائدة في بلاد المسلمين اليوم". (٤)

قال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

(١) راجع الحديث ص ٨٢ .

(٢) سورة النساء ٨٤ .

(٣) د. عمر الأشقر، التوحيد محور الحياة، ص ٣٢، مكتبة الفلاح، ط ١، ١٤٠٥هـ

(٤) المصدر السابق، ص ٣٢، ٣٣ بتصرف .

الشیطان أن یضلهم ضللاً بعيداً). (١)

وتختلف البلاد الإسلامية اليوم في الوسائل المناسبة للدعوة إلى توحيد الله، و سنبن - بإذن الله - في الباب الثالث أهم هذه الوسائل.
ويبقى تقدير الوسيلة المناسبة مسؤلية كل داعية في بلاده، فهو أعرف بها.
وكما تختلف الوسائل بين البلاد تختلف أيضاً قدرات الدعاة، وامكاناتهم، ومواقعهم.

والمخرج الصحيح، والطريق الصائب، الذي دل عليه كتاب الله وسنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يقوم كل واحد بما يستطيع، فالعالم یبین الحق، و يبلغ ماعلمه بجرأة وقوة.

وصاحب المال یخدم الدعوة بماله من إعانة بوسائل مادية، وطباعة لكتب العقيدة، ونشرها بین المسلمين.

والحاكم یصلح ما تحت یده، وییسر السبیل لدعاة التوحيد، كما یقضي على مظاهر الشرك والبدع .

وهكذا بقية المسلمين یجمعهم المنهج الذي بینه الله تعالى في قوله: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدون...)(٢)

وقوله تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولیاء بعض یأمرون بالمعروف وینهون عن المنکر ویقیمون الصلوة ویؤتون الزکوة ویطیعون الله ورسوله أولئک سیرحمهم الله إن الله عزیز حکیم). (٣)

-
- (١) سورة النساء ٦٠ .
 - (٢) سورة المائدة ٢ .
 - (٣) سورة التوبة ٧١ .

المبحث الثاني : ارتباط الأعمال والشرائع في الإسلام بالعقيدة

من خلال المبحث الأول عرفنا دلالة الكتاب والسنة على أولوية البدء بالعقيدة، وهناك جوانب أخرى في نظام الإسلام وبنائه تؤيد هذا المعنى.

أولا : كون العقيدة أساسا في قبول العمل أو رده :

فالمسلم كما هو مطالب بالاعتقاد الحق، فإنه مطالب أيضا بالعمل الصالح، الذي قوامه إخلاص النية لله تعالى، ومتابعة هديه وهدى رسوله صلى الله عليه وسلم.

وبفقد واحد من هذين الأصلين يضيع ثواب العمل، فلو كان العمل صالحا، ولم يكن خالما لله، أو لم يكن مقصودا به وجه الله، ونيل ثوابه، والخوف من عقابه فإنه مردود على صاحبه، وهو لا ينفعه.

وكذلك "الذين لا يؤمنون بالله، ولا يرجون ثوابه، ولا يخافون عقابه، يعملون أعمالهم، وهم لا يريدون بها وجه الله، ولا يبتغون بها رضا، ولا يهتمهم هل عملوا حلالا أم حراما، فهم بدا لا يستحقون الثواب على العمل وإن كان صالحا، لأنهم كفار لم يقصدوا به أن ينالوا ثواب ربهم، ولا ابتغوا رضا خالقهم". (١)

والعقيدة الإسلامية المتمثلة بتمام الإيمان والعبودية الصادقة لله سبحانه، هي وظيفة الإنسان، وبها تكون قيمته.

"فالذي لا يقوم بالعبادة، ولا يؤدي وظيفته فقد شار على فطرته، وفقد قيمته، وقوام العبودية تصحيح العقيدة والإيمان، فمن تطرق إلى عقيدته ظل، أو تعرض لإيمانه لفساد، لم تقبل منه عبادة، ولم يصح له عمل، ومن صحت عقيدته، واستقام إيمانه كان القليل من عمله كثيرا، ومن هنا وجب على كل إنسان أن لا يدخر وسعا في تصحيح إيمانه، وأن يكون الحصول عليه والاستيثاق منه غاية أمله، ونهاية

(١) عبد المجيد الزنداني، كتاب التوحيد، ٩/١، مرجع سابق.

سؤله، ولا يتأخر فيه دقيقة". (١)

فالإيمان إذا يتقدم العمل "وبدون الإيمان لاتطلق على أي عمل من أعمال الانسان كلمة الصلاح والرشد والتقوى، مهما كان بالغاً من الرشد والتقوى والصلاح في نظر أهل الدنيا". (٢)

يقول جل جلاله: (والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون). (٣)

وكذلك الإنسان لا يكون راشداً صالحاً تقياً في نظر القرآن، إلا أن يتحلى بالإيمان، قال تعالى: (هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وبالأخرة هم يوقنون). (٤)

والقرآن الكريم لا يذكر الإيمان والعمل في موضع من آياته المتعددة إلا ويقدم فيه الإيمان على العمل، ولا يقر عملاً مهما كان صالحاً بظاهر صورته وسيلة للنجاح والصلاح إلا اذا كان قائماً على أساس الإيمان (٥) قال تعالى: (والعصر. إن الإنسان لفسخسر. إلا الذين ءامنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر). (٦)

(١) إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي الشهيد، رسالة التوحيد، ص ٢٠، نقله الى العربية: أبو الحسن علي الندوي، المكتبة التجارية لندوة العلماء، لكهنؤ، الهند ط ٢، ١٣٩٨هـ.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها (الإيمان) ص ١٢٤، - بتصريف - مرجع سابق.

(٣) سورة الزمر ٢٣ .

(٤) سورة البقرة ٢-٤ .

(٥) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها (الإيمان) ص ١٢٤، ١٢٥، مرجع سابق.

(٦) سورة العصر.

كما نجد في القرآن الكريم أن الخطاب اذا كان يحمل تعاليم خلقية، أو أحكاما تشريعية، فإنه موجه لمن دخلوا في حضيرة الإيمان، وذلك إما أن يبدأ الخطاب بقوله: (يأيها الذين آمنوا...) أو يصرح في أثناء البيان على وجه من الوجوه بأن الخطاب إنما هو للذين قد دخلوا في الإيمان، أما الكفار فما الدعوة لهم إلى صلاح الأعمال، وإنما إلى الدخول في الإيمان (١) أولا .

وقد بين سبحانه أن الذين لم يدخلوا في الإيمان لاقيمة ولا وزن لأعمالهم مهما بلغت، بل هي باطلة ضائعة، قال تعالى: (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا...) (٢) وقال تعالى: (ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخسرين) (٣) وقال تعالى: (قل هل ننبتكم بالأخضرين أو بالأحمرين أو بالأصفرين أو بالأبيضين نعم نجعلهم فجاجا ومن يبدل نعمنا كفرًا فلا يحسنون صنعًا. أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقايه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا. ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا). (٤)

ونجد كذلك أن الله رد عبادة مشركي العرب، من صلاة، وصيام، وحج، وعتق، وتقديس للبيت، لما كان اعتقادهم في الله سيئا، حيث ظنوا أنه لا يستطيع إعادتهم بعد أن يكونوا رميمًا، وحيث أشركوا معه في العبادة الملائكة، وبعض المالحين، وأوثانًا، وأصنامًا. (٥)

(١) أبو الأعلى المودودي، الحضارة الإسلامية، أسسها ومبادئها (الإيمان) ص١٢٥،

- بتصرف - مرجع سابق.

(٢) سورة النور ٣٩ .

(٣) سورة المائدة ٥ .

(٤) سورة الكهف ١٠٣-١٠٦ .

(٥) عبد الرحمن عبد الخالق، أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في العقيدة،

ص٧٦، ٧٧، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

وقد يؤجر البعض منهم (١) على عمل صالح فيه نفع لعباد الله، أو نعمة دينه، لكنه لن يكون مساويا أبدا للمؤمن بالله العامل بمراد الله، قال تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجهد في سبيل الله لا يستورن عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين. الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأنفسهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفايضون)(٢)

وفي صحيح مسلم أن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قلت يارسول الله، ابن جُدعان(٣)، كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذلك نافعه؟ قال: [لاينفعه. إنه لم يقل يوما : رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين].(٤)

وفي صحيح مسلم أيضا عن العباس بن عبد المطلب - رضي الله عنه - أنه قال: قلت يارسول الله: إن أبا طالب كان يحوطك وينمرك، فهل نفعه ذلك؟ قال: [نعم، وجدته في غمرات من النار فأخرجته إلى ضحاح].(٥)

فالخلاصة أنه لاينفع مع الشرك بالله وفساد العقيدة عمل صالح مطلقا، وهذا يعني أنه يجب على كل عامل أن يصلح عقيدته أولا، وأن يحافظ أبدا على إيمانه

(١) قد يكون الأجر بتخفيف العذاب، كما سيأتي في قصة أبي طالب.

- وانظر: النووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٨٧/٣، دار الفكر، بيروت.

(٢) التوبة ١٩، ٢٠.

(٣) ابن جُدعان: عبد الله بن جُدعان التيمي القرشي، أحد الأجواد المشهورين في الجاهلية، أدرك النبي - صلى الله عليه وسلم - قبل النبوة.

انظر: الزركلي، الأعلام ٧٦/٤ مرجع سابق.

(٤) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لاينفعه عمل، ١٩٦/١، مرجع سابق.

(٥) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه، ١٩٥/١، مرجع سابق.

حتى يلقي الله وهو على ذلك. (١)

وعلى كل داعية أن يجعل ذلك أصلا في دعوته، فيجعل الأولوية لإصلاح العقيدة، والدعوة إليها.

ثانيا : كونها الأساس في صلاح التشريع وموابه :

بمعد أن يدرك الإنسان غاية وجوده على الأرض في هذه الحياة الدنيا، وهي العبودية لله رب العالمين، فإنه بحاجة إلى تشريع يعرف به كيفية هذه العبودية، وكذلك هو بحاجة إلى تشريع صالح يقيم على أساسه تعامله مع مخلوقات الله العاقلة وغير العاقلة.

فأما المؤمنون فإنهم يستمدون هذا التشريع من ربهم وخالقهم، من خلال كتبه، وعلى ما جاء به رسله صلوات الله وسلامه عليهم.

وأما الكافرون فإن الحاجة إلى النظم والشرائع تلجئهم إلى البحث والتنقيب للوصول إلى أفضل ما يمكن أن تهديهم إليه عقولهم، وهذا بطبيعة الحال إذا مكنوا من ذلك ولم يستبد الظلمة والطواغيت فيلزمهم ويقصروهم على ما يرونه لهم بما يحقق مصلحة أولئك الطواغيت فقط.

وهناك خصائص عامة يشترك فيها البشر في مجال البحث والاستنتاج، منها - على سبيل المثال - العلوم الرياضية، والهندسية..

فالباحث في موسكو، لا يختلف مع الباحث في واشنطن، أو لندن، أو الرياض، أو دلهي، في جدول الضرب، والمعادلات الرياضية، والكيميائية، والفيزيائية.

إلا أن الباحث الأمريكي في مجال الاقتصاد والسياسة والإدارة والقانون يختلف اختلافا بيينا مع نظيره الروسي.

وحاجة البشر إلى الاتفاق في المجال الأخير أهم من حاجتهم إلى الاتفاق في المجال الأول، وذلك أن الإدارة، والاقتصاد، والسياسة، والقانون، تسير حياة

(١) عبد الرحمن عبد الخالق، أثر الأحاديث الضعيفة والموضوعة في العقيدة،

البشر، وتنظمها بأسلوب معين، كما أنها تحدد الأهداف من تلك النظم والأساليب.
بينما العلوم الرياضية وما شابهها أداة في يد الإنسان، لجلب مصلحة أو
دفع مضرة دنيوية، وهذه الأداة تسيورها النظم التي من الممكن أن تجعلها في غير
مكانها الصحيح، فتسبب الخسارة للإنسان في دنياه.

وبهذا يتضح لنا أهمية ما جاء في كتب الله ورسالاته من الشرائع التي توجه
حياة البشر وتنظمها، وما فيها من جلب المصلحة، ودفع المضرة، مما لا يمكن لبشر
أن يدركه.

كما أن العقيدة تؤثر كثيرا على الشريعة حتى في الشرائع الوضعية التي
هي من صنع البشر أنفسهم، وذلك أن واضع القانون البشري إنما ينطلق من
تصورات وأفكار يبني عليها تلك القوانين، ولهذا تختلف شرائع البشر باختلاف
تلك التصورات والأفكار، كما هو واضح في الحياة المعاصرة.

وفي الإسلام نجد أن العقيدة ترتبط بالشريعة، "بحيث لاتنفرد إحدهما عن
الأخرى، على أن تكون العقيدة أصلا يدفع إلى الشريعة، والشريعة تلبية لانفعال
القلب بالعقيدة، وقد كان هذا التعلق طريق النجاة والفوز بما أعد الله
لعباده المؤمنين.

وعليه فمن آمن بالعقيدة وألغى الشريعة، أو أخذ بالشريعة وأهدر العقيدة
لايكون مسلما عند الله، ولا سالكا في حكم الإسلام سبيل النجاة". (١)

وكما قلنا سابقا، فإن من أخطر القضايا التي ابتلي بها المسلمون الفصل
بين عقيدة التوحيد ومقتضياتها، وبمعنى آخر بين العقيدة والشريعة.

"والقرآن الكريم يربط بين عقيدة التوحيد ومقتضياتها في الضمير، وفي
الحياة ربطا وثيقا، ويرتب على وحدانية الألوهية والربوبية ووحداية الفاعلية
والسلطان في هذا الوجود كل ما يكلفه المسلم؛ سواء ما يكلفه من شعور الضمير،

(١) محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص ١١، دار الشروق، بيروت والقاهرة،

أو ما يكلفه من شعائر العبادة، أو ما يكلفه من التزام الشريعة". (١)
"ان الإسلام يعتبر الشريعة الإسلامية وسيلة لتحقيق مبدأ التوحيد، لأن العلم بالشريعة يعني الإيمان بأنها من عند الله، والعلم لا يتم إلا بالعمل، ومبدأ التوحيد هو الأساس الإسلامي، عليه يقوم نظام الإسلام القانوني، والنظام يعني نظرية الحياة، وكل إنسان، وكل مجتمع يختار نظرية الحياة التي يهواها، ويخص لها حبه، وكأثر لذلك طاعته". (٢)

وعلى أية حال، فإن مظاهر ارتباط العقيدة والشريعة وأثر العقيدة على الشريعة كثيرة، وسأعرض لجانبين مهمين منهما يخدمان بوضوح فكرة البحث الأساسية - وهي أولوية الدعوة الى العقيدة - وهذان الجانبان هما:
أولاً : مصادر التشريع ومسئولية العقيدة في تحديدها .
ثانياً : قابلية التنفيذ للشرائع، ودور العقيدة في ذلك.

أما الجانب الأول، وهو: مصادر التشريع ومسئولية العقيدة في تحديدها، فإننا نقول ابتداءً : إن أي عقيدة سواء صحيحة أو باطلة، تحدد مصادر التشريع، فالعقائد التي لاثبتت مصدر التشريع الحقيقي وهو الله سبحانه وتعالى، هي إنما تعطي حق التشريع لغيره.

وتصنف النظم الوضعية أنواع السلطات الى ثلاث سلطات :

سلطة تشريعية .

سلطة قضائية .

سلطة تنفيذية .

(١) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٩١، دار الشروق، بيروت

والقاهرة، ط ٨، ١٤٠٣ هـ.

(٢) علال الفاسي، دفاع عن الشريعة، ص ١٥٥، منشورات العصر الحديث، بيروت،

ط٢، ١٩٧٢ م .

أما في الإسلام فإنه لا وجود لشيء اسمه سلطة تشريعية من البشر، بل إنه أولاً وأخيراً حق لله سبحانه وتعالى، ولمن أعطاهم الله هذا الحق، وهم رسله - صلوات الله وسلامه عليهم - بلاغا عنه سبحانه وتعالى.

ولك أن تتصور نظاما من صنع البشر، لاشك أنه يحمل الكثير من الخطأ والقصور بالإضافة إلى كونه غير خادم لغاية وجود الإنسان في هذه الأرض، وهي العبودية لله رب العالمين.

وهذا بعكس الإسلام الذي " يقيم بناء الاعتقادي في الضمير والواقع على أساس العبودية الكاملة لله وحده، ويجعل العبودية متمثلة في العبادة والعقيدة وأحكام الشريعة الأخرى على السواء". (١)

وكما أن الإسلام يحرم قيام أحد بالتشريع للعباد خارج الإطار الذي جاء في الوحي بنوعيه، فإنه كذلك "يعتبر قبول التشريع المخالف لشرع الله من أحد، واتباعه عبادة لواضعه". (٢)

دخل عدي بن حاتم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهو يقرأ قول الله تعالى: (اتخذوا أصدانهم ورهبانهم أربابا من دون الله...) (٣) قال عدي: فقلت : إنهم لم يعبدهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [بل، إنهم حرموا عليهم الطلال، و أطوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم]. (٤)

وهكذا نرى ثمرة البدء بالعقيدة وتأكيدا في قلوب الناس، حيث يتحدد

(١) محمد الصباغ، التشريع الإسلامي وحاجتنا إليه، ص١٣، ١٤، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط ٢، ١٣٩٧هـ.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩ - بتصرف - .

(٣) سورة التوبة ٣١ .

(٤) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ٢/٢٤٨، مرجع سابق.

وانظر: الترمذي، سنن الترمذي، أبواب التفسير، سورة التوبة ٣٤٢/٤ مرجع سابق.

لديهم صاحب التشريع ومصدره، وهو ما لاغنى لهم عنه حتى يحققوا العبودية الكاملة لله سبحانه باتباع أوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت). (١)

"وهذه المقابلة تعني أن الانسان لا يخرج عن خضوعه لله وطاعته له إلا إلى الخضوع للسلطة الأخرى المعتدية على حق الله في العبادة، والتي يعبر عنها بالطاغوت، سواء أكان هذا الخضوع للأهواء والشهوات، أم لسلطة تشريعية في جماعة ممثلة للأمة، أم لحاكم مستبد متسلط، فكل ذي طغيان على الله في حقوقه على عباده ينقاد له الناس طاغوت". (٢)

وأما الجانب الثاني، وهو: قابلية التنفيذ للشرائع، ودور العقيدة في ذلك، فهو أمر واضح الدلالة، وهذه القابلية والانقياد التام للشريعة إنما هو ثمرة من ثمار بناء العقيدة الصحيحة في النفس، "فمضمون العقيدة الإسلامية له تأثير كبير في الحياة الإسلامية، سواء الفردية أو الاجتماعية، ويلاحظ أنها تتخلل سور القرآن بلا استثناء، وأنها تتخلل جميع أحكام الإسلام الأخلاقية والتشريعية". (٣)

كما أن هذه القابلية والانقياد تزود الفرد "بقوة دافعة للتحكم بأعماله وفقا لشريعة الإسلام، الأمر الذي كان له تأثير فعال في المجتمع عندما انتشر الإيمان بين الأفراد، ذلك أن الإيمان يخفف عن المجتمع مراقبة أفرادهم ومحاسبتهم على مايقومون به من أعمال" (٤) ولذلك تجد المجتمع الإسلامي - على ما فيه من

(١) سورة النحل ٣٦ .

(٢) مناع خليل القطان، وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، ص (٥٢،٥١)، جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٥ هـ.

(٣) محمد المبارك، نظام الإسلام، (العقيدة والعبادة) ص ٢٨، مرجع سابق.

(٤) محمد حسن الحمصي، الإيمان بالله، ص ٩٨، دار الرشيد، دمشق.

تقصير - يتفوق كثيرا على غيره من المجتمعات في قلة نسبة الجرائم، وإيذاء الآخرين .

إن المسلم عندما يعلم أنه بتقديم شرع آخر على شرع الله فإن ذلك كفيل بإخراجه من دائرة الإسلام إلى الكفر، فإنه لاشك سيلتزم هذا التشريع الإلهي، بل إنسه عندما يعلم وجوب الرضا والتسليم لحكم الله ورسوله، تجده منشرح الصدر، رضي النفس بحكم الله ورسوله عليه، حتى لو كان هذا الحكم - عند القضاء مثلا - في غير صالحه .

قال تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما). (١)

أما نماذج هذا الانقياد فكثيرة، وتوضح الصورة أكثر إذا عرضنا نموذجا لانقياد المؤمن للتشريع الإلهي، وفشل القوانين الوضعية في إيجاد القابلية والانقياد في نفوس تابعيها.

فالخمر وجميع المسكرات التي يدرك العقل من البشر ضررها على الإنسان، نجد الحكومة الأمريكية قد حاولت القضاء عليها، فسنت قانونا بتحريمها عام ١٩١٩م واستمر هذا القانون أربعة عشر عاما، حتى اضطرت الحكومة إلى إلغائه عام ١٩٣٣م، وقد استخدمت في تلك الفترة جميع الوسائل للعمل على تنفيذه كما يلي :

- دعاية ضد الخمر بما يزيد على ٦٠ مليون دولار .
- نشرات وكتب تشتمل على ١٠ بلايين صفحة .

أما النتائج فكانت :

- انفاق مالا يقل عن ٢٥٠ مليون جنيه لتنفيذ القانون .
- قتل ٣٠٠ شخص .
- سجن ٥٣٢,٣٢٥ شخصا .

- غرامات ١٦ مليون جنيه .

- أملاك صادرة ٤٠٤ ملايين جنيه .

وبعد ذلك اضطرت إلى إلغائه. (١)

أما في الإسلام فإنه بعد نزول آية تحريم الخمر في سورة المائدة، وهي قول الله تعالى: (ياأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويمدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون). (٢) قام المسلمون بتنفيذ أمر الله دون تأخير أو تردد، ولم يحدث أي أثر في المدينة، فلم يسجن أحد، ولم يقتل أحد، ولم تخسر دولة المسلمين شيئاً.

عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب بالمدينة، قال: [ياأيها الناس: إن الله تعالى يعرض بالخمير، ولعل الله سينزل فيها أمراً، فمن كان عنده شيء فليبعه ولينتفع به] قال: فما لبثنا إلا يسيراً حتى قال: [إن الله تعالى حرم الخمر، فمن أدركته هذه الآية - يعني آية المائدة السابقة - وعنده منها شيء فلا يشرب، ولا يبيع،] قال: فاستقبل الناس بما كان عنده منها في طريق المدينة فسكوها. (٣)

(١) أبو الحسن الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ٩١، هامش، (نقلاً عن كتاب: تنقيحات، لأبي الأعلى المودودي) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٩، ١٣٩٦ هـ.

(٢) سورة المائدة ٩٠، ٩١ .

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر ١٢٠٥/٢، مرجع سابق.

الباب الثاني

الانحراف العقدي، مظاهره، وأسبابه

الفصل الأول: أبرز مظاهر الانحراف العقدي.
الفصل الثاني: أهم أسباب الانحراف العقدي.

الفصل الأول: أبرز مظاهر الانحراف العقدي

المبحث الأول: البدع .

المبحث الثاني: الشرك .

المبحث الثالث: إنكار ما علم من الدين بالضرورة .

المبحث الرابع : عدم الحكم بما أنزل الله .

المبحث الخامس : مخالفة مفهوم الولاء والبراء .

المبحث الأول : البدع :

تمهيد :

يعتبر لفظ "البدعة" من أوسع الألفاظ دلالة في اللغة، و إذا خصصنا البدعة في الشرع، بوصف الذم - وهو ما سنؤكد بعد قليل - فهذا يعني أن كل انحراف عن دين الله هو ابتداع، سواء كان في مجال الاعتقاد والفكر، أو في مجال العمل والعبادة.

ومن صور الانحراف : تلك الفرق المنتسبة إلى الإسلام، فقد أخبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن أمته تفترق إلى ثلاث وسبعين فرقة، فهي تزيد عن اليهود والنصارى في الافتراق.

روى الترمذي عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة] (١)

ولهذا فليس من اليسير - في مثل هذا البحث ذي الصيغة الشمولية - تعقب البدع كلها، أو بعبارة أخرى "الانحراف كله".

وليس من اليسير أيضا تعقب البدع في الفرق الإسلامية، بل في فرقة واحدة. وكمثال على ذلك نرى الصوفية ذات الطرق الكثيرة، فهناك القادرية، والرفاعية، والشاذلية، والبكتاشية، والتجانية، وغيرها من الطرق الصوفية

(١) ابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الأمم، ١٣٢١/٢، مرجع سابق.

- وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب شرح السنة ٤/٥، اعداد وتعليق عزت عبيد الدعاس، وعادل السيد، دار الحديث، حمص، ط ١، ١٣٨٨هـ.

- والترمذي، سنن الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، كتاب الإيمان، باب ماجاء في افتراق هذه الأمة ٢٩٦/٧، مرجع سابق.

الضالة، التي يصل بعضها إلى أخط أنواع الانحراف والكفر، من القول بوحدة الوجود، وعلم الغيب للولي، والدعوة إلى الشرك. وانحرافات أخرى كثيرة تجدها لدى الشيعة، تزيد في بعض فرقها، وتقل في البعض الآخر.

وكذلك الأمر لدى بقية فرق الباطنية وغيرها من الفرق المنتسبة إلى الإسلام. لهذا كان علي أن أختار نماذج محددة من البدع المشتهرة في العالم الإسلامي، ولا يخفى دور الفرق في إنشاء بعض أنواع هذه البدع، ومن ثم تأثر جمهور المسلمين بها في القديم والحديث، وإن لم ينتسبوا إلى الفرقة المنشئة لهذه البدعة أو تلك.

وقبل ذلك حددت بعض المقاييس لهذه البدع - التي اخترتها كنماذج - انطلاقاً من العقيدة الإسلامية ومضمونها، فجاءت المقاييس على النحو التالي:

- المبتدع مخالف لما جاءت به العقيدة من حماية التوحيد، وسد طرق الشرك.
- المبتدع مخالف لأحد أصلي العبادة في الإسلام من الإخلاص لله والمتابعة للرسول صلى الله عليه وسلم.

- المبتدع تارك للكتاب والسنة، مقدم عقله عليها.

وكانت النماذج المختارة من البدع هي :

- التوسل بغير ما شرع الله كجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو الملائكة، أو الأولياء الصالحين.

- رفع القبور والبناء عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، وشد الرحال إليها.

- الأعياد البدعية.

- تقديم العقل على النقل.

- تأويل صفات الله جل وعلا.

وعلى كل فهذه البدع المختارة، قد تجتمع في شخص واحد، وقد لا تجتمع، بل

يكون مبتدعا بواحدة منها، أو بغير ما ذكر، فأنا لم أحص البدع كلها كما أسلفت.

أولا : تعريف البدع لغة :

البدع : جمع بدعة، "من بَدَعَ الشيءَ يَبْدَعُهُ بَدْعًا، وابتدعه : أنشأه وبدأه، وبدَع الركبة : استنبطها وأحدثها.

وركيُّ بديع : حديثه الحفر.

والبديع والبِدْع : الشيء الذي يكون أولا.

وفي التنزيل قوله تعالى: (قل ماكنت بدعا من الرسل)(١) أي ماكنت أول من أرسل، قد أرسل قبلي رسل كثير.

والبدعة الحدث، وما ابتدع من الدين بعد الإكمال".(٢)

ثانيا : تعريف البدع شرعا :

البدعة في الاصطلاح الشرعي تطلق غالبا على الحدث المذموم في الدين، ويسير على ذلك كثير من علماء السلف رحمهم الله، ويجعلونها في مقابل السنة، وهذا هو الحق الذي تؤيده الأحاديث الواردة في النهي عن البدع والإحداث في الدين زيادة أو نقما.

كما أن الاعتقاد بوجود بدعة حسنة سبب عظيم لتلبيس الشيطان على الجهال والعوام، ومدخل واسع لأهل الأهواء للإحداث في الدين .

(١) سورة الأحقاف ٩ .

(٢) ابن منظور، لسان العرب ٦/٨ ، مرجع سابق.

وعلى معنى الذم للبدعة سار الإمام محمد بن وضاح القرطبي (١) في كتابه (البدع والنهي عنها) (٢) والشيخ أبو بكر الطرطوشي (٣) في كتابه (كتاب الحوادث والبدع) (٤).

وكذلك الشيخ أبو محمد عبدالرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة (٥) في كتابه (الباعث على إنكار البدع والحوادث) حيث قال: "قلت: وقد غلب لفظ البدعة على الحدث المكروه في الدين مهما أطلق هذا اللفظ، ومثله لفظ

(١) محمد بن وضاح بن بزيع، أبو عبدالله، مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام، محدث من أهل قرطبة، ولد سنة ١٩٩هـ وتوفي سنة ٢٨٦هـ انظر: ابن حجر، لسان الميزان ٤١٦/٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط ٢، ١٣٩٠هـ - وخير الدين الزركلي، الأعلام، ١٣٣/٧، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٨٦م.

(٢) البدع والنهي عنها ص ٧-٢٣، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر، دمشق، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

(٣) محمد بن الوليد بن محمد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري، أبو بكر الطرطوشي، نسبة إلى طرطوشة في الأندلس، التي بها نشأ، ويعرف بابن رندقة، أو رندقة، رحل إلى المشرق، ثم استوطن مصر، وتوفي بها بين سنة ٥٢٠، ٥٢٥هـ انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ٢٦٢/٤ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، ١٣٣/٧ مرجع سابق.

(٤) كتاب الحوادث والبدع، تحقيق محمد الطالب، نشریات كتابة الدولة للتربية القومية، تونس ١٩٥٩م.

(٥) عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامة، مؤرخ محدث باحث، أصله من القدس، وبها مولده سنة ٥٩٦هـ وبها نشأ وتوفي سنة ٦٦٥هـ انظر: الكتبي، محمد شاکر، فوات الوفيات، ٢٦٩/٢ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٢٩٩/٣ ، مرجع سابق.

المبتدع لا يكاد يستعمل إلا في الذم". (١)
ويعرف ابن رجب الحنبلي (٢) البدعة بأنها: "ما أحدث مما لا أصل له في
الشريعة يدل عليه، أما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه فليس ببدعة
شرعا". (٣)
وفي فتح الباري: "البدعة أهلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في
الشرع مقابل السنة، فتكون مذمومة". (٤)
وفي موضع آخر قال: "والمحدثات جمع محدثة، والمراد بها: ما أحدث وليس
له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع "بدعة" وما كان له أصل يدل عليه الشرع
فليس ببدعة". (٥)

(١) الباعث على إنكار البدع والحوادث من ٢٠، تحقيق عثمان أحمد عنبر، دار
الهدى، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ

(٢) زين الدين، أبو الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين بن أحمد بن رجب الحنبلي
البغدادي، قدم من بغداد مع والده إلى دمشق، وهو صغير سنة ٧٤٤، وهو
وأبوه وجده من المحدثين العلماء، توفي في دمشق ليلة الاثنين ١٤ من
رمضان، سنة ٧٩٥هـ . انظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٦/٣٢٩، دار المسيرة،
بيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.

- و جميل أفندي الشطي، مختصر طبقات الحنابلة، من ٦٤، دمشق، ١٣٩٩هـ

(٣) ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم، من ٢٣٣، دار الفكر، بيروت.

(٤) ابن حجر، فتح الباري ٤/٢٩٨ مرجع سابق.

(٥) ابن حجر، فتح الباري ١٣/٢٦٦ مرجع سابق.

أما الإمام أبو إسحاق الشاطبي (١) فقد ألف كتاباً تأملياً (٢) في موضوع البدعة، يعتبر من أحسن المؤلفات في بابها، وذكر فيه تعريفين للبدعة، وبين ذلك.

قال: "طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه". (٣)
وهو يعني بهذا التعريف ما تعلق بالعبادات .

أما الأعمال الأخرى التي يقصد بها العبادة، ولكن أتى بها خلاف مراد الشرع وحدوده، فقال: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية". (٤)

(١) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي أبو إسحاق، المشهور بالشاطبي، أصولي حافظ من أهل غرناطة، من كتبه المشهورة: هذا الكتاب (الاعتماد) وكتاب (الموافقات) في أصول الفقه، توفي عام ٧٩٠هـ رحمه الله. انظر: عبد الحي عبد الكبير الكتاني، فهرس الفهارس ١٩١/١ دار الغرب الاسلامي بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ

- وانظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ٧٥/١، مرجع سابق.

(٢) من الملاحظ أن الكتب في البدعة تنقسم إلى قسمين، الأول: كتب تبحث في البدع ذاتها وبيانها، والرد عليها، مثل كتابي (البدع والنهي عنها) للقرطبي، محمد بن وضاح، و (الحوادث والبدع) لأبي بكر الطرطوشي، - تقدمت الترجمة لهما -

أما القسم الثاني: كتب تؤهل ما تعلق بالبدع من حيث التعريف والتقسيم، ونحو ذلك، ومثاله: كتاب الاعتماد للشاطبي.

(٣) الاعتماد ٢٧/١ ، دار المعرفة ، بيروت، ١٤٠٦ هـ

(٤) المرجع السابق.

ويقول ابن حجر الهيتمي (١) عن البدعة شرعا: "ما أحدث على خلاف أمر الشرع ودليله الخاص والعام". (٢)
وهو أشمل التعاريف وأكثرها اختصارا.

- هل هناك بدعة حسنة في الدين ؟ :

يرى البعض أن البدع في الاصطلاح الشرعي تنقسم إلى قسمين: حسنة، وسيئة.

وبعد دراسة هذا التقسيم نجد أن القائل بوجود بدعة حسنة أحد اثنين:

- اما رجل صالح غلب على فهمه المعنى اللغوي لكلمة البدعة، فقسمها إلى

حسنة وسيئة، ليتمشى مع المعنى اللغوي لها. (٣)

- أو رجل ضال يريد أن يجد توجيهها ومخرجا لما يفعله من البدع المخالفة

لهدي المصطفى صلى الله عليه وسلم، ويكثر في أمثال هذا الاحتجاج بقول عمر بن

الخطاب رضي الله عنه: (نعم البدعة هذه) (٤) بعد أن جمع الناس على إمام واحد

في صلاة القيام في رمضان.

(١) أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، محدث

فقيه، ولد في مطة أبي الهيثم من إقليم الغربية بمصر، سنة ٩٠٩هـ ثم

انتقل إلى مكة، ومار إماما للحرمين، توفي سنة ٩٧٣هـ رحمه الله. انظر:

ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب ٣٧٠/٨ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٢٣٤/١ مرجع سابق.

(٢) فتح المبين لشرح الأربعين، ص٢٢١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي

الطبي، وشركاه.

(٣) انظر: د. عزت علي عطية، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، ص ٣٤٧،

رسالة دكتوراه، دار الكتب الحديثة القاهرة.

(٤) البخاري، صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان،

٢٥٢/٢، مرجع سابق.

على أن ذلك ليس احتجاجا صحيحا، فعمر - رضي الله عنه - لم يبتدع شيئا لأصل له في الدين، بل إن صلاة القيام مشروعة وواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقد روى أبو هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه]. (١)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فملوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثير أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فصلى، فملوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: [أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم، ولكنني خشيت أن تفرض عليكم، فتعجزوا عنها] فتوفي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - والأمر على ذلك. (٢)

قال الإمام الشاطبي في الاعتصام: "فلما زالت علة التشريع بموت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رجع الأمر إلى أصله، وقد ثبت الجواز، فلا ناسخ له" (٣) لذلك نرى أن مراد عمر - رضي الله عنه - بالبدعة هنا المعنى اللغوي.

قال ابن تيمية رحمه الله: "ثم نقول: أكثر ما في هذا تسمية عمر تلك بدعة مع حسنها، وهذه تسمية لغوية، لا تسمية شرعية، وذلك أن البدعة في اللغة تعم كل فعل ابتداء من غير مثال سابق.

وأما البدعة الشرعية فما لم يدل عليه دليل شرعي، فإذا كان نص رسول

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان،

٢٥٢/٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) الاعتصام ١/١٩٤، مرجع سابق.

الله - صلى الله عليه وسلم - قد دل على استحباب فعل، أو إيجابه بعد موته، أو دل عليه مطلقا، ولم يعمل به إلا بعد موته، صح أن يسمى بدعة في اللغة لأنه عمل مبتدأ" (١).

ثالثا : البدعة و الشرك :

البدعة في معناها العام أوسع بابا من الشرك.

ويدخل كثير من الباحثين الأمور الشركية في البدع.

إلا أنه من المعروف عظم الشرك وخطره، فهو "أعظم ذنب عصي الله به على الإطلاق بالكتاب والسنة والاجماع، فلهذا رتب الله عليه من العقوبات في الدنيا ما لم يرتبها على غيره من الذنوب، من إباحة دماء أهله وأموالهم، وسبي نسائهم وأولادهم، وعدم مغفرته إلا بالتوبة منه" (٢). كما قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا) (٣) وقال تعالى: (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار) (٤).

وهذا لا يعني أن البدعة سهلة ويسيرة، بل هي خطر عظيم، وبلاء جسيم على فاعلها وعلى الأمة جمعاء.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "الشرك ملزوم لتنقص الرب سبحانه، والتنقص لازم له ضرورة، شاء المشرك أم أبى، ولهذا اقتضى حمله سبحانه، وكمال ربوبيته أن لا يغفره، وأن يخذ صاحبه في العذاب الأليم، ويجعله أشقى البرية،

(١) اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٢/٥٨٩، ٥٩٠، تحقيق د. ناصر

العقل، ط ١ ، ١٤٠٤ هـ.

(٢) عبد الله بن محمد الخليلي، القول المبين في رد بدع المبتدعين، ص ١٧، ط ٤

(٣) سورة النساء ١١٦ .

(٤) سورة المائدة ٧٢ .

فلا تجد مشركا قط الا وهو متنقص لله سبحانه، وإن زعم أنه يعظمه بذلك .
كما أنك لاتجد مبتدعا إلا وهو متنقص للرسول صلى الله عليه وسلم، وإن زعم
أنه معظم له بتلك البدعة، فإنه يزعم أنها خير من السنة، وأولى بالصواب، أو
يزعم أنها هي السنة، إن كان جاهلا مقلدا، وإن كان مستبصرا في بدعته فهو مشاق
لله ورسوله". (١)

فالمشرك إذا متنقص لله ، والمبتدع متنقص للرسول صلى الله عليه وسلم .
ومما يؤكد خطر البدعة وسوءها أنها كثيرا ماتكون موصلة إلى الشرك ووسيلة
له، فالبناء على القبور، ورفعها بدعة، ورد النهي المريح عنها في سنة الرسول
صلى الله عليه وسلم.

وإنك لترى الجهال بعد فترة من الزمن يعظمون صاحب القبر، ويقدمونه حتى
يصل الأمر بهم إلى دعائه، والاستغاثة به، وهو ما يشاهد في كثير من أنحاء
العالم الاسلامي في الوقت الحاضر.

وكذلك اتخاذ الصور والتماثيل للزعماء والعلماء والعباد، حيث تصير بعد
فترة من الزمن أصناما تعبد من دون الله، وبهذه الكيفية دخل الشرك على قوم
نوح عليه السلام، وهو ما نهى عنه الإسلام، وأوجب إزالته إن وجد، منعا لدخول
هذا الداء العظيم الذي لا يبقى معه دين ولا إيمان .

ولعظم الشرك وأهميته بحثه جعلت له مبحثا مستقلا هو المبحث الثاني من هذا
الفصل.

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان ١/١٠١، ١٠٢ مرجع سابق.

رابعاً : البدعة في الدين انحراف عن العقيدة الصحيحة .

قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بأداء مهمته وإبلاغ دين الله خير قيام، وما مات صلى الله عليه وسلم إلا بعد أن تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك.

لذلك حذر صلى الله عليه وسلم من الابتداع في الدين، وأمرنا بالترام سنته وسنة خلفائه الراشدين من بعده.

عن أبي نجيح العرياض بن سارية - رضي الله عنه - قال: وعظنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - موعظة وجلت من القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يارسول الله: كأنها موعظة مودع، فأوصنا. قال: [أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين عضواً عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة]. (١)

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يخطب الناس، فيحمد الله ويثني عليه بما هو أهله، ثم يقول: [من يهده الله فلا مضل له، ومن يضل فلا هادي له، وخير الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد - صلى الله عليه وسلم -، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة

(١) الإمام أحمد، المسند، ١٢٦/٤، مرجع سابق.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، في المقدمة، باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين، ١٦، ١٥/١، مرجع سابق.

- وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب في لزوم السنة ١٢/٥ مرجع سابق.

- والترمذي، سنن الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح، أبواب العلم، باب ماجاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع، ٣٨/٧، مرجع سابق.

ضلالة]. (١)

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
[من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد] (٢) وفي رواية: [من عمل عملا ليس
عليه أمرنا فهو رد]. (٣)

فالبدعة انحراف عن دين الله، ومشاقة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم،
سواء كانت في جانب الاعتقاد أو العمل - مع ارتباطهما ببعض ولزوم أحدهما
للآخر - وذلك أن كلا الأمرين داخل في مفهوم العبادة التي هي كل ما يحبه الله
من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

والعقيدة الإسلامية تحوي الاعتقاد والقول والعمل، فمن اعتقد شيئا، وعمل أو
قال خلافه، فإن في عقيدته خلا.

فالبدعة إذا انحراف عن العقيدة، سواء كانت بدعة اعتقادية كالقول في
الصفات، أو بدعة عملية كالصلاة عند القبور والأعياد البدعية، وذلك أنهما
مشاقة لله ورسوله، وإحداث في دين الله مما لم يأذن به سبحانه.

فالنظر الصحيح للبدعة هو بوزنها بميزان العقيدة الإسلامية، فما وافق
قبلناه، وما خالف تركناه ورددناه، وأن يسعنا ما وسع صحابة رسول الله صلى
الله عليه وسلم.

إلا أن ذلك لا يعني أن البدع كلها في مقام واحد، بل هي ذنوب، فيها

(١) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩٣/٢، مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الملح، باب إذا اصطحوا على جور فالملح مردود، ١٦٧/٣، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور ١٣٤٣/٣ مرجع سابق.

(٣) مسلم، المرجع السابق ١٣٤٤/٣ .

الكبيرة والمغيرة، فهي تتفاوت في القرب والبعد من العقيدة الصحيحة، فالبدع الصغيرة مثل رفع الصوت بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الأذان، لا تتساوى مع بدعة الصلاة عند القبور وزيارتها، وإن كان كل منهما بدعة مذمومة في الدين لأنه خلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

خامسا : نماذج من البدع المعاصرة :

١ - التوسل بغير ما شرع الله، كجاه النبي - صلى الله عليه وسلم - أو الملائكة أو الأولياء والصالحين.

أ - معنى التوسل :

جاء في لسان العرب : الوسيلة : القربة، ووسل فلان إلى الله وسيلة : إذا عمل عملا تقرب به إليه، وتوسل إليه وسيلة : إذا تقرب إليه بعمل. (١)
وقال الراغب الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن: "حقيقة الوسيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة، وتحري مكارم الشريعة". (٢)
وقال ابن جرير الطبري في تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة) (٣) "يقول: واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه، والوسيلة هي الفعيلة، من قول القائل: توسلت إلى فلان بكذا، بمعنى تقربت إليه". (٤)

(١) ابن منظور، لسان العرب (١١/٧٢٤)، مرجع سابق.

(٢) ص ٥٢٤، مرجع سابق .

(٣) سورة المائدة ٣٥ .

(٤) جامع البيان في تفسير القرآن ١٤٦/٦، دار المعرفة - بيروت، ط ٤، ١٤٠٠هـ.

ب - التوسل المشروع :

التوسل المشروع هو ما دل عليه الكتاب والسنة المطهرة، وهو لا يخرج عن ثلاثة

أنواع :

١ - التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته .

٢ - التوسل إلى الله بالعمل الصالح .

٣ - التوسل إلى الله بدعاء العبد الصالح .

واليك بيانها مع أدلة مشروعيتها :

أولا - التوسل إلى الله بأسمائه وصفاته :

يجوز للمسلم أن يتوسل إلى الله سبحانه باسم من أسمائه أو صفة من صفاته، كأن يقول في دعائه: اللهم إني أسألك بأنك أنت الرحمن الرحيم أن ترحمني، وبأنك الغفور أن تغفر لي، وبأنك الشافي أن تشفيني.

والدليل قوله تعالى: (ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ..)(١)

وأسماء الله سبحانه صفات له، يختص بها سبحانه، فتدخل باقي الصفات فيها.

ومن ذلك ما ورد في استعاذته صلى الله عليه وسلم، وقوله: [اللهم إني

أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني].(٢)

ومن ذلك أيضا ما ورد أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دخل المسجد، فإذا رجل قد صلى صلاته، وهو يتشهد ويقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، أن تغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم، فقال: [قد غفر له، قد غفر له، قد غفر له].(٣)

(١) سورة الأعراف ١٨٠ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل ٢٠٨٦/٤ مرجع سابق.

(٣) أحمد بن حنبل، المسند، ٢٢٨/٤ مرجع سابق.

- والحاكم، ومصحح، ووافقه الذهبي في التلخيص، ٢٦٧/١، مرجع سابق.

والأدلة على هذا النوع من التوسل كثيرة. (١)

٢ - التوسل إلى الله بالعمل الصالح :

ويتحرى المسلم بهذا النوع المشروع من التوسل أن يكون عملاً صالحاً ذا بآل فيه خوف الله سبحانه وتقواه، وتنفيذ أمره وطاعته جل وعلا.

ومن الأدلة على هذا النوع من التوسل قوله تعالى: (الذين يقولون ربنا إننا ءامنآ فاعفر لنا ذنوبنا وقتنا عذاب النار). (٢)

وقوله تعالى: (ربنا ءامنآ بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشهدين) (٣)

وقوله سبحانه: (إنه كان فريق من عبآدى يقولون . ربنا ءامنآ فاعفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) (٤)

ومن السنة ماورد في قصة أصحاب الغار كما يرويها عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: [انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت الى غار فدخلوه ، فانحدرت صخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بآمالكم، فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لأغيبق (٥) قبلهما أهلا ولا مالا ، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم

(١) انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله وكلماته وصفاته ٢٢٤/٧ مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران ١٦ .

(٣) سورة آل عمران ٥٣ .

(٤) سورة المؤمنون ١٠٩ .

(٥) أي ماكنت أقدم عليهما أحدا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه، والغبوق شرب آخر النهار، مقابل الصبوح. ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٤١/٣ مرجع سابق.

أرج عليهما (١) حتى ناما، فطبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أغبق قبلهما أهلا أو مالا، فلبثت والقحح علي يدي أنتظر استيقاظهما حتى يرق الفجر، فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الآخر: اللهم كانت لي بنت عم، كانت أحب الناس إلي، فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألفت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار، على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت: يا عبد الله، لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه، فتخرجت من الوقوع عليها، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركتم الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: وقال الثالث: اللهم إنني استأجرت أجرا فأعطيتهم أجرا غير رجل واحد ترك الذي له وذهب، فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله، أد إلي أجري، فقلت له: كل ماتري من أجرك، من الإبل، والبقرة، والغنم، والرقيق، فقال: يا عبد الله، لاتستهزئ بي، فقلت: إنني لأستهزئ بك؛ فأخذته كله، فاستأقده، فلم يترك منه شيئا، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون]. (٢)

(١) أي: أرجع اليهما في الرواح، قال في الصحاح: أرحت على الرجل حقه: إذا رددته عليه.

والرواح: اسم للوقت من زوال الشمس إلى الليل. انظر: الجوهرى، الصحاح ٣٦٨/١ مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري - واللفظ له - كتاب الإجارة، من استأجر أجيرا فترك أجره .. ٥١/٣، مرجع سابق.

٣ - التوسل بدعاء العبد الصالح :

للمسلم أن يتوسل إلى الله بدعاء مسلم يعلم فيه الملاح والتقوى، وهو أمر مشروع دلت عليه السنة المطهرة.

فعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: جاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يارسول الله : هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمطروا من جمعة إلى جمعة، فجاء رجل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: يا رسول الله، تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [اللهم على رؤوس الجبال والأكام وبطون الأودية ومنابت الشجر] فانجابت عن المدينة انجياب الثوب. (١)

وروى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه : أن عمر بن الخطاب، كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب، فقال: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، قال: فيسقون. (٢)

واستسقى عمر بالعباس، أي طلب منه الاستسقاء لفضله.

وأورد في الفتح صفة ما دعا به العباس في هذه الواقعة لما استسقى به عمر، قال: "اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب، ولم يكشف إلا بتوبة، وقد توجه القوم بي إليك لمكاني من نبيك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب، ونوامينا إليك

= - ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بمالح الأعمال ٢٠٩٩/٤، مرجع سابق.

(١) البخاري، صحيح البخاري، رواه بطرق وألفاظ مختلفة عن أنس رضي الله عنه، أبواب الاستسقاء ١٤/٢، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري، أبواب الاستسقاء، باب سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، ١٦/٢، مرجع سابق.

بالتوبة، فاسقنا الغيث، فأرخت السماء مثل الجبال حتى أخصبت الأرض وعاش الناس". (١)

والخلاصة أن أي توسل بغير تلك الأنواع الثلاثة الواردة عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، هي توسل بدعي غير مشروع، سواء كان بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو الملائكة، أو الأولياء والعباد والعلماء والصالحين، كالجيلاني، والبدوي، والدسوقي، والحسين، وغيرهم مما هو سائد في كثير من بلاد المسلمين، ولم يسلم منه إلا من أنار الله بصيرته، وهده إلى الحق والصواب.

ومما يزيد الأمر سوءاً أن التوسل البدعي ينتهي بمصاحبه إلى الشرك، والعياذ بالله، فيتحول من دعاء الله إلى دعاء الولي، كما هو حاصل عند كثير من جهال المسلمين. (٢)

(١) ابن حجر، فتح الباري ٥٧٧/٢ مرجع سابق .

- وانظر: ابن تيمية، كتاب (التوسل والوسيلة) مجموع الفتاوى ج١، مرجع سابق.

- ومحمد ناصر الدين الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، المكتب الإسلامي، بيروت دمشق، ط ٢ ، ١٣٩٧هـ.

- و د. محمد أمان بن علي الجامي، تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة، ص ١٥، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، ط ١، ١٤٠٧هـ.

- و سعد صادق محمد، صراع بين الحق والباطل، ص ٦٩، دار اللواء، الرياض، ط ٥، ١٤٠٨هـ.

(١) انظر: مجلة التوحيد المصرية، الرد على أحد المدعين جواز التوسل

بالأولياء ص٣٠، السنة ١٥ عدد ٥ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ.

- و عبدالله العلي القصيمي، شيوخ الأزهر ، ط ١، ١٣٥١هـ.

٢ - رفع القبور، والبناء عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، وشد الرحال إليها.

من الأمور التي جاء الشريعة صريحة بمنعها وتحريمها رفع القبور، والبناء عليها، والصلاة إليها، والطواف بها، وشد الرحال إليها.

وهذه المخالفات والبدع تترتب وتحدث في أحيان كثيرة على بعضها، فعندما يدفن صالح أو عالم أو زعيم، يرفع قبره، ويبنى عليه، ويكون في حالات كثيرة داخل مسجد، أو يبني عليه مسجد، وبعد فترة يتعظم في نفوس الجهال صاحب هذا القبر، ثم ينتشر ذكره في الآفاق بين عوام المسلمين، فيشدون الرحال إليه، مما يؤول بهم في آخر الأمر إلى الشرك الأكبر، وهو شرك العبادة في كافة صورها من الدعاء، والصلاة، والخوف، والرجاء.

وأدلة المنع من هذه الأمور كثيرة في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم.

روى البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في مرضه الذي لم يقم منه: [لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد] لولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أو خشي أن يتخذ مسجداً. (١)

وروى مسلم عن أبي الهياج الأسدي، قال: [قال لي علي بن أبي طالب: ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته]. (٢)

وعن جابر قال: [نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبني عليه]. (٣)

(١) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، وعمر رضي الله عنهما، ١٠٦/٢ مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب الأمر بتسوية القبر، ٦٦٦/٢ مرجع سابق.

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٦٦٧/٢ مرجع سابق.

أما الصلاة إلى القبور، فقد ورد النهي الشديد عنها من جهتين :

- اتخاذ القبور مساجد .

- الصلاة إلى القبور .

فعن عائشة - رضي الله عنها - أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا كنيسته رأيتهما بالحبشة، فيها تماوير، فذكرتا ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: [إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيه تيك الصور، فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة]. (١)

وعن أبي مرشد الغنوي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

[لاتطسوا على القبور، ولا تصلوا إليها]. (٢)

أما الطواف بالقبور فإنه من المعلوم أنه مخالف لما ورد في كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فالطواف عبادة خاصة لاتفعل إلا عند الكعبة المشرفة .

ومن الملاحظ أن قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يسلم من بدع المبتدعين وضلال الضالين، حيث تعاني منهم الجهات المسئولة عن الحرم عند قيامهم بالطواف حول القبر النبوي، عند زيارتهم لمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد يحتج بعض الجهال بوجود القبر النبوي داخل المسجد، وبأن عليه قبة، مما يدل في نظرهم على مشروعية ذلك.

والصحيح الذي لاشك فيه أن وجود قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لم يحدث في عمر الخلفاء الراشدين، وتشير المعلومات التاريخية إلى أن هدم حجرات

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب هل تنبش قبور مشركي الجاهلية

ويتخذ مكانها مساجد، (١١٠/١)، مرجع سابق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب النهي عن الجلوس على القبر والصلاة

عليه ٦٦٨/٢، مرجع سابق.

أزواج النبي - صلى الله عليه وسلم - وإدخالها في المسجد تم في عهد الوليد ابن عبد الملك، على يد عامله على المدينة عمر بن عبد العزيز، حيث زاد في المسجد شرقاً وغرباً، وأدخل فيه حجرات أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، وبنى له أربع مآذن، وفرش أرضه بالرخام، وأدخل فيه تحسينات كثيرة.

أما القبة فقد بناها الناصر قلاوون، عام ٦٧٨هـ. (١)

قال صاحب كتاب (المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية):

"أعلم أنه لاشك أن عمل قلاوون هذا مخالف قطعاً للأحاديث الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن الجهل بلقاء عظيم، والغلو في المحبة والتعظيم وبراء جسيم، والتقليد للأجانب داء مهلك، فنعوذ بالله من الجهل، ومن الغلو، ومن التقليد للأجانب". (٢)

أما انتشار هذه البدع في العالم الإسلامي فاليك شيئاً مما قاله أحد الذين قاموا بزيارات ومشاهدات لبعض البلاد الإسلامية، وما يحدث فيها من بدع القبور:

"ومع هذه الأدلة القطعية الدامغة نشاهد في أكثر الدول الإسلامية القباب منتشرة هنا وهناك لأناس لهم شهرة بين العوام، وحكايات عجيبية، يتندر بها السذج من الناس على أن هذه آثار الخضر، أو عين أبي زيدان، أو هيثم الجرائي الشيعي، أو أبو محية، أو النبي صالح عليه السلام، هكذا ينسبون لها، أو صعصعة، أو ابن سلومان، أو الحسين بن علي رضي الله عنهما، أو أحمد البدوي، والسيدة زينب، ومن الغرائب أنها زينب واحدة، ولها ثلاثة قبور، أحدها في مصر، والآخر

(١) انظر: محمد لبيب البتانونسي، الرحلة الحجازية ص٢٤٤، القاهرة، ط٢،

١٣٢٩هـ

- ومحمد سلطان المعصومي الخجندي المكي، المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية، ص٢٦، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٢) محمد سلطان المعصومي، ص٢٦، المرجع السابق.

في سوريا، والثالث في العراق.

وللحسين أكثر من قبر، كما أن للرفاعي قبورا كثيرة، وهذا يدل على الجهل والغباء لدى العامة، وإلا كيف يكون لشخص واحد عدة قبور...!!
ولا تنس العيـدروس في عدن، وأبو العلا، ومرسي أبو العباس، وسكينة، وعائشة، والأهدل في اليمن الشمالي، وعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في العراق، كما يزعمون، - وهذا وهم كبير - وغيرهم كثير ممن تعلق بهم المشعوذون والخرافيون ...

ثم يقول : وعلى الرغم من خطورة الأمر فإن القباب منتشرة في أكثر البلدان الإسلامية، وأكثر المسلمين وقعوا في الشرك الأكبر والعياذ بالله تعالى.
ولقد رأيت نساء يطفن حول هذه القبور في مصر، فسألت أحد الاخوة الذين كانوا معي :

- ماذا يفعلن هؤلاء النسوة .

فقال : يطفن بهذه القبور .

قلت : ولم ؟

قال : انهن يعتقدن أن هؤلاء المقبورين يملكون قضاء حوائج السائلين !

ولقد رأيت في زيارتي تلك رجالا ونساء وعلماء سوء يطفون حول الأضرحة، ويوزعون الحلويات واللحوم المنذورة لهذه القبور، ويرفعون الأعلام الخضراء فوق قباب هذه الأضرحة". (١)

ويقول أحد الباحثين عن حرص كثير من المسلمين على الصلاة في المساجد التي بها قبور، وترك غيرها:

"وما أكثر المسلمين اليوم ممن انطمس عندهم الاعتقاد الصحيح إذ إنهم ولا حول ولا قوة إلا بالله يفضلون الصلاة بمسجد به قبر أفضل من غيره، ومن أراد أن

(١) أحمد بن عبدالعزيز الحصين، الخضر، وآثاره بين الحقيقة والخرافة ص٢٢-٢٥

- بتصريف يسير واختصار - الناشر: مكتبة البخاري، بريدة ط١، ١٤٠٧هـ

يتأكد فليذهب إلى مصر في مسجد الحسين، ويرى ذلك بأمر عينه، إذ إن الناس تركوا الصلاة في جامع الأزهر الخالي من الأموات، وذهبوا إلى مسجد الحسين، اعتقاداً منهم أن به فضيلة، والله الهادي إلى طريق الحق". (١)

٣ - الأعياد البدعية :

الأعياد المشروعة عند المسلمين تنحصر في سبعة أيام، وهي : يوم الجمعة، ويوم الفطر، ويوم الأضحى، ويوم عرفة، وأيام التشريق. (٢)
وكلها بحمد الله ثابتة في سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - التي أمرنا باتباعها ولزومها وعدم الإحداث والابتداع فيها.

فأما يوم الجمعة فقد وردت فيه عدة أحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، منها : مارواه الإمام أحمد، والبخاري، والحاكم، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : [إن يوم الجمعة يوم عيد، فلا تجعلوا يوم عيدكم يوم صيامكم إلا أن تصوموا قبله أو بعده]. (٣)

(١) أبي طالب عبد الله بن محمود، تحذير الأنام من الوقوع في السبعين العظام، ص ٤٠ - بتصرف يسير - ط ١، ١٤٠٧هـ

(٢) انظر : حمود بن عبد الله التويجري، الرد القوي...، ص ٣٩، دار اللواء بالرياض، ط ١، ١٤٠٣هـ

(٣) الإمام أحمد، المسند ٢/٢٠٢، ٥٢٢، مرجع سابق.
- والهيثمى في مجمع الزوائد، وحسنه، ٣/١٩٩، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٦٢م.

- ومعناه ثابت في الصحيحين: [لا يصوم أحدكم يوم الجمعة، إلا يوماً قبله أو بعده]. انظر: البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب صوم يوم الجمعة ٢٤٨/٢ مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الصيام، باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً، ٨٠١/٢ مرجع سابق.

وأما يوم الفطر والأضحى فقد وردت فيهما أحاديث كثيرة أيضا منها:
ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة، ولهم يومان يلعبون فيهما، فقال: [وما هذان اليومان؟] قالوا: كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله عز وجل قد أبدلكم بهما خيرا منهما، يوم الأضحى، ويوم الفطر]. (١)
وأما يوم عرفة وأيام التشريق فالدليل على أنها من أعياد المسلمين ماروي عن عقبة بن عامر - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [يوم عرفة، ويوم النحر، وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام، وهي أيام أكل وشرب]. (٢)

إذا عرفنا أن هذه هي أعياد المسلمين التي وردت في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن كل عيد سواها بدعة وضلال، وإحداث في دين الله ما ليس منه، ومن ذلك ما يلي:

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب صلاة العيدين، ٦٧٥/١، مرجع سابق.

- والنسائي، سنن النسائي، كتاب صلاة العيدين، باب (١)، ١٧٩/٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- والحاكم ومحققه، وقال صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي في تلخيص المستدرك، انظر: المستدرك على الصحيحين للحاكم، وبهامشه التلخيص للذهبي ٢٩٤/١، مرجع سابق.

(٢) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصوم، باب صيام أيام التشريق ٨٠٤/٢، مرجع سابق.

- والترمذي، سنن الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، كتاب الصوم، باب ماجاء في كراهية الصوم أيام التشريق، ١١٦/٣، مرجع سابق.

- استبدال الجمعة بيومي السبت والأحد، مضاهاة للكفار من اليهود والنصارى وتقليدا لهم، فالسبت عيد اليهود، والأحد عيد النصارى .

ولعل السبب في ذلك لا يعود إلى عامة المسلمين، بل هو من نتائج الاستعمار وعملائه، وتقليدا من الأنظمة العلمانية للكفار، وعدم مراعاة مشاعر المسلمين.

وهذا الأمر حاصل في تركيا، وبعض دول المغرب العربي، والصومال، وأندونيسيا، وغيرها، مع أن هذه بلاد إسلامية، والمسلمون فيها هم الكثرة والأغلبية .

- عيد مولد النبي صلى الله عليه وسلم .

وهذا الأمر منتشر انتشارا كبيرا في العالم الإسلامي اليوم، مع أنه لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا فعله صحابته رضوان الله عليهم، ولا التابعون لهم بإحسان، وما زال المتمسكون بالحق الملتزمون سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ينكرونه في كل مكان .

كما أن المؤيدين لهذه البدعة ليس لديهم دليل صحيح واحد على مشروعيتها وجوازها، وقد تصدى لهم بحمد الله علماء الإسلام الناصحون، وبينوا خطأهم، ونشروه بين المسلمين، حتى لا يغتر بهم أحد. (١)

ومما يحزن له المسلم أيضا ما يحدث مع هذه البدعة، وأثناءها من المنكرات

(١) من الداعين إلى بدعة عيد المولد المنبوي في بلاد الحرمين - التي سلمت بتوفيق الله وفضله، ثم بفضل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - محمد بن علوي المالكي، في كتابه الذخائر المحمدية .

وقد رد عليه علماء كثيرون، منهم على سبيل المثال :

- الشيخ عبد الله بن سليمان بن منيع، قاضي محكمة التمييز بمكة، وعضو هيئة كبار العلماء، في كتابه: حوار مع المالكي في رد منكراته وضلالاته .

- والشيخ جمود بن عبد الله التويجري في كتابه: الرد القوي على الرفاعي والمجهول وابن علوي، وبيان أخطائهم في المولد النبوي، دار اللواء بالرياض، ط ١، ١٤٠٣ .

والاختلاط، وشرب الخمر، وترك الواجبات .

ولو افترضنا أن فيها تذكيرا بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن مافيها من المنكرات سبب كاف لمحاربتها والوقوف في وجه الداعين إليها، فضلا عن كونها بدعة في الدين ليست منه .

يقول سعد صادق محمد في كتابه صراع بين الحق والباطل: "... بل إننا نجد - مع الأسف - أن المحتفلين بهذا اليوم يحيونه بالرقص والغناء الشركي الخليع وبعرائس الطوى المزيينة، وبلعب القمار، وشرب الحشيش، وغير ذلك من الأعمال التي لاتتفق مع مقام النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنزلته وعظمته، وبيراً منها دينه وهديه". (١)

كما يلاحظ أن هذه البدعة توسعت، وازدادت لتشمل الأولياء والمقبورين، فهناك مولد السيدة زينب، ومولد الرفاعي، ومولد البدوي، وغيرها، مما يجعل المسلمين في أعياد الموالد طوال العام ، فينشغلوا عن دينهم والقيام به ونشره، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولم يكتف المنادون ببدعة المولد النبوي بهذا، بل دعوا الى صيام يوم المولد. (٢)

فانظر - رحمك الله - كيف تجر البدعة أختها، حتى لايبقى من دين الإسلام إلا اسمه .

(١) ص ١٢٤ ، مرجع سابق .

(٢) حمد أبو شهاب، وإبراهيم أبو ملح، الاحتفال بمولد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بدعة في الدين، مؤسسة بن كامل للطباعة والنشر، أخبار الخليج المصورة، الشارقة .

- أعياد بدعية أخذها المسلمون من الكفار(١)، وهي :

عيد الميلاد : بأن يحتفل الشخص بيوم ولادته - أو يحتفل به أهله - كل سنة، في ذلك اليوم المحدد.

وعيد الأم ، وذلك يتم في يوم معين من أيام السنة الميلادية، حيث يقدم للأم هدايا، وتزار الأمهات كبيرات السن بعد انقطاع الأبناء والبنات عنهن.

وعيد الجوس بأن يحتفل الحاكم بيوم تولية عرش الحكم، ويتبادل التهاني بذلك اليوم من كل سنة مع غيره من الحكام، ويقابله في بعض البلاد عيد الثورة، وفي بلاد أخرى العيد الوطني .

وغيرها من الأعياد الكثيرة المأخوذة عن اليهود والنصارى، وصدق رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قال: [لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعا بذراع، حتى لو دظوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فممن!] (٢)

قال ابن تيمية رحمه الله : "أعياد الكفار كثيرة مختلفة، وليس على المسلم أن يبحث عنها ولا يعرفها، بل يكفيه أن يعرف أن هذا الفعل - ولو لم يعلم سببه - لا أصل له في دين الإسلام، فإنه إذا لم يكن له أصل، فإمّا أن يكون قد أحدثه بعض الناس من تلقاء نفسه، أو يكون مأخوذا عنهم، فأقل أحواله أن

(١) راجع بتوسع عبد الله التويجري، (البدع الحولية) رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم العقيدة بكلية أصول الدين بالرياض، المبحث الرابع ٥١٤/٢، (غير منشورة).

(٢) البخاري، صحيح البخاري، من رواية أبي سعيد الخدري، - واللفظ له - كتاب الاعتصام بالسنة، باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لتتبعن سنن من كان قبلكم، ١٥١/٨، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى ٢٠٥٤/٨، مرجع سابق.

يكون من البدع". (١)

- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج، والنصف من شعبان :

مع أنه لم يرد عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - شيء في تخصيص ليلة الإسراء والمعراج بعبادة، بل لم يرد تحديدها بوقت معين، "إلا أن كثيرا من المسلمين يعتبرون ليلة السابع والعشرين من رجب هي ليلة الإسراء والمعراج، ويجعلونها موسما لإقامة الحفلات والذكر والدعاء، كما يصنعون فيها الأطعمة المختلفة، زاعمين أنهم يوسعون على أنفسهم وعيالهم بمناسبة ليلة الإسراء والمعراج". (٢)

قال الشيخ عبد العزيز بن باز : "وهذه الليلة التي حصل فيها الإسراء والمعراج لم يأت في الأحاديث الصحيحة تعيينها، وكل ما ورد في تعيينها فهو غير ثابت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أهل العلم بالحديث، ولله الحكمة البالغة في إنساء الناس لها، ولو ثبت تعيينها لم يجز للمسلمين أن يخصصوها بشيء من العبادات، فلم يجز لهم أن يحتفلوا بها لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه - رضي الله عنهم - لم يحتفلوا بها، ولم يخصصوها بشيء، ولو كان الاحتفال بها أمرا مشروعاً لبيّنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأمم بالقول أو الفعل، ولو وقع من ذلك شيء لعرف واشتهر، ولنقله الصحابة رضي الله عنهم". (٣)

(١) ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم ٥١٥/٢ - بتصرف

- مرجع سابق.

(٢) سعد صادق محمد، صراع بين الحق والباطل، ص١٨٦ - بتصرف - مرجع سابق.

(٣) عبد العزيز بن باز، التحذير من البدع (أربع رسائل) ص٨، رئاسة إدارات

البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

أما ليلة النصف من شعبان فإن كثيرا من العامة وأشباههم يعتقدون أنها ليلة ذات مكانة عند الله، وأن الاجتماع لإحيائها بالذكر، والعبادة، والدعاء، والقراءة، مشروع مطلوب، وتبع ذلك أن وضع لهم في إحيائها نظام خاص، حيث يجتمعون بعد صلاة المغرب، ويصلون صلاة خاصة تسمى (صلاة النصف من شعبان) ثم يقرأون بصوت مرتفع سورة معينة هي سورة (يس) ثم يدعون بدعاء يعرف بـ (دعاء النصف من شعبان) يتلقونه بعضهم عن بعض، ويحفظونه، ويكررونه ثلاث مرات، إحداها (بنيّة طول العمر) والثانية (بنيّة دفع البلاء) والثالثة (بنيّة الإغناء عن الناس).

ويعتقدون أن التظف عن المشاركة في هذا الاجتماع نذير (بقصر العمر) (وكثرة البلاء) (والحاجة الى الناس). (١)

قال الشيخ عبد العزيز بن باز في رد هذه البدعة: "ومن البدع التي أحدثها بعض الناس الاحتفال بليلة النصف من شعبان، وتخصيص يومها بالصيام، وليس على ذلك دليل يجوز الاعتماد عليه، أما ما ورد في فضل الصلاة فيها فكله موضوع كما نبه على ذلك كثير من أهل العلم.... وورد فيها أيضا آثار عن بعض السلف من أهل الشام وغيرهم.

والذي عليه جمهور العلماء أن الاحتفال بها بدعة، وأن الأحاديث الواردة في فضلها كلها ضعيفة، وبعضها موضوع، وممن نبه على ذلك الحافظ ابن رجب في كتابه لطائف المعارف (٢) وغيره.

والأحاديث الضعيفة إنما يعمل بها في العبادات التي قد ثبت أهلها بأدلة صحيحة، أما الاحتفال بليلة النصف من شعبان فليس له أمل صحيح حتى يستأنس له بالأحاديث الضعيفة". (٣)

(١) سعد صادق محمد، صراع بين الحق والباطل، ص ١٩٠، ١٩١ - بتصرف - مرجع سابق.

(٢) ص ١٤٢، طبعة دار إحياء الكتب العربية، بمصر، ١٣٤٢هـ.

(٣) عبد العزيز بن باز، التحذير من البدع، (أربع رسائل) ص ١٢، مرجع سابق.

٤ - بدعة تقديم العقل على النقل :

تعتبر بدعة تقديم العقل على النقل من القضايا المهمة التي شغلت الفكر الإسلامي قديماً وحديثاً، وكان لها آثار سيئة كثيرة على الإيمان والتوحيد، وجملة العقائد، وطرق الاستدلال، ومعرفة الطلال والحرام، والحسن والقبیح.

ولا بد من الإشارة إلى أن النقل الصحيح لا يخالف العقل المريح، فالمنقول مامو إلا كلام الله ورسوله، وهو الوحي بنوعيه القرآن الذي (لايأتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد)(١)

والسنة هي أقوال وأفعال وتقريرات الرسول صلى الله عليه وسلم، (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى).(٢)

والعقل لا يمكن أن يستقل بذاته، فهناك الكثير من الأمور لا يمكن أن يدركها إلا بالنقل، كما أن ميزان الحسن والقبیح ليس متفقا عليه بين البشر، مما يستلزم أن يكون الشرع هو الأساس في ذلك.

أما الأدلة فان الدليل الشرعي لا يناقض الدليل العقلي "بل لايقابل الدليل الشرعي بالعقلي، وإنما بالبدعي، إذ البدعة تقابل الشرعة".(٣)

وقد يتوهم أن الدليل الشرعي يمكن أن يناقض الدليل العقلي، أو يتعارض معه في بعض الأحيان، وهذا غير صحيح، فالدليل الشرعي لا يمكن أن يناقض الدليل العقلي إذا كانا قطعيين باتفاق العقلاء، لأن الدليل القطعي هو الذي يجب ثبوت مدلوله، ولا يمكن أن تكون دلالته باطلة.

ولهذا فلو نشأ تعارض ظاهري بين الدليل الشرعي والدليل العقلي فإنهما

(١) سورة فصلت ٤٢ .

(٢) سورة النجم ٣، ٤ .

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، درء تعارض العقل والنقل، ص١٩٨، -

بتصرف - تحقيق د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،

ط١، ١٣٩٩هـ.

إما أن يكونا ظنيين، أو أن أحدهما ظني، والآخر قطعي، ففي حالة كونهما ظنيين فإنه يمار إلى طلب ترجيح أحدهما، والراجح هو المقدم، سواء كان عقليا أو شرعيا.

وأما إن كان أحدهما ظنيا والآخر قطعيا فإنه يجب تقديم الدليل القطعي. ولو كان الدليل العقلي - مثلا - هو القطعي، وجب تقديمه لكونه قطعيا لالكونه عقليا. (١)

وقد ألف ابن تيمية - رحمه الله - كتابه الضخم (درء تعارض العقل والنقل) وناقش فيه هذه القضايا، وقد قال فيه:

"فنحن في هذا المقام إنما نخاطب من يتكلم في تعارض الأدلة السمعية والعقلية ممن يدعي حقيقة الإسلام من أهل الكلام الذي يلبسون على أهل الإيمان بالله ورسوله، وأما من أفصح بحقيقة قوله وقال: إن كلام الله ورسوله لا يستفاد منه علم بغيب، ولا تصديق بحقيقة ما أخبر به، ولا معرفة بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته وجنته وناره و غير ذلك، فهذا لكلامه مقام آخر". (٢)

كما أنه لا بد من الإشارة إلى أن الإسلام يحترم العقل ويقدره، فقد أمره بالتفكير والتدبر، وجعل ذلك من أعظم العبادات، كما حماه من المؤثرات التي تذهبها، ولو مؤقتا، فمنع شرب الخمر، وكل مسكر أو مفتر، وجعل الدية كاملة على من تسبب في ذهابه من صاحبه.

قال ابن قدامة: "لأنعلم في هذا خلافا، وقد روي عن عمر وزيد رضي الله عنهما، وإليه ذهب من بلغنا قوله من الفقهاء". (٣)

(١) انظر: ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول ١/٤٢، ٤٤، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٠هـ.

(٢) ١/١٢٦ مرجع سابق.

(٣) ابن قدامة المقدسي، المغني، بتعليق محمد رشيد رضا، دار المنار، القاهرة، ط٢، ١٣٦٧هـ.

وقد أدرك المسلمون الأوائل قيمة العقل ومكانته وقدره، انطلاقاً مما جاء به الإسلام.

ولما كان الإسلام هو دين الفطرة لم يروا أي تناقض بين محتواه وبين العقل، بل وجدوا كلا منهما خادماً للآخر.

ولما كانت القضايا الغيبية والحكم الشرعية تخفى على العقل بإمكاناته البشرية، فقد عرفوا ما للوحي بنوعيه من قيمة، وصار التسليم بما فيه منهجهم ودينهم، وقبل ذلك وبعده فإن الوحي يأمر المؤمنين بالتسليم والإيمان بتلك الأمور فزادهم ذلك يقيناً وإيماناً.

ومع توسع الفتوح الإسلامية وكثرة ترجمة كتب تلك البلاد المفتوحة أقبل بعض المسلمين على كتب الفلسفة وخاصة اليونانية لوفائها بحاجتهم من الجدل والمنظرات مع الفرق الأخرى، فإذا علمواهم لا يتحدثون إلا عن المنطق وحدوده وقضاياه وأقيسه، فألفت الكتب، وعقدت المناظرات، وكثرت المجادلات، فدخلت المصطلحات اليونانية الفلسفية كالجوهر والعرض والهيولي والصورة والقياس والقضايا السالبة والموجبة، وغير ذلك. (١)

وفي الوقت نفسه كان هناك أناس يذمون العقل والمعقول لارتباط ذلك بالجدل والمناظرة .

يقول الامام الغزالي: "فإن قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول؟ فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول الى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والإلزامات، وهو صنعة الكلام، فلم يقدرُوا على أن يقرروا عندهم أنكم أخطأتم في التسمية، إذ كان ذلك لا ينمحي عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه في القلوب، فذموا العقل والمعقول، وهو المسمى به

(١) محجوب بن ميلاد، الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم، ص٢٨٦، - بتصرف -

عندهم". (١)

وفي المقابل "ذهبت فرق أخرى إلى المبالغة في تقديس العقل، وإعطائه أكثر من حقه في مقابلة الأمور والاعتقادات الشرعية، وأكثر من اشتهر عنها هذه الطريقة فرقة المعتزلة". (٢)

وقد كان لاتباع المعتزلة لتقديم العقل أثر كبير وواضح على أصولهم الخمسة حتى أنك ترى المنهج العقلي بارزا ومقدما على ما يستدلون به من آيات وأحاديث والتي يفسرونها ويؤولونها تأويلا عقليا صرفا.

وعلى سبيل المثال:

يصنف القاضي عبد الجبار (٣) الأدلة الشرعية فيقول:

"أولها دلالة العقل، لأنه يميز بين الحسن والقبح، ولأن به يعرف أن الكتاب حجة، وكذلك السنة والإجماع"، ثم يقول:

"وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم، فيظن أن الأدلة هي الكتاب والسنة والإجماع فقط، أو يظن أن العقل إذا كان يدل على أمور فهو مؤخر، وليس الأمر كذلك لأن الله تعالى لم يخاطب إلا أهل العقل". (٤)

(١) الغزالي : أبي حامد، إحياء علوم الدين ١/٨٨، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.

(٢) فهد بن عبد الرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، ١/٤٢، ٤٣، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠١هـ.

(٣) أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني الأسدي، قاض، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، وهم يلقبونه بقاضي القضاة، له تمانيف في عقائد المعتزلة (الأصول الخمسة) و (التوحيد والعدل) مات بالري عام ٤١٥هـ. انظر: ابن حجر، لسان الميزان ٣/٣٨٦، مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٢/٢٧٣، مرجع سابق.

(٤) الكعبي عبد الله بن أحمد، أبو القاسم، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، من ١٣٩، تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس ١٣٩٣هـ.

ويشير بعض الباحثين إلى أنهم - المعتزلة - أول من حكم العقل في النص(١)، ودلالة ذلك ما قاله إبراهيم النظام (٢): "وإن جهة حجة العقل قد تنسخ الأخبار".(٣)

وما قاله عمرو بن عبيد (٤) عندما ذكر ذات يوم حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: "لو سمعت الأعمش(٥) يقول هذا لكذبتة، ولو سمعته من زيد بن

(١) أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، ص ٧٥، دار اللواء بالرياض، ط٢، ١٤٠٧هـ.

(٢) أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار بن هانئ، ويعرف بالنظام، من شيوخ المعتزلة وإليه تنسب فرقة (النظامية) توفي عام ٢٣١هـ. انظر: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ٩٧/٦، دار الكتاب العربي، بيروت، وابن حجر، لسان الميزان ٦٧/١ مرجع سابق، والزركلي، الأعلام ٤٢/١، مرجع سابق.

(٣) ابن قتيبة، أبي محمد عبد الله بن مسلم، تأويل مختلف الحديث، ص٤٣، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

(٤) عمرو بن عبيد بن باب التميمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره، وعلى الرغم من اشتهاره بالزهد إلا أنه كان مبتدعا، قال فيه يحيى بن معين: "كان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع" ولد سنة ٨٠هـ وتوفي سنة ١٤٤هـ. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤٦٠/٣، مرجع سابق.

- والذهبي، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، ميزان الاعتدال، ٢٧٣/٣، تحقيق علي محمد الجاوي، دار إحياء الكتب العربية - القاهرة.

- وابن كثير، البداية والنهاية، ٧٨/١٠، مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٧٨م.

(٥) الأعمش: سليمان بن مهران الأسدي، ولد سنة ٦١هـ، كان عالما بالقرآن والحديث والفرائض، قال الذهبي: كان رأسا في العلم النافع والعمل الصالح توفي بالكوفة سنة ١٤٨هـ. انظر: الذهبي، تذكرة الحفاظ ١٥٤/١ مرجع سابق.

- والزركلي، الأعلام ١٣٥/٣ مرجع سابق.

وهب لما صدقته، ولو سمعت ابن مسعود يقوله ما قبلته، ولو سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول هذا لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا". (١)

وبذلك أهملوا قدسية النص الصحيح قرآنا وسنة، وأقاموا العقل حكما لاترد كلمته، وأساسا في التحسين والتقييح. (٢)

كما حملوه - العقل - مسئولية "معرفة الله تعالى بجميع أحكامه وصفاته قبل ورود الشرع". (٣)

أما الحسن والتقيح، فهم يقررون أنهما عقليان ذاتيان في الأشياء، أما ماورد في الشرع من تحسين الأشياء وتقييحها فهو مخبر عنها لامثبت لها، والعقل مدرك لها لامنشئ، ورتبوا على هذا أن الإنسان مكلف قبل ورود الشرائع، وإذا بلغته الدعوة بما يدل عليه العقل فهو مكلف ولو لم يصل إليه شرع. (٤)

وعلى هذا ينبغي أن يكون العقل هو الفيصل في مجال التحسين والتقيح، لأن معرفة الحسن والتقيح واجبات عقلية (٥)، وهذا يعكس اكبارهم الشديد للعقل واعتدادهم بقدرته، مما أوقعهم في مزالق تعطيل الشريعة، فبدلا من أن يسلطوها على العقل، جعلوا العقل حكما عليها. (٦)

(١) الذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٢٧٨، مرجع سابق.

(٢) أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية... ص٧٥، مرجع سابق.

(٣) الشهرستاني، الملل والنحل، ١/٧٠، تحقيق محمد سيد الكيلاني، دار المعرفة، بيروت.

(٤) انظر: الزمخشري، أبي القاسم جار الله محمد بن عمر، الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل، ٢/٤٤١، عند قوله تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) الإسراء ١٥، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة ١٣٨٥هـ.

(٥) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ٤٥-٨١ مرجع سابق.

(٦) أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية... ص٦٧، - بتصرف - مرجع سابق.

وقد بقي هذا الفكر مع ذهاب هذه الفرقة في العصر الحاضر، وهو تركة سيئة بقيت من هؤلاء، ولعل للمستشرقين دورا في إحيائه وبثه في طلاب الدراسات الإسلامية لديهم، كما أن للمذاهب الغربية الحديثة دورا آخر، خاصة بعد سقوط الكنيسة، وركلها من أبنائها بشدة وعنف، وهذا الجانب يظهر بوضوح في المثقفين المسلمين من غير المتخصصين بالدراسات الإسلامية، أو الذين أخذوها حرفة لانتسابا وانتماء.

ومن أمثلة فرج المستشرقين بهذا الفكر واستبشارهم به أن أطلق ستينر Stainer عليهم اسم (المفكرون الأحرار في الإسلام) وجعل من هذا اللقب عنوان كتابه عنهم .

ووصفهم آدم ميز Adam Mez وهاملتون Hamilton بأنهم دعاة الحرية الفكرية والاستنارة. (١)

أما قول تسيهر، فيثني عليهم ويصفهم بأنهم وسعوا معين المعرفة الدينية بأن أدخلوا فيها عنصرا مهما آخر قيما، وهو العقل الذي كان حتى ذلك الحين مبعدا بشدة عن هذه الناحية. (٢)

أما المعاصرون من "العقلانيين" وقد سماهم بعض الباحثين بـ (معتزلة العصر الحديث) (٣) فإليك نماذج من أقوالهم:

يقول محمد عبده : "الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة، وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى

(١) أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية، ص٧٦، مرجع سابق.

(٢) د. عبد الحكيم بلبع، أدب المعتزلة، ص١٧٢، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط٢، ١٩٦٩م.

(٣) أنور الجندي، اليقظة الإسلامية في مواجهة الاستعمار، ص١٣٢، دار الاعتماد، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.

حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجور أو يثور عليه؟" (١).
ويقول: "الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض،
أسرع إليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنتقل إلى غيره.
اتفق أهل الملة الإسلامية إلا قليلا ممن لا ينظر إليه على أنه إذا تعارض
العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل، وبقي في النقل طريقان، طريق التسليم
بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه، وتفويض الأمر إلى الله في علمه.
والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق مع
ما أثبتته العقل.

وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب، وصحيح السنة، وعمل النبي صلى الله
عليه وسلم، مهدت بين يدي العقل كل سبيل، وأزيلت من سبيله جميع العقبات،
واتسع له المجال إلى غير حد" (٢).

ويقول تلميذه محمد رشيد رضا: "ذكرنا في المنار غير مرة أن الذي عليه
المسلمون من أهل السنة وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها أن الدليل العقلي
القطعي إذا جاء في ظاهر الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل العقلي متعين، ولنا
في النقل التأويل أو التفويض، وهذه المسألة مذكورة في كتب العقائد التي
تدرس في الأزهر وغيره من المدارس الإسلامية في كل الأقطار، كقول الجوهرة:

وكل نص أوهم التشبيها أوله، أو فوض، ورم تنزيها" (٣)

وعلى هذا الأساس سار محمد عبده، ومحمد رشيد رضا في تفسيرهما للقرآن،
كما سار على ذلك تلميذه عبد القادر المغربي في تفسيره لجزء تبارك، حيث يقول

(١) محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، ص ٧٢، ٧٣، دار المنار،
القاهرة، ط ٧، ١٣٦٧هـ.

(٢) المرجع السابق، ص ٧٢، ٧٤.

(٣) محمد رشيد رضا، شبهات النصارى، وحجج الإسلام، ص ٧٢، ٧٣، دار المنار،
القاهرة، ١٣٦٧هـ.

عند تفسيره لقوله تعالى: (أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور)(١): "من في السماء هو الله تعالى، ولكن قام البرهان العقلي على أن الإله الأزلي خالق الكل، وضابط الكل؛ لا يتصور أن يكون مستقرا في مكان، فوجب إذا صرف الآية عن ظاهرها، وحملها على معنى يلتحم مع ما أثبتته العقل، وقام عليه البرهان...".(٢)

وقد لاحظ سيد قطب - رحمه الله - على هؤلاء مسلكتهم في تفسير القرآن، فقال:
"وقد تأثر تفسير الإمام محمد عبده لجزء عم بهذه النظرة متأثرا واضحا، وتفسير تلميذه المرحوم الشيخ رشيد رضا، وتفسير تلميذه الأستاذ الشيخ المغربي لجزء تبارك، حتى صرح مرات بوجوب تأويل النص ليوافق مفهوم العقل، وهو مبدأ خطر، فإطلاق كلمة العقل يرد الأمر إلى شيء غير واقعي! فهناك عقلي، وعقلك، وعقل فلان، وعقل علان ... وليس هنالك عقل مطلق لا يتناوبه النقص والهوى والشهوة والجهل، يحاكم النص القرآني إلى مقرراته، وإذا أوجبنا التأويل ليوافق النص هذه العقول الكثيرة فإننا ننتهي إلى فوضى!".(٣)

ولنفس السبب قال الأستاذ عباس محمود العقاد عن محمد عبده: "فهو مع الفلاسفة والمعتزلة في تحكيم العقل والقياس على المنطق والعلوم الكونية"(٤)
وقد توالت الردود الكثيرة على هذه المدرسة العقلية، ولا يتسع المجال

(١) سورة الملك ١٦ .

(٢) عبد القادر المغربي، تفسير جزء تبارك، ص١٢، طبعة وزارة المعارف العمومية، بمصر، ١٣٦٦هـ.

(٣) سيد قطب، خصائص التصور الإسلامي ومقوماته، ص١٩، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط٨، ١٤٠٣هـ.

(٤) عباس محمود العقاد، محمد عبده، ص٢٣٩، مكتبة مصر، القاهرة.

لذكرها. (١)

وأختم هذه النماذج للمدرسة العقلية المعاصرة بقول الشيخ عبد العزيز جاويش: "إن من الممكن أن تمل العقول البشرية بالبحث والتنقيب والتجارب إلى ماتصو إليه النفس الإنسانية من مراتب الكمال في الأحكام والتصورات، والنظم الاجتماعية، والمسائل العلمية، والآداب الخلقية... الخ. (٢)

والنتيجة المنطقية لهذا الكلام أن لا حاجة إلى الرسل والرسالات، ولا حاجة إلى القرآن والسنة، مادام العقل قادرا على كل ذلك!!

(١) انظر على سبيل المثال: عبد الله محمود شحاته، منهج الإمام محمد عبده في تفسير القرآن الكريم، المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية - رسالة ماجستير - .

- و د. عبد الغفار عبد الرحيم، الإمام محمد عبده ومنهجه في التفسير، دار الأنصار بالقاهرة؛ مع ملاحظة أن الدكتور عبد الغفار قد أخطأ في جعل سيد قطب - رحمه الله - أحد تلاميذ مدرسة محمد عبده العقلية، ولعل هذا ناشئ من كثرة استخدام سيد قطب للأسلوب الأدبي، والتصوير الفني في عباراته، أما رأيه في هذه المدرسة، فانظر ما نقلناه عنه في الصفحة السابقة، وكذلك الصفحات ١٨-٢١ من نفس الكتاب.

- و فهد بن عبد الرحمن الرومي، منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير، مرجع سابق.

(٢) عبد العزيز جاويش، الإسلام دين الفطرة والحريّة، ص١٢٧، دار المعارف بمصر، القاهرة.

٥ - بدعة تأويل صفات الله جل وعلا .

هذه البدعة هي احدى البدع المورثة، فهي ليست جديدة، وهي منتشرة في العالم الإسلامي بشكل كبير على مذهب الأشاعرة .

ويذكر ابن تيمية - رحمه الله تعالى - أن أصلها " - مقالة التعطيل للصفات - إنما هو مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام - أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى، ونحو ذلك - هو الجعد بن درهم (١) وأخذها عنه الجهم بن صفوان (٢)، وأظهرها، فنسبت مقالة الجهمية إليه" (٣).

ثم يقول في مقام آخر: "إذا كان أصل هذه المقالة - مقالة التعطيل والتأويل - مأخوذاً عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن - بل نفس عاقل - أن يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع

(١) الجعد بن درهم من الموالي، قال الذهبي: "عداده في التابعين، مستدع ضال، زعم أن الله لم يتخذ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى، فقتل على ذلك بالعراق" نحو سنة ١١٨هـ. الذهبي، ميزان الاعتدال ٣٩٩/١ مرجع سابق.
- وابن حجر، لسان الميزان ١٠٥/٢ مرجع سابق.

(٢) جهم بن صفوان السمرقندي، أبو محرز، من موالي بني راسب، رأس الجهمية، قال الذهبي: الضال المبتدع، هلك في زمان صغار التابعين، وقد زرع شراً عظيماً، توفي سنة ١٢٨هـ. انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال ٤٢٦/١ مرجع سابق.
- وابن حجر، لسان الميزان ١٤٢،٢، مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ١٤١/٢، مرجع سابق.
(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى ٢٠/٥، مرجع سابق.
- وانظر: الشهرستاني، الملل والنحل ٨٦/١ هامش (١)، مرجع سابق.

سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والمديقين والشهداء والصالحين". (١)
ثم انتشرت هذه المقالة في الفرق الإسلامية، وخاصة المعتزلة الذين ينفون
الصفات كلها، زاعمين أن إثبات الصفات لله ينافي الوجدانية، ويرون أن من
أثبت لله صفة أزلية قديمة فقد أثبت إلهين. (٢)
وجعلوا صفات الله هي عين ذاته، وقالوا: علم الله هو الله، وقدرته هي
هو.. (٣) وبه أخذ أكثر الخوارج، والمرجئة، وبعض الزيدية. (٤)
وبعد أن زالت بعض الأسباب التي دعمت فكر المعتزلة، وخاصة الأسباب
السياسية، "شهدت تلك الفترة انتصاراً لتيار أهل السنة، الذي بدأ على يد
المتوكل (٢٢٤-٢٤٧هـ) الذي أحيا السنة وتكلم بها في مجالسه، وكتب إلى الآفاق
برفع المحنة التي أثارها المعتزلة من القول بخلق القرآن". (٥)
ثم قاوم أهل السنة وغيرهم المعتزلة، لما رأوا من فساد أقوالهم (٦) ورجع
عنهم بعض من كان ملازماً لهم، ومن هؤلاء أبو الحسن الأشعري (٧) الذي مر بثلاثة

-
- (١) ابن تيمية، أحمد بن عبد الطيم، مجموع الفتاوى ٢٥/٥، مرجع سابق.
(٢) الشهرستاني، الملل والنحل ٤٦/١، مرجع سابق.
(٣) البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، ص ٨٩، دار الكتب
العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.
(٤) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ٢٤٤/١، تحقيق محمد محيي الدين عبد
الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٩هـ.
(٥) د. علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، ص ٢٧٧
- بتصرف - مكتبة وهبة، ط ١، ١٤٠٧هـ.
(٦) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥٥٥/٥، مرجع سابق.
(٧) علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن، من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري
رضي الله عنه، ولد بالبصرة سنة ٢٦٠هـ وتلقى مذهب المعتزلة، وتقدم فيهم،
لكنه رجع وجاهر برجوعه وظلافهم بما سجل في كتابه (الإبانة) توفي ببغداد =

أطوار في اعتقاده :

الأول : طور الاعتزال، حيث اعتنق مذهب المعتزلة أربعين عاما، يقرره ويناظر عليه، ثم رجع عنه، ومرح بتزليل المعتزلة، وبالغ في الرد عليهم. (١)

الثاني: بين الاعتزال والسنة، حيث سلك طريق أبي محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب. (٢)

قال ابن تيمية رحمه الله: "والأشعري وأمثاله برزخ بين السلف والجهمية، أخذوا من هؤلاء كلاما صحيحا، ومن هؤلاء أصولا عقلية ظنوها صحيحة وهي فاسدة". (٣)

الثالث : اعتناق مذهب أهل السنة والحديث، والاقتداء بالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، والتبرؤ من كل ما يخالف الكتاب والسنة، حيث خطب الناس، وبين فساد أقوال المعتزلة، ومفارقتهم لهم.

ومما قال: "أما بعد ، فإن كثيرا من الزائغين عن الحق من المعتزلة، وأهل القدر مالت بهم أهواؤهم إلى تقليد رؤسائهم ومن مضى من أسلافهم، فتأولوا القرآن تأويلا لم ينزل به الله سلطانا، ولا أوضح به برهانا، ولا نقلوه عن رسول رب العالمين".

ثم يقول: "فإن قال لنا قائل: قد أنكرتم قول المعتزلة، والقدرية،

= سنة ٣٢٤هـ رحمه الله. انظر: الإسنوي، طبقات الشافعية ١/٧٢، رئاسة الأوقاف بالجمهورية العراقية، بغداد، ط١، ١٣٩٠هـ.

- وابن خلكان، وفيات الأعيان ٣/٢٨٤، مرجع سابق.

- وابن كثير، البداية والنهاية ١١/١٨٧، مرجع سابق.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٤/٧٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ٥/٥٥٦.

وابن كلاب هو: عبد الله بن سعيد بن محمد بن كلاب البصري، أحد المتكلمين في أيام المأمون، ويقال له : ابن كُلاب، بضم الكاف وتشديد اللام، لأنه كان يخطف الذي يناظره، توفي بعد سنة ٢٤٠هـ . انظر: ابن حجر، لسان الميزان،

٣/٢٩٠، ٢٩١، مرجع سابق. (٣) المرجع السابق ١٦/٤٧١.

والجهمية، والحرورية، والرافضة، والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون. قيل له: قولنا الذي نقول به، وديانتنا التي ندين بها؛ التمسك بكتاب ربنا عز وجل، وبسنة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمدون، وبما يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل - نضر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته - قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق، ورفع به الضلال، وأوضح به المنهاج.. الخ (١)

ثم بين بطلان تأويل الصفات وتعطيلها، ورد على المعتزلة في مسائل أخرى .

ومع ذلك فإن المنتسبين إلى أبي الحسن الأشعري، أو "الأشعرية" من بعده قد بقوا على الطور الثاني من أطوار أبي الحسن في الاعتقاد. (٢)

قال ابن تيمية: " . . ومرادهم الأشعرية الذين ينفون الصفات الخيرية، وأما من قال منهم بكتاب "الإبانة" الذي صنفه الأشعري في آخر عمره، ولم يظهر مقالة تناقض ذلك، فهذا يعد من أهل السنة". (٣)

وينسب ابن تيمية - رحمه الله - المعتزلة والأشاعرة إلى الجهمية، لقولهم بنفي الصفات، وكونهم - أي الجهمية - ممدرو هذه البدعة، فيقول:

"ثم أقرب هؤلاء "الجهمية" الأشعرية يقولون: إن له صفات سبعا: الحياة، والعلم، والقدرة، والإرادة، والكلام، والسمع، والبصر، وينفون ماعداها، وفيهم من يضم إلى ذلك "اليد" فقط، ومنهم من يتوقف في نفي ماسواها، وغلاتهم يقطعون

(١) أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص ١٢، ١٥، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ.

(٢) انظر: محمد بن صالح بن عثيمين، القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنی، ص ٨٠، مرجع سابق.

- و د. علي عبد الفتاح المغربي، الفرق الكلامية الإسلامية، ص (٢٩)، مرجع سابق.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٥٩/٦، مرجع سابق.

بنفي ما سواها.

وأما المعتزلة فانهم ينفون الصفات مطلقا، ويشبثون أحكامها، وهي ترجع عند أكثرهم إلى أنه عليم قدير، وأما كونه مريدا متكلما فعندهم أنها صفات حادثة، أو إضافية أو عدمية". (١)

وبهذا يتبين أن المتأخرين من الأشاعرة "التزموا طريق التأويل في عامة الصفات، ولم يشبثوا إلا الصفات السبع المذكورة في هذا البيت:

حي عليم قدير والكلام له إرادة وكذلك السمع والبصر" (٢)

ومن الجدير بالذكر أن هذه البدعة مرتبطة بالتي قبلها، فإن أصل نشوء القول في الصفات وتأويلها إنما هو أحد نتائج الاحتكام إلى العقل، وترك الشرع.

قال ابن تيمية رحمه الله: "ثم المخالفون للكتاب والسنة وسلف الأمة - من المتأولين لهذا الباب - في أمر مريج، فان من أنكر الرؤية يزعم أن العقل يحيلها، وأنه مضطر فيها إلى التأويل، ومن يحيل أن لله علما وقدرة وأن كلامه غير مخلوق ونحو ذلك، يقول: إن العقل أحال ذلك، فاضطر إلى التأويل، بل من ينكر حقيقة حشر الأجساد، والأكل، والشرب الحقيقي في الجنة؛ يزعم أن العقل أحال ذلك وأنه مضطر إلى التأويل.

ويكفيك دليلا على فساد قول هؤلاء: أنه ليس لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل، بل منهم من يزعم أن العقل جوز وأوجب ما يدعي الآخر أن العقل أحاله!". (٣)

وبهذا يتبين بطلان تأويل صفات الله بعضها أو كلها، بل الواجب إثباتها كما جاءت عن الله سبحانه، وقد بينا منهج أهل السنة فيما ورد من أسماء الله وصفاته في الباب الأول.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٦/٢٥٨، ٢٥٩ مرجع سابق.

(٢) محمد بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنی، ص٨٢، مرجع سابق.

(٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٥/٢٨، ٢٩، مرجع سابق.

المبحث الثاني : الشرك .

أولا : معنى الشرك في اللغة :

ورد في معجم مقاييس اللغة في مادة (شرك) :

الشيء والراء والكاف أصلان، أحدهما يدل على مقارنة وخلاف وانفراد، والآخر يدل على امتداد واستقامة .

فالأول: الشُّركَة، وهو أن يكون الشيء بين اثنين، لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانا في الشيء إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك، قال جل ثناؤه في قصة موسى: (وأشركه في أمرى). (١)

ويقال في الدعاء : اللهم أشركنا في دعاء المؤمنين، أي: اجعلنا لهم شركاء في ذلك، وشَرِكْتُ الرجل في الأمر أُشْرِكُهُ .

أما الأصل الآخر : فالشَّرْكُ : لقم الطريق، وهو شَرَاكُهُ أيضا، وشراك النعل مشبه بهذا، ومنه شَرَكُ المائد، سمي بذلك لامتداده. (٢)

وقال الراغب الأصفهاني في المفردات :

الشُّرْكَةُ والمشاركة خطب الملْكِين، وقيل : هو أن يوجد شيء لاشنين فصاعدا عينا كان ذلك الشيء أو معنى، كمشاركة الإنسان، والفرس في الحيوانية، ومشاركة فرس وفرس في الكُمَّنة (٣) والدُّهْمَةُ .

يقال: شَرَكْتُهُ وشاركته وتشاركوا واشتركوا وأشركته في كذا. (٤)

(١) سورة طه ٣٢ .

(٢) ابن فارس، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ٢٦٥/٣، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٣٩٩هـ.

(٣) الكُمَّنة: لون من ألوان الخيل، وهي حمرة يدخلها سواد غير خالص، أي هو بين السواد والحمرة، كأنه لم يخلص له واحد منها. انظر: الجوهري، الصحاح ٢٦٣/١ مرجع سابق.

(٤) الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن من ٢٥٩، مرجع سابق.

ثانيا : معنى الشرك في الشرع :

فسر النبي - صلى الله عليه وسلم - الشرك بقوله : [أن تجعل لله ندا وقد خلقك].

ففي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال : [أن تجعل لله ندا وقد خلقك]... الحديث (١)

"والند : المثل، قال تعالى : (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون). (٢)

وقال تعالى : (وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله قل تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار). (٣)

فمن جعل لله ندا من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر بإجماع الأمة". (٤)

وقال العلامة أحمد بن علي المقرئ (٥) في تجريد التوحيد المفيد :

"اعلم أن حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق، وتشبيه المخلوق بالخالق.

(١) متفق عليه؛ البخاري، صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى :

فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون، ١٤٨/٥، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، وبيان أعظمها بعده، ٩٠/١، مرجع سابق.

وسأتي الحديث بتمامه بعد قليل.

(٢) سورة البقرة ٢٢ .

(٣) سورة الزمر ٨ .

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٨٨/١، مرجع سابق.

(٥) أحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني، تقي الدين المقرئ،

ولد بالقاهرة عام ٧٦٦هـ وبها نشأ وولي الحسبة والخطابة والإمامة، وبها

مات عام ٨٤٥هـ انظر: ابن العماد، شذرات الذهب ٢٥٤/٧ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ١٧٧/١، مرجع سابق.

أما الخالق فإن المشرك شبه المخلوق بالخالق في خصائص الربوبية والإلهية وهي التفرد بملك الضر والنفع والعطاء والمنع، فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى، وسوى بين التراب ورب الأرباب، فأى فجور وذنب أعظم من هذا!!".

ثم بين شيئاً من خصائص الإلهية، ومنها: الكمال المطلق من جميع الوجوه، والعبودية القائمة على الحب والذل و السجود والتوكل والتوبة والطف والذبح وخلق الرأس... إلى غير ذلك، ثم قال:

"هذا في جانب التشبيه، وأما في جانب التشبه، فمن تعاضم وتكبر، ودعا الناس إلى إطرائه ورجائه ومخافته، فقد تشبه بالله، ونازعه في ربوبيته، وهو حقيق بأن يهينه الله غاية الهوان، ويجعله كالذر تحت أقدام خلقه.

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [يقول الله عز وجل: العظمة إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في واحد منهما عذبتة]. (١)

وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك، ولذلك كان من ظن أنه إذا تقرب إلى غيره بعبادة ما يقربه ذلك الغير إليه تعالى، فإنه يخطئ لكونه شبهه به، وأخذ مالا ينبغي أن يكون إلا له، فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه، فهذا قبيح عقلاً وشرعاً، ولذلك لم يشرع، ولم يغفر لفاعله". (٢)

(١) الإمام أحمد، المسند، ٢/٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢، مرجع سابق .

- ومسلم، صحيح مسلم، رواه عن أبي هريرة وأبي سعيد - بلفظ قريب من هذا -

كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، ٢٠٢٣/٤، مرجع سابق.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع

١٣٩٧/٢ مرجع سابق.

- وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب ماجاء في الكبر ٣٥٠/٤،

مرجع سابق.

(٢) المقرئزي، أحمد بن علي بن عبد القادر، تجريد التوحيد المفيد، تحقيق

علي حسن عبد الحميد، ص ٤٣-٤٧ - باختصار - دار عمار، عمان، ط ١،

١٤٠٧هـ.

وقال سيد قطب رحمه الله: "إن الشرك في صميمه هو الاعتراف لغير الله سبحانه بإحدى خصائص الألوهية... سواء كانت هي الاعتقاد بتسيير إرادته للأحداث ومقادير الكائنات، أو كانت هي التقدم لغير الله بالشعائر التعبدية، والندور وما إليها، أو كانت هي تلقي الشرائع من غير الله لتنظيم أوضاع الحياة... كلها من ألوان الشرك، يزاولها ألوان من المشركين، يتخذون ألوانا من الشركاء!". (١)

وتجدر الإشارة إلى أن كلمتي الكفر والشرك بينهما علاقة.

فالكفر أعم من الشرك، إذ إن من الشرك مالا يكون كفرا، وهو الشرك الأصغر، كما ورد بيانه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يعتبر فاعله كافرا (٢) خارجا عن الملة.

ولكن الشرك الأكبر هو أعظم أنواع الكفر، كما ورد في القرآن والسنة، من تعظيم ذنب فاعله، وأن الله لا يغفره له إن مات عليه، واستباحة دمه وماله، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) (٣) لهذا كان على المسلم أن يتبين ذلك حتى لا يطلق كلمة منهما في غير محلها.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٠٦٣/٢، مرجع سابق.

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١٠٨، دار الشروق، جدة، ط ٥، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة النساء ١١٦، ٤٨.

ثالثا : أنواع الشرك :

الشرك نوعان : الشرك الأكبر، ويسمى أيضا : الشرك الظاهر.

- الشرك الأصغر، ويسمى أيضا : الشرك الخفي .

١ - الشرك الأكبر :

وهذا النوع من الشرك ينافي التوحيد بالكلية، ويخرج صاحبه من الإسلام، ويخلد صاحبه في النار، قال تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما). (١)

وقال سبحانه: (ومن يشرك بالله فقد ضل ضللا بعيدا). (٢)

وقال أيضا: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يبني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار). (٣)

وقال تعالى: (فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق). (٤)

وقال تعالى لصفوة خلقه وهم الرسل - عليهم الصلاة والسلام - بعد أن أثنى عليهم: (ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ماكانوا يعملون). (٥)

وقال لخاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم: (ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخسرين . بل الله فاعبد وكن من

(١) سورة النساء ٤٨ .

(٢) سورة النساء ١١٦ .

(٣) سورة المائدة ٧٢ .

(٤) سورة الحج ٣٠، ٣١ .

(٥) سورة الأنعام ٨٨ .

الشُّكْرِين). (١)

والآيات كثيرة في هذا الموضوع.

قال في معارج القبول: "فالشرك أعظم ذنب عمي الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره، وأنه لأضل من فاعله، وأنه مخذ في النار أبداً، لا نصير، ولا حميم، ولا شفيح يطاع، وأنه لو قام لله تعالى قيام السارية ليلاً ونهاراً ثم أشرك مع الله تعالى غيره لحظة من اللحظات ومات على ذلك فقد حبط عمله كله بتلك اللحظة التي أشرك فيها، ولو كان نبياً رسولا، ولو كان محمداً صلى الله عليه وسلم، وهذا من تقدير وقوع المحال، وهو كثير في اللغة العربية، أي لو قدر وقوع ذلك من ملك أو رسول لكان كغيره من المشركين في حبوط عمله، وطول غضب الله عليه". (٢)

ومن الأحاديث الواردة في ذلك :

ما روي عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار] وقلت أنا: من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة. (٣)

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه - أيضاً - قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: [أن تجعل لله نداً وقد خلقك] قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: [وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك] قلت: ثم أي؟ قال: [أن تزاني طيلة جارك]. (٤)

والأحاديث في الصحاح والسنن كثيرة في بيان الشرك وعظم ذنبه.

(١) سورة الزمر ٦٥، ٦٦ .

(٢) حافظ الحكمي، معارج القبول، ٤٣٦/١، ٤٣٧، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من كان آخر كلامه لا إله إلا الله، ٦٩/٢، ٧٠، مرجع سابق.

(٤) متفق عليه، انظر ص ١٤٠ .

والشرك الأكبر نوعان :

أ - الأول : شرك في الربوبية .

ب - الثاني : شرك في الألوهية .

أ - فأما الشرك في الربوبية : فهو أن يجعل مع الله غيره في التدبير والتصرف، كما قال تعالى: (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير)(١) فبين سبحانه في هذه الآية ثلاثة أمور :

الأول : أنهم لا يملكون ذرة استقلالاً.

الثاني: لا يشركونه في شيء من ذلك.

الثالث: لا يعينونه على ملكه.(٢)

ومن لم يكن مالكا، ولا شريكا، ولا عوناً فقد انقطعت علاقته.(٣)

والرب سبحانه هو المالك المدبر، المعطي المانع، الضار النافع، المعز المدل، فمن شهد أن المعطي أو المانع، أو الضار أو النافع، أو المعز أو المدل غيره فقد أشرك بربوبيته.(٤)

ب - وأما الشرك في الألوهية :

فهو : أن يجعل لله ندا - أي مثلاً - في عبادته أو محبته أو خوفه أو رجائه أو إنابته.

(١) سورة سبأ ٢٢ .

(٢) انظر : ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم ٧٠٣/٢ ، مرجع سابق.

- وذكرياً علي يوسف، الإيمان وآثاره، والشرك ومظاهره، ص ٨٠، مكتبة السلام العالمية، القاهرة، ط ٢ .

(٣) ابن تيمية، المرجع السابق.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى (١/٩٢) مرجع سابق.

وهذا الشرك هو الذي قاتل عليه النبي - صلى الله عليه وسلم - مشركي العرب (١)، وهو كذلك أكثر شرك الأمم (٢)، وقد كان أهم ما جاءت به دعوة الرسل التحذير منه، وإقرار ما يقابله من توحيد الإلهية، إذ إن منكري الربوبية أو المشركين فيه أقل من أمثالهم في شرك الإلهية.

قال تعالى في هذا النوع من الشرك : (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين أشد حبا لله ...) (٣)

وقال تعالى: (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض سبحانه وتعالى عما يشركون). (٤)

وقال تعالى: (ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار). (٥)

ولما كان هذا النوع من الشرك هو السائد في الأمم، وهو الذي كان عليه مشركو العرب في الجاهلية، فإن كثيرا من العلماء قديما وحديثا عندما يتحدثون عن الشرك الأكبر فهم يعنون شرك الإلهية.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والشرك فأحذره فـشرك ظاهـر	ذا القسـم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كا	ن من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه	ويحببه كمحبة الديان

(١) انظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٩١/١، مرجع سابق.

(٢) انظر : حافظ الحكمي، معارج القبول ٤٢٥/١، مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة ١٦٥ .

(٤) سورة يونس ١٨ .

(٥) سورة الزمر ٣ .

خلق ولا رزق ولا إحسان
ق مولى الفضل والإحسان
حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا المحبة قط للرحمن
عادوا أحبته على الإيمان
محبوبه ومواقع الرضوان (١)

والله ما ساووهم بالله في
فالله عندهم هو الخلاق والرضا
لكنهم ساووهم بالله في
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما
لو كان حبهم لأجل الله ما
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، الكافية الشافية في الانتصار
للفرقة الناجية، المعروفة بالقصيدة النونية، ص١٥٧، إدارة ترجمان
السنة، لاهور ١٣٩٧هـ.

٢ - الشرك الأصغر :

وهذا الشرك يختلف عما قبله في أن فاعله لا يخرج به من الملة، ولا يعتبر كافرا بخبر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وقد سماه عليه الصلاة والسلام بهذا الاسم - الشرك الأصغر - وبين معناه لأصحابه فقال: [إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر، قالوا: وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال الرياء ...]. (١)

وبهذا فسر قول الله عز الله وجل: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا). (٢)

قال الإمام الطبري: "وقوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يقول: ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه، وإنما يكون جاعلا له شريكا بعبادته إذا رأى بعمله الذي ظاهره لله وهو يريد به غيره". (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: [يا أيها الناس: اتقوا هذا الشرك، فإنه أخفى من دبيب النمل] فليل له: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: [قولوا: اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما نعلم]. (٤)

(١) الإمام أحمد، المسند ٤٢٨/٥، ٤٢٩، مرجع سابق .

قال في مجمع الزوائد: "رجاله رجال الصحيح". ١٠٢/١، مرجع سابق.

(٢) سورة الكهف ١١٠ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن، ٣٢/١٦، مرجع سابق.

- وانظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ١٠٨/٤، مرجع سابق.

(٤) الإمام أحمد، المسند، ٤٠٣/٤، مرجع سابق.

قال في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح غير أبي علي، ووثقه ابن حبان. انظر: الهيتمي، مجمع الزوائد ٢٢٤/١٠، مرجع سابق.

- وابن حبان البستي، الثقات ٥٦٢/٥، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ط ١، ١٣٩٩ هـ .

والأحاديث في التحذير من هذا النوع من الشرك كثيرة .
وقال الراغب الأصفهاني: "الشرك الصغير هو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق المشار إليه بقوله: (فلما آتتهما ملحا جعلنا له شركاء فيما آتتهما فتعالى الله عما يشركون). (١)
وقال تعالى: (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) (٢) أي واقعون في شرك الدنيا، أي حبالتها.

ولفظ الشرك من الألفاظ المشتركة .

وقوله: (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) (٣) محمول على الشركين". (٤)
ونلاحظ أنه ذكر في تعريفه للشرك الأصغر بأنه الرياء والنفاق .
والرياء قد يطلق في كتاب الله كثيرا ويراد به النفاق الذي هو أعظم الكفر، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، ومن ذلك قوله تعالى: (... كالذي ينفق ماله رياء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين). (٥)

وقوله تعالى: (إن المنافقين يخدعون الله وهو خادعهم وإذا قاموا إلى الصلوة قاموا كسالى يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا). (٦)
وغيرها من الآيات النازلة في المنافقين بلفظ الرياء، أو ما في معناها.

(١) سورة الأعراف ١٩٠ .

(٢) سورة يوسف ١٠٦ .

(٣) سورة الكهف ١١٠ .

(٤) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص٢٦٠، - باختصار - مرجع سابق .

(٥) سورة البقرة ٢٦٤ .

(٦) سورة النساء ١٤٢ .

والفرق بين هذا الرياء الذي هو النفاق، وبين الرياء الذي سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - شركاً أصغر خفياً، هو نية الفاعل .
فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: [إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه]. (١)
فالنية هي الفرق في العمل؛ في تعيينه، وفيما يراد به. (٢)

- ويلحق بالشرك الأصغر الطف بغير الله عز وجل، كالطف بالنبي، أو الآباء والأمهات، والأبناء، والأمانة، وغير ذلك.
عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أدرك عمر بن الخطاب، وهو في ركب، وهو يطف بأبيه، فقال: [لأن الله ينهاكم أن تحفظوا آبائكم، من كان حالفاً فليطف بالله أو ليصمت]. (٣)
وسمع ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يقول: لا، والكعبة، فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: [من

(١) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢/١، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: [إنما الأعمال بالنية].. ١٥١٥/٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: حافظ بن أحمد الحكمي، معارج القبول ١/٤٥٣-٤٥٥، مرجع سابق.

(٣) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير اكفار من قال ذلك متأولاً أو جاهلاً، ٩٨/٧، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب النهي عن الطف بغير الله تعالى، ١٢٦٧/٢، مرجع سابق.

حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك]. (١)

ومن المفيد أن نذكر العلاج النبوي لمن ابتلي بهذا الأمر، وذلك ما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [من حلف فقال في حفه باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله]. (٢)

- ويلحق بالشرك الأصغر أيضا: العطف على اسم الله عز وجل بما يوهم الندية مثل: "ما شاء الله وشئت".

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما شاء الله وشئت، فقال: [أجعلني لله عدلا؟ بل ما شاء الله وحده]. (٣)

(١) أبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأيمان والندور، باب في كراهية الطف بالآباء، ٥٧٠/٣، مرجع سابق.

- والترمذي، سنن الترمذي، كتاب الندور والأيمان، باب ماجاء في كراهية الطف بغير الله، وقال: هذا حديث حسن، ١١٠/٤، مرجع سابق.

- والحاكم، وقال: صحيح على شرط الشيخين، فقد احتجا بمثل هذا الإسناد، وخرجاه في الكتاب، وليس له علة، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص، انظر: المستدرک وبهامشه التلخيص (١/١٨)، مرجع سابق.

(٢) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لم ير اكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا ٩٧/٧، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الأيمان، باب من طف باللات والعزى فليقل: لا إله إلا الله، ١٢٦٧/٣، مرجع سابق.

(٣) الإمام أحمد، المسند، ٢١٤/١، ٢٢٤، ٢٨٣، ٢٤٧، مرجع سابق.

وقال العلامة أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، وما وجدت هذا الحديث في غير المسند، انظر: مسند الإمام أحمد بشرح وفهرسة العلامة أحمد محمد شاكر ٢٩٦، ٢٥٢/٣، ١٩٢/٤، ٨٥/٥، دار المعارف بمصر ١٣٧٧هـ.

وعن حذيفة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال:
[لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا: ما شاء الله ثم شاء فلان]. (١)
وكذلك مثل: "لولا الله وفلان" فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - في قول
الله عز وجل: (فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون) (٢) قال: "الأنداد: الشرك؛
أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول: والله
وحياتك يافلان وحياتي.

ويقول: لولا كليببة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى
اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان،
لاتجعل فيها فلانا، هذا كله به شرك". (٣)

- ويلحق بالشرك الأصغر - أيضا - نسبة أمر من الأمور التي لا يقدر عليها إلا
الله سبحانه وتعالى، قولاً لا اعتقاداً (٤).

ومن ذلك نسبة المطر إلى النجوم والكواكب والأنواء، ونسبة الشفاء إلى
الطبيب، ونحو ذلك.

فعن زيد بن خالد الجهني - رضي الله عنه - قال: صلى لنا رسول الله - صلى
الله عليه وسلم - صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليلة، فلما

(١) الإمام أحمد، المسند، ٣٨٤/٥، ٣٩٤، ٣٩٨، مرجع سابق.

- وأبو داود، كتاب الأدب، باب لا يقال: خبثت نفسي، ٢٥٩/٥، مرجع سابق.

وقال الألباني: صحيح، انظر: صحيح الجامع الصغير ١٧١/٦، المكتب الإسلامي،
بيروت ودمشق، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

(٢) سورة البقرة ٢٢ .

(٣) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ٥٨/١، مرجع سابق.

(٤) لأنه إذا اعتقد ذلك أصبح مشركاً شركاً أكبر، انظر: ابن حجر، فتح الباري،
٦٠٨/٢، مرجع سابق.

- والنووي، شرح النووي على صحيح مسلم، ٦٠/٢، مرجع سابق.

- وعبد الرحمن بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد ص ٢٢٣، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

انصرف أقبال على الناس فقال: [هل تدرون ماذا قال ربكم؟] قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: [أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب]. (١)

وبعد ... فهذه أقسام الشرك، كما وردت في القرآن والسنة، ومعلوم أن الإسلام جاء بدعوة التوحيد، وحماية جنابه، وسد طرق الشرك ومداخله، فالتوحيد والشرك نقيضان لا يجتمعان، فما دخل الشرك في أمة إلا وذهب التوحيد، لهذا كان الاهتمام بالشرك وبيانه، وتحذير المسلمين منه منهج الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنهج أصحابه رضوان الله عليهم، وهو أيضا منهج السلف الصالح، وعلماء الأمة المظلمين قديما وحديثا.

وقد بينا في مبحث التوحيد في الفصل الأول من الباب الأول ما ينبغي أن يكون عليه المسلم من توحيد الله وإخلاص العبادة له.

كما أشرنا في مبحث "البدع" إلى أن هناك كثيرا من البدع هي في الحقيقة مداخل للشرك ومقدمات له، كالملاحة عند القبور، والطواف بها، ونحو ذلك، وأوردنا فيه بعضا من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم في النهي عن ذلك مما يغنينا عن الإعادة، لكن لابد من التأكيد على أهمية التوحيد، وبيانه للناس، وكذلك أهمية بيان الشرك، ومسبباته، إذ إنه بهذين الأمرين تحصل المناعة والحصانة للمجتمع المسلم.

وقد أشار ابن القيم - رحمه الله تعالى - إلى أسباب افتتان عباد القبور بها مع العلم أن ساكنيها أموات لا يملكون لهم ضرا ولا نفعا، ولا موتا ولا حياة، ولا نشورا، فذكر أمورا منها: " الجهل بحقيقة ما بعث الله به رسوله، بل جميع

(١) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب يستقبل الإمام الناس ان سلم، ٢٠٥/١، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال: مطرنا بالنوء ٨٣/١، مرجع سابق.

الرسول من تحقيق التوحيد، وقطع أسباب الشرك، فقل نصيبهم جدا من ذلك، ودعاهم الشيطان إلى الفتنة، ولم يكن عندهم من العلم ما يبطل دعوته، واستجابوا له بحسب ما عندهم من الجهل، وعصموا بقدر ما عندهم من العلم". (١)

رابعاً : نماذج من الشراكيات المعاصرة :

١ - الشرك الأكبر :

أ - شرك الربوبية :

قد يستغرب البعض وجود هذا النوع من الشرك في العصر الحاضر، خاصة وأننا قد عرفنا أن أكثر شرك الأمم هو في الألوهية، وأن شرك العرب خاصة كان في الألوهية أيضاً عند مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم .

لكن ذلك هو الواقع، والحقيقة التي لا مناص من التصريح بها، فهذا الشرك موجود في بعض مجتمعات المسلمين، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم، وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: [لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا، وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: فمن!]. (٢)

والاستغراب من وجود هذا الشرك اليوم سيزول بعد الوقوف على بعض مظاهره ومعرفتها، حتى يكون المسلم على بينة من ذلك، فيحذر ويحذر من يلقاه من المسلمين عن ذلك الأمر الشنيع الذي يدل على انحراف عقدي خطير، وعقلية ضالة عن هدى الله وفطرته لعباده، الذين يأبى أكثرهم الإشراك به في ربوبيته، وإن كان قد أشرك به في غير ذلك.

(١) ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر، إغاثة اللفهان ١/٣٢٢، مرجع سابق.

(٢) متفق عليه، سبق تخريجه ص ١٣١ .

١ - اعتقاد بعض المسلمين أن هناك أسيادا للوجود من البشر، وخاصة الأولياء والصالحين، ويسمونهم "أقطابا، جمع قطب" و هو يعني عند المتصوفة: "سيد الوجود في كل عمر". (١)

فيعتقدون أن لهم قدرا من التصرف في الكون، وحياة الناس. (٢)
ومن ذلك قول أحدهم في أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يتصرف بأقطار الأرض: "إنه صلى الله عليه وسلم يحضر كل مجلس، أو مكان أراد، بجسده، وروحه، وأنه يتصرف ويسير حيث شاء في أقطار الأرض والملكوت، وهو بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يتبدل منه شيء". (٣)

ويقول آخر عن أحد الأولياء: "رأيت وليا بلغ مقاما عظيما، وهو أنه يشاهد المخلوقات الناطقة والمامتة، والوحوش، والحشرات، والسموات، ونجومها، والأرضين، وكرة العالم بأسرها تستمد منه، و يسمع أصواتها، وكلامها في لحظة واحدة، ويمد كل واحد بما يحتاجه، ويعطيه ما يصلحه من غير أن يشغله هذا عن ذلك". (٤)

وقال آخر ناقلا عن وليه قوله عن الخليفة الولي: "له التصرف العام، والحكم الشامل العام في جميع المملكة الإلهية، وله بحسب ذلك الأمر والنهي، والتقرير والتوبيخ، والحمد والذم، على حسب مراد الخليفة، سواء كان نبيا أو وليا، مستوون في هذه المرتبة..". (٥)

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله. ط ١، ١٤٠٨ هـ.

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ٩٨، مرجع سابق.

(٣) عمر بن سعيد الفوتي، رماح حزب الرحيم ٢١٩/١، مطبوع بهامش جواهر المعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٣٩٣ هـ.

(٤) عبد الرحمن الوكيل، هذه هي الصوفية، ص ١١١، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩ م.

(٥) علي حرازم، جواهر المعاني، ٢/٧٩، ٨٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢،

ولست أعتقد أن القائل يؤمن بالله، فأيمانه بهذا الولي المتصرف - في نظره - يزيل كل معنى لربوبية الخالق جل وعلا، فهو قد سلبه صفاته، وأعطاهما لهذا المخلوق !.

"ومن هنا تعلقت قلوب كثير من الناس بالمالحين، وهتفت بهم الألسنة، واستغيث بهم، ودعوا عند الشدائد، ونودوا للخلاص من المحن، وهو مظهر واضح للشرك في الربوبية، لما فيه من اعتقاد التصرف والتدبير في الكون لغير الله تعالى، أو له ولغيره سبحانه وتعالى". (١)

٢ - ادعاء علم الغيب، واعتقاد بعض جهلة المسلمين أن من البشر من يعلم الغيب، فيخافونهم ويرجونهم أكثر مما يخافون ويرجون الله سبحانه وتعالى.

فهذا أحد أتباع أحمد التجاني (٢) يزعم أن شيخه يعلم الغيب فيقول:

"ومن كماله - رضي الله عنه - نفوذ بصيرته الربانية، وفراسته النورانية التي ظهر بمقتضاها في معرفة الأصحاب وفي غيرها من إظهار مضمرة، وإخبار بمغيبات، وعلم بعواقب الحاجات، وما يترتب عليها من المصالح والآفات، وغير ذلك من الأمور الواقعة، فيعرف أحوال قلوب الأصحاب وتحول حالهم، وإبدال أغراضهم، وحالة إقبالهم وإعراضهم، وسائر عللهم وأمراضهم، ويعرف ما هم عليه ظاهرا وباطنا، وما زاد وما نقص، ويبين ذلك في بعض الأحيان، وتارة يستره رفقا بهم من الاختبار والامتحان، واتفق لغير واحد معه في ذلك قضايا غير ما مرة". (٣)

(١) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص٩٨، ٩٩، مرجع سابق.

(٢) أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التجاني، أبو العباس، شيخ الطائفة "التجانية" ولد عام ١١٥٠هـ، تصوف ووعظ وأقام مدة بفاس وتلمسان، توفي عام ١٢٣٠هـ. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ١/٢٤٥، مرجع سابق.

(٣) علي حرازم، جواهر المعاني ١/٤٧، مرجع سابق.

وهذا آخر يقول عن وليه: "احتى إذا حفته العناية الأزلية من الله تعالى،
يجتمع بالأولياء والأقطاب، ويعرف ما يجري في الأكوان". (١)

وهذا الاعتقاد الفاسد موجود لدى أكثر الفرق الصوفية، ومنها - على سبيل
المثال - النقشبندية (٢) وما ذكرناه من نقول عن أتباع التجانية وغيرها.

وقد زعم بعض المنحرفين أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يعلم الغيب،
واحتجوا بإخباره بكثير من المغيبات، كالفتن، وعزة الإسلام، ونحو ذلك مما وقع
وسيقع.

ولا شك أن هذا خطأ كبير، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - إنما يقول
مأعلمه الله وأطلعته عليه، وأذن له فيه من الغيب (٣) كما قال تعالى: (علم
الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه
ومن خلفه رصدا . ليلعلم أن قد أبلغوا رسالت ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل
شئ عددا). (٤)

وقال تعالى: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب). (٥)
وقد اختص الله نفسه بعلم الغيب بصريح القرآن، فقال سبحانه: (قل لا يعلم
من فى السموات والأرض الغيب إلا الله). (٦)

(١) انظر: محمد سعيد الجابري، النقد والتزييف، ص٦٦، المكتب الإسلامي، بيروت
ودمشق، ط ٢، ١٤٠٢ هـ.

(٢) انظر: عبد الرحمن دمشقية، النقشبندية عرض وتطيل، ص٦٣-٦٦، دار طيبة،
الرياض، ط ١، ١٤٠٤ هـ.

(٣) انظر: د. عاصم بن عبد الله القريوتي، جهالات خطيرة في قضايا اعتقادية
كثيرة، ص٢٠، مكتبة التوعية الإسلامية، الطالبية، الجيزة بمصر، ط ٢،
١٤٠٧ هـ.

(٤) سورة الجن ٢٦-٢٨ .

(٥) سورة الأنعام ٥٠ .

(٦) سورة النمل ٦٥ .

كما أن لهذا الاعتقاد الفاسد مظهرا آخر، وهو إتيان الكهان، والعرافين،
وسؤالهم، ثم تصديقهم. (١)

وقد صح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: [من أتى عرافا أو
كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم]. (٢)
وقال عليه الصلاة والسلام: [من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة
أربعين يوما]. (٣)

والخلاصة أن ادعاء علم الغيب، أو اعتقاد أن أحدا من البشر يعلم الغيب
شرك في ربوبية الله سبحانه، ومنازعة له في صفة من صفاته جل وعلا.

٣ - تقديس كثير من جهال المسلمين للمشايخ من رجال التصوف والطرق
المنحرفة وطاعتهم في مخالفة أمر الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وقبول
ما يشرعون لهم من البدع وسنن الباطل، وترك هدي الله ورسوله صلى الله عليه
وسلم، ومعاداة أهل السنة والجماعة والداعين إلى السنة، والاستجابة المطلقة
لهم.

فهذا أحدهم يبتدع ذكرا من عنده، ويسميه بملاة الفاتح لما أغلق، ويدعي
أنها تعدل من القرآن ست مرات في الفضل، ثم إن المرة الواحدة منها تعدل من

(١) انظر: د. عاصم القريوتي، جهالات خطيرة، ص ٢١، مرجع سابق.

- ويوسف البرقاوي، وعبد الرؤوف العبوشي، أوهابية أم قرآن وسنة؟! ص ١٤،
دار عمار، ودار الفيحاء، عمان، ط ١، ١٤٠٦ هـ.

(٢) رواه الحاكم ومحمه، وقال: هذا حديث صحيح على شرطهما - الشيخين - جميعا
من حديث ابن سيرين، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص (١/٧، ٨، مرجع
سابق).

(٣) مسلم، صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان ١٧٥١/٤،
مرجع سابق.

كل تسبيح وقع في الكون، ومن كل ذكر، ومن كل دعاء كبير أو صغير، ومن القرآن ستة آلاف مرة. (١)

ثم يأتي زال آخر، ويقوم بشرح صلاة الفاتح، ويعتني بها على ما فيها من الأمور الشركية الكثيرة مما ذكرناه، وغيره أكثر منه، وهذا دليل واضح على استحسان هذا الضال الجديد لها، والدعوة إليها، مع أنه يعرف أنها تفضل عند أصحابها على القرآن الكريم.

وتفضيل كلام المخلوق على كلام الخالق كفر بإجماع المسلمين. (٢)

فهذا الأمر اذا تدخل ومنازعة في حق الله سبحانه، وإحدى صفاته، لأنه هو المشرع سبحانه، وليس لأحد أن يشرع شيئاً من العبادات أو غيرها، بل إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لا يملك هذا الحق استقلالاً، فهو مبلغ عن ربه عز وجل، قال تعالى: (وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى). (٣)

ومظهر آخر لهذا الأمر يتمثل في الخضوع للحكام غير المسلمين، والخضوع التام لهم، وطاعتهم بدون إكراه لهم، حيث حكموهم بالباطل، وساسوهم بقوانين الكفر والضلال، فأحلوا لهم الحرام، وحرّموا عليهم الطلال، فأطاعوهم في كل ذلك، ولم ينكروا عليهم.

إن الاتصاف بهذا والذي قبله من طاعة الأولياء والحكام في معصية الله بدون إكراه، والقيام عليه، والرضا به شرك ظاهر في ربوبية الله تعالى. (٤)

(١) علي حرازم، جواهر المعاني، ١/١٠٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، كمال الأمة في صلاح عقيدتها، ص ١٠، ردا على كتاب الذخائر، لمحمد بن علوي المالكي.

(٣) سورة النجم، ٤، ٣ .

(٤) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ٩٩-١٠١، مرجع سابق.

٤ - ان شرك الألوهية بمظاهره المتعددة من العبادة، والدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، والخوف، والرجاء، وغير ذلك، يستلزم في غالب الأحيان شرك الربوبية، وذلك أن من دعا أحدا فقد اعتقد فيه صفة الاستجابة، وكذلك من استعان أو استغاث بأحد غير الله من الأولياء والمقبورين، فقد اعتقد فيه القدرة على تفريج الهم، وازهاب الكرب، وتلك كلها صفات لله سبحانه وتعالى.

وانك لتعجب عندما ترى أناسا يخافون الجن ويرهبونهم، ويقدمون القرابين والنذر لهم على حافات الآبار عند حفرها، وعلى أعتاب المنازل عند إتمام بنائها، وإرادة السكن بها، كل هذا موجود بين جهال المسلمين، وهو شرك ظاهر في ربوبية الله تعالى (١) لما فيه من الاعتقاد الباطل الذي نتج عنه هذا الشرك في العبادة من الذبح، والاستعانة، والاستغاثة.

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص٩٩، مرجع سابق.

ب - شرك الألوهية :

هذا النوع من الشرك الأكبر هو الأكثر انتشارا في العرب قديما، وفي الأمة الإسلامية حديثا، ويسمى بشرك العبادة، لأن الألوهية من إله، بمعنى مالوه، أي معبود. (١)

فهو إذا الشرك بعبادة الله سبحانه التي لايتوجه بها إلا إليه، وهو ضد توحيد الألوهية، والذي يعني أفراد الله تعالى بالعبادة.

وقد بين الوحي بنوعيه؛ القرآن والسنة عبادات الله سبحانه؛ فهي توقيفية ليس لأحد أن يشرع أو يتبع خلافا، وإلا كان مبتدعا.

وأمر سبحانه بإخلاص العبادة له جل وعلا، وأمر نبيه - صلى الله عليه وسلم - بذلك، ومن فعل خلاف ذلك كان مشركا، قال تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا) (٢) وقال تعالى: (وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلوة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة). (٣)

والعبادة - كما هو معلوم - تشمل الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، والشرك فيها كذلك يكون ظاهرا وباطنا، أما الشرك الظاهر فهو ما سنعرض نماذج له بعد قليل، لكن الشرك الباطن لايمكن رؤية مظاهره، لأنه من أعمال القلوب، فالمحبة، والرجاء، والرغبة، والخشية، والخوف، والتوكل، والإنابة، كلها أعمال قلبية، نكتفي بالتنبيه عليها، وأنه لايتوجه بها إلا لله سبحانه وتعالى، ومن توجه بشيء منها إلى أحد من خلقه على وجه الندية والمماثلة في التوجه إلى الله فقد أشرك شركا أكبر، هذا بالإضافة إلى أن الشركيات الظاهرة يتلبسها كثير من الشركيات الباطنة.

(١) راجع تعريف الألوهية ص ٤١.

(٢) سورة النساء ٣٦ .

(٣) سورة البينة ٥ .

فالمحبة هي حب الله تعالى، وحب كل ما يحبه، ومن يحبه من عقائد وأعمال الخير، أو الأنبياء والمالحين من العباد. (١)

فمحبة غيره سبحانه يجب أن تكون تبعاً لمحبتة جل وعلا، قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله). (٢)

وقال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم). (٣)

أما الرجاء والرغبة، فالرجاء هو الأمل في الخير، أما الرغبة فهي حب الخير وإرادته، وهي من العبادات التي تعبد الله بها المؤمنين. (٤)

قال تعالى: (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً). (٥)

وقال تعالى: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً). (٦)

أما الخشية والخوف فقد قال الله سبحانه آمراً بعبادته بخشيته وحده، والخوف منه دون غيره: (فلا تخشوا الناس واخشون). (٧)

وقال سبحانه: (فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين). (٨)

(١) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١١٤، مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة ١٦٥ .

(٣) سورة آل عمران ٣١ .

(٤) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١١٥، مرجع سابق.

(٥) سورة الكهف ١١٠ .

(٦) سورة الأحزاب ٢١ .

(٧) سورة المائدة ٤٤ .

(٨) سورة آل عمران ١٧٥ .

أما التوكل فقد وردت فيه آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وتوكل على الله وكفى بالله وكيلًا). (١)

وقوله تعالى : (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) (٢)

وقوله تعالى : (وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين). (٣)

فعلى المؤمن أن يتوجه إلى الله بقلبه كما يتوجه إليه بأعماله ليكون إخلاصه لله في كل شيء.

وينبغي التأكيد على أن أمراض القلوب أشد خطرا وفتكا من أمراض الجوارح - في مجال العبادة -، ذلك أن أمراض القلوب تفسد المعتقد، فلا يتقبل الله من هذا المشرك عملا بعد ذلك، كما أنها هي السبب الرئيسي في أمراض الجوارح، فمن رجا أحدا دعاه، واستغاث به، ومن خاف أحدا ورهبه استعاذ به، ومن توكل على أحد وثق فيه، وأسلم إليه أمره، وتوجه إليه بالتعظيم والتقديس، وهذا كله يوضح أهمية التوعية، وبناء المسلمين من داخل أنفسهم لتحصينهم من تلك العقائد الباطلة.

- أما مظاهر شرك الألوهية، فمنها :

١ - الدعاء والاستعانة والاستغاثة :

الدعاء والاستعانة والاستغاثة؛ ألفاظ متقاربة المعاني، وإن كان لكل واحدة منها خصوص.

فالدعاء وهو سؤال الرغائب، وطلب الحاجات في طبع نفع أو دفع ضرر ممن يملك ويقدر (٤) وهو من أعظم العبادة، ولا تصرف إلا لله عز وجل، قال تعالى: (ولا تدع

(١) سورة الأحزاب ٤٨ .

(٢) سورة إبراهيم ١٢ .

(٣) سورة المائدة ٢٣ .

(٤) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص١١٨، مرجع سابق.

من دون الله مالا ينفك ولا يضرك...) (١).
وقال تعالى : (وَأَنْ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا). (٢)
وقال تعالى: (ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم
فليستجيبوا لكم إن كنتم مُدْعِينَ). (٣)
والاستعانة هي طلب العون والمعونة على قضاء الحاجة، أو خروج من محنة. (٤)
وهي نوع من الدعاء فلا يطلب العون إلا من القادر.
وقد أرشد الله عباده للاستعانة به دون سواه، قال تعالى: (إياك نعبد
وإياك نستعين). (٥)
وقال النبي - صلى الله عليه وسلم - لابن عمه عبد الله بن عباس - رضي
الله عنهما - مرشدا له: [يا غلام إني أعلمك كلمات تحفظهن، إذا سألت فاسأل
الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...]. (٦)
والاستغاثة : هي طلب الغوث والغيث، وهو ما يغاث به المضطر، ويعان به من
طعام، أو شراب، أو نصر، أو خلاص من شدة، وإنقاذ من محنة، وهي من جنس
الدعاء، فلا تطلب كذلك إلا من قادر. (٧)
ولا يستغاث إلا بالله عز وجل في الشدة والمكروب، قال تعالى: (إذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين). (٨)

-
- (١) سورة يونس ١٠٦ .
 - (٢) سورة الجن ١٨ .
 - (٣) سورة الأعراف ١٩٤ .
 - (٤) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١٢٠، مرجع سابق.
 - (٥) سورة الفاتحة ٥ .
 - (٦) الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة، باب (ولكن يا حنظلة ساعة وساعة) ٢٠٣/٧ مرجع سابق.
 - (٧) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١١٩، مرجع سابق.
 - (٨) سورة الأنفال ٩ .

وتجدر الإشارة إلى أن سؤال الحي من الناس والاستعانة به واستغاثة إذا كان قادرا على العطاء والعون والغوث، وكان قريبا من الداعي يسمعه أو يراه، ولم يكن دعاؤه واستعانته واستغاثته على وجه الندية لما يتوجه به منها لله، فإن ذلك جائز وليس شركا (١) على أن يكون قلب الإنسان معلقا بالله أولا وأخيرا، فهو سبحانه منشئ الأسباب والنتائج. (٢)

والشرك بالله المتمثل في هذه الجوانب موجود في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، فلا يكاد يوجد قبر مرفوع يعظمه الناس إلا ويصرفون له أنواعا من الشرك، منها الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، كما هو حاصل عند قبر البدوي، والجيلاني، والحسين، وغيرها، بل إن كثيرا من المسلمين يدعون هؤلاء عند الحاجة، ويستغيثون بهم حتى لو لم يكونوا قريبين منهم، مما يدل على تغلغل هذا النوع من الشرك أعادنا الله منه.

قال أحد الباحثين: "من يمر على مسجد أبي العلاء بجهة بولاق بالقاهرة، يجد هذه العبارة المكتوبة على باب المسجد:

حسن الظن والتجي

قف على الباب خاضعا

لقضاء الحوائج (٣)

فهو باب مجرب

فهذه الشركيات منتشرة كثيرا في البلاد الإسلامية، وخاصة في البلاد التي تكثر فيها الأضرحة والقبور للأولياء والمالعين، وقد كان مشركو العرب يخطون الدعاء لله في حالة الشدة، والاستعانة والاستغاثة به وحده سبحانه، فإذا زالت هذه الشدة أشركوا به، كما قال تعالى: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مظلمين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون). (٤)

(١) انظر: عبد الرحمن بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد ص ١١٧، مرجع سابق.

(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ٥٠٣/١، مرجع سابق.

(٣) سعد صادق محمد، صراع بين الحق والباطل، ص ٧٤، مرجع سابق.

(٤) سورة العنكبوت ٦٥ .

أما المشركون في زماننا فإنهم يدعون هؤلاء المقبورين، ويستعينون بهم، ويستغيثونهم في حال الرخاء والشدة، بل قد تزيدهم الشدة لجوءاً إلى هؤلاء المقبورين فيزيدون في شركهم، فهذه امرأة تريد زوجاً، وتلك تريد ولداً (١)، وآخر يطلب شفاءً ولده (٢) وعودة غائبه، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله. وهذه المعتقدات تدل على أن معتقدها أخطأ فكراً، وأقبح جهلاً، وأبعد كفراً من مشركي العرب الذين يظلمون الدعاء لله في حال الشدة، واضطراب الموج، كما حكى الله عنهم في كتابه. (٣)

٢ - الذبح لغير الله :

الذبح عبادة من العبادات يتقرب المسلم بها إلى ربه بإذهاق أرواح البهائم بأحد الوسائل المشروعة ذاكراً اسم الله عليها، ابتغاء ثواب الله تعالى ومرضاته، مثل : الأضحية، والعقيقة، والهدي في الحج، ونحوها، وكذلك ما يدخل في مقاصد الشريعة من إكرام الضيف، وإطعام الطعام ونحو ذلك. وقد أمر الله سبحانه بأن تكون خالصة لا يشرك بها غيره، قال تعالى: (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العلمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين) (٤)

وقال تعالى: (فصل لربك وانحر). (٥)

(١) انظر: أحمد الحمين، الخضر وآثاره بين الحقيقة والخيال، ص ٢٧، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ص ٤٠-٤٣ .

(٣) انظر: زكريا علي يوسف، الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره، ص ١٢٧، مرجع سابق.

(٤) سورة الأنعام ١٦٢ .

(٥) سورة الكوثر ٢ .

وقال تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به). (١)

وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه أتاه رجل فقال: ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسر إليك؟ قال: فغضب، وقال: ما كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يسر إلي شيئا يكتمه عن الناس، غير أنه حدثني بكلمات أربع، قال: فقال: ما هن يا أمير المؤمنين؟ قال: قال: [لعن الله من لعن والده، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار الأرض]. (٢)

قال الإمام النووي رحمه الله: "وأما الذبح لغير الله، فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح لصنم أو الطليغ، أو لموسى، أو لعيسى - صلى الله عليه وسلم - أو لكعبة، أو نحو ذلك، وكل هذا حرام، ولا تحل الذبيحة سواء كان الذابح مسلماً أو نصرانياً أو يهودياً، نص عليه الشافعي واتفق عليه أصحابنا". (٣)

ولحماية المسلمين من الوقوع في هذا الأمر الخطير فقد نهى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يذبح بمكان تسوده مظاهر الشرك بالله، أو كانت سائدة به.

فعن ثابت بن الضحاك - رضي الله عنه - قال: نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة (٤) فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [هل كان فيها وثن من أوثان

(١) سورة المائدة ٣ .

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله، ١٥٦٧/٣، مرجع سابق.

(٣) النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ١٤١/١٣، مرجع سابق.

(٤) هضبة من وراء ينبع. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٦٤/١ مرجع سابق.

الجاهلية يعبد؟] قالوا : لا، قال: [فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟] قالوا: لا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أوف بنذرك، فإنه لاوفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم]. (١)

وما أكثر ما يذبح لغير الله على القبور، وكذلك ذبائح الزار، والنشرة، وعلى حافات الآبار وعتبات المنازل خوفا من الجن. (٢)

وإنك لتعجب كيف يبلغ المسلمون إلى هذا المستوى من الشرك، فإن أحدهم يسمن خروفه أو بقيرته، فإذا قويته وكثر لحمها ذهب بها إلى قبر الولي - كما يفعل عند قبر البدوي - وذبحها هناك.

وليت الأمر يقف عند هذا الحد، بل إنه عندما يحصل للذابيح خير أو نجاح وتوفيق فإنه يتذكر ذلك الخروف الذي ذبحه، وينسب الفضل إلى الولي، فيستمر الشرك معه في أكثر أحواله. (٣)

(١) الإمام أحمد ، المسند ٦٤/٤ ، و ٣٧٦/٥ مرجع سابق.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الكفارات، باب الوفاء بالنذر ٦٨٨/١، مرجع سابق.

- وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر ٦٠٧/٣ مرجع سابق.

وقال الألباني : صحيح، انظر : صحيح الجامع الصغير ٣٤٦/٢ مرجع سابق.

(٢) انظر: أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص ١٢٢، مرجع سابق.

(٣) انظر: عبد المنعم الجداوي، اعترافات... كنت قبوريا، ص ١٥، ٦، ١٧،

رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط٤،

١٤٠١هـ .

٣ - النذر لغير الله :

النذر هو إيجاب الشيء على النفس تبرعا، من عبادة أو صدقة، أو غير ذلك. (١)

وقال الراغب الأصفهاني: "أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر". (٢)

والنذر مما تعبد الله تعالى به عباده، فقال مثنيا عليهم: (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) (٣) وقال تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه). (٤)

و خير النذر الجائز ما كان على المعنى الأول، أي : تبرعا بغير شرط، لكرامة النبي - صلى الله عليه وسلم - له .

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم : [قال الله تعالى : لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدرته، ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له أستخرج به من البخيل]. (٥)

أما النذر المحرم فهو ما ينذر الإنسان لغير الله تعالى من الأحياء والأموات.

"و قد أصبح الناس في جاهليتهم الحاضرة ينذرون لمن يعتقدون فيه من

(١) انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٩/٥، مرجع سابق.

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن من ٤٨٧، مرجع سابق.

(٣) سورة الانسان ٧ .

(٤) سورة البقرة ٢٧٠ .

(٥) متفق عليه، البخاري، صحيح البخاري، كتاب القدر، باب إلقاء النذر العبد الى القدر، ٢١٣/٧ مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب النذر، باب النهي عن النذر وأنه لا يرد شيئا
١٢٦٢/٣، مرجع سابق.

الأحياء والأموات الزيارة، والمال، والشباب، والحيوانات، والشموع، والبخور، والأطعمة، وغير ذلك، ويعتقدون أن نذرهم يقربهم من رضى المنذور له، وأن لذلك المنذور دخلا في حصول غرضهم، فإن حصل مطلوبهم ازدادوا تعلقا بمن نذروا له، واشتدت خشيتهم منه، ويدلوا أقصى طاقتهم في الاحتفال بالوفاء له، ولم يستسيغوا لأنفسهم التقصير أو التأخير". (١)

يقول أحد الباحثين من مصر عند حديثه عن النذر لغير الله:

"هذه المعتقدات الباطلة موجودة في بلادنا، وخاصة في الريف بشكل يثير العجب، وكثيرا ماتكثف صناديق النذور عن طرائف وعجائب تدل بوضوح على مدى تغفل المعتقدات الباطلة في نفوس الناس، وتدل أيضا على مدى سيطرة الأفكار الخاطئة على عقول الكثيرين من السذج والمساكين.

فمنذ سنوات مضت وجد في صندوق السيد البدوي خطاب ختم بالشمع الأحمر، وبه ورقة بعشرة جنيهات، وجاء في الخطاب (وأرجو المعذرة ياسيدي، فهذه الجنيهات العشرة هي كل ما حصلت عليه وما قدرت على جمعه، لذلك أرجو رجاء خاصا أن تنتظرني حتى شهر أكتوبر - وهو شهر المحصول - فأسدد لك باقي الحساب، فعليك الصبر، وعلينا الوفاء)!!

وفي أحد صناديق النذور وجد عقد اتفاق قانوني بين السيد صاحب الضريح والسيدة الناذرة، وفيه: (إن الطرف الثاني يتعهد بأن يدفع للطرف الأول مبلغ جنيه واحد كل شهر بدون تأخير ولا مماطلة ولا تسويق، إذا ما توسط الطرف الأول - عند الله، طبعاً - في أن يعيish ابن الطرف الثاني...). الخ". (٢)

فالنذر في هذه الحالة إنما ينذر للشيخ أو الولي، حتى لو أكل ذلك النذر الفقراء والمحتاجون، لأنه توجه بهذا النذر لغير الله تعالى، وكان بإمكانه أن

(١) زكريا علي يوسف، الإيمان وآثاره والشرك ومظاهره، ص ١٥٤، ١٥٥ - بتصرف يسير - مرجع سابق.

(٢) سعد صادق محمد، صراع بين الحق والباطل ص ١٣٦، مرجع سابق.

يقدمه مباشرة إلى الفقراء والمحتاجين فينال الأجر بذلك.

"النذر إذا عبادة ظاهرة، إذ هو توجه القلب إلى المنذور له، رغبة فيما عنده من الخير، وهو استشعار قدرته وغناه، وإظهار النادر عجزه وضعفه وافتقاره إلى من نذر إليه". (١)

فإذا كان النذر تعظيماً للمنذور له (٢) أو لحصول نفع أو دفع ضرر مما لا يقدر عليه إلا الله، كان صرفه لغير الله من الأولياء والمقبورين شركاً في عبادة الله جل وعلا، فهو سبحانه المستحق لذلك، إذ هو النافع الضار، وهو المعطي المانع، وليس لأحد من مخلوقاته شيء من ذلك.

?

(١) أبو بكر الجزائري، عقيدة المؤمن، ص١٢١، مرجع سابق.

(٢) انظر : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، حاشية كتاب التوحيد، ص١٠٧، مرجع سابق.

٢ - الشرك الأصغر :

من خلال تحذير الرسول - صلى الله عليه وسلم - أمته من "الرياء" وتخوفه عليهم منه (١) نعرف أن هذا الأمر كثير الوقوع بين المسلمين، وعلى أية حال فإن الرياء من أعمال القلوب لا يمكن رؤية مظاهره، كما أن على المسلم أن يكل السرائر إلى الله تعالى، نسأل الله أن يعافينا من هذا البلاء والداء الخطير.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما الشرك الخفي فهو الذي لا يكاد أحد أن يسلم منه". (٢)

أما الحرف بغير الله عز وجل فهو شائع في كثير من أنحاء العالم الإسلامي. ففي مصر يكثر الحرف بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولا يكاد يستغربه أحد هناك.

وفي أنحاء أخرى من العالم الإسلامي يحرف بالأمانة والأولياء والأئمة، ويحرف آخرون بقولهم: "ورأسك، وحياتك" ونحو ذلك، وهذا كله من الشرك الأصغر، كما دلت على ذلك الأحاديث المتقدمة. (٣)

كما يلاحظ قول كثير من عامة المسلمين: لولا الله وفلان لحدث كذا، ولولا الله والجيش لدخل العدو، ولولا الله والجيران لما حصدنا المحصول ونحو ذلك.

كما يلاحظ أيضا نسبة بعض المسلمين أمورا إلى غير الله تعالى دون اعتقاد منهم بذلك، لكنه جرى على الألسنة، كنسبة نزول المطر إلى الكواكب، والنجاح إلى الاجتهاد، والأمن إلى الشرطة، ونحو ذلك، وهو ما ينبغي أن يطهر المسلمون ألسنتهم منه حفاظا على عقيدتهم التي جاءت بالتوحيد لله عز وجل، وحماية جنابه حتى من الأقوال التي لامعتقد فيها كموضوعنا هذا.

(١) راجع الأحاديث الواردة في ذلك من ١٥٨.

(٢) مجموع الفتاوى ٩٤/١، مرجع سابق.

(٣) راجع من ١٦٠.

والله نسأل أن يحمي المسلمين، وأن يحفظ لهم وعليهم عقيدتهم، وأن يردهم إلى رحاب التوحيد ردا جميلا، حيث ترتفع النفوس، فلا خشية، ولا خوف، ولا رجاء، ولا دعاء، ولا ذبح، ولا نذر إلا لله، ولا حلف إلا بالله، ولا فضل إلا له سبحانه، أولا وأخيرا، وهذا هو التكريم الصحيح الذي أراده الله للإنسان.

المبحث الثالث : إنكار ما علم من الدين بالضرورة .

أولا : مفهوم العبارة و حدودها :

ترد هذه العبارة أو ما يقاربها في كتابات علماء المسلمين أو على ألسنتهم قديما وحديثا .

ومن المفيد جدا بيان مفهوم هذه العبارة ومعرفة حدودها، خاصة إذا علمنا أنها تخفى على الكثير من المسلمين، وبالتالي يترتب على ذلك خطأ في استخدامها أحيانا .

ولكي نستطيع ذلك لابد من تقسيمها إلى فروعها الرئيسية، وهي:

أ - الإنكار .

ب - الضرورة، العلم الضروري .

ج - المعلوم من الدين بالضرورة .

وسأحاول بيان هذا الأمر من خلال ما ذكره أهل اللغة أو الاصطلاح قدر الامكان .

أ - الإنكار :

الإنكار بمعنى الجحود (١)، أو هو خلاف الاعتراف (٢)، والجحود بمعنى الإنكار مع العلم (٣)، أو هو ضد الإقرار، ولا يكون إلا مع علم الجاحد به أنه صحيح. (٤)
وقد جاء في القرآن الكريم مثل هذه المعاني، قال تعالى: (يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكفرون). (٥)

(١) الجوهرى، الصحاح ٨٣٧/٢ مرجع سابق.

- وابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ١١٥/٥ مرجع سابق.

(٢) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٧٦/٥ مرجع سابق.

(٣) الجوهرى، الصحاح، ٤٥١/٢ مرجع سابق.

(٤) ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ٤٢٦/١ مرجع سابق.

(٥) سورة النحل ٨٣ .

وقال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً...) (١)
"اجحدوا : أي أنكروا بالسنتهم ما تتيقنه قلوبهم". (٢)

ب - الضرورة، العلم الضروري :

قبل الدخول في بيان المعلوم من الدين بالضرورة، لابد من تحديد معنى
الضرورة والضروري، والعلم الضروري:

- الضرورة في اللغة : اسم لمصدر الاضطرار، تقول : حملتني الضرورة على
كذا وكذا، واضطر فلان إلى كذا وكذا.

والاضطرار : الاحتياج إلى الشيء، وقد اضطره إليه أمر.
والاسم : الضَّرَّةُ.

والضَّرورة: كالضَّرَّةِ. والضَّرارُ: المَضَارَّةُ؛ وليس عليك ضَرٌّ ولا ضرورةٌ ولا ضَرَّةٌ،
ولا ضَارورةٌ ولا تَضَرَّةٌ.

ورجل ذو ضارورة وضرورة، أي : ذو حاجةٍ، وقد اضطرَّ إلى الشيء: أي ألجأه
إليه. (٣)

أما العلم الضروري؛ فنجد أن الباقلاني (٤) يقسم العلوم إلى

(١) سورة النمل ١٤ .

(٢) أبو حيان : أثيرالدين، محمد بن يوسف بن علي النحوي الأندلسي، تحفة الأريب
بما في القرآن من الغريب، ص٦٦، تحقيق: د. أحمد المطلوب، و د. خديجة
الحديثي، الجمهورية العراقية، وزارة الأوقاف، إحياء التراث الإسلامي،
بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ٤/٤٨٣ مرجع سابق.

(٤) الباقلاني: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، قاض، من كبار
علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة سنة
٣٢٨هـ له مصنفات كثيرة، منها (إعجاز القرآن) و (الإنصاف) و (التمهيد)
و (الملل والنحل) وغيرها، سكن بغداد، وتوفي بها سنة ٤٠٣هـ. انظر: ابن
خلكان، وفيات الأعيان ٤/٢٦٩ مرجع سابق.

قسمين : (١)

- علم الله سبحانه، وهو صفة لذاته، وليس بعلم ضرورة ولا استدلال.

- وعلم الخلق، وهو ينقسم إلى قسمين :

الأول : علم اضطرار أو ضروري .

الثاني: علم نظر واستدلال.

ويعرف الضروري بقوله: ما لزم أنفس الخلق لزوما لا يمكنهم دفعه، والشك في معلومه؛ نحو العلم بالله بما أدركته الحواس الخمس، وما ابتدئ في النفس من الضرورات.

والنظري: ما احتيج في حصوله إلى الفكر والروية، وكان طريقه النظر والحجة.

ثم يقول: وجميع العلوم الضرورية تقع للخلق من ستة طرق، فمنها: درك الحواس الخمس، وهي: حاسة الرؤية، وحاسة السمع، وحاسة الذوق، وحاسة الشم، وحاسة اللمس، وكل مدرك بحاسة من هذه الحواس من جسم، ولون، وكون، وكلام، وصوت، ورائحة، وطعم، وحرارة، وبرودة، ولين، وخشونة، وصلابة، ورخاوة، فالعلم به يقع ضرورة.

والطريق السادس: هو العلم المبتدأ في النفس، لآعن درك ببعض الحواس، وذلك نحو علم الإنسان بوجود نفسه، وما يحدث فيها، وينطوي عليها من اللذة والألم، والغم والفرح، والقدرة والعجز، والصحة والسقم، والعلم بأن الضدين لا يجتمعان، وأن الأجسام لاتخلو من الاجتماع والافتراق، وكل معلوم بأواطل العقول، والعلم بأن الثمر لا يكون إلا من شجر أو نخل، وأن اللبن لا يكون إلا من ضرع، وكل ماهو من مقتضى العادات.

(١) أورد العلامة صديق حسن خان في كتابه أبجد العلوم تسعة تقسيمات للعلم،

ومنها ماسماه الباقلاني بعلم الخلق (الضروري والنظري). ٣٦/١ منشورات

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق ١٩٧٨م.

وكل ما عدا هذه العلوم وهو علم الاستدلال لا يحصل إلا عن استغناء الذكر والنظر، وتفكر بالنظر والعقل. (١) أهـ

ويقول في (التمهيد) :

"فإن قيل: فما معنى وصفكم للضرورة منها - العلم - بأنه ضروري، على مواضع المتكلمين؟ قيل له: معنى ذلك أنه علم يلزم نفس المخلوق لزوماً لا يمكنه الخروج عنه ولا الانفكاك منه، ولا يتهدى له الشك في متعلقه، ولا الارتباب به.

وحقيقة وصفه بذلك في اللغة أنه مما أكرهه العالم به على وجوده، لأن الإضطرار في اللغة هو الحمل والإكراه وهو الإلجاء، وكل هذه الألفاظ بمعنى واحد؛ فلا فرق بين قول القائل: اضطره السلطان إلى تسليم ماله وبيع عقاره، وبين قوله: أكرهه على ذلك وحمله عليه وألجأه إليه، فالواجب بما وصفناه أن يكون ما قلنا هو معنى وصف العلم وغيره بأنه ضرورة.

وقد يوصف العلم وغيره من الأجناس بأنه ضرورة على معنى أن العالم به محتاج إليه؛ لأن الضرورة في اللغة تكون بمعنى الحاجة؛ يدل على ذلك قولهم: فلان مضطر إلى تكف الناس وسؤالهم، يعنون أنه محتاج إلى ذلك؛ ومنه قوله تعالى: (فمن اضطر غير باغ ولا عاد...) (٢) وقوله: (إلا ما اضطررتم إليه) (٣)، وهو الذي يريد به المسلمون بقولهم: إن المضطر إلى أكل الميتة قد أبيع له أكلها، يعنون به المحتاج إلى ذلك، فكل محتاج إلى علم أو غيره من الأجناس

(١) انظر: الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، ص١٤، تحقيق/ محمد زاهد الكوثري، مؤسسة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٨٢هـ.

(٢) سورة البقرة ١٧٣، والأنعام ١٤٥، والنحل ١١٥ .

(٣) سورة الأنعام ١١٩ .

فهو مضطر إلى ما احتاج إليه". (١)

وبهذه المعاني يقول الحافظ أبو الوليد الباجي الأندلسي (٢) في كتابه "كتاب الحدود في الأصول" (٣) فيضع "العلم الضروري" مقابل "العلم النظري" ويعرفهما بنفس تعريف الباقلاني، كما أنه يشير إلى قضية هامة لم أجدتها عند غيره وهي قوله: "وقد يقع العلم الضروري بالخبر المتواتر".

وسنبين أهميتها عند الحديث عن رأي ابن تيمية - رحمه الله - في هذا الأمر.

أما الراغب الأصفهاني فإنه يجعل "الضروري" على ثلاثة أضرب:

أحدها : إما أن يكون على طريق القهر والقسر لا على الاختيار، كالشجر إذا حركته الريح الشديدة.

والثاني: مالا يحصل وجوده إلا به، نحو الغذاء الضروري للإنسان في حفظ البدن.

والثالث : يقال فيما لا يمكن أن يكون على خلافه، نحو أن يقال: الجسم

(١) الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب، التمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والرافضة والخوارج والمعتزلة، ص ٣٥، ٣٦، دار الفكر العربي، القاهرة ١٣٦٦هـ.

(٢) الباجي، أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، فقيه مالكي كبير، من رجال الحديث، ولد في باجة بالأندلس سنة ٤٠٣هـ ورحل إلى الحجاز سنة ٤٢٦هـ وأقام بها ثلاثة أعوام، وفي بغداد ثلاثة أعوام، وبالموصل عامًا، وفي دمشق وحب مدة، ثم عاد إلى الأندلس، فولي القضاء في بعض أنحاءها، وتوفي بالمرية سنة ٤٧٤هـ. ابن زلكان، وفيات الأعيان ٤٠٨/٢ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ١٢٥/٢ مرجع سابق.

(٣) انظر: ص ٢٥-٢٨، تحقيق نزيه حماد، الناشر مؤسسة الزعبي، بيروت ودمشق، ط١، ١٣٩٢هـ.

الواحد لا يمكن حصوله في مكانين في حالة واحدة بالضرورة. (١)
أما ابن تيمية - رحمه الله - فيذكر معاني "الضرورة" و "العلم الضروري"
فيقول:

"إن لفظ "الضرورة" فيه اجمال، فقد يراد به ما يضطر إليه الانسان من
المعلومات الظاهرة المشتركة بين الناس.

وقد يراد به ما يحصل في نفسه بدون كسبه.

وقد يراد به ما يلزم الإنسان لزوما لا يمكن الانفكاك عنه". (٢)

وهو كذلك يختار في كتاباته جعل العلم الضروري مقابل النظري، فيقول: "إن
ما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - معلوم بالضرورة من دينه، أو معلوم
بالأدلة اليقينية". (٣)

ويقول: "أن نبيين أن المعقول الصريح يوافق ما جاءت به الرسل، لا يناقضه،

إما أن ذلك معلوم بضرورة العقل (٤) وإما أنه معلوم بنظره". (٥)

كما نلاحظ أن ابن تيمية يستخدم هذه العبارة أو ما يقاربها فيقول: "يعلم
بالاضطرار..." (٦) و "إذا كان معلوما بالاضطرار من دين الإسلام" (٧) و "إنا نعلم

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن ص٢٩٤، مرجع سابق.

(٢) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٤٢٢/٧ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ٤/٦ .

(٤) كون العقل من وسائل إدراك العلوم الضرورية - في اصطلاح المتكلمين
والمناطق - مسألة خلافية، والصحيح أنه كذلك. انظر: آل تيمية، المسودة
في أصول الفقه، ص٥٥٦-٥٦٠، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة
المدني، القاهرة.

(٥) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل، ٥/٦ مرجع سابق.

(٦) المرجع السابق ١٠٥/١ .

(٧) المرجع السابق ٣٠٠/٥ .

بالإضطرار من دين الإسلام". (١)

وهو كذلك يستخدم لفظ "التواتر" أو "الظهور" بمعنى "الضرورة" أو "الإضطرار" فيقول - مثلاً - بعد إجابته لسؤال وجه إليه عن المستحل للمرأة بعد وقوع الطلاق بالثلاث بدون نكاح ثان أنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل: "كأمثاله من المرتدين الذين يجحدون وجوب الواجبات، وتحريم المحرمات، وحل المباحات، التي علم أنها من دين الإسلام، وثبت ذلك بنقل الأمة المتواتر عن نبيها عليه أفضل الصلاة والسلام، وظهر ذلك بين الخاص والعام، كمن يجحد وجوب "مباني الإسلام" من الشهاداتتين، والصلوات الخمس، وصيام شهر رمضان، وحج البيت الحرام، أو جحد "تحريم الظلم بأنواعه" كالربا والميسر، أو تحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وما يدخل في ذلك من تحريم "نكاح الأقارب" سوى بنات العمومة والخؤولة، وتحريم "المحرمات بالمصاهرة" وهن أمهات النساء وبناتهن وحلائل الآباء والأبناء، ونحو ذلك من المحرمات، أو حل الخبز واللحم والنكاح واللباس، وغير ذلك مما علمت إباحته بالإضطرار من دين الإسلام، فهذه المسائل لم يتنازع فيها المسلمون لاسنيهم، ولا بدعيهم". (٢)

ويقول في مقام آخر: "وأما من أنكر تحريم شيء من المحرمات المتواترة، كالخمر، والميتة، والفواحش، أو شك في تحريمه، فإنه يستتاب ويعرف التحريم، فإن تاب وإلا قتل، وكان مرتداً عن دين الإسلام، ولم يصل عليه، ولم يدفن بين المسلمين". (٣)

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٥٧/٥ مرجع سابق.

(٢) مجموع الفتاوى ٨٢/٣٢ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ٢١٨/٢٨ .

ج - المعلوم من الدين بالضرورة:

من خلال الاستعراض السابق لبعض الأقوال تبين لنا شيء من مفهوم الضرورة والعلم الضروري.

وقد ظهر لي من خلال اطلاعي على أقوال هؤلاء وغيرهم أنها ألفاظ اصطلاحية خاصة بأهل المنطق والكلام، لم تكن مستخدمة في عصر الصحابة أو التابعين، ومع دخول علم الكلام دخلت هذه الألفاظ وغيرها في مباحث علماء المسلمين، حتى صارت شائعة الاستعمال، كثيرة الورد فيما بعد، حتى عصرنا هذا.

وكنيت حريصا على أن أصل إلى المعنى الذي آلت إليه هذه اللفظة بعد دخولها في مصطلحات المسلمين وبحوثهم، وخاصة عندما يقال "المعلوم من الدين بالضرورة" أو بالاضطرار فتكون مرتبطة بالدين.

ولهذا فإنني لن أقف عند أهل الاصطلاح في اصطلاحهم حول "الضرورة" أو "العلم الضروري" ويكفي أن أعيد مقال ابن تيمية - رحمه الله - "من أن لفظ "الضرورة" فيه اجمال:

- فقد يراد به ما يضطر إليه الإنسان من المعلومات الظاهرة المشتركة بين الناس.

- وقد يراد به ما يحصل في نفسه بدون كسبه.

- وقد يراد به ما لا يقبل الشك.

- وقد يراد به ما يلزم الإنسان لزوما لا يمكن الانفكاك عنه". (١)

أما هذه اللفظة في استعمالات علماء المسلمين فإنني قد وجدت ابن تيمية أكثر هؤلاء استعمالا لها، سواء في ردوده على أهل الكلام والمنطق والفلسفة ومنحنا نحوهم فيما يتعلق بقضايا الفكر والاعتقاد، أو في إجاباته على الأسئلة الفقهية المتعلقة بأوامر الشرع ونواهيها.

وقد وقفت على معنيين للمعلوم من الدين بالضرورة في استعمالات علماء

(١) درء تعارض العقل والنقل ٤٢٢/٧ مرجع سابق.

المسلمين هي:

الأول : أنه المشهور المتواتر الظاهر من دين الإسلام كالصلوات الخمس، وأركان الإسلام، ونحو ذلك، بالإضافة إلى ما اشتهر طه بين المسلمين، كالخبز واللحم، أو ما اشتهرت حرمة كالخمر والخنزير والربا وأنواع الظلم. فتكون الضرورة هنا وهي الحاجة والإلجاء والاضطرار جاءت بسبب التواتر والاشتهار والظهور، فأصبح العلم بذلك ضرورياً، وصار معلوماً من الدين بالضرورة.

وممن سار على هذا المعنى ابن تيمية - رحمه الله - وغيره.

وهذا المعنى لا غبار عليه، فالتواتر قد يقع به العلم الضروري عند أهل الاصطلاح (١) أيضاً.

ويقول الدكتور عبدالله عزام: "المعلوم من الدين بالضرورة: الذي يعرفه الناس ولا يختلفون عليه؛ كالصلوات الخمس، وصوم رمضان، وصلاة العصر أربع ركعات، والطهارة للملاة". (٢)

ومع هذا فإن ابن تيمية - رحمه الله - يبين أن كون هذا الأمر معلوماً من الدين بالضرورة، لا يعني كفر كل من أنكره، لاحتمال عدم علمه بذلك، فيقول:
"وكثير من الناس قد ينشأ في الأمكنة والأزمنة التي يندرس فيها كثير من علوم النبوات حتى لا يبقى من يبلغ ما بعث الله به رسوله من الكتاب والحكمة، فلا يعلم كثيراً مما يبعث الله به رسوله، ولا يكون هناك من يبلغه ذلك، ومثل هذا لا يكفر، ولهذا اتفق الأئمة على أن من نشأ ببادية عن أهل العلم والإيمان، وكان حديث عهد بالإسلام، فأنكر شيئاً من هذه الأحكام الظاهرة المتواترة فإنه لا يحكم بكفره حتى يعرف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم". (٣)

(١) انظر: الباجي، أبو الوليد، كتاب الحدود في الأصول، ص ٢٧، مرجع سابق.

(٢) د. عبد الله عزام، العقيدة وأثرها في بناء الجيل، ص ١٤٨، هامش ٤، مرجع سابق.

(٣) مجموع الفتاوى (١١/٤٠٧) مرجع سابق.

الثاني : أن المعلوم من الدين بالضرورة ينقسم الى قسمين:

الأول : شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فهذه لابد أن يعلمها الإنسان حتى تلحقه صفة الاسلام، ويقع عليه اسم المسلم أو المؤمن، فمن لم يعلم هذه الشهادة وينطق مقراً بها، فهو ليس في أحكام هذه الدنيا من المسلمين.

الثاني: أحكام وشرائع كرس الرسول - صلى الله عليه وسلم - الأمر والعمل بها على ملاً من الناس، واستفاض العلم بها بين المسلمين، ونقل إلينا خبر وجوبها وفرضها أو النهي عنها نقل الكواف عن الكواف، مع الإجماع على أنها فرض أو نهي دون خلاف بين المسلمين في ذلك، أي أنها نقلت إلينا عن طريقٍ موجبٍ ضرورةً التصديق بها، وبات حكمها خارجاً عن مجال الاجتهاد واحتمال الخطأ، ولم يزل خبرها والعمل بها مستفيضا بين المسلمين جهاراً بين الناس، فلا يعيش إنسان فترة بين جماعة من المسلمين إلا ويشاهد من أحوالهم، ويسمع من أقوالهم التي يجاهر بها ما يوجب ضرورة علمه بتلك الفرائض والنواهي، فلا يقبل منه بعد الادعاء بجهلها أو المجادلة في صحتها، كالمطوات الخمس، وعدد ركعات كل منها، واستقبال القبلة، ووجوب صيام رمضان، والحج، والزكاة. (١)

ثم يذكر صاحب هذا التقسيم أن "قاعدة (المعلوم من الدين بالضرورة) لم يرد بها نص من كتاب الله تعالى، أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإنما هي نتيجة استقراء حال الناس، وملاحظة الواقع المشاهد، وإذ لا يعلم الغيب إلا الله عز وجل، فإن أحداً لا يستطيع أن يقطع على الغيب باستحالة أن يكون قد شذ

(١) حسن إسماعيل الهضيبي، دعاة لا قضاة، ص ٢٠٢، ٢٠٣ - بتصرف يسير - الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

مع ملاحظة أن هذا القول قد لا يكون لحسن الهضيبي، لأنه ورد في مقدمة الكتاب أن الهضيبي - رحمه الله - أشرف على أبحاث هذا الكتاب، ولم يذكر من هم المشاركون في هذه الأبحاث، لذا لزم التنبيه.

عن هذه القاعدة شاذ فلم يمله العلم رغم تواجده في الظروف المفترض فيها أن يكون قد وصله العلم، ولذا فإن جمهور الفقهاء من المسلمين، على أنه إذا قام ما يستراب معه أن يكون الشخص قد وصله العلم فعلا لم نستطع أن نتيقن من ذلك ونقطع به، فإنه يتعين عدم مؤاخذة ذلك الشخص واعتباره جاهلا معذورا بجهله، فلا ينتفي عنه اسم الإيمان لجهله تلك الشرائع أو بعضها، أو لإنكاره لها". (١)

وكما نرى فإن المعنيين السابقين يتفقان في أنه قد يوجد منكر للمعلوم من الدين بالضرورة، جاهل بالحكم، وهذا الجهل له علامات، ودلائل، ومن كون الشخص نشأ في بادية بعيدة، ولم يخالط المسلمين، أو نحو ذلك مما تقع به الريبة في عدم وصول العلم إلى ذلك الشخص، وهذا يعني أن الجهل وعدم العلم في مثل هذه الحالة شذوذ وحالات قليلة، فلا يقبل من كل الادعاء بذلك.

(١) حسن إسماعيل الهضيبي، دعاة لا قضاة، ص ٢٠٣، ٢٠٤ مرجع سابق.

ثانيا : نماذج لإنكار المعلوم من الدين بالضرورة :

أ - إنكار الغيب والأمور الغيبية :

علم الغيب والإيمان به من أصول الدين الإسلامي، وهو من خصائص المؤمنين المتقين، قال تعالى: (الم . ذلك الكتب لاريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون). (١)

ولا يسمى مسلما من لم يؤمن بعلم الله الشامل للغيب والشهادة، كما لا يكون كذلك من أنكر شيئا مما أخبر الله به من علم الغيب مما لا تدركه حواسه ولا يقاس بمقاييس البشر القاصرة .

ويكون الإيمان بالغيب فريضة وجوده كقرا لما يلي:

- لأن إنكار الغيب إنكار لكثير من آيات القرآن وما فيها من أركان الإيمان الستة، أو الأخبار الغيبية التي تفضل الله على عباده بإطلاعهم عليها، كأخبار الأمم السابقة، أو أحوال أهل الجنة والنار، ونحو ذلك.

- ولأن العقل لا يحيل وجود عالم الغيب، لأن حواس الإنسان محدودة، إذ إن كثيرا من الموجودات في هذه الدنيا لا تقع تحت حواسه، ومع ذلك فهو يؤمن بها لورود الخبر الصادق بوجودها، إما بالتواتر، أو بغيره من النقل الصحيح، كوجود البلاد البعيدة، التي لم يراها، ومع ذلك فهو يصدق بوجودها. (٢)

وتختلف درجة إنكار الغيب لدى المنكرين، فمنهم من ينكره جملة وتفصيلا بدأ بإنكار وجود الخالق جل وعلا، وهؤلاء غالبا متأثرون بالفكر الشيوعي الإلحادي الذي يقول: "لا إله والحياة مادة".

ومنهم من ينكر الملائكة أو الجن.

ومنهم من ينكر اليوم الآخر، أو شيئا من متعلقاته كعذاب القبر، أو البعث،

(١) سورة البقرة، ١-٣ .

(٢) انظر: د. محمد أبو الغيط الفرت، ومحمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، ص٢٧٥، مرجع سابق.

أو الحشر، أو الصراط أو غيرها.
وإنكار البعث أو الحشر على صورتين؛ الأولى : إنكار الحشر بالمرءة جسمانياً وروحانياً، وهو مذهب ملاحدة الماديين.
والصورة الثانية : إنكار الحشر الجسماني فقط، وهو مذهب الفلاسفة الإلهيين، أي المعترفين بوجود الله. (١)

ب - إنكار ختم النبوة بنبيينا محمد صلى الله عليه وسلم :
أخبر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه بأن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله وخاتم النبيين، فقال تعالى: (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً). (٢)
فنحن نعتقد اعتقاداً جازماً أن محمداً صلى الله عليه وسلم آخر الأنبياء والرسل، ولن يأتي بعده أحد إلى يوم القيامة.
وقد وردت الأحاديث الصحيحة في ذلك، ومنها: قول النبي صلى الله عليه وسلم: [كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لاني بعدى، وسيكون خلفاء...]. (٣)
وقال عليه الصلاة والسلام: [إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به فيعجبون

(١) انظر: مصطفى صبري، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، ص ١٧١، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط ١٤٠٧هـ.

(٢) سورة الأحزاب ٤٠ .

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل ١٤٤/٤ مرجع سابق.

له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة، فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين]. (١)

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة في ختم النبوة.

وقد أجمعت الأمة على أنه لانبي بعده صلى الله عليه وسلم، فقاتل الصحابة مسيلمة الكذاب، وهو لم ينكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنه ادعى أنه شريك فيها.

وتنبياً رجل في زمن أبي حنيفة - رحمه الله - فقال: أمهلوني حتى أجيء بالعلامات، فقال أبو حنيفة: من طلب منه علامة فقد كفر، لقوله عليه الصلاة والسلام: [لانبي بعدي]. (٢)

وقال القاضي عياض (٣): من ادعى النبوة لنفسه أو جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلأسة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه، وإن لم يدع النبوة.... فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبر - صلى الله عليه وسلم - أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه والمراد

(١) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، ١٦٢/٤ مرجع سابق.

(٢) أنظر: أبو الأعلى المودودي، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، ص ٢٢، مكتبة الرشد، الرياض، ١٤٠٣هـ.

(٣) القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي، أبو الفضل، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، ولد في سبته عام ٤٧٦هـ وولي القضاء فيها، ثم في غرناطة، وتوفي مسموماً بمراكش عام ٥٤٤هـ رحمه الله، من تصانيفه (الشا بتعريف حقوق المصطفى) و (ترتيب المدارك وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك) و (مشارق الأنوار) في الحديث وغيرها. ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤٨٣/٢ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٩٩/٥ مرجع سابق.

به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعاً إجماعاً
وسمعا. أهـ (١)

أما منكروا ختم النبوة فإنهم يستدلون على إنكارهم بشبه واهية وأحاديث هي
حجة عليهم لا لهم، ومن ذلك استدلالهم بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - في
الحديث الذي رواه مسلم: [فإني آخر الأنبياء، وإن مسجدي آخر المساجد]. (٢)

فيقولون: كما أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قد قال: [وإن مسجدي آخر
المساجد] مع أنه ليس مسجده آخر المساجد، وقد بني بعده مالا يحصى من المساجد
في الدنيا، كذلك إنه لما قال: [إني آخر الأنبياء] فإن قوله هذا لا يمنع أن
يأتي بعده الأنبياء، غير أنه آخر الأنبياء وأن مسجده آخر المساجد من حيث
الفضل.

وهذا التأويل السخيف يدل على قصور كبير في فهم كلام الله ورسوله صلى
الله عليه وسلم، لأن نظرة شاملة في كل الروايات التي وردت؛ حيث ورد هذا
الحديث في صحيح مسلم أكثر من الكفاية، لتبين بأي معنى قال الرسول صلى الله
عليه وسلم عن مسجده إنه آخر المساجد؟

فالروايات التي أخرجها مسلم عن أبي هريرة وعبدالله بن عمرو وأم
المؤمنين ميمونة - رضي الله عنهم - ونقلها في صحيحه مع هذا الحديث قيل فيها
إنه ليس في الدنيا إلا ثلاثة مساجد لها الفضل على سائر المساجد، والصلاة فيها
خير من الصلاة في غيرها، فلا يجوز للناس - على هذا - أن يشدوا الرحال للصلاة
في أي مسجد آخر غير هذه المساجد الثلاثة: المسجد الحرام، والمسجد النبوي،
والمسجد الأقصى، فمعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم؛ أنه لما كان آخر

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ٦٠٩/٢، ٦١٠ تحقيق محمد أمين قره علي وزملائه،
دار الوفاء للطباعة والنشر، دمشق.

(٢) مسلم، صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة
١٠١٣/٢، مرجع سابق.

الأنبياء ولا يأتي بعده إلى يوم القيامة نبي آخر، فلا يبني في الدنيا بعد مسجده مسجد رابع تكون الصلاة فيه خيرا من الصلاة في المساجد الأخرى ويجوز شد الرجال إليه. (١)

وقد ظهر في التاريخ الإسلامي نماذج من هؤلاء كان من آخرهم زعيم القاديانية ومؤسسها مرزا غلام أحمد القادياني (٢).

فكل من صدق هؤلاء ونحوهم وقبل دعوى نبوتهم فهو منكر لخصم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، فضلا عن من ادعاهما، وطلب من الناس تمديقه وقبول ماجاء به.

ج - إنكار السنة النبوية أو شيئا منها، والادعاء بأنه يمكن الاستغناء عنها بالقرآن .

السنة في اللغة : الطريقة والسيرة، محمودة كانت أو مذمومة (٣)، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : [من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء]. (٤)

(١) انظر : أبو الأعلى المودودي، ختم النبوة في ضوء القرآن والسنة، ص١٦، الهامش، مرجع سابق.

(٢) انظر بتوسع إلى: أبي الحسن الندوي، القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام، المكتبة السلفية، بالقاهرة.

- وإحسان الهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، إدارة ترجمان السنة، بلاهور، ط ١٢، ١٣٩٨هـ. وغيرها من المراجع.

(٣) انظر: ابن منظور، لسان العرب ٢٥٥/١٣ مرجع سابق.

(٤) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق =

وهي في اصطلاح المحدثين : ما أشر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، سواء كان قبل البيعة أو بعدها. (١)

وفي اصطلاح الأصوليين : قول النبي - عليه الصلاة والسلام - وفعله وإقراره، وربما أضيف إليه أعمال الصحابة والخلفاء، لكونه اتباعاً لسنة تثبت عندهم ولم تنقل إلينا، أو اجتهاداً مجعاً عليه منهم، كعمل أبي بكر وعثمان - رضي الله عنهما - في جمع القرآن، وعمل عمر - رضي الله عنه - في تدوين الدواوين ونحو ذلك. (٢)

وفي اصطلاح الفقهاء: ما ثبت عن النبي - صلى الله عليه وسلم - من غير افتراض ولا وجوب، وتقابل الواجب وغيره من الأحكام الخمسة .
وقد تطلق عندهم على مايقابل البدعة، ومن قولهم: طلاق السنة كذا، وطلاق البدعة كذا. (٣)

= تمرّة أو كلمة طيبة ٧٠٥/٢، وفي كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ٢٠٩٥/٤ مرجع سابق.

(١) انظر: محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، ص٣٥-٣٨ مكتب النشر العربي، دمشق.

- وطاهر بن صالح الجزائري الدمشقي، توجيه النظر إلى أصول الأثر، ص٢، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

- و د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، ص٤٧، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر: الشاطبي، الموافقات ٦-٤/٤، دار المعرفة، بيروت.

- ومحمد محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص٩، ١٠، ط ١، ١٣٧٨هـ.

(٣) انظر: محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ص٣٣، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.

- و د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ص٤٨، مرجع سابق.

ونحن هنا نريد بالسنة ما عناه الأصوليون، لأننا ننظر إلى كونه صلى الله عليه وسلم مشرعا توجب طاعته بنص الكتاب الكريم، قال تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...) (١) وقال سبحانه: (وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى). (٢)

وقد تفاوت المنكرون لسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فمنهم من أنكر حجيتها، وزعم الاستغناء عنها بالقرآن الكريم معتمدا على شبهات واهية. (٣) ومنهم من زعم الاستغناء عنها بحجة كفر أكثر المحابة الناقلين لها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم - فيما يعتقدون - وهذا الزعم الذي يصدر من الرافضة ليس خفيا أو سرا يكتتمونه عن الناس، بل هو من أولويات دعوتهم، يصرحون به ويجهرون به بين المسلمين الآن. (٤)

ومنهم من قام يتخبط في إنكار أخبار الأحاد أو ما يظن فيه الاختلاف والتناقض مع القرآن، فيدعو إلى عدم الالتفات إليه، حتى لو ثبتت صحته عند المسلمين (٥) "بل إن من المؤسف أنه وجد في بعض المفسرين والكتاب المعاصرين من ذهب إلى إباحتهم أكل السباع، ولبس الذهب والحريز، اعتمادا على القرآن فقط، بل وجد في الوقت الحاضر طائفة يتسمون بـ (القرآنيين) يفسرون القرآن

(١) سورة الحشر ٧ .

(٢) سورة النجم ٣، ٤ .

(٣) انظر ما كتبه الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - في فصل كامل عن هذا الموضوع في كتابه القيم (السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) ص ١٥٢-١٦٦، مرجع سابق.

(٤) انظر: الدكتور محمد أمان بن علي الجامي، منزلة السنة في التشريع الإسلامي، ص ٤٢-٤٧، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

(٥) انظر: يوسف كمال، العمريون معتزلة اليوم، ص ١٤، ١٥، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة ط ١، ١٤٠٦هـ.

بأهوائهم وعقولهم دون الاستعانة على ذلك بالسنة الصحيحة، بل السنة عندهم تبع لأهوائهم، فما وافقهم منها تشبثوا به، وما لم يوافقهم منها نبذوه وراءهم ظهرياً، وكأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أشار إلى أمثال هؤلاء بقوله في الحديث الصحيح: [لا ألفين أحدكم متكثفاً على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا أدري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه] رواه الترمذي وقال: هذا حديث حسن صحيح. (١)

بل إن من المؤسف أن بعض الكتاب الأفاضل ألف كتاباً في شريعة الإسلام وعقيده ذكر في مقدمته أنه ألفه وليس لديه من المراجع إلا القرآن". (٢)

د - إنكار اعطاء المرأة نصف ما يعطى الذكر من الميراث .

نورد هذه القضية كمثال على رد الأحكام والأخبار الواردة في كتاب الله عز وجل وإنكارها، وإلا فهناك أمثلة كثيرة، منها أن بعض الناس أنكر حكم الربا الوارد في كتاب الله عز وجل، وآخر أنكر قصة عصا موسى، وقصة أهل الكهف، وادعى بأنها من الأساطير، وغير ذلك.

أما ميراث المرأة وأن لها نصف ما للذكر، فقد ورد النص المريح في كتاب الله عز وجل بذلك، وهو أعلم بخلقهم، ولا يظلم الناس شيئاً، فهو الحكم العدل، قال تعالى : (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين...) (٣) وقال تعالى: (وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين يبين الله لكم أن

(١) الترمذي، سنن الترمذي، ٣٠٩/٧، ٣١٠، رقم الحديث (٢٦٦٥) مرجع سابق.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها

بالقرآن، ص ١٢، ١٣ - بتصرف يسير - الدار السلفية، الكويت، ط ٤، ١٤٠٤هـ -

- وانظر ماكتبه الدكتور محمد بن أحمد الطحان في كتابه (من للسنة اليوم)

ص ٣-٧، مكتبة التراث، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٣) سورة النساء ١١ .

تزلوا والله بكل شئء عليم). (١)

قال العلامة محمد الأمين الشنقيطي (٢) رحمه الله :

"اعلم أنه لما كانت الحكمة البالغة تقتضي أن يكون الضعيف الناقص مقوماً عليه من قبل القوي الكامل، اقتضى ذلك أن يكون الرجل ملزماً بالإتفاق على نسائه والقيام بجميع لوازمهن في الحياة، قال تعالى : (الرجال قوّمون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم). (٣)

ومال الميراث ما سعيًا في تحصيله عرفاء، ولا تسببا فيه البتة، وإنما هو تمليك من الله ملكهما إياه تمليكا جيريا، فاقتضت حكمة الحكيم الخبير أن يؤثر المرأة في الميراث، وأن أدليا بسبب واحد، لأن الرجل مترقب النقص دائما بالإتفاق على نسائه، وبذل المهور لهن، والبذل في نواكب الدهر، والمرأة مترقبة للزيادة بدفع الرجل لها المهر، وإتفاقه عليها، وقيامه بشؤونها.

وإيثار مترقب النقص دائما على مترقب الزيادة دائما، لجبر بعض نقمه المترقب حكمته ظاهرة واضحة لا ينكرها إلا من أعمى الله بصيرته بالكفر والمعاصي". (٤)

(١) سورة النساء ١٢٦ .

(٢) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، ولد في شنقيط (موريتانيا) عام ١٣٢٥هـ وتعلم بها، وحج عام ١٣٦٧هـ واستقر مدرسا في المدينة المنورة، ثم الرياض، وأخيرا في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وتوفي بمكة عام ١٣٩٣هـ ، له تفسير (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) وكتب أخرى، رحمه الله. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام ٤٥/٦ مرجع سابق.

(٣) سورة النساء ٣٤ .

(٤) محمد الأمين الشنقيطي، محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه، ص ٢٩، ٣٠، المكتبة القيمة، القاهرة.

وقد صرح عدد من المسلمين، بل من ولاية أمور المسلمين بإنكار ميراث المرأة على النحو الوارد في كتاب الله، وزعموا أنه ظلم وتخلف.

قال أحدهم : "كنا نسمع عن أقوال تقول: الربع والثلث والخمس والسدس، فإننا نقول: إن ذلك لاوجود له بعد اليوم، وإن الولد والبنت متساويان في الإرث". (١)

وقال آخر: إن الواجب في هذا العصر مساواة المرأة للذكر في الميراث كما ساوته في المدرسة والمعمل والفلاحة والشرطة، وذكر أنه ليس من المنطق في هذا العصر أن يفضل الذكر على الأنثى، وزعم أن هذا المبدأ - وهو التفضيل - يجد ما يبرره عندما يكون الرجل قواما على المرأة، حين كانت المرأة في مستوى اجتماعي لايسمح لها بمساواة الذكر، حين كانت تدفن حية وتحترق، أما اليوم فقد اقتحمت ميدان العمل، وشاركت الرجال في ذلك. (٢)

(١) جزء مما ورد عن الرئيس الصومالي محمد زياد بري، في جريدة (نجمة أكتوبر) الرسمية الصومالية، بتاريخ ١٣/١/١٩٧٤م، انظر: أحمد بن عبدالعزيز الحصين، المرأة المسلمة أمام التحديات، ص٤٨، دار البخاري للنشر والتوزيع، بريدة، ط٥، ١٤٠٦هـ.

(٢) جزء من خطاب الرئيس التونسي السابق الصبيح بورقيبة، جريدة (المباح) التونسية ٢٠/٣/١٩٧٤م، انظر : الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، حكم الإسلام فيمن زعم أن القرآن متناقض أو مشتمل على بعض الخرافات...، ص٢٨، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٣٩٦هـ.

وقد قام الشيخ - حفظه الله - وغيره من علماء المسلمين بالرد على أبي رقيبة، وكتبوه في ذلك، طالبين منه إعلان توبته والرجوع عما قاله، لأنه كفر صريح.

المبحث الرابع : عدم الحكم بما أنزل الله .

أولا : بين "الحُكْم" و "التحاكم" و "الحاكمة".

- الحكم :

قال في الصحاح: "الحُكْم : مصدر قولك: حكم بينهم، يحكم، أي: قضى، وحكم له، وحكم عليه .

والْحَكَمَ - بالتحريك - : الحاكم ... و يقال أيضا: حكمته في مالي: إذا جعلت إليه الحكم فيه، فاحكم على ذلك. والمحاكمة: المخاضة إلى الحاكم". (١)

وقال في تاج العروس: "الحُكْم-بالضم: القضاء في الشيء بأنه كذا، أو ليس بكذا، سواء لزم ذلك غيره أم لا ... وخص بعضهم فقال: القضاء بالعدل .

وجمع الحكومة: حكومات. يقال: هو يتولى الحكومات، ويفصل الخصومات .

والحاكم: منفذ الحكم بين الناس". (٢)

وقال ابن حزم (٣) - رحمه الله - عن الحكم: "إمضاء قضية في شيء ما، وهو

في الدين تحريم أو إيجاب أو إباحة مطلقة أو بكراهة أو باختيار". (٤)

(١) الجوهري، الصحاح ١٩٠١/٥، ١٩٠٢، مرجع سابق.

(٢) الزبيدي، تاج العروس ٢٥٢/٨ - باختصار - منشورات مكتبة دار الحياة، بيروت.

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، الإمام الظاهري، عالم الأندلس في عمره، ولد سنة ٣٨٤هـ وتوفي سنة ٤٥٦هـ رحمه الله. انظر: أحمد ابن محمد المقرئ، نفح الطيب ٢٨٩-٢٨٣/٢ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ١، ١٣٦٧هـ.

- وابن خلكان، وفيات الأعيان ٣٢٥/٣-٣٣٠ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٢٥٤/٤، ٢٥٥ مرجع سابق.

(٤) الإحكام في أصول الأحكام ٥٥/١ تحقيق محمد أحمد عبد العزيز، مكتبة عاطف بالقاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ.

والله سبحانه هو الحكم العدل، وهو أحكم الحاكمين، وهو خير الحاكمين، كما قال جل ثناؤه عن نفسه، وكما قال عباده المالحون عنه، قال تعالى: (واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحكمين). (١)

وقال تعالى: (رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحكمين). (٢)

وقال تعالى: (فما يكذبك بعد بالدين . أليس الله بأحكم الحكمين). (٣)

ولله سبحانه وتعالى الحكم المطلق، قال تعالى: (إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفُضلين). (٤)

وقال : (إلا له الحكم وهو أسرع الحسبين). (٥)

وقال : (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه). (٦)

وبهذا يكون كل حكم أو ولاية من البشر تبعاً لحكمه سبحانه وتعالى، وإنفاذاً لأوامره جل وعلا.

قال تعالى: (وأن أحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك). (٧)

وقال تعالى: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أرىك الله... .). (٨)

وقد سمى الله من لم يحكم بما أنزل كافرين، وظالماً وفاسقاً، وسمى حكم غيره

(١) سورة يونس ١٠٩ .

(٢) سورة هود ٤٥ .

(٣) سورة التين ٨،٧ .

(٤) سورة الأنعام ٥٧ .

(٥) سورة الأنعام ٦٢ .

(٦) سورة يوسف ٤٠ .

(٧) سورة المائدة ٤٩ .

(٨) سورة النساء ١٠٥ .

حكم جاهلية، والمحكم غيره طاغوتا.

قال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون). (١)

وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون). (٢)

وقال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون). (٣)

وقال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم

يوقنون). (٤)

وقال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما

أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد

الشیطن أن يضلهم ظللا بعيدا). (٥)

وقد يظن أن المقصود بهذه الآيات وغيرها، الحاكم بتمعنى بمعنى ولي الأمر،

أو القاضي فقط، وهذا غير صحيح، فهي عامة في كل من حكم، سواء كان ولي أمر،

أو قاضيا، أو مفتيا (٦)، بمعنى أنها عامة في كل من يحكم، سواء لزم نفاذ حكمه

في الغالب أم لم يلزم، ويؤكد هذا ما بيناه سابقا من معاني كلمة "الحكم".

وقد بين السلف - رحمهم الله - أهمية الحكم بما أنزل الله، وأنه فرض

واجب على من ولاهم الله أمر المسلمين، أو على من صار في موقف يحكم فيه بين

المسلمين.

فهذا ابن كثير - رحمه الله - يقول عند تفسير قوله تعالى: (أفحكم

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) سورة المائدة ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ٤٧ .

(٤) سورة المائدة ٥٠ .

(٥) سورة النساء ٦٠ .

(٦) انظر: حسن الهضيبي، دعاة لا قضاة، ص ٢٠٤ مرجع سابق.

الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون(١): "ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند في شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان، الذي وضع لهم "الياسق" وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فمارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يترجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير".(٢)

وقال ابن تيمية رحمه الله: "الحكم بالعدل واجب مطلقا في كل زمان ومكان على كل أحد، ولكل أحد، والحكم بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم هو عدل خاص، وهو أكمل أنواع العدل وأحسنها، والحكم به واجب على النبي - صلى الله عليه وسلم - وكل من اتبعه، ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر، وهذا واجب على الأمة في كل ما تنازعت فيه من الأمور الاعتقادية والعملية، قال تعالى: (كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات ..)(٣) وقال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله...)(٤) وقال تعالى: (فإن تنازعتم في شيء فردوه

(١) سورة المائدة ٥٠ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ٦٧/٢ مرجع سابق.

(٣) سورة البقرة ٢١٣ .

(٤) سورة الشورى ١٠ .

إلى الله والرسول... (١).

فالأمر المشترك بين الناس لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم، ولا أمير، ولا شيخ، ولا ملك، ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك، ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر". (٢)

- التحاكم :

الحكم بما أنزل الله واجب على من ولاه الله أمور المسلمين، والخطاب في الآيات الكريمة ينصرف إليهم، وإلى من في حكمهم من القضاة والمفتين ونحوهم، لكن قد لا يكون هناك حاكم مسلم في بلد من البلدان، فما هو موقف جماهير المسلمين وعامتهم، هل يتركون شريعة الله وأحكامه حتى يأتي الحاكم المسلم، أو الحكم الإسلامي ؟

الجواب عن هذا في كتاب الله عز وجل، فإن هناك آيات كثيرة تأمر المسلمين بالتحاكم إلى شرع الله، والانصياع له، وقبوله والتسليم والرضا به، فلا تُلَازِم إذا بين التحاكم ووجود الحكم الإسلامي، بل إن لفظ "التحاكم" أشمل وأوسع من لفظ الحكم بالنظر إلى الحاكم والمحكوم، وذلك أن الحاكم مأمور بالتحاكم إلى شرع الله فيما ولاه الله.

والمحكوم مأمور بالتحاكم إلى شرع الله فيما يخضه.

والحاكم والمحكوم مأموران بالتحاكم إلى شرع الله عند التنازع.

وهناك مسألة أخرى فيما يختص بالتحاكم إلى شرع الله، والحكم به، وهي أن الحاكم قد يحكم بما يراه حكماً صحيحاً حسب الأدلة والشواهد والقرائن الموجودة أمامه، إلا أن أحد الخصمين يعلم يقيناً أن هذا الحكم ليس بصحيح لأنه أخفى دليلاً ضده، ولم يظهره، أو كان أقوى حجة - أو غير ذلك - فحكم الحاكم له، وهنا

(١) النساء ٥٩ .

(٢) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية ٣/٣٢ دار الكتب العلمية، بيروت.

تأتي أهمية التحاكم إلى الله ورسوله، فالله يأمر بالعدل وينهى عن الظلم، والمسلم المادق هو الذي يرضى بحكم الله حتى لو كان في غير مصلحته ظاهرا.

ولهذا نجد أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - نبه إلى هذه المسألة بقوله عليه الصلاة والسلام: [إنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها]. (١)

"وإذا كان هذا هو شأن قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والقضاء هنا بمعنى إنفاذ الأمر، وهو المعصوم - عليه الصلاة والسلام - من الخطأ في معرفة حقيقة حكم الله، ومن الوهم في فهم الآية وحقيقة مقصود الله تعالى منها، فغيره ممن يرد عليه الخطأ في معرفة حقيقة حكم الله، والوهم في فهم الآية أو الحديث، كما يرد عليه الجهل ببعض الشرائع، هذا الغير حكمه لا يطل حراما، ولا يحرم حلالا، ويبقى كل من طرفي الخصومة مأمورا بالتحاكم إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أي بالرد إلى نصوص الشريعة، ومأمورا باتباع الحق الذي يقر في قلبه نتيجة ذلك التحكيم، ولو خفي ذلك الحق على ولي الأمر أو القاضي، وحكم بخلافه". (٢)

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن حزم رحمه الله: "وحكم القاضي لا يطل ما كان حراما قبل قضاؤه، ولا يحرم ما كان حلالا قبل قضاؤه، وإنما القاضي منفذ على الممتنع فقط، لا مزية له سوى هذا".

ويقول: "فإذا كان حكمه - عليه الصلاة والسلام - وقضاؤه لا يطل لأحد ما كان عليه حراما فكيف القول في قضاء أحد بعده". (٣)

(١) رواه البخاري، عن أم سلمة رضي الله عنها، صحيح البخاري، كتاب الشهادات،

باب من أقام البيعة بعد اليمين ١٦٢/٣ مرجع سابق.

(٢) حسن الهضيبي، دعاة لا قضاة، ص ١٩٢، ١٩٣ مرجع سابق.

(٣) المطى، ٤٢٢/٩ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

والآيات التي تأمر المسلمين بالتحاكم الى الله كثيرة، منها قوله تعالى: (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون). (١)

وقال تعالى: (يريدون أن يتحاكموا إلى الطغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضللاً بعيداً). (٢)

وقال تعالى: (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله...). (٣)

أما نفي الإيمان ممن لم يتحاكم إلى الله ورسوله أو لم يرض بحكم الله ورسوله ففي قوله تعالى: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً). (٤)

وقبل ذلك قوله تعالى: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً). (٥)

قال العلامة ابن القيم رحمه الله: "ومنها أنه جعل هذا الرد من موجبات الإيمان ولوازمه، فإذا انتفى هذا الرد انتفى الإيمان، ضرورة انتفاء الملزوم لانتهاء لازمه، ولا سيما التلازم بين هذين الأمرين فإنه من الطرفين، وكل منهما ينتفى بانتفاء الآخر، ثم أخبرهم أن هذا الرد خير لهم، وأن عاقبته أحسن عاقبة، ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم أو حاكم إلى غير ما جاء به الرسول، فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه، والطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه، غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما

(١) سورة النور ٥١ .

(٢) سورة النساء ٦٠ .

(٣) سورة الشورى ١٠ .

(٤) سورة النساء ٦٥ .

(٥) سورة النساء ٥٩ .

لا يعلمون أنه طاعة لله، فهذه طواغيت العالم إذا تأملتھا وتأمّلت أحوال الناس معها، رأيت أكثرهم عدلوا عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت، وعن التحاكم إلى الله وإلى الرسول إلى التحاكم إلى الطاغوت، وعن طاعته ومتابعة رسوله إلى طاعة الطاغوت ومتابعته". (١)

ويقول رحمه الله: "ثم أقسم سبحانه بنفسه على نفي الإيمان من العباد حتى يحكموا رسوله في كل ما شجر بينهم من الدقيق والجليل، ولم يكتف في إيمانهم بهذا التحكيم بمجردة حتى ينتفي عن صدورهم الحرج والضيق عن قضائه وحكمه، ولم يكتف منهم أيضا بذلك حتى يسلموا تسليما وينقادوا انقيادا". (٢)

فالتحاكم إلى شرع الله ورسوله وتحكيمها في كل شأن من شؤون الحياة واجب على كل مسلم، سواء كان داخل المجتمع الإسلامي أو خارجه، وتتضح هذه القضية في بعض البلاد الإسلامية التي يوجد فيها محاكم شرعية ومحاكم مدنية - أي تحكم بالقانون الوضعي - فإن بعض المسلمين هدام الله إذا رأى أن حكم المحكمة الشرعية في صالحه اتجه إليها، وان رأى خلاف ذلك اتجه إلى المحكمة المدنية.

وشعور التحاكم إلى الله ورسوله وتحكيم الله ورسوله هو الذي يجعل المسلم الصادق يجتنب الربا والزنا، وسائر الموبقات، مع قدرته عليها، ذلك أن حكم الله هو المقدم عنده والأثير لديه.

- الحاكمية :

يعتبر مصطلح "الحاكمية" جديدا في الفكر الإسلامي، وذلك أنه عندما نشأ في المسلمين من فرق بين أمور الدين وأمور الدنيا، وظن أن للمسلم الخيار في أن يتحاكم إلى شرع الله أو شرع غيره؛ قام العلماء ببيان أن الإيمان بالله

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين ٥٠/١ مراجعة طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة

الكلية الأزهرية، القاهرة ١٣٨٨هـ.

(٢) المرجع السابق ٥١/١ .

يقتضي أن نؤمن بأنه لا حكم إلا له سبحانه، كما قال تعالى: (ألا له الخلق والأمر) (١) وقال: (والله يحكم لامعقب لحكمه) (٢) فأطلق من هذه الآيات وما شابهها تسمية لنوع آخر من التوحيد هو (توحيد الحاكمية) ولا شك أن المعنى الذي قصدته من أطلاق هذا اللفظ صحيح، وإن كان اللفظ نفسه والاصطلاح حادثاً، وليس هذا من باب الابتداع، وإنما هو من المصالح الشرعية لتقريب المعنى المراد إلى الذهن، بل إن مصطلحات كثير من العلوم الإسلامية لم تأت في القرآن ولا السنة، حيث كان العلم الشرعي جملة واحدة، ثم حدثت التفريعات والاصطلاحات، ومن ذلك قولنا: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. (٣) والحاكمية من أخص خصائص الألوهية. (٤)

"إن الذي لا يحكم بما أنزل الله إنما يرفض ألوهية الله، فالألوهية من خصائصها ومن مقتضاها الحاكمية التشريعية، ومن يحكم بغير ما أنزل الله يرفض ألوهية الله وخصائصها في جانب، ويدعي لنفسه هو حق الألوهية وخصائصها في جانب آخر". (٥)

فالحاكمية إذا جزء من توحيد الألوهية، الذي هو : أفراد الله بالعبادة، ومنها التحاكم إليه سبحانه، والحكم بشرعه جل وعلا.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز - حفظه الله - في رسالة عن (وجوب تحكيم شرع الله ونبذ ما خالفه) بعد أن أورد الأدلة على ذلك: "ومما تقدم يتبين لك أيها المسلم أن تحكيم شرع الله والتحاكم إليه مما أوجبه الله ورسوله، وأنه

(١) سورة الأعراف ٥٤ .

(٢) سورة الرعد ٤١ .

(٣) انظر: عبد الرحمن عبد الخالق، الرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات

ص ٨، ٩، الدار السلفية، الكويت، ط ١، ١٤٠٦هـ

(٤) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ١٩٠/٢ مرجع سابق.

(٥) المرجع السابق ١٩٨/٢ .

مقتضى العبودية لله والشهادة بالرسالة لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن الإعراض عن ذلك أو شيء منه موجب لعذاب الله وعقابه، وهذا الأمر سواء بالنسبة لما تعامل به الدولة رعيته، أو ما ينبغي أن تدين به جماعة المسلمين في كل مكان وزمان، وفي حال الاختلاف والتنازع الخاص والعام، سواء كان بين دولة وأخرى، وبين جماعة وجماعة، أو بين مسلم وآخر، الحكم في ذلك كله سواء، فإن الله سبحانه له الخلق والأمر، وهو أحكم الحاكمين، ولا إيمان لمن اعتقد أن أحكام الناس وآراءهم خير من حكم الله ورسوله أو تماثلها وتشابهها، أو أجاز أن يحل محلها الأحكام الوضعية والأنظمة البشرية، وإن كان معتقدا بأن أحكام الله خير وأكمل وأعدل". (١)

ثانيا : أنواع الحكم بغير ما أنزل الله .

إن النتيجة الواضحة لعدم الحكم بما أنزل الله هي الحكم بغير ما أنزل، وقد ذكر العلماء أنواعا للحكم بغير ما أنزل الله .

ولكون هذا البحث في الانحراف العقدي، فإننا سننظر إلى أنواع الحكم بغير ما أنزل باعتبار الحكم الشرعي لهذا الفعل، ومعلوم من صريح القرآن أن من لم يحكم بما أنزل الله فهو كافر، قال تعالى: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكفرون). (٢)

وقد تطرق العلماء لبيان نوع الكفر الوارد في هذه الآية وغيرها، هل هو كفر أكبر مخرج من الملة، أم هو كفر أصغر غير مخرج من الملة .

لذلك نقول: هناك نوعان من الحكم بغير ما أنزل الله بهذا الاعتبار:

- أ - الحكم بغير ما أنزل الله عندما يكون مخرجا من الملة، أي كفرا أكبر .
- ب - الحكم بغير ما أنزل الله عندما لا يكون مخرجا من الملة، أي كفرا أصغر .

(١) هذه الرسالة طبعت مع مجموع فتاوى الشيخ من ٨٤، مرجع سابق .

(٢) سورة المائدة ٤٤ .

وقد ذكر هذين النوعين بعض علماء السلف باجمال.

قال في شرح الطحاوية: "وهنا أمر يجب أن يتفطن له، وهو: أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة؛ وقد يكون معصية، كبيرة أو صغيرة؛ وقد يكون كفرا؛ إما مجازيا، وإما كفرا أصغر، على القولين المذكورين، وذلك بحسب حال الحاكم، فإنه من اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه، أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كفر أكبر.

وان اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهذا عاص، ويسمى كافرا كفرا مجازيا أو كفرا أصغر.

وإن جهل حكم الله فيها مع بدل جهده واستفراغ وسعه في معرفة الحكم، وأخطأه، فهذا مخطيء له أجر على اجتهاده، وخطؤه مغفور". (١)

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: "والصحيح أن الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكافرين الأصغر والأكبر، بحسب حال الحاكم، فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عسيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر، وإن اعتقد أنه غير واجب، وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله، فهذا كافر كفرا أكبر، وإن جهله وأخطأه فهذا مخطيء له حكم المخطئين". (٢)

وقد فصل الشيخ محمد بن إبراهيم - مفتي الديار السعودية الأسبق رحمه الله - القول في هذه المسألة، وذكر في رسالة له بعنوان (تحكيم القوانين) أن الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلى قسمين: كفر اعتقادي، وكفر عملي. ثم ذكر ستة أنواع للكفر الاعتقادي، فقال:

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص ٢٢٣، ٢٢٤ مرجع سابق.

(٢) مدارج السالكين ١/٣٣٦، ٣٣٧ تحقيق/ محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.

"أما الأول وهو كفر الاعتقاد، فهو أنواع :

أحدها : أن يجدد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله، وهو معنى ما روي عن ابن عباس، واختاره ابن جرير(١)، أن ذلك هو وجود ما أنزل الله من الحكم الشرعي، وهذا مالا نزاع فيه بين أهل العلم، فإن الأصول المتقررة المتفق عليها بينهم أن من جحد أصلا من أصول الدين، أو فرعا مجمعا عليه، أو أنكر حرفا مما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - قطعيا، فإنه كافر الكفر الناقل عن الملة.(٢)

الثاني: ألا يجدد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول - صلى الله عليه وسلم - أحسن من حكمه، وأتم وأشمل لما يحتاجه الناس من الحكم بينهم عند التنازع، إما مطلقا، أو بالنسبة إلى ما استجد من الحوادث التي نشأت عن تطور الزمان، وتغير الأحوال، وهذا أيضا لا ريب أنه كفر، لتفضيله أحكام المخلوقين التي هي محض زبالة الأذهان، وصرف حثالة الأفكار، على حكم الحكيم الحميد...

الثالث : ألا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله، فهذا كالنوعين اللذين قبله في كونه كافرا الكفر الناقل عن الملة، لما يقتضيه ذلك من تسوية المخلوق بالخالق، والمناقضة والمعاندة لقوله عز وجل: (ليس كمثله شيء...)(٣) ونحوها من الآيات الكريمة الدالة على تفرد الرب بالكمال وتنزيهه عن مماثلة المخلوقين في الذات والصفات والأفعال، والحكم بين الناس فيما يتنازعون فيه .

(١) انظر: ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ١٦٧/٦ مرجع سابق.

(٢) وهذا النوع يمكن أيضا أن نلحقه بما ورد في المبحث الثالث من هذا الفصل وهو إنكار ما علم من الدين بالضرورة.

(٣) سورة الشورى ١١ .

الرابع : ألا يعتقد كون حكم الحاكم بغير ما أنزل الله مماثلا لحكم الله ورسوله، فضلا عن أن يعتقد كونه أحسن منه، لكن اعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله، فهذا كالذي قبله يصدق عليه ما يصدق عليه، لاعتقاده جواز ما علم بالنموص الصحيحة الصريحة القاطعة تحريمه.

الخامس : وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاققة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادا وإمدادا وإرصادا وتأميلا وتفريعا وتشكيلا وتنويعا وحكما وإلزاما، ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع ومستندات مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فلهذه المحاكم مراجع هي: القانون الملق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة، كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

فهذه المحاكم الآن في كثير من أعمار الإسلام مهياة مكملة مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به، وتقرهم عليه، وتحتمه عليهم، فأى كفر فوق هذا الكفر، وأي مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة.

السادس: ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل من البوادي ونحوهم من حكايات آبائهم وأجدادهم وعاداتهم التي يسمونها (سلومهم) يتوارثون ذلك منهم، ويحكمون به، ويحصلون على التحاكم إليه عند النزاع بقاء على أحكام الجاهلية، وإعراضا ورغبة عن حكم الله ورسوله فلا حول ولا قوة الا بالله.

أما القسم الثاني : من قسمي كفر الحاكم بغير ما أنزل الله، وهو الذي لا يخرج عن الملة، فقد تقدم أن تفسير ابن عباس - رضي الله عنهما - لقول الله

عز وجل: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)(١) قد شمل هذا القسم، وذلك في قوله: "كفر دون كفر" وقوله أيضا: "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه" وذلك أن تحمله شهوته وهواه على الحكم في القضية بغير ما أنزل الله، مع اعتقاده أن حكم الله ورسوله هو الحق، واعترافه على نفسه بالخطأ ومجانبة الهدى، فهذا وإن لم يخرج كفرة عن الملة فإنه معصية عظمى، أكبر من الكبائر، كالزنا، وشرب الخمر، والسرقعة، واليمين الغموس وغيرها، فإن معصية سماها الله في كتابه كفرا، أعظم من معصية لم يسمها كفرا، نسأل الله أن يجمع المسلمين على التحاكم إلى كتابه انقيادا ورضا، إنه ولي ذلك والقادر عليه". (٢)

وقد ذكر بعض العلماء المعاصرين - أيضا - هذين القسمين، وإن لم يفصلوا كثيرا في القسم الأول (الكفر الأكبر) كما فعل الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله.

ومن ذلك ما ذكره عبد الرحمن عبد الخالق، الذي جعل هذه المسألة في ثلاث صور، تمثل الأولى والثانية القسم الأول مما ذكرنا - أي الكفر الأكبر - وتمثل الصورة الثالثة، القسم الثاني - أي الكفر الأصغر - فيقول: "هل يعد كافرا كل من حكم في قضية ما بحكم غير حكم الله تبارك وتعالى؟ والجواب على ذلك: أن هناك صورا ثلاثا لهذا الأمر:

الأولى: أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن ما حكم به هو الأفضل، وهذا كفر بإجماع المسلمين، ولا مخالف لذلك.

الثانية: أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن ما حكم به متساو مع حكم الله، وأن هذا مثل هذا، وهذا أيضا كفر بالإجماع، لأنه يساوي الله بخلقه، كما

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) محمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحكيم القوانين، ص ٥-٨، - باختصار - مطابع دار الثقافة بمكة، رجب، ١٣٨٠هـ.

قال تعالى: (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون). (١)

الثالثة : أن يعتقد أن حكم الله هو الخير، وهو الحق، وكل حكم يخالفه مرجوح باطل، ولكنه يحكم به بدافع من شهوة أو رشوة أو منصب أو غير ذلك، وهذا الذي قال فيه ابن عباس رضي الله عنهما : "كفر دون كفر" أي : كفره لا يخرج من ملة الإسلام ومن جماعة المسلمين". (٢)

وذكر الدكتور عبد الله أحمد القادري هذه المسألة جاعلا الحكم بما أنزل الله على أربعة أنواع، تمثل الثلاثة الأولى القسم الأول مما ذكرنا - أي الكفر الأكبر - وتمثل الرابعة القسم الثاني - أي الكفر الأصغر - حيث يقول:

"أنواع الحكم بغير ما أنزل الله :

النوع الأول: أن يستط الحاكم الحكم بغير ما أنزل الله، كتطليل الزنا، وشرب الخمر، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وإباحة الربا، ونحو ذلك.

النوع الثاني: أن يلغي الحاكم بسلطة الحكومة الحكم بالشريعة الإسلامية، ويحل محلها الحكم بالقانون الوضعي، وينفذه كذلك بسلطته الوظيفية، كما هو حال كثير من رؤساء الشعوب الإسلامية، حتى لقد بلغ بهم الأمر أن تدخلوا في الأحوال الشخصية للمسلمين من زواج وطلاق وإرث وغيرها. (٣)

النوع الثالث : أن يحكم بغير ما أنزل الله معتقدا أن ما أنزل الله غير صالح لعصره، وأن تلك القوانين التي حكم بها أكثر ملاءمة، وأصلح لأمر الناس من حكم الله، كمن يتهم الإسلام بالوحشية لحكمه بقطع يد السارق في قليل من المال، وقتل القاتل المتعمد، ونحو ذلك.

(١) سورة الأنعام ١ .

(٢) الحد الفاصل بين الإيمان والكفر ص ٤٧، ٤٨، دار العلم للطباعة والنشر، بنها، مصر، ١٤٠١هـ.

(٣) انظر: مذكره الشيخ محمد بن إبراهيم - رحمه الله - في النوع الخامس من القسم الأول، ص ٢١٢ .

النوع الرابع : أن يحكم بغير ما أنزل الله في جزئية من الجزئيات، وهو
يعتقد أنه عام، وأن الحكم بغير ما أنزل الله محرم، وأن الواجب هو الحكم
بما أنزل الله، ولكن غلبه هواه لمال أو جاه أو قرابة، ففعل ما فعل، كأن
يعطي الحق غير صاحبه مع علمه به، وإقامة البرهان عليه". (١)
ثم بين الدكتور عبد الله أن أقوال السلف تجعل النوع الرابع - مما ذكره
- كفرا غير مخرج من الملة .

ثالثا : نظرات في الواقع المعاصر :

من الأمور المشاهدة والواضحة للجميع أن عدم الحكم بما أنزل الله انحراف
سائد في العالم الإسلامي اليوم، لايحتاج إلى إثبات واستدلال، بل إن الابتعاد عن
الشريعة ووصفها بأوصاف سيئة، وتعطيل حدود الله وأحكامه بين العباد، أمر
شائع في أكثر البلاد الإسلامية .

وكانت (اللا دينية) أو ما اشتهر بـ (العلمانية) (٢) سببا رئيسيا في إقصاء

(١) الردة عن الإسلام، وخطرهما على العالم الإسلامي، ص٥٦، ٥٧ مكتبة طيبة،
المدينة المنورة، ط ٢، ١٤٠٥ هـ .

(٢) جاء في قاموس ويبستر ما نمده: " Secularism رؤية للحياة، أو أي أمر
محدد يعتمد أساسا على أنه يجب استبعاد الدين وكل الاعتبارات الدينية
وتجاهلها، ومن ثم فهي نظام أخلاقي اجتماعي يعتمد على قانون يقول: بأن
المستويات الأخلاقية والسلوكيات الاجتماعية يجب أن تحدد من خلال الرجوع إلى
الحياة المعاشة والرفاهية الاجتماعية دون الرجوع إلى الدين".

أما النم الإنجليزي فهو :

"Secularism

a view of life or of any particular matter based on the premise that
religion and religious considration should be ignored or purposely =

الأحكام الشرعية عن معظم مجالات الحياة بين المسلمين، وكان من الطبيعي أن يتجه الذين تمكنوا من ولاية الأمر على المسلمين من العلمانيين إلى القوانين الوضعية، وخاصة البريطانية، والفرنسية، لكون بريطانيا وفرنسا هما أكثر الدول الاستعمارية نصيبا في البلاد الإسلامية، بعد هدم الخلافة العثمانية.

وكانت الشرارة الأولى التي انطلقت على العالم الإسلامي شرارة العلمانية في تركيا (١) بلد الخلافة الإسلامية، ثم توالى البلاد الإسلامية بعد تحررها الظاهر من الاستعمار، وأخذت تتجه إلى المعسكر الغربي، وبعضها إلى المعسكر الشرقي، وأخذ بعضها يتأرجح مرة إلى الغرب ومرة إلى الشرق.

أما الحكم الإسلامي واتباع منهج الله بين عباده فإنه لم يسمح له أبدا بالقيام في البلاد التي تعرضت للاستعمار إلى يومنا هذا، بل إنه لم يسمح أبدا للغيورين من المسلمين المطالبين بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله بإبداء آرائهم، فامتلات السجون، وأزهقت الأرواح، وسالت الدماء في أنحاء كثيرة من

excluded (a policy of strict-in government) specif; a system of social ethics based upon a docerine that ethical standards and conduct should be determind exclusively with reference to the present life and social will being without refrence to religion".

Webester,s Third New International Dictionary page 2053

MERRIAM CO. 1971 U. S. A.

- وانظر: الدكتور السيد أحمد الفرج، جذور العلمانية، ص ١٠٤، ١٠٥، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، ط ٣، ١٤٠٧هـ.

(١) انظر: عبد الكريم مشهداني، العلمانية وآثارها على الأوضاع الإسلامية في تركيا، بحث لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية العليا من دار الحديث الحسينية، المكتبة الدولية بالرياض، ومكتبة الخافقين بدمشق، ط (١)،

العالم الإسلامي.

ومن العجيب أن صور القتل والتعذيب التي طبقت على المسلمين من حكام المسلمين لم تحدث في تاريخ العالم الإسلامي من قبل، فهذا حاكم يحرق عشرة من العلماء في ميدان عام، وآخر يجري محاكمات لأعداد كبيرة من أبناء شعبه، فتصدر الأحكام بعد التعذيب والتشريد بالقتل والسجن، مما أفقد الأمة كثيرا من خيرة العلماء والمفكرين، وثمة حاكم آخر يهدم مدينة بأكملها على أهلها بسبب انطلاق المطالبين بتحكيم الشريعة منها.

هذه النتائج السيئة التي وصلت إليها البلاد الإسلامية كلها بسبب البعد عن الإسلام، وإبعاده عن نواحي الحياة، وبعد ذلك يأتي نفر من أبناء المسلمين ليجهزوا على البقية المتبقية من البلاد الإسلامية التي ما زالت تطبق شرع الله على نطاق واسع، وهؤلاء المعادون للإسلام - بلسان الحال أو بلسان المقال - إنما ينطلقون أساساً من المنطلق العلماني الكافر.

"إن العلمانية - باختصار - نظام طاغوتي جاهلي كافر، يتنافى ويتعارض تماما مع شهادة "لا إله إلا الله" سواء على مستوى الجماعات، أو الأفراد الذين يتبعون هذا المنهج.

إن العلمانية تعني - بداهة - الحكم بغير ما أنزل الله، وتحكيم غير شريعة الله، وقبول الحكم والتشريع والطاعة والاتباع من طواغيت أخرى من دون الله، فهذا معنى قيام الحياة على غير الدين، ومن ثم فهي - بالبديهة أيضا - نظام جاهلي لامكان لمعتقده ولا لنظامه ولا لشرائعه في دائرة الإسلام". (١)

وهذا الأمر من الواضح بحيث لا يخفى على كل أحد، فإن من أهم النتائج لهذا الفكر الهدام تلك القوانين الوضعية التي تخالف حكم الله ورسوله، وتعادي الأحكام الشرعية عداً سافراً.

(١) محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة ص١٩٥، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.

ومن المؤسف أن يقوم بهذا الأمر نفر غير قليل من أبناء المسلمين.
يقول الشيخ أحمد محمد شاكر رحمه الله : "هذه القوانين التي فرضها على المسلمين أعداء الإسلام، السافرة العداوة، هي في حقيقتها دين آخر، جعلوه ديناً للمسلمين بدلاً من دينهم النقي السامي، لأنهم أوجبوا عليهم طاعتها، وغرسوا في قلوبهم حبها وتقديسها، والعصبية لها، حتى لقد تجرّي على الألسنة والأقلام كثيراً كلمات: (تقديس القانون) و (قدسية القانون) و (حرمة المحكمة) وأمثال ذلك من الكلمات التي يابون أن توصف بها الشريعة الإسلامية، وآراء الفقهاء الإسلاميين".
ثم "صاروا يطلقون على هذه القوانين ودراساتها كلمة الفقه والفقيه، والتشريع، والمشرع، وما إلى ذلك من الكلمات التي يطلقها علماء الإسلام على الشريعة وعلمائها".

ويقول أيضاً: "وقد ربي لنا المستعمرون من هذا النوع طبقات أرضعهم لبان هذه القوانين، حتى صار منهم فئات عالية الثقافة، واسعة المعرفة - في هذا اللون من الدين الجديد - الذين نسخوا بهم شريعتهم، ونبغت فيهم نوابغ يفخرون بها على رجال القانون في أوروبا، فصار للمسلمين من أئمة الكفر ما لم يبتلى به الإسلام في أي دور من أدوار الجهل بالدين في بعض العصور". (١)

ويقول الاستاذ محمد قطب عند حديثه عن استيراد المبادئ والنظم من أوروبا: "أيما كان الأمر .. وأيما كانت مسؤوليات الناس ... فقد صاحب هذا الوضع ظاهرة خطيرة - أو قل إن شئت ترتبت عليه نتيجة خطيرة - أصبحت منذ ذلك الحين جزءاً من واقع هذه الأمة؛ هي استيراد النظم والمبادئ للمسلمين من عند أعداء الإسلام !

لقد كان الأمر سيئاً وخطيراً من كل وجه، فقد كانت هذه هي المرة الأولى في حياة الأمة التي تستورد فيها "المبادئ" من خارج الإسلام، وتستورد النظم -

(١) عمدة التفسير، عند التعليق على سورة النساء ٢١٤/٣، ٢١٥، دار المعارف بمصر، ١٣٧٦هـ.

الاقتصادية، والسياسية، والاجتماعية - من خارج الاسلام". (١)

لقد أباحت القوانين الوضعية ما حرمه الله، وحرمت ما أطل الله، وسأكتفي هنا بذكر مثل واحد حرّمته الشريعة وأباحته القوانين الوضعية في بعض المور، أو عاقبت عليه بعقوبة مخالفة للعقوبة التي أنزلها الله في كتابه، أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأعني الزنا.

والزنا في الشريعة الإسلامية هو كل سفاح ليس بنكاح، أي بزواج شرعي، وكل صلة محرمة بين رجل وامرأة، ولو برضاها معا.

أما في القوانين الوضعية، ومنها قانون العقوبات المصري المأخوذ من القانون الفرنسي، ومن ورائه قانون العقوبات الليبي المأخوذ عن المصري فالفرنسي والإيطالي، فيجعل الاتمال الجنسي والمواقعة الفعلية مباحة مادام لإكراه فيه، وكان التراضي على اقتتراف هذه الجريمة بين ذكر وأنثى غير متزوجة، وسنها فوق الثامنة عشر (مادة ٦٩) عقوبات.

ومعنى ذلك أن القانون الوضعي أطل الزنا في ظروف معينة، ولا عقاب إلا في حال الإكراه وصغر السن، أما الزوجة المحصنة فأمر ارتكابها للجريمة لم يترك للجماعة والنيابة العامة، إنما ترك لرغبة الزوج، فإذا أراد مؤاخدة الزوجة أبلغ الأمر إلى النيابة، وإن بدت له فكرة العدول أثناء التحقيق أوقفت النيابة التحقيق، وأظلي سبيل المرأة، فإن بقي على بلاغه، ووصلت الزانية إلى المحكمة، فينص القانون الوضعي على عقابها بالحبس دون الرجم الذي هو الحد الشرعي.

والقانون المصري الوضعي فرق حتى في مقدار العقوبة في الجريمة الواحدة، فعقوبة الزوج الزاني لا تزيد على ستة أشهر (المادة ٢٧٧) وعقوبة الزوجة

(١) محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص(٣٤١)، مؤسسة المدينة للمحافة والطباعة

الزانية الحبس بما لا يزيد على سنتين (المادة ٢٧٤).

ويمكن القول بأن الزنا في القانون الوضعي معناه خيانة العلاقة الزوجية - بينما الشريعة الإسلامية تعتبره كل صلة جنسية محرمة بين رجل وامرأة - .

ويصح للقاضي أن ينزل بعقوبة الحبس إلى حد وقف التنفيذ، فإن الحبس مع النفاذ ساغ للزوج أن يستنازل عن حقه، فتخرج المرأة من الحبس على الرغم من صدور حكم نهائي عليها، وكذلك الزوج الزاني لا يجوز محاكمته ما لم تقدم الشكوى وتطلب محاكمته، المواد (٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٧) عقوبات، و (مادة ٢) إجراءات.

ومن عجب أن التناقض بين قانون العقوبات الوضعي والقانون المدني، إذ إن الأخير يجعل المرأة غير أهل للتصرف في القليل من مالها إلا إذا بلغت سن الواحدة والعشرين، وأباح لها قانون العقوبات أن تتصرف في عرضها متى بلغت الثامنة عشر، فالعرض في شرع القوانين الوضعية أهون من المال! .

أما في قانون العقوبات الليبي، وفي الباب الثاني منه تحت عنوان "الجرائم ضد الأسرة" فقد نصت المواد (٣٩٩-٤٠٢) في الفصل الثاني، على جرائم ضد أخلاق الأسرة، فجعلت :

أولا : جريمة الزنا ليست من حق الله، ولا المجتمع، بل من حق الزوج والزوجة، ولا شأن للنيابة إلا إذا تقدم أحدهما بالشكوى ضد الآخر.

ثانياً: تسقط جريمة الزنا إذا تنازل الشاكي عن شكواه، ولو بعد صدور الحكم النهائي بالعقوبة، فيفرج عن المحبوس.

ثالثاً: إذا زنت الزوجة، وكان الزوج قد ارتكب الزنا في الخمس سنوات السابقة، فلا حق له في الشكوى ضدها، وكذلك الزوجة لاحق لها في الشكوى ضد زوجها الذي زنا إذا كانت خلال خمس سنوات سابقة قد ارتكبت جريمة الزنا.

رابعاً : عقوبة الزنا بالنسبة للزوجة الحبس مدة لا تزيد عن سنتين، وبالنسبة للزوج الحبس مدة لا تزيد عن ستة أشهر.

خامساً : لا يعاقب الزوج على مجرد الزنا، وإنما يعاقب فقط إذا ارتكب الزنا في منزل الزوجية، أو اتخذ له خلية جهاراً، وزنى بها في أي مكان آخر.

وفي الباب الثالث من قانون العقوبات الليبي تحت عنوان: "الجرائم ضد الحرية والأخلاق" وردت المواد (٤٠٧، ٤٠٨) وما بعدها، وعلامة ما فيها: أولاً : إن الواقعة "الزنا" وهتك العرض لا عقوبة عليها إذا حصلت بين رجل وامرأة إلا إذا ضبطا متلبسين في مكان عام، ما دام ذلك برضى الطرفين. ثانياً : أما إذا كان بغير رضى أحد الطرفين، واستعمل الآخر القوة والتهديد أو المخادعة، فالعقوبة السجن. ثالثاً : وكذلك تعتبر الجريمة واقعة إذا كان المجني عليه قامراً لم يبلغ سن الثامنة عشرة، أو كان ناقص العقل. (١)

نسأل الله أن يهدي المسلمين حكماً ومحكومين إلى سواء الصراط، ليحكموا شرع الله، ويتحاكموا إليه، حتى يصدق انتمائهم إلى هذا الدين العظيم، الإسلام، (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخسرين). (٢)

(١) انظر: د. عمر سليمان الأشقر، الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية، ص ٨٠-٨٣ - بتصرف يسير واختصار - دار الدعوة، الكويت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

- والمستشار علي منصور، مقارنات بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي، ص ٤٥-٤٨، دار الفتح للطباعة، بيروت، ط ١، ١٣٩٠هـ.

(٢) سورة آل عمران ٨٥ .

المبحث الخامس : مخالفة مفهوم الولاء والبراء :

أولاً : مفهوم الولاء والبراء .

أ - الولاء لغة :

ولي فلانا : نصره وأحبه .

وَالَى بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ مَوَالاةٌ، وِوَالَةٌ : تابع، ووالى فلانا: أي أحبه ونصره

وحاباه. (١)

والموالاتة: أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصلح، ويكون له في

أحدهما هوى فيواليه أو يحابيه .

ووالى فلاناً فلاناً : إذا أحبه. (٢)

والمولى : اسم يقع على جماعة؛ فهو الرب، والمالك، والسيد، والمنعم،

والمعتق، والناصر، والمحب، والتابع، والجار، وابن العم، والطيّف، والعقيد،

والصهر، والعبد، والمعتق، والمنعم عليه. (٣)

ب - البراء لغة :

بريء : إذا تخلص .

وبريء : إذا تنزه وتباعد .

وبريء : إذا أَعذر وأَنذَر، ومنه قوله تعالى: (براءة من الله ورسوله) (٤)

أي: إَعذار وإِنذار. (٥)

وتبرأ من كذا: تخلص وتخلّى عنه، وفي التنزيل: (اذ تبرأ الذين اتبعوا من

(١) انظر: د. إبراهيم أنيس وزملاؤه، ١٠٥٧/٢ مرجع سابق .

(٢) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٢٥٣٠/٦، ٢٥٣١ مرجع سابق .

(٣) المرجع السابق .

(٤) سورة التوبة ١ .

(٥) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ٣٣/١ مرجع سابق .

الذين اتبعوا... (١).

تقول : برئت منك، ومن الديون والعيوب براءة، وبرئت من المرض ببراءة،
وتبرأت من كذا، وأنا براءةٌ منه، وخلاءٌ منه. (٢)
والبراءة : مصدر، ويوصف به، وفي التنزيل : (إنى براء مما تعبدون). (٣)

ج - الولاء والبراء في الاصطلاح الشرعي :

لما كان الولاء في الإسلام يقتضي البراء من أعداء الله، فإن هذه العبارة
لاتتجرأ في اصطلاح علماء الإسلام، وما يكاد يذكر الولاء أو الموالاتة لله، إلا
ويذكر معه البراء من أعداء الله، والمعادة لهم، لهذا كان لابد من ذكرهما
معاً، وعدم فصل أحدهما عن الآخر، لأن هذا الجمع جزء من المعنى الاصطلاحي في
الشرع.

قال ابن تيمية رحمه الله: "الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة
والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد، وقد قيل: إن الولي سمي ولياً من
موالاته للطاعات، أي متابعتها لها، والأول أصح.

والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا : أي يقرب منه، ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم: [أحقوا الفرائض بأهلها، فما تركت الفرائض فلأولى رجل ذكر] (٤)

(١) سورة البقرة ١٦٦، وانظر: د. إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط ٤٦/١
مرجع سابق.

(٢) الجوهرى، الصحاح ٣٦/١ مرجع سابق.

(٣) سورة الزخرف ٢٦، وانظر: د. إبراهيم أنيس وزملاؤه، المعجم الوسيط ٤٦/١
مرجع سابق.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفرائض، باب (١٥) ٨/٨ مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفرائض، باب أحقوا الفرائض بأهلها
فما بقي فلأولى رجل ذكر ١٢٣٢/٢ مرجع سابق.

أي: لأقرب رجل إلى الميت ...

فإذا كان ولي الله هو الموافق المتتابع له فيما يحبه ويرضاه ويبغضه ويسخطه ويأمر به وينهى عنه كان المعادي لوليّه معادياً له، كما قال تعالى: (يأياها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة). (١)

فمن عادى أولياء الله فقد عاداه، ومن عاداه فقد حاربه، فلهذا قال صلى الله عليه وسلم: [قال الله تعالى: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب]". (٢)

وقال في شرح الطحاوية: "الولي خلاف العدو، وهو مشتق من الولاء، وهو الدنو والتقرب، فولي الله هو من وإلى الله بموافقته محبوباته، والتقرب إليه بمرضاته، وهؤلاء قال الله تعالى فيهم: (ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب)". (٣)

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن (٤): "أصل الموالة: الحب، وأصل

(١) سورة الممتحنة ١ .

(٢) ابن تيمية، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٥-٦، - باختصار - دار الكتب العلمية، بيروت.

- والحديث رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب التواضع، ١٩٠/٧ مرجع سابق.

(٣) سورة الطلاق ٢،٣، شرح الطحاوية ص ٣٦٠ مرجع سابق.

(٤) عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، ولد سنة (١٢٢٥) هـ في الدرعية، وحفظ القرآن الكريم في صغره، ثم انتقل إلى مصر، وبقي بها (٢١) سنة، يتلقى العلم على أفاضل علمائها، وفي سنة (١٢٦٤) هـ رجع إلى نجد، واستقر في الأحساء لمدة سنتين ينشر دعوة التوحيد، ثم انتقل إلى الرياض، له جمع من طلاب العلم، وله ستة مصنفات في التوحيد ومختلف العلوم، توفي في ١٤/١١/١٢٩٣ هـ انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، ص ٩٢-١٢١، ط ٢، ١٣٩٤ هـ.

المعاداة البعض، وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاتة والمعاداة، كالنصرة والأنس، والمعاونة، وكالجهاد، والهجرة، ونحو ذلك من الأعمال". (١)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي (٢): "إن الله تعالى عقد الأخوة والموالاتة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاتة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين، ودلائل هذا من الكتاب والسنة كثيرة معروفة.

فكل مؤمن موحد تارك لجميع المكفرات الشرعية، فإنه تجب محبته وموالاته ونصرته، وكل من كان بخلاف ذلك فإنه يجب التقرب إلى الله ببغضه ومعاداته، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة، فالولاء والبراء تابع للحب والبغض، والحب والبغض هو الأصل، وأصل الإيمان أن تحب في الله أنبياءه وأتباعهم، وتبغض في الله أعداءه وأعداء رسله". (٣)

وقال الدكتور محمد سعيد القحطاني: "الولاء في الله هو: محبة الله، ونصرة دينه، ومحبة أوليائه، ونصرتهم.

(١) عبد الرحمن بن قاسم، الدرر السنية ١٥٧/٢ مرجع سابق.

(٢) عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي، ولد بمدينة عنيزة بالقصيم، سنة (١٣٠٧هـ) وتوفيت أمه وله أربع سنين، ثم توفي والده وهو في الثانية عشرة من عمره، فاحتضنته زوجة والده، بدأ بدراسة القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره، وطلب العلم بعد ذلك على عدد من علماء زمانه، ومشايخ بلده، ولما بلغ ثلاثاً وعشرين سنة، جلس للتدريس، فكان يتعلم ويعلم، له مؤلفات عديدة، منها تفسير للقرآن، وتخرج على يديه علماء كثيرون، توفي قبل فجر يوم الخميس ١٣٧٦/٦/٢٢هـ رحمه الله. انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد، من ٢٩٢-٢٩٧ مرجع سابق.

(٣) عبد الرحمن السعدي، الفتاوى السعدية (١/٩٨)، ط ١، ١٣٨٨هـ.

والبراء هو : بغض أعداء الله ومجاهدتهم". (١)
قلت : وهذا التعريف هو خلاصة الأقوال السابقة، لأنه مبني على أصل الولاء
والبراء، وهو المحبة والبغض. والله أعلم.

ثانيا : أدلة الولاء والبراء :

١ - من القرآن الكريم :

وردت آيات كثيرة في كتاب الله عز وجل، تأمر المؤمنين بموالاته بعضهم
بعضاً، والبراءة من أعدائهم، ومفاصلتهم، وعداوتهم.

وسنذكر نماذج من هذه الآيات، منها :

١ - قال تعالى: (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن
يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقلة). (٢)

قال ابن جرير - رحمه الله - في قوله: (فليس من الله في شيء): "يعني
فقد برىء من الله وبرىء الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر". (٣)

٢ - قال تعالى: (بشر المنافقين بأن لهم عذابا اليما . الذين يتخذون
الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله
جميعا). (٤)

فسمى الله الموالين للكفار منافقين .

قال ابن جرير رحمه الله: "يقول الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:
يا محمد، بشر المنافقين الذين يتخذون أهل الكفر بي، والإلحاد في ديني

(١) د. محمد سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، ص ٤٢، رسالة ماجستير،

قسم العقيدة، بجامعة أم القرى، ١٤٠١هـ، دار طيبة، الرياض، ط ١ .

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) جامع البيان في تفسير القرآن ١٥٢/٣ مرجع سابق.

(٤) سورة النساء ١٣٨، ١٣٩ .

أولياء، يعني : أنصارا و أظلاء. من دون المؤمنين، يعني : من غير المؤمنين، أبيتغون عندهم العزة؛ يقول: أطلبون عندهم المنعة والقوة باتخاذهم أولياء من دون أهل الإيمان بي، فإن العزة لله جميعا". (١)

٣ - قال تعالى: (يأئبها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين. فترى الذين في قلوبهم مرض يسرعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين). (٢)

قال الإمام القرطبي - رحمه الله - في قوله: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) "أي: من يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين فحكمه كحكمهم في الكفر والجزاء، وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة، وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين". (٣)

٥ - قال تعالى: (يأئبها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين). (٤)

٦ - وقال تعالى: (ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خُدون. ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فُسقون). (٥)

(١) ابن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ٢١١/٥ مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة ٥٢، ٥١ .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢١٢/٦ مرجع سابق.

(٤) سورة المائدة ٥٧ .

(٥) سورة المائدة ٨٠، ٨١ .

٧ - قال تعالى: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم). (١)

وقال تعالى: (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرني فإنه سيهدين). (٢)

وقال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا براء^١ وإنا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده). (٣)

قال الشيخ عبدالرحمن السعدي رحمه الله " (قد كانت لكم) يامعشر المؤمنين (أسوة حسنة) أي: قدوة صالحة، واثتمام ينفعكم. (فى إبراهيم والذين معه) من المؤمنين، لأنكم أمرتم أن تتبعوا ملة إبراهيم حنيفا.

(إذ قالوا لقومهم إنا براء^١ وإنا منكم ومما تعبدون من دون الله) أي: إذ تبرأ إبراهيم عليه السلام ومن معه من المؤمنين من قومهم المشركين، ومما يعبدون من دون الله، ثم صرحوا بعدواتهم غاية التصريح فقالوا: (كفرنا بكم وبدا) أي: ظهر وبان، (بيننا وبينكم العداوة والبغضاء) أي: البغض بالقلوب، وزوال مودتها، والعداوة بالأبدان.

وليس لتلك العداوة والبغضاء وقت ولا حد، بل ذلك (أبدا) ما دمتم مستمرين على كفركم (حتى تؤمنوا بالله وحده) أي: فإذا آمنتم بالله وحده، زالت العداوة والبغضاء، وانقلبت مودة وولاية. (٤)

(١) سورة التوبة ١١٤ .

(٢) سورة الزخرف ٢٦، ٢٧ .

(٣) سورة الممتحنة ٤ .

(٤) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ٣٥٢/٧، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٤هـ.

ب - من السنة النبوية :

١ - دلالة حديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي رواه الإمام مسلم - رحمه الله - في صحيحه في كتاب الإيمان، (باب موالاتة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم) حيث أورد حديث عمرو بن العاص - رضي الله عنه - المتفق عليه؛ قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جهارا غير سر، يقول: [ألا إن آل أبي - يعني فلانا - ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وماله المؤمنين]. (١)

٢ - ما أخرجه الإمام أحمد والنسائي أن جريرا قال: أتيت النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو يبائع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط علي فأنت أعلم، قال: [أبايعك على أن تعبد الله، وتقائم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المؤمنين، وتفارق المشركين]. (٢)

٣ - قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب فلا يأتيني الناس بالأعمال وتأتوني بالدنيا تحملونها على رقابكم، فتقولون: يا محمد، فأقول: هكذا وهكذا لها؛ وأعرض في كلا عطفه]. (٣)

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب يبيل الرحم ببلالها، ٧٣/٧ مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب موالاتة المؤمنين ومقاطعة غيرهم والبراءة منهم ١٩٧/١ مرجع سابق.

(٢) الإمام أحمد، المسند ٣٦٥/٤ مرجع سابق.

- والنسائي، سنن النسائي ١٤٨/٧ مرجع سابق.

قال الألباني: إسناده صحيح، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢٣٠/٢،

المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٩٢هـ.

(٣) الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤٠٣/٢ مرجع سابق.

٤ - وردت أحاديث كثيرة تبين ما يجب أن يكون عليه المؤمن من محبته لإخوانه المؤمنين، ومودتهم في الله، ومن ذلك :

-- ما رواه أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما]. (١)

-- وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أيضا، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [لا يؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين]. (٢)

-- وعن أنس - رضي الله عنه - أيضا، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال لجاره - ما يحب لنفسه]. (٣)

وقد سبق أن الولاء والبراء مبنيان على الحب والبغض، فبمحبته الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - يكون الولاء لله ورسوله، ولما جاء به صلى الله عليه وسلم من عند الله، ولاتباعه وأنصاره، وببغض كل من يخالفهم أو يعاديهم يكون البراء، بالإضافة إلى ما يتبع ذلك من لوازم المحبة ولوازم البغض.

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحب في الله ٨٢/٧ مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ٦٦/١ مرجع سابق.

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٧/١ مرجع سابق.

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، ٦٧/١ مرجع سابق.

ج - من أقوال علماء المسلمين :

ذكرنا فيما سبق شيئاً من أقوال علماء المسلمين عند ذكر الآيات الواردة في
الولاء والبراء، ونزيد الأمر هنا بذكر أقوال أخرى، ومن ذلك :

- قال ابن كثير رحمه الله (١): "نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين
أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالموودة من دون
المؤمنين في قوله تعالى: (لايتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين)
ثم توعده على ذلك فقال: (ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء) أي: ومن
يرتكب نهى الله في هذا فقد برىء من الله، إلا أن يكون ذلك تقية بالظاهر
لابالباطن والنية، بسبب خوف في بعض البلدان والأوقات من شرهم، كما قال
سبحانه: (إلا أن تتقوا منهم تقيته)". (٢).

- وقال ابن تيمية رحمه الله: "والمؤمن عليه أن يعادي في الله، ويوالي
في الله، فإن كان هناك مؤمن فعليه أن يواليه وإن ظلمه، فإن الظلم لايقطع
بالموالة الايمانية، قال تعالى: (وإن طآففتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا
بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله
فإن فآت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين. إنما
المؤمنون إخوة...). (٣)

فجعلهم إخوة مع وجود القتال والبغي، وأمر بالإصلاح بينهم.
فليتدبر المؤمن، وليعلم أن المؤمن تجب موالاته وإن ظلمك واعتدى عليك،
والكافر تجب معاداته وإن أعطاك وأحسن اليك، فإن الله سبحانه بعث الرسل،
وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، فيكون الحب لأوليائه والبغض لأعدائه،
والإكرام لأوليائه، والإهانة لأعدائه، والثواب لأوليائه، والعقاب لأعدائه.

(١) تفسير القرآن العظيم، ٢٥٧/١ مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران ٢٨ .

(٣) سورة الحجرات ٩، ١٠ .

وإذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر، وفجور وطاعة، ومعصية وسنة وبدعة، استحق من الموالاة والثواب بقدر ما فيه من الخير، واستحق من المعاداة والعقاب بحسب ما فيه من الشر، فيجتمع في الشخص الواحد موجبات الإكرام والإمانة، فيجتمع له من هذا وهذا، كاللص الفقير، تقطع يده لسرقته، ويعطى من بيت المال ما يكفيه لحاجته، هذا هو الأمل الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة". (١)

- وعد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - من نواقض الإسلام العشرة، مظاهره المشركين ومعاونتهم على المسلمين(٢)، مستدلاً بقول الله تعالى: (ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين). (٣)

وقال في إحدى رسائله الشخصية: "أخبروهم أن الحب والبغض، والموالاة والمعاداة؛ لا يصير للرجل دين إلا بها... فلا ينفعهم ترك الشرك، ولا ينفعهم قول (لا إله إلا الله) حتى يبغضوا لله". (٤)

وقال: "واذكر لهم أنه واجب على الرجل - أن - يعلم عياله، وأهل بيته ذلك - الحب والبغض والموالاة والمعاداة - أعظم من وجوب تعليم الوضوء والصلاة" (٥) ويقول الشيخ سليمان بن سحمان(٦) رحمه الله في منظومة شملت خلاصة عقيدة

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٨/٢٨، ٢٠٩ - بتصريف يسير - مرجع سابق.

(٢) انظر: عبد الرحمن بن قاسم، مجموعة التوحيد من ٢٧٢ مرجع سابق.

(٣) سورة المائدة ٥١ .

(٤) الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب، ص ٣٢٢ - بتصريف يسير - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٥) الرسائل الشخصية ص ٣٢٢، مرجع سابق.

(٦) سليمان بن سحمان النجدي، عالم أديب شاعر، ولد في قرية السقا من أعمال أبها في عسير، سنة (١٢٦٦هـ) وانتقل مع أبيه إلى الرياض، فتلقى العلم على علمائها، وكان والده من العلماء العاملين، فقد أقرأ ابنه القرآن

الإسلام وأركانها، لما وصل إلى الشرط الرابع من شروط تحقيق (لإله إلا الله) وهو شرط المحبة، قال:

ومن كان ذا حب لمولاه إنمنا
ومن لا فلاء، والحب لله إنمنا
فعاد الذي عادى لدين محمد
وأحب رسول الله أكمل من دعا
أحب من الأولاد والنفس بل ومن
وطارفه والوالدين كليهما
وأحب لحب الله من كان مؤمنا
وما الدين إلا الحب والبغض والولا
محبتته للدين شرط فقيده
يتم بحب الدين دين محمد
ووال الذي وإله من كل مهتد
إلى الله والتقوى وأكمل مرشد
جميع الورى والمال من كل أتلد
بآبائنا والأمهات فنفتدي
وأبغض لبغض الله أهل التمرد
كذلك البزء من كل غاو ومعتد(١)

ثالثا : الفرق بين الولاء، وبين البر والصلة والتعامل.

أوجب الله على المؤمنين الولاء له ولرسوله وللمؤمنين، والبراء من أعدائهم، كما بينا ذلك من خلال ما ورد في القرآن والسنة، وأقوال علماء الأمة.
إلا أن هذا الأمر قد يشتهبه لدى بعض المسلمين بأمر آخر هو ما يتعلق بالبر

= حتى حفظه وأجاده، وفي سنة (١٢٨٤)هـ انتقل من الرياض إلى الأفلاج، وقد لازم الشيخ حمد بن عتيق سبعة عشر عاما، حتى توفي الشيخ حمد سنة (١٣٠١)هـ ثم انتقل إلى الرياض، فحائل، ثم إلى الرياض مرة أخرى، وبقي بها حتى فتحها الملك عبد العزيز، ثم أصيب بالعمى سنة (١٣٣١)هـ وتوفي بها سنة (١٣٤٩)هـ. انظر: عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، مشاهير علماء نجد ٢٩٠-٣٢٢ مرجع سابق.

(٢) انظر: القصيدة كاملة في الدرر السنية ٢٩٤/١ مرجع سابق.

- وسليمان بن سحمان، الجواهر المنضدة الحسان، ص ٢٥٧-٢٥٨، منشورات مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، الرياض.

والصلة، والمعروف في التعامل مع غير المسلمين.
فنقول : إن الله سبحانه لم يحرم هذه الأمور وغيرها مع الكفار إذا لم تكن
مصحوبة بالمحبة القلبية، وإقرارهم على كفرهم، وما يتبع ذلك.
"فعدم موالة الكفار لاتمنع مصابيتهم بالمعروف، فقد قال الله تعالى: (وإن
جاهلك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما ومصاحبهما في الدنيا
معروفا). (١)

فهذه الآية دليل على أن الإسلام لايمنع من مصاحبة الوالدين بالمعروف، مع
اختلاف العقيدة، وهذه المصاحبة ليست هي الموالة المنهي عنها، لأن الموالة هي
محبة القلب، وإرادة النصرة والمساعدة للمصوب، إذا كان محتاجا إلى ذلك". (٢)
وأمر الله سبحانه وتعالى بالعدل حتى مع الأعداء، قال تعالى: (ولا يجرمنكم
شئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى...). (٣)

كما أمر سبحانه بالبر والقسط مع الكفار الذين لم يقاتلونا في الدين،
ولم يخرجونا من ديارنا، قال تعالى: (لاينهكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في
الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب
المقسطين). (٤)

قال ابن حجر: "البر والملة والإحسان لايستلزم التحابب والتوادد المنهي
عنه في قوله: (لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله
ورسوله) (٥) فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل". (٦)

(١) سورة لقمان ١٥ .

(٢) محماس بن عبد الله الجعودي، الموالة والمعاداة في الشريعة الإسلامية،
٤٣/١، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(٣) سورة المائدة ٨ .

(٤) سورة الممتحنة ٨ .

(٥) سورة المجادلة ٢٢ .

(٦) فتح الباري ٢٣٣/٥ مرجع سابق.

أما التعامل معهم بالبيع والشراء سواء في بلادنا أو في بلادهم فإنه جائز، إذا لم يكن إغانة لهم على فساد أو ضرر بالمسلمين.

قال ابن تيمية - رحمه الله - في جواب له عندما سئل عن معاملة التنار: "يجوز فيها ما يجوز في معاملة أمثالهم، ويحرم فيها ما يحرم في معاملة أمثالهم، فيجوز أن يبتاع الرجل من مواشيهم وخيلهم ونحو ذلك كما يبتاع من مواشي الأعراب والتركمان والأكراد، ويجوز أن يبييعهم من الطعام والشياب ونحو ذلك ما يبيعه لأمثالهم.

فأما إن باعهم أو باع غيرهم ما يعينهم به على المحرمات؛ كبيع الخيل والسلاح لمن يقاتل به قتالا محرما، فهذا لايجوز، قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدون)"(١)

وروى البخاري في صحيحه في كتاب البيوع، باب الشراء والبيع مع المشركين وأهل الحرب، عن عبد الرحمن بن أبي بكر - رضي الله عنهما - قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم جاء رجل مَشْعَانٌ (٢) طويلٌ، بغنم يسوقها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [بيعا أم عطية] أو قال: [أم هبة؟] قال: لا، بل بيع، فاشترى منه شاة. (٣)

قال ابن بطال: معاملة الكفار جائزة، إلا بيع ما يستعين به أهل الحرب على المسلمين. (٤)

(١) سورة المائدة ٢ ، وانظر: المسائل الماردينية، ص١٢٢، تحقيق زهير الشاويش، ط ٣، ١٣٩٩هـ.

(٢) مَشْعَانُ الرَّأْس: شائرة وأشعثه. انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط ٢٤٠/٤، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، ط ٥ .

(٣) صحيح البخاري، ٢٨/٢ مرجع سابق.

(٤) ابن حجر، فتح الباري، ٤٧٨/٤، ٤٧٩ مرجع سابق.

وروي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير أخذه طعاماً لأهله. (١)

وقال ابن تيمية رحمه الله : "إن الرجل لو سافر إلى دار الحرب ليشتري منها جاز عندنا، كما دل عليه حديث تجارة أبي بكر - رضي الله عنه - في حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى أرض الشام، وهي دار حرب، وحديث عمر - رضي الله عنه - وأحاديث أخرى بسطت القول فيها..."

فأما بيع المسلم لهم في أعيادهم ما يستعينون به على عيدهم من الطعام واللباس والريحان ونحو ذلك، أو إهداء ذلك لهم؛ فهذا فيه نوع إعانة على إقامة عيدهم المحرم، وهو مبني على أمل، وهو : أن بيع الكفار عنباً أو عصيراً يتخذونه خمراً، لا يجوز.

وكذلك لا يجوز بيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً". (٢)

ولهذا لا بد إذا من التفارقة بين الولاء والبراء المبنيان على المحبة والبغض، وبين المصاحبة بالمعروف، والتعامل والبر الذي هو أمر آخر. ولا بد من الإشارة إلى أن الاشتباه بين هذين الأمرين، ينشأ من كون التعامل والبر والمصاحبة في بعض الأحيان نتيجة لضعف في الولاء والبراء، لهذا كان من المهم جداً أن يعرف المسلم الفرق بين الأمرين، ويتبين حدود كل واحد منهما.

(١) الإمام أحمد، المسند، ١٣٧/٥ تحقيق أحمد شاكر، وقال: إسناده صحيح، مرجع سابق.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم ٥٢٠/٢، تحقيق وتعليق د. ناصر العقل، مرجع سابق.

رابعاً : مقتضيات الولاء والبراء في الإسلام :

مقتضيات عقيدة الولاء والبراء في الإسلام كثيرة، وهذه المقتضيات إنما ترجع إلى أصل الولاء والبراء، وهو الحب والبغض.

فيحب المؤمن ربه ونبيه ودينه، ويبغض كل من حارب الله ورسوله ودينه، وينتج عن هذا الحب والبغض القلبيين أعمال كثيرة.

وكذلك يحب المؤمن إخوانه المؤمنين، ويتبع ذلك الحب أشياء عملية كثيرة، ويبغض من خالفهم وعاداهم، ويتبع ذلك أيضاً أشياء عملية، هي في واقع الأمر نتيجة طبيعية لصدق ذلك الحب والبغض.

قال ابن تيمية - رحمه الله - عند ذكر قول الله تعالى: (يأئبها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم)(١):

"الجهاد دليل المحبة الكاملة، فإن المحبة مستلزمة للجهاد، ولأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يوالي محبوبه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويبغض لبغضه، ويأمر بما يأمر، وينهى عما ينهى عنه". (٢)

ويقول: "والحب والبغض يتبعه ذوق عند وجود المحبوب والمبغض، ووجد وإرادة، وغير ذلك، فمن اتبع ذلك بغير أمر الله ورسوله فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله". (٣)

وكون الولاء والبراء قول وعمل ينسجم تماماً مع مفهوم الإيمان الذي هو اعتقاد بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

(١) سورة المائدة ٥٤ .

(٢) التحفة العراقية في الأعمال القلبية، ص ٦٨، ٦٩ - بتصرف يسير - مطبوع مع (أمراض القلوب وشفائها) المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ.

(٣) الحسبة في الإسلام، ص ٣٩، دار المطبعة السلفية، القاهرة، ط ٢، ١٤٠٠هـ.

وسننظر إلى هذا الأمر من جانبين، هما : ما يتعلق بالله ورسوله ودينه، وما يتعلق بالمسلمين.

ومع اعتقادنا الجازم بارتباط هذين الأمرين، إلا أنه لابد من هذا التقسيم للإيضاح والبيان، وسنشير إلى ارتباطهما فيما بعد؛ فنقول :

من مقتضيات الولاء والبراء في الإسلام :

١ - الولاء لله ورسوله ودينه، والبراء ممن خالفهم:

من خلال استقراء الآيات والأحاديث المتعلقة بذلك نجد ما يلي:

١ - محبة الله ورسوله فوق محبة النفس والأهل والولد والمال والناس أجمعين، قال تعالى: (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله..). (١)

وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ..]. (٢)

وهذه المحبة تقتضي الاتباع، ومحبة دين الله الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم). (٣)

وتقتضي كذلك البراءة ممن خالفهم وعاداهم، فكل ما سوى الله من معبود أو متبوع إنما هو طاغوت، وولاية الله إنما هي للمؤمنين: (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون). (٤)

(١) سورة البقرة ١٦٥ .

(٢) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ٦٦/١ مرجع سابق.

(٣) سورة آل عمران ٣١ .

(٤) سورة البقرة ٢٥٧ .

وقال تعالى: ناهياً عن اتخاذ أعدائه أولياء: (يأئبها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء...). (١)

٢ - الغضب لله ورسوله عندما تنتهك حرمانه، أو يستهزأ به أو يدينه، قال تعالى: (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم...). (٢)

وقال تعالى: (وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم...). (٣)

وهذا الغضب يقتضي هجران أهل الكفر والفساد والبدع والإنكار عليهم.

ومن هذا الباب الهجرة من دار الكفر والفسوق إلى دار الإسلام، فإنه هجر للمقام بين الكافرين والمنافقين الذين لا يمكنونهم من فعل ما أمر الله به، ومن هذا قوله تعالى: (والرجز فاهجر). (٤)

٣ - الجهاد في سبيل الله إعلاء لدين الله ورفعاً لرايته، قال تعالى: (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله...). (٥)

وقال تعالى: (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصديقون). (٦)

وإذا كان الجهاد في سبيل الله من أقوى الدلائل على صدق الولاء لله ولرسوله ولدينه، فإنه كذلك من أقوى الدلائل على صدق البراءة من الكافرين.

(١) سورة الممتحنة ١ .

(٢) سورة النساء ١٤٠ .

(٣) سورة الأنعام ٦٨ .

(٤) سورة المدثر ٥ .

وانظر : ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٤/٢٨ مرجع سابق.

(٥) سورة الأنفال ٣٩ .

(٦) سورة الحجرات ١٥ .

ب - الولاء للمسلمين، والبراء من أعدائهم .

١ - الحب في الله، والبغض في الله، هو من أهم جوانب ومقتضيات عقيدة الولاء والبراء فيما يتعلق بولاء المسلمين لبعضهم وبراءتهم من أعدائهم، وهو نتيجة من نتائج الحب الصادق لله ورسوله ودينه، فالمتبعون لهدى الله ورسوله، الملتزمون لدينه تجب محبتهم ومودتهم، وإرادة الخير لهم ونصيحتهم والتعاطف معهم شعورا قلبيا وعملا ظاهرا، واستشارتهم، وتقديمهم على غيرهم.

وقد جاء في حديث أنس السابق قول الرسول صلى الله عليه وسلم : [لا يجد أحد خلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه الا لله]. (١)

وقال الله تعالى: (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم). (٢)

ووصف سبحانه عباده الذين يحبهم ويحبونه بقوله: (أدلة على المؤمنين أعزة على الكافرين). (٣)

وقال عليه الصلاة والسلام: [مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى]. (٤)

ومن العلامات الظاهرة للمحبة التي أمرنا الإسلام بها إفشاء السلام، وإطعام الطعام، والزيارة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس، وغيرها.

وقد قال عليه الصلاة والسلام في شأن السلام: [لاتدظون الجنة حتى تؤمنوا،

(١) سبق تخريجه من ٢٣٧.

(٢) سورة الفتح ٢٩ .

(٣) سورة المائدة ٥٤ .

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس بالبهائم ٧٧/٧ مرجع سابق.

- وصحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، ١٩٩٩/٤ مرجع سابق.

ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم]. (١)

أما البغض في الله فهو أمر ملازم للحب في الله لاينفصل عنه، لأن المحب يحب ما يحب محبوبه، ويبغض ما يبغض محبوبه، ويوالي من يوالي محبوبه، ويعادي من يعاديه، ويرضى لرضاه، ويبغض لبغضه، ويأمر بما يأمر به، وينهى عما نهى عنه، فهو موافق له في ذلك. (٢)

وبهذا يتبين ارتباط محبة الله ورسوله ودينه ومحبة المؤمنين وموالاتهم بالبراءة من أعدائهم.

٢ - النصرة : ونعني بها العون والمساعدة والمساندة والإغاثة بالمال والنفس، وغير ذلك، مما يتحقق به التضامن وعدم الغدلان، وقد أوجب الله ذلك على المسلمين فيما بينهم، ومدح الفاعلين لذلك في كتابه، قال تعالى: (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين ءاؤوا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا). (٣)

وقد توعده رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتهدد من يخالف ذلك فقال عليه الصلاة والسلام: [ما من امرئ يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمة وينتقم فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرئ ينصر مسلماً في موضع ينتقم فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمة إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته]. (٤)

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون وأن محبة المؤمنين من الإيمان، وأن إفشاء السلام سبب لحصولها، (١/٧٤) مرجع سابق.

(٢) انظر: د. محمد سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام من ٢٦٤، مرجع سابق

(٣) سورة الأنفال ٧٤ .

(٤) - الإمام أحمد، المسند ٣٠/٤ مرجع سابق. =

وقال عليه الصلاة والسلام: [انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً]. (١)

ونصرته ظالماً بمنعه من الظلم.

وما أوحى المسلمين اليوم إلى التناصر فيما بينهم، وما أكثر مخالفتهم لهذا الأمر.

٣ - التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر.

قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم). (٢)

وقد قال عن المنافقين: (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون). (٣)

وهذا لا يعني أن المؤمنين لا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر غيرهم بل هم يفعلون ذلك، ويتأكد فيما بينهم، لكنهم لا يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف كما يفعل المنافقون.

وخلاصة القول أن مقتضيات الولاء والبراء في الإسلام كثيرة، ذكرنا أهمها، ويمكن إدخال أمور كثيرة أخرى من هذه المقتضيات ضمن أصل الولاء والبراء الذي هو - كما أسلفنا - الحب والبغض .

= - وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الأدب ١٩٧/٥ (٤٨٨٤) مرجع سابق.

وقال الألباني: حديث حسن، انظر: صحيح الجامع الصغير ١٦٠/٥، (٥٥٦٦) مرجع سابق.

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو

مظلوماً ٩٨/٣ مرجع سابق.

(٢) سورة التوبة ٧١ .

(٣) سورة التوبة ٦٧ .

خامسا : نماذج من مخالفة مفهوم الولاء والبراء في العصر الحاضر:

١ - الولاء لغير الله ورسوله ودينه بالتحالف والاجتماع :

إن مخالفة كثير من المسلمين لعقيدة الولاء والبراء في هذا العصر أمر ظاهر يدمي القلب، ويبيكي العين، وذلك أنه بعد سقوط الخلافة العثمانية، قسمت بلاد المسلمين إلى قطع صغيرة بين الدول المستعمرة، وبعد رحيل المستعمر عن بلاد المسلمين حرص على أن لا تكون ذات هوية إسلامية.

ومع أن الدماء التي أريقت في سبيل طرد المستعمر هي دماء المجاهدين الصادقين، إلا أن الذي قطف الثمرة في غالب الأحيان غيرهم.

ثم قامت حكومات وأنظمة في بلاد المسلمين تعلن ولاءها إلى الشرق الشيوعي، وأخرى إلى الغرب المليبي، وأصبح الشيوعيون العرب - على سبيل المثال - أخوة للشيوخ اليهود والسوفييت، وغيرهم.

وقد تعالت صيحات علماء المسلمين في كل مكان لتكوين الجامعة الإسلامية، إلا أن أصحاب الولاءات الكافرة لم يرضوا بذلك، ولم يهدأ لهم بال حتى يكون الإسلام بعيدا، وليكون الولاء قوميا عربيا، فقامت الجامعة العربية.

ومعلوم أن الدعوة إلى القومية العربية "سلم إلى موالاة كفار العرب، وملاحقتهم من أبناء غير المسلمين، واتخاذهم بطانة، والاستثمار بهم على أعداء القوميين من المسلمين وغيرهم.

ومعلوم ما في هذا من الفساد الكبير، والمخالفة لنصوص القرآن والسنة الدالة على وجوب بغض الكافرين من العرب وغيرهم، ومعاداتهم وتحريم موالاتهم واتخاذهم بطانة، والنصوص في هذا المعنى كثيرة، منها قوله تعالى: (يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)". (١)

(١) سورة المائدة (٥).

وانظر: عبد العزيز بن باز، نقد القومية العربية على

ضوء الإسلام والواقع ص٣٤، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط٤، ١٤٠٠هـ.

٢ - خذلان المسلمين :

مآسي المسلمين في هذا العصر كثيرة، ولقد تكالب أعداء الله عليهم في العالم كله، فكان كما قال الشاعر :

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلد تجده كالطير مقصوما جناحاه. (١)

وحيثما وجهت طرفك، فإنك تجد مأساة من مآسي المسلمين، فهؤلاء تحت الحكم الشيوعي، وهؤلاء تحت الحكم البوذي، وهؤلاء تحت الحكم الهندوكي، وهؤلاء تحت الحكم اليهودي، وهؤلاء تحت الحكم الباطني... وهكذا ..

وإذا تفكرنا في واجب المسلمين تجاه بعضهم البعض وموالاتهم نجد أن هناك تقصيرا عظيما في هذا الجانب، ولنأخذ مثالين على هذا الأمر :

١ - فلسطين التي احتلها اليهود منذ ثلاث قرن، وما زالوا يتوسعون ويخططون لأن تكون دولتهم من النيل الى الفرات.

وقد تزامن توسع اليهود خلال تلك الفترة مع ضعف المسلمين وبعدهم عن عقيدتهم ومنها عقيدة الولاء والبراء، فبدلا من أن تكون البلاد المجاورة لفلسطين حربا على اليهود صارت حامية لهم، فلا يسمح بدخول المجاهدين إليها.

وهذا الأمر ليس جديدا، بل هو منذ قيام إسرائيل، فقد أرسل الملك عبد العزيز - رحمه الله - جيشا إلى فلسطين، ومكث في منطقة الجوف شهرا، ولم يسمح له بالدخول إلى فلسطين عبر الأراضي الأردنية أو المصرية - سيناء - ثم عاد الجيش بعد أن سدت في وجهه الأبواب. (٢)

ومن المحزن كذلك أن الفلسطينيين عندما أخرجهم اليهود إلى البلاد المجاورة لقوا من أنظمة تلك البلاد مذابح عظيمة لم يفعلها اليهود معهم، كما حدث في سوريا، والأردن، وأخيرا في لبنان.

كما أن اتخاذ القيادات الفلسطينية سبيلا غير سبيل الله في حربها ضد

(١) محمود غنيم، صرخة في واد (ديوان شعر) ص ٧٨ .

(٢) عبد الرحمن الدوسري، شريط مسجل، عن الماسونية.

اليهود ساعد على تمكين اليهود، ذلك أن ولاءات تلك القيادات لم تكن في غالب أحوالها لله ورسوله والمؤمنين، بل منها الشيوعي، والبعثي، والعلماني. فلك الله يافلسطين، ولك الله أيها الشعب الفلسطيني المظلوم.
ب - أفغانستان :

هذا البلد الإسلامي العريق، تعرض للغزو الشيوعي منذ عدة سنوات، إلا أن أهل هذا البلد من المسلمين الصادقين لم يرضوا بالحكم الشيوعي الكافر، بل حملوا بنادقهم القديمة، وخرجوا من ديارهم وأموالهم مجاهدين في سبيل الله. إلا أن أكثر حكام المسلمين وقف موقف المتفرج في أحسن الأحوال، وبعضهم ساند الحكم الشيوعي على إخوانه المسلمين كما فعلت سوريا، و عدن، والجزائر، وليبيا، فأين الولاء الذي أمر الله به المسلمين فيما بينهم.

وقد قال أحد قادة المجاهدين الأفغان، وهو الشيخ عبد رب الرسول سياف: "إن المجاهدين لم يستلموا فلما واحدا أو درهما واحدا من الحكومات، ولم يستلموا رصاصة واحدة منهم ... وحتى على المستوى الإعلامي، فهناك إهمال شديد، وعدم مبالاة بالقضية الأفغانية إلا فيما يخدم المعسكر الغربي المعادي للشيوعية". (١) ومع ذلك كله فقد تراجع الاتحاد السوفيتي، وقرب رحيله - كما تشير الأنباء بذلك - من أفغانستان، ولعل ذلك كان لصدق المجاهدين مع ربهم، الذين لم يضحوا بدينهم، وكانت حربهم حربا جهادية، أعادت إلى المسلمين معنى الجهاد في سبيل الله بعد أن نسوه أو كادوا.

إلا أن المسلمين محاسبون على التقصير في موالاة إخوانهم في أفغانستان، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. وإذا كان الأمر هكذا في فلسطين وأفغانستان فهو كذلك في الفلبين، وكمبوديا، والهند، والصين، والاتحاد السوفيتي، وسوريا، وغيرها.

(١) مجلة المجتمع الكويتية، عدد (٥٥٠) في ١٣/١/١٤٠٢ هـ ص ٧ .

٣ - السماح للنصارى بنشر ديانتهم الباطلة بين المسلمين:

إن من الولاء لدين الله القويم البراءة من غيره وعدم الرضى بسواه، لكن كثيرا من المسلمين نسوا هذا الأمر، إذ إن أكثر بلاد المسلمين دخلتها البعثات التبشيرية، وأقامت الكنائس بين بيوت المسلمين، وفي شوارعهم علانية. وهذا كله يتم تحت رضى المسؤولين في تلك البلاد، بل وتشجيع بعضهم بالمال، والتأييد المعنوي.

أما عامة المسلمين فإن فريقا منهم يحرص حرصا شديدا على إدخال أبنائهم وبناته في مدارس النصارى، زاعما أنها أفضل لهم وأحسن في مستقبل أيامهم، ويعرض عن مدارس المسلمين تحقيرا وازدراء وتكبرا، وما أظنه يجهل الأثر الكبير الذي تتركه تلك المدارس في سلوك أبنائه وفكرهم ومعتقداتهم، لكنه الولاء لغير المسلمين.

وهناك فريق آخر من المسلمين يقدمون أبناءهم للنصارى ليعلموهم مقابل مساعدة مالية تبذل له، أو إعانة على زراعة أو تجارة، كما هو حاصل في أندونيسيا، وغيرها من البلاد التي يكثر فيها فقراء المسلمين.

وكما أن المسئولية تقع على الوالد في هذه الحالة فإنها أيضا تقع على القادرين من المسلمين الآخرين أينما كانوا ليمدوا يد المعونة لإخوانهم في الدين ويغنوهم عن الحاجة إلى هؤلاء النصارى، فذلك مقتضى الموالاة في الله.

٤ - تقديم الكفار على المسلمين في الأعمال والاستشارات ونحوها :

العالم الإسلامي واسع الأرجاء، وتكثر فيه فرص العمل من خلال المشاريع المتعددة فيه، ومع هذا فإنك تجد أن أغلب الشركات العاملة في تلك المشاريع شركات غير إسلامية، سواء كانت من أوروبا، أو الولايات المتحدة، أو الشرق الملحد.

وقد تكون الكفاءة هي المقياس الذي يعتذر به أصحاب تلك المشاريع، إلا أن الكفاءات الإسلامية أيضا كثيرة، وأكبر دليل على وجودها ونجاحها ظاهر في

الغرب، حيث انتقلت أعداد كبيرة من الأطباء والمهندسين، ونحوهم من العالم الإسلامي إلى الغرب، لأنهم لم يمكنوا في بلادهم، أو لم يلقوا التقدير ولو بأدنى الحدود.

وقد أشار أحد الباحثين إلى أن الأطباء الذين يعملون خارج إحدى البلاد الإسلامية من أهلها أكثر من العاملين في الداخل. (١)

وهذا كله بسبب عدم الولاء الصادق للمسلمين، وبسبب موالة غيرهم، فلم يجد هؤلاء فرصاً في بلادهم التي بها ولدوا، وعلى أرضها نشأوا.

فالأمر إذاً يحتاج إلى صدق الولاء بين المسلمين ليستفيدوا من بعضهم، ويحصل لهم الاستغناء الكامل عن أعدائهم الذين لن يكونوا حريصين على مصلحة المسلمين إن لم يضروهم.

٥ - الرضى بأفكار وثقافات غير إسلامية، واعتناقها، ونقلها إلى المسلمين:

وهذه المسألة من أخطر المسائل التي تواجه المسلمين، بسبب انحراف ولاء كثير منهم عن الولاء لله ورسوله وكتابه والمؤمنين.

وذلك أن بعض من درسوا على أيدي المستشرقين أو النصارى ونحوهم على وجه العموم، رأوا أفكاراً جديدة - في نظرهم وقد لا تكون كذلك - واقتنعوا بها، وعادوا إلى البلاد الإسلامية لينشروا الضلال بين أبناء المسلمين.

ومن ذلك التشكيك في السنة النبوية أو روايتها، أو جعل العقل مقياساً لكل شيء حتى للوحي المنزل من الله تبارك وتعالى، أو فصل الدين عن السياسة أو غير ذلك.

ومن ذلك أيضاً اتباع المذاهب الفكرية المنحرفة والمنافية للإسلام،

(١) د. محمد عبدالعليم مرسي، هجرة العلماء من العالم الإسلامي، ص ٢٥، جامعة

الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ.

كالشيوعية والعلمانية والوجودية وغيرها، ومحاولة نشرها بين المسلمين.
ومكمن الخطورة في ذلك كله أنها تتم - أي عملية النقل - بواسطة مسلمين،
يلبسون لباس المسلمين، ويتكلمون لغتهم، ويحملون أسماءهم، ويعيشون بينهم،
وفي كل بلد إسلامي تجد مثالا لذلك.

ومن القضايا التي اشتهرت هذه الأيام - في بلادنا - افتضاح من سموا أنفسهم
بالحدائثيين، الذين يحاولون إيهام المسلمين أن فكرهم الحدائشي إنما هو تجديد
في الأشكال والأساليب الأدبية، بينما هو في الواقع تغيير في المضامين الفكرية
المتعلقة بالنظر إلى الكون، والحياة، والله، والدين، تغييرا كاملا.

فالحداثة مضمون فكري يرتبط في هذا الجانب بالفكر الشيوعي الإلحادي، وإن
كان ظاهره كما يقولون التجديد في أشكال الأدب وأساليبه. (١)

إن هذا كله إخلال كامل بالولاء المفروض على المسلم تجاه ربه ونبيه
وكتابه ودينه والمؤمنين، كما أن من أسباب ذلك عدم البراءة من الكفار والرضى
بفكرهم واعتناقه.

والخلاصة أن الولاء والبراء جزء من العقيدة الإسلامية، يشكل حماية مادية
ومعنوية للفرد والمجتمع المسلم، لا بد من المحافظة عليه والتزامه من قبل كل
فرد من المسلمين.

ويأسف الإنسان كثيرا عندما يجد أن الولاء بين الكفار قائم، أما المسلمون
فهم غافلون عن هذا الأصل العظيم من أصول دينهم، لذلك هانوا على أعدائهم،
وصارت دماؤهم رخيصة في أماكن كثيرة من العالم الذي لا يعرف إلا التكتلات
والأحزاب والولاءات.

(١) انظر بتوسع: عوض القرني، الحداثة في ميزان الإسلام، توزيع دار عالم

الفصل الثاني : أهم أسباب الانحراف العقدي

- المبحث الأول : الانحراف الموروث في العقيدة .
- المبحث الثاني : الجهل واستغلال اصحاب المصالح له .
- المبحث الثالث : الاستعمار السياسي .
- المبحث الرابع : الغزو الفكري .
- المبحث الخامس : ضعف إجراءات حماية العقيدة .

المبحث الأول : الانحراف الموروث في العقيدة :

أولاً : نشأة الانحراف عن العقيدة الإسلامية :

١ - الانحراف الأول في تاريخ البشرية :

نتحدث في هذا البحث عن الانحراف العقدي في الإسلام بمعناه الخاص - أي الدين الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وأمر بتبليغه - ، لكن قد يكون من الفائدة الإشارة إلى أول انحراف عن الإسلام بمعناه العام ، أي الدين الذي جاءت به الرسل، وأنزلت به الكتب .

إن أول انحراف عقدي في تاريخ البشر كان في قوم نوح عليه السلام.

قال ابن تيمية رحمه الله: "إن الناس كانوا بعد آدم، وقبل نوح - عليه السلام - على التوحيد والإخلاص؛ كما كان أبوه آدم أبو البشر عليه السلام، حتى ابتدعوا الشرك وعبادة الأوثان". (١)

وقد كان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون كلها على الإسلام، كما في صحيح ابن حبان، عن أبي أمامة أن رجلاً قال: [يا رسول الله: أنبي كان آدم؟ قال: نعم، مكلم، قال: فكم كان بينه وبين نوح؟ قال: عشرة قرون].

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "وهذا - الحديث - على شرط مسلم، ولم يخرج". (٢)

وقد رد ابن كثير - رحمه الله - على من زعم من أهل التواريخ وغيرهم من أهل الكتاب أن قابيل وبنيه عبدوا النار. (٣)

وقد بين ابن عباس - رضي الله عنهما - هذا الانحراف العقدي الذي كان أول عبادة لغير الله .

(١) الرسالة القبرصية، ص ٧، تحقيق علي السيد صبحي، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٢) البداية والنهاية ١٠١/١ مرجع سابق.

(٣) انظر : المرجع السابق.

ففي صحيح البخاري، عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عند تفسير قوله تعالى: (وقالو لاتذرن ءالتهكم ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا)(١) قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا، وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبادت). (٢)

وبعد نوح - عليه الصلاة والسلام - أرسل الله رسلا كثيرين يبلغون رسالات ربهم، ويدعون الناس إلى عبادة الله وتوحيده، قال تعالى: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)(٣) فيستجيب للدعاة قلة من أقوامهم، ويعرض الكثيرون فيصيبهم العذاب، قال تعالى: (ثم أرسلنا رسلانا تنورا كل ما جاء أمة رسولها كذبوه فأتبعنا بعضهم بغضا وجعلناهم أحاديث فبعدا لقوم لا يؤمنون). (٤)

(١) سورة نوح ٢٣ .

(٢) البخاري، كتاب تفسير القرآن (سورة نوح) ٧٢/٦ مرجع سابق.

(٣) سورة النحل ٣٦ .

(٤) سورة المؤمنون ٤٤ .

٢ - نشأة الانحراف في الملة الإسلامية :

ختاماً لرسالات الله، وإنذاراً وبشارة للعالمين، ورحمة لهم؛ أرسل الله خاتم الرسل محمداً صلى الله عليه وسلم في وقت انحرفت البشرية إلا قليلاً عن منهج الله، وعن مرآته المستقيم الذي جاءت به رسله، ونزلت به كتبه قبل محمد صلى الله عليه وسلم.

وكانت الجزيرة العربية التي بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيها تعج بالأصنام، فلكل قبيلة صنم يعبد من دون الله.

فأشرقت شمس النبوة في هذه البقاع المظلمة بالشرك، واهتدى الكثيرون إلى دين الله، واتبعوا رسوله صلى الله عليه وسلم.

ومع وضوح الحق ونصوعه إلا أن المستجيبين للشيطان وأعوانه من الجن والإنس كان لهم وجود حينذاك، فقبل وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وجد الانحراف العقدي.

يقول الشهرستاني في (الملل والنحل) مبيناً أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية: "اعتبر حديث ذي الخويصرة التميمي (١) إذ قال: أعدل يا محمد فإنك لم تعدل، حتى قال عليه الصلاة والسلام: [إن لم أعدل فمن يعدل؟] ثم قال الرجل: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى.

وذلك خروج صريح على النبي صلى الله عليه وسلم، ولو صار من اعترض على

(١) هو حرقوص بن زهير السعدي، من بني تميم، عده الطبري من الصحابة، وذكر أنه كان له أثر في العراق، وأنه هو الذي فتح سوق الأهواز، ثم كان مع علي في حروبه، ثم صار مع الخوارج، فقتل معهم في النهروان، توفي سنة ٣٧هـ وفي سيرته اضطراب. انظر: ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة ص ٢٢٠، ٤٨٥ رقم ١٦٦١، مكتبة المثنى، بغداد، مصورة عن الطبعة الأولى عام ١٣٢٨هـ.

- وابن حجر، فتح الباري ٢/٣٠٥ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٢/١٧٣ مرجع سابق.

الإمام خارجياً، فمن اعترض على الرسول أحق بأن يكون خارجياً، أوليس ذلك قولاً يتحصين العقل وتقبيحه؟ وحكما بالهوى في مقابلة النص، واستكباراً على الأمر بقياس العقل؟ حتى قال عليه الصلاة والسلام: [سيخرج من ضئضء (١) هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية]. (٢)

واعتبر حال طائفة أخرى من المنافقين يوم أحد، إذ قالوا - كما جاء في القرآن - : (هل لنا من الأمر من شيء) (٣) وقولهم: (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا) (٤) وقولهم: (لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا) (٥) فهل ذلك إلا تصریح بالقدر؟ وقول طائفة من المشركين: (لو شاء الله ماعبدنا من دونه من شيء) (٦) فهل هذا إلا تصریح بالجبر؟

واعتبر حال طائفة أخرى، حيث جادلوا في ذات الله، تفكراً في جلاله، وتصرفاً في أفعاله، حتى منعهم وخوفهم بقوله تعالى: (ويرسل المواقق فيصيب بها من يشاء

(١) الضئضء: الأمل، أي أنه يخرج من نسله وعقبه. انظر: ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث والأثر ٦٩/٣ مرجع سابق.

(٢) البخاري، صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ١٧٩/٤، مرجع سابق.

وكتاب الأدب، باب ماجاء في قول الرجل ويملك ١١١/٧ .

وكتاب المرتدين، باب من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لاينفر الناس عنه ٥٢/٨ .

ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، الأحاديث (١٤٢-١٤٨) ٧٤٠/٢ مرجع سابق.

(٣) سورة آل عمران ١٥٤ .

(٤) سورة آل عمران ١٤ .

(٥) سورة آل عمران ١٥٦ .

(٦) سورة النحل ٢٤ .

وهم يجدلون في الله وهو شديد المحال). (١)

فهذا ما كان في زمانه عليه الصلاة والسلام وهو على شوكتته وقوته وصحة بدنه، والمنافقون يخادعون فيظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، وإنما يظهر نفاقهم بالاعتراض في كل وقت على حركاته وسكناته، فصارت الاعتراضات كالبدور، وظهرت منها الشبهات كالزروع". (٢)

وبعد وفاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - قام الخلفاء الراشدون بتثبيت أركان الإسلام، ومحاربة المرتدين الذين كانوا يرون اتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - والتسليم له أمرا عارضا يزول بموته، ويرون أن الزكاة إتاوة يدفعونها له - صلى الله عليه وسلم - لغلبته، كما كانوا يفعلون مع الفرس والروم، أو القبائل العربية الكبيرة في الجاهلية.

وهذا الفهم انحراف عقدي ولا شك، وقد عالج الخلفاء الراشدون بحنكة واقتدار، فعاد الناس إلى الإسلام، ورضوا بحكم الله ورسوله، والتزموا بالإسلام وأحكام المسلمين الظاهرة، والله يتولى السرائر.

ثم كان الخلاف السياسي بين علي ومعاوية رضي الله عنهما، الذي صاحبه ونتج عنه انحرافات عقدية كثيرة، بل إن كثيرا من الباحثين يرى أن هذه المرحلة هي مرحلة الابتداع والتفرق والانحراف الأول في الإسلام نظرا لآثاره الباقية إلى اليوم، ولكونه أخذ صبغة جماعية، ومار له استمرار وتبعات.

قال ابن تيمية رحمه الله: "أول التفرق والابتداع في الإسلام بعد مقتل عثمان وافتراق المسلمين، فلما اتفق علي ومعاوية على التحكيم أنكرت الخوارج وقالوا: لا حكم إلا لله؛ وفارقوا جماعة المسلمين، فأرسل إليهم ابن عباس، فناظرهم، فرجع نصفهم، والآخرين أغاروا على ماشية الناس، واستطوا دماءهم، فقتلوا ابن ضباب - رضي الله عنه - وقالوا: كلنا قتله، فقاتلهم علي.

(١) سورة الرعد ١٤ .

(٢) الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، الملل والنحل

٢٢، ٢١/١ - بتصرف يسير -، تحقيق محمد سيد الكيلاني، مرجع سابق.

وأصل مذهبهم تعظيم القرآن وطلب اتباعه، لكن خرجوا عن السنة والجماعة، فهم لا يرون اتباع السنة التي يظنون أنها تخالف القرآن كالرجم، ونصب السرقه، وغير ذلك، فضلوا؛ فإن الرسول أعلم بما أنزل الله عليه، والله قد أنزل الكتاب والحكمة.

وجوزوا على النبي أن يكون ظالماً، فلم ينقادوا لحكم النبي - صلى الله عليه وسلم - ولا لحكم الأئمة بعده؛ بل قالوا: إن عثمان وعلياً ومن والهما قد حكموا بغير ما أنزل الله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (١) فكفروا المسلمين بهذا وبغيره، وتكفيرهم وتكفير سائر أهل البدع مبني على مقدمتين باطلتين :

أحدهما : أن هذا يخالف القرآن.

والثانية: أن من خالف القرآن يكفر، ولو كان مخطئاً، أو مذنباً معتقداً للوجوب والتحريم". (٢)

ثم بين - رحمه الله - نوعاً آخر لبدايات التفرق والابتداع والانحراف في الإسلام، وذلك بحديثه عن الشيعة الذين خرجوا بإزاء الخوارج، فيقول:

"وبإزائهم - الخوارج - الشيعة، غلوا في الأئمة، وجعلوهم معصومين يعلمون كل شيء، وأوجبوا الرجوع إليهم في جميع ما جاءت به الرسل، فلا يعرجون لا على القرآن، ولا على السنة، بل على قول من ظنوه معصوماً، وانتهى الأمر إلى الائتتمام بإمام معدوم، لاحقيقة له، فكانوا أضل من الخوارج، فإن أولئك يرجعون إلى القرآن وهو حق، وإن غلطوا فيه، وهؤلاء لا يرجعون إلى شيء، بل إلى معدوم لاحقيقة له، ثم إنما يتمسكون بما ينقل لهم عن بعض الموتى، فيتمسكون بنقل غير مصدق عن قائل غير معصوم، ولهذا كانوا أكذب الطوائف، والخوارج صادقون،

(١) سورة المائدة ٤٤ .

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٩، ٢٠٨/١٣ مرجع سابق.

فحديثهم من أصح الحديث، وحديث الشيعة من أكذب الحديث" (١).
ثم يضيف - رحمه الله - ذاكرا ما حدث بعد الخوارج والشيعة فيقول:
"ثم حدث في آخر عهد الصحابة "القدرية" فكانت الخوارج تتكلم في حكم الله
الشرعي؛ أمره ونهيه، وما يتبع ذلك من وعده ووعيده، وحكم من وافق ذلك ومن
خالفه، ومن يكون مؤمنا وكافرا، وهي (مسائل الأسماء والأحكام).
وسموا محكمة، لخوضهم في التحكيم بالباطل، وكان الرجل إذا قال: لاحكم إلا
لله، قالوا: هو محكم، أي خائض في حكم الله، فخاض أولئك في شرع الله
الباطل.

وأما القدرية فخاضوا في قدره بالباطل، وأصل ضلالهم ظنهم أن القدر يناقض
الشرع، فصاروا حزبين:

- حزبا يعظمون الشرع، والأمر، والنهي، والوعد، والوعيد، واتباع ما يحبه
الله ويرضاه، وهجر ما يبغضه وما يسخطه، وظنوا أن هذا لا يمكن أن يجمع بينه
وبين القدر، فقطعوا ما أمر الله به أن يوصل، ونقضوا عهد الله من بعد ميثاقه
... وهذا الحزب يغلب الشرع فيكذب بالقدر وينفيه، أو ينفي بعضه.

- وحزبا يغلب القدر، فينفي الشرع في الباطن أو ينفي حقيقته، ويقول:
لا فرق بين ما أمر الله به، وما نهى عنه في نفس الأمر، الجميع سواء، وكذلك
أولياؤه وأعداؤه، وكذلك ما ذكر أنه يحبه، وذكر أنه يبغضه.

لكنه فرق بين المتمثالين بمحض المشيئة، يأمر بهذا، وينهى عن مثله،
فجحدوا الفرق والفصل الذي بين التوحيد والشرك، وبين الإيمان والكفر، وبين
الطاعة والمعصية، وبين الحلال والحرام". (٢)
وقد أخذ المعتزلة فيما بعد مذهب القدرية النفاة.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠٩/١٣ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ٢١١/١٣، ٢١٢ باختصار وتصرف يسير.

وأخذت الجهمية مذهب القدرية المجبرة، فيما يتعلق بالقدر والاستطاعة. (١)
أما المرجئة فإن فيهم من أخذ بالأول، ومنهم من أخذ بالثاني، وفيهم من
أخذ بغير ذلك. (٢)

ويذكر ابن تيمية - رحمه الله - صورة أخرى من صور بدايات الانحراف، بل
وظهوره واعتزازه، تلك هي تعريب كتب الفلسفة من الروم والهند وفارس، فيقول:
"أظهر الله من نور النبوة شمسا طمست ضوء الكواكب، وعاش السلف برهة
طويلة، ثم خفي نور النبوة؛ فعربت كتب الأعاجم الفلاسفة من الروم والفرس
والهند، في أثناء الدولة العباسية، ثم طلبت كتبهم في دولة المأمون من بلاد
الروم، فعربت، ودرستها الناس، وظهر بسبب ذلك من البدع ما ظهر". (٣)

ويشير - رحمه الله - إلى أن البدعة في القرون الثلاثة المفضلة رغم
وجودها إلا أنها كانت مقموعة ومحاربة، بخلاف ما حصل بعد ذلك، فيقول:
"كان خلفاء بني العباس أحسن تعامداً للملوات في أوقاتها من بني أمية،
فإن أولئك كانوا كثيرين الإضاءة لمواقيت الصلاة، كما جاءت فيهم الأحاديث:
[سيكون بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها، واجعلوا
صلاتكم معهم نافلة]. (٤)

لكن كانت البدع في القرون الثلاثة الفاضلة مقموعة، وكانت الشريعة أعز

(١) انظر: البغدادي، عبد القادر بن طاهر، الفرق بين الفرق ص ١٨، ٢٨، ١٥٨،

دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٥هـ.

- وابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٢١٤/١٣، و ١٠٣/٣، ١٠٤، مرجع سابق.

(٢) انظر: الشهرستاني، الملل والنحل ١/٣٩٩، مرجع سابق.

(٣) مجموع الفتاوى ٢/٨٤، مرجع سابق.

(٤) رواه مسلم، عن أبي ذر بالفاظ وروايات متقاربة، صحيح مسلم، كتاب المساجد

ومواضع الصلاة، باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها وما يفعله المأموم إذا

أخرها الإمام ١/٤٤٨، مرجع سابق.

وأظهر، وكان القيام بجهد أعداء الدين من الكافرين والمنافقين أعظم". (١)

وهذا يؤكد لنا أن الانحراف العقدي في هذه المرحلة يمثل صورة مستقلة من صور بدايات الانحراف في هذه الأمة.

ولما كانت الفرق الكثيرة المنتسبة إلى الإسلام بما تحمله من انحراف عقدي، تمثل أظهر دليل وأبينه على وجود هذا الانحراف في هذه الأمة، فإنني سأذكر بعضاً من تلك الفرق.

ولأنني أبحث في الانحراف العقدي المعاصر، فسأذكر بعض الفرق القديمة التي ما زالت قائمة إلى اليوم وهي تنخر في جسد الأمة الإسلامية، وتصيبها في أعز مآلديها، وهي العقيدة التي هي أساس الدين وأصله.

ويحسن قبل ذلك أن أذكر بعضاً من أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - في وقوع الانحراف والتفرق في هذه الأمة، ورأي العلماء في تحديد هذه الفرق والتعليق عليه فيما يأتي من البحث.

(١) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٠/٤، ٢١ مرجع سابق.

ثانيا : أحاديث في وقوع الانحراف في هذه الأمة :

- عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: [لتتبعن سنن من كان قبلكم شيئا شيئا، وذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: فمن!] (١).

- قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: كان الناس يسألون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: [يا رسول الله، إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم؛ قلت: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: نعم، وفيه دخن؛ قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هدي، تعرف منهم وتنكر، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت: يا رسول الله؛ صفهم لنا. قال: هم من بني جدتنا، ويتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك]. (٢).

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت - وفي رواية: [ستفترق] و [تفترق] - أمتي على

(١) سبق تخريجه ص ١٢١.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ٩٢/٨ مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب لزوم جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة ١٤٢٥/٣ مرجع سابق.

ثلاث وسبعين فرقة]. (١)

وفي رواية : كلها في النار إلا واحدة. (٢)

ولنا وقفة عند هذا الحديث الذي يعتبر من علامات النبوة ودلائلها، ذلك أنه قد حصل فعلا تفرق كثير في هذه الأمة .

وقد عمل بعض العلماء على وضع هذا الحديث أساسا في تعيين الملل والنحل والفرق الإسلامية، فحصرها الفرق وعددها إلى أن وصلوا بها إلى ثلاث وسبعين فرقة، ثنتان وسبعون فرقة منحرفة، والباقية هي فرقة أهل السنة والجماعة التي بين الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصفها بقوله: [هي الجماعة] (٣) وقوله: [ما أنا عليه وأصحابي]. (٤)

وقد ذكر ابن تيمية - رحمه الله - أقدم مثن عمل على تعيين الفرق الهالكة، فقال : "وأما تعيين الفرق الهالكة فأقدم من بلغنا أنه تكلم في تضليلهم يوسف بن أسباط (٥)، ثم

(١) سبق تخريجه ص ١٠٥ .

(٢) الإمام أحمد، المسند، ١٢٠/٣، ١٤٥، مرجع سابق.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب افتراق الامم ١٣٢٢/٢ ح (٣٩٩٢) مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق.

(٤) الترمذي، سنن الترمذي، أبواب الإيمان، باب ما جاء في افتراق هذه الأمة ٢٩٧/٧ ح (٢٦٤٣) مرجع سابق.

(٥) يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني، الشامي القاري، العابد، صاحب سنة وخير، توفي سنة ١٩٥هـ.

- انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ١٦٩/٩ مرجع سابق.

- والذهبي، ميزان الاعتدال ٤٦٢/٤ مرجع سابق.

وابن حجر، لسان الميزان، ٣١٧/٦، ٣١٨، مرجع سابق.

عبد الله بن المبارك (١)، وهما إمامان جليلان، من أجلة المسلمين، قالوا : أصول البدع أربعة: الروافض، والخوارج، والقدرية، والمرجئة.

ف قيل لابن المبارك : والجهمية؟ فأجاب : بأن أولئك ليسوا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم". (٢)

وقال الشاطبي في (الاعتصام) (٣) : "قال جماعة من العلماء : أصول البدع أربعة، وسائر الثنيتين والسبعين فرقة عن هؤلاء تفرقوا، وهم الخوارج، والروافض، والقدرية، والمرجئة.

قال يوسف بن أسباط : "ثم تشعبت كل فرقة ثمانى عشرة فرقة؛ فتلك ثنتان وسبعون فرقة، والثالثة والسبعون هي الناجية".

كما عمل الشهرستاني على تعداد الفرق الإسلامية وهي ثلاث وسبعون وتعيينها، حيث قال : "كبار الفرق الإسلامية أربع :

١ - القدرية. ٢ - الصفائية. ٣ - الخوارج. ٤ - الشيعة.

ثم يتركب بعضها من بعض، ويشعب عن كل فرقة أصناف، فتصل إلى ثلاث وسبعين فرقة". (٤)

(١) هو عبد الله بن المبارك، أبو عبد الرحمن الحنظلي، المرزوي، ولد سنة ١١٨هـ وتوفي سنة ١٨١هـ، جمع بين العلم والزهد، تفقه على سفيان الثوري، ومالك بن أنس رضي الله عنهما، وروى عنه مالك في الموطأ، أكثر من الترحال والتطواف إلى أن مات في طلب العلم، وفي الغزو، وفي التجارة والإنفاق على الإخوان في الله وتجهيزهم معه إلى الحج، رحمه الله.

- الذهبي، سير أعلام النبلاء ٣٣٦/٨-٣٧١ مرجع سابق.

- وابن خلكان، وفيات الأعيان، ٣٢٢/٣-٣٤ مرجع سابق.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٣/٢٥٠، مرجع سابق .

(٣) ٢٢١، ٢٢٠/٢ مرجع سابق.

(٤) الملل والنحل ١٥/١ مرجع سابق.

أما الإمام أبو الفرج بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) فإنه أورد هذا الحديث، ثم ذكر أصول الفرق وأشار إلى عدم الإحاطة بأقسامها ومذاهبها، حيث قال في (تلبيس إبليس) (١) : "فإن قيل: وهل هذه الفرق معروفة؟ فالجواب : أننا نعرف الافتراق وأصول الفرق ، وإن كل طائفة من الفرق قد انقسمت إلى فرق، وإن لم نحط بأسماء تلك الفرق ومذاهبها.

وقد ظهر لنا من أصول الفرق:

الحرورية (٢)، والقدرية، والجهمية، والمرجئة، والرافضة، والجبرية.

وقد قال بعض أهل العلم: أصل الفرق الضالة هذه الفرق الست، وقد انقسمت كل فرقة منها على اثنتي عشرة فرقة، فصارت اثنتين وسبعين فرقة" أم.

وقد تكلم الشاطبي في (الاعتصام) (٣) على مسألة شيعيين الفرق، وأشار إلى مقالته الطرطوشي في (الحوادث والبدع) (٤) من أنها مسألة طاشت فيها أطلام الخلق، فكثير ممن تقدم وتأخر من العلماء عينوها، لكن في الطوائف التي خالفت في مسائل العقائد.

ثم أشار الشاطبي إلى قول من عد أصول الفرق ثمانية، ثم عددها، وعدد الفرق الناشئة منها، حتى أوصلها إلى اثنتين وسبعين، ثم قال:

"فإذا أضيفت الفرقة الناجية إلى عدد الفرق صار الجميع ثلاثا وسبعين فرقة.

وهذا التعديد بحسب ما أعطته المنة في تكلف المطابقة للحديث الصحيح لا على القطع بأنه المراد، إذ ليس على ذلك دليل شرعي، ولا دل العقل أيضا على انحصار ما ذكر في تلك العدة من غير زيادة ولا نقصان، كما أنه لا دليل على اختصاص تلك البدع بالعقائد" (٥).

(١) ص ٢٠، دار القلم، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

(٢) هم الخوارج، انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٤٨١/٧ مرجع سابق.

(٣) ٢٠٦/٢-٢٣٠ مرجع سابق.

(٤) ص ٢٧، مرجع سابق.

(٥) الاعتصام ٢٢٠/٢ مرجع سابق.

ثم بين - رحمه الله - أن التعيين لا ينبغي لأمر :
الأول : أن الشريعة تشير إلى أوصافهم من غير تصريح، ليحذر منها.
الثاني: أن عدم التعيين هو الذي ينبغي أن يلتزم ليكون سترًا على الأمة،
كما أن للستر حكمة أخرى، وهي الاعتصام والألفة وإصلاح ذات البين، كما وردت
الآيات والأحاديث بالأمر بذلك.

ثم إن التعيين يورث العداوة والفرقة. (١)

وقال ابن تيمية رحمه الله: "وأما تعيين هذه الفرق فقد صنف الناس فيهم
مصنفات، وذكرهم في كتب المقالات؛ لكن الجزم بأن هذه الفرقة الموصوفة هي
إحدى الثنتين والسبعين لابد له من دليل، فإن الله حرم القول بلا علم عموماً،
وحرم القول عليه بلا علم خصوصاً، قال تعالى: (قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر
منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً
وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون). (٢)

وقال تعالى: (يأئبها الناس كلوا مما في الأرض حلاً طيباً ولا تتبعوا خطوات
الشیطن إنه لكم عدو مبين . إنما يأمركم بالسوء والفحشاء وأن تقولوا على
الله ما لا تعلمون). (٣)

وقال تعالى: (ولا تقف ما ليس لك به علم). (٤)

وأيضاً فكثير من الناس يخبر عن هذه الفرق بحكم الظن والهوى، فيجعل
طائفته والمنتسبة إلى متبوعه الموالية له هم أهل السنة والجماعة، ويجعل من
خالفها أهل البدع، وهذا ضلال مبين". (٥)

(١) انظر : الاعتصام ٢/٢٢٤، ٢٢٥ ، مرجع سابق.

(٢) سورة الأعراف ٣٣ .

(٣) سورة البقرة ١٦٨ .

(٤) سورة الاسراء ٣٦ .

(٥) مجموع الفتاوى ٣/٣٤٦ مرجع سابق.

بالإضافة إلى ذلك فإن الحديث لم يحدد فترة زمنية لظهور هذه الفرق، والذين قاموا بالتعيين والتحديد في فترة زمنية معينة تجدهم مختلفون فيما بينهم في التعيين لهذه الفرق؛ هذا بالإضافة إلى أن الفرق المنحرفة مازالت تتابع الظهور حتى في العصر الحاضر.

لهذا كله كان من الصواب عدم الخوض في تعيين الفرق الواردة في الحديث بالفرق المنحرفة، سواء كانت القديمة أو الحديثة، بل دراسة تلك الفرق وبيان انحرافاتهما، ليحذر المسلمون منها، وإقامة الحجة على أتباعها.

كما ينبغي صرف الاهتمام إلى معرفة الفرقة الناجية بين هذه الفرق، وهو مافعله الصحابة - رضوان الله عليهم - عندما سألوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها، فقال: [الجماعة] وقال: [ما أنا عليه وأصحابي].

ثالثاً : بعض الفرق المنحرفة قديماً، والموجودة حاضراً :

سوف نتعرض هنا إلى ثلاث فرق قديمة معاصرة في آن واحد، هي فرق :

١ - الخوارج .

٢ - الشيعة .

٣ - الصوفية .

وقبل البدء في استعراض هذه الفرق، لابد من الإشارة إلى أن فرقاً قديمة أخرى - وإن لم تكن على هيئة جماعات ظاهرة بين المسلمين اليوم - تعتبر قائمة وموجودة .

وذلك أن فكر هذه الفرق قد أثر كثيراً وما زال يؤثر على الفكر الإسلامي، واعتقادات المسلمين من عدة جوانب، وبمداخل متعددة .

وعلى سبيل المثال: المعتزلة، الذين "أفل نجمهم في عهد الخليفة العباسي المتوكل" (١) فإن كثيراً من أفكارهم ما زال ينخر في جسم الأمة الإسلامية، بالداء

(١) انظر: عمر سليمان الأشقر، نظرة في تاريخ العقيدة ص٣٢، مكتبة الفلاح،

المهلك، "فنحن لانزال نسمع من هنا ومن هناك على امتداد رقعة الأرض الإسلامية. أفكارا ممسوخة لآراء المعتزلة، يتشدد بها بعض المفرضين من المتعالين الذين استهوتهم حضارة الغرب وأساليبها، فادعوا أن العقل هو الحاكم في حياة الإنسان، وأنه لانجاة ولا علو لنا في خضم التيار الحضاري الحديث إلا باتباع العقل، وترك أمور (ما وراء الطبيعة) ...

وهم في أقوالهم تلك يتسترون وراء أفكار الاعتزال التي مهدت لهم الطريق إلى ما دعوه من سلطان العقل على الشرع". (١)

فهؤلاء هم من "بقايا المعتزلة الذين لم يعد لهم وجود كجماعات، وإنما كدعوات فردية تظهر من خلال فكر أو كتابات صحفية أو غيرها". (٢)

كما يلاحظ أثر الاعتزال والإعجاب بالفكر المعتزلي من خلال الفرع الشديد الذي يصيب البعض عند وجود كتاب من كتبهم القديمة فيسرع إلى تحقيقه ونشره، متباكيا على الكتب الأخرى - التي تشكل ثروة في الفكر الإسلامي في نظره - التي حاربها وأحرقها أعداء المعتزلة ! (٣)

ويلاحظ أيضا أثر الاعتزال في فكر الزيدية (٤)، وهم فرقة معاصرة.

(١) محمد العبد، وطارق عبدالحكيم، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٧، - بتصرف يسير - دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٥هـ.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٨ .

(٣) انظر: الكعبي، أبو القاسم عبد الله بن أحمد، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، (المقدمة) مرجع سابق.

(٤) يقول محمد أبو زهرة في كتابه (الإمام زيد): "ولا شك أن كثيرا من آراء المعتزلة تتلاقى مع آراء الإمام زيد، وخصوصا ما يتعلق بمعرفة الله تعالى، والاعتماد على العقل في كثير من مناهجه".

انظر: محمد أبو زهرة، الإمام زيد، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، ص ١٤٩، ١٥٢، ١٩٩، ٢٣٠، دار الفكر العربي، القاهرة.

وعلى كل فإن الأفكار المنحرفة لدى كثير من الفرق القديمة لابد أن يوجد لها من المسلمين في هذا العصر من هو متأثر بها بشكل أو بآخر. إن أعداء الإسلام يبحثون عن مواطن الانحراف في تاريخ الفكر الإسلامي قديماً، فيبرزوا رموزه ومضامينه، فيتلقفها البعض دون أن يدري، وهو ما سنشير إليه عند الحديث عن الغزو الفكري، ودور المستشرقين في حرب العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر.

١ - الخوارج :

يقول الشهرستاني: "كل من خرج على الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجياً، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان، والأئمة في كل زمان". (١) وهو بهذا التعريف يوسع معنى (الخروج) و (الخوارج) عن كونه اسماً لفرقة من الفرق الإسلامية.

وقد أوردنا ما ذكره ابن تيمية - رحمه الله - عن الخوارج وبداية ظهورهم ونشأتهم (٢)، ونضيف هنا قوله عنهم : "لا يتمسكون بالسنة إلا بما يفسر مجملها دون ما يخالف ظاهر القرآن عندهم، فلا يرجعون الزاني، ولا يرون للسرقة نصاباً". (٣)

ويقول: "أهل قول الخوارج : أنهم يُكفِّرون بالذنب، ويعتقدون ذنباً ما ليس بذنب، ويرون اتباع الكتاب دون السنة التي تخالف ظاهر الكتاب - وإن كانت متواترة - ويكفرون من خالفهم، ويستطون منه - لارتداده عندهم - مالا يستطونه من الكافر الأهلي، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - فيهم: [يقتلون أهل

(١) الملل والنحل ١١٥/١ مرجع سابق.

(٢) راجع ص ٢٥٩.

(٣) مجموع الفتاوى ٤٨/١٣ مرجع سابق.

الإسلام، ويدعون أهل الأوثان]. (١)
ولهذا كفروا عثمان وعلياً وشيعتهما، وكفروا أهل صفين - الطائفتين - ونحو ذلك من المقالات الخبيثة". (٢)

وقد افترقت الخوارج إلى فرق عديدة ذكرها أصحاب كتب الفرق على اختلاف فيما بينهم في تصنيف تلك الفرق.

فيرى الشهرستاني أن كبار الفرق منهم : المحكمة، والأزارقة، والنجيدات، والبيهسية، والعجاردة، والشعالبة، والإباضية، والصفيرية، والباقون فروعهم (٣)، فذكر ثماني فرق.

بينما أوصل بعض كتاب الفرق عدد فرقهم إلى عشرين فرقة (٤) وآخر إلى إحدى وعشرين فرقة. (٥)

أما الأشعري، فذكر أن أصل قول الخوارج : إنما هو قول الأزارقة، والإباضية، والصفيرية، والنجدية، وكل الأصناف سوى الأزارقة والإباضية والنجدية، إنما

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب قول الله تعالى: (وإلى عاد أخاهم هوداً) ١٠٨/٤ .

- وكتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (تخرج الملائكة والروح إليه...) ١٧٨/٨ مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفتهم ٧٤٢/٢ مرجع سابق.

(٢) ابن تيمية، مجموع الفتاوى ٢٥٥/٢ مرجع سابق.

(٣) الملل والنحل ١١٥/١ مرجع سابق.

(٤) البغدادي، عبد القاهر، الفرق بين الفرق، ص ٤٩، مرجع سابق.

(٥) الرازي، فخر الدين، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٤٩-٥٨ دار

الكتاب العربي، بيروت، ط ١، ١٤٠٧هـ.

تفرعوا عن الصفرية (١) فذكر أربع فرق.

وقد توسعت كتب الفرق والملل والنحل في ذكر تفاصيل كل فرقة، وما تتميز به عن الأخرى.

إلا أن فرق الخوارج - كما ذكر الشهرستاني - تجتمع على "التبري من عثمان وعلي رضي الله عنهما، ويقدمون ذلك على كل طاعة، ولا يصحون المناكحات إلا على ذلك، ويكفرون أصحاب الكبائر، ويرون أن الخروج على الإمام إذا خالف السنة حقا واجبا". (٢)

وقال الرازي في (الفرق بين الفرق) (٣) عنهم : "ساير فرقهم متفقون على أن العبد يصير كافرا بالذنب، وهم يكفرون عثمان وعلياً رضي الله عنهما، وطلحة والزبير وعائشة، ويعظمون أبا بكر وعمر رضي الله عنهم".

وأشار أحد الباحثين إلى أن الخلافات الشديدة داخل بعض فرق الخوارج، ومن ثم تفرقها إلى فرق صغيرة كان بداية إلى نهاية تلك الفرقة، واضمحلل أمرها، وتلاشي أثرها كما حصل لفرقة النجدات (٤).

ومن فرق الخوارج المعاصرة فرقة الإباضية أتباع عبد الله بن إياض. (٥)

(١) أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، ١/١٨٣، مرجع سابق.

(٢) الملل والنحل ١/١١٥ مرجع سابق.

(٣) ص ٤٩، مرجع سابق.

(٤) د. أحمد محمد أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة، ص ٥٩، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط ١، ١٤٠٦هـ .

(٥) عبد الله بن إياض المقعسي المري التميمي، من بني مرة بن عبيد بن مقعس، رأس الإباضية، وإليه نسبتهم، وكان معاصرا لمعاوية، وعاش إلى أواخر أيام عبد الملك بن مروان، توفي سنة ٨٦هـ، والمؤرخون على اضطراب في سيرته، وتاريخ وفاته. انظر : خير الدين الزركلي، الأعلام ٦٢، ٦١/٤، مرجع سابق.

ويظهر أن الإباضية هي الفرقة الأكثر انتشارا - إن لم تكن الوحيدة - من فرق الخوارج في العصر الحاضر، ويتضح ذلك من خلال الردود التي تصدر من علمائهم بين الصين والآخر، لتبرقة هذه الفرقة مما ينسب إليها، أو لتفسيره تفسيرا يبعده عن التطرف والخروج.

ويذكر الأستاذ محمود شاكر أن عدد الإباضيين لايزيد عن المليون، يتوزعون في عمان، ورنجبار، وبعض المدن في تنزانيا، كما توجد مجموعة منهم في ليبيا، وجزيرة جربا في تونس، ووادي المزاب في الجزائر. (١)

ومن المفيد في نهاية الحديث عن الخوارج أن نشير إلى الأثر العام لهذه الفرقة على عقول بعض الشباب الملتزم "فهم شباب مخلصون، ولكنهم وقعوا فريسة الحرفية، وشهوة التشدد، وإنها لشهوة خفية، حيث يظن المرء أنه وحده على الحق، وكل الناس على باطل". (٢)

يقول الدكتور أحمد محمد مجلي: "إن ظاهرة الخروج بما تحمله من مبادئ ومنهج لم تنته بنهاية الخوارج الذين ظهروا في تلك الفترة من تاريخ الإسلام، فيإلى جانب الإباضية الذين يعتبرون امتدادا لأولئك الخوارج، ظهرت في هذا العصر جماعات تبنت منهج الخوارج، وأسلوبهم، واعتنقت كثيرا من أفكارهم". (٣)

(١) العالم الإسلامي اليوم ص٢٦، ٢٧، دار الصحوة بالقاهرة، ط ١، ١٤٠٥هـ.

(٢) محمد العبيد، وطارق عبد الحكيم، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ص ٣٨، مرجع سابق.

(٣) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، الخوارج والشيعة ص٧٩، مرجع سابق.

٢ - الشيعة :

يعرف الشهرستاني الشيعة بقوله: "الشيعة هم الذين شايعوا عليا - رضي الله عنه - على الخصوم، وقالوا بإمامته وخلافته نما ووصية، إما جليا، وإما خفيا، واعتقدوا أن الإمامة لاتخرج عن أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده". (١)

ويستعرض الدكتور أحمد جلي عددا من الآراء حول بداية التشيع، يخلص منها إلى أن كلمة (شيعة) قد استخدمت ولفترة طويلة في مدلولها اللغوي العام، وللإشارة إلى اتباع علي - رضي الله عنه - وأعوانه. (٢)

ويشير ابن تيمية - رحمه الله - إلى أن الشيعة قد حدثت في أيام علي رضي الله عنه، "لكن كانوا مختلفين بقولهم، لا يظهرونه لعلّي وشيعته، بل كانوا ثلاث طوائف:

طائفة تقول: إنه إله؛ وهؤلاء لما ظهر عليهم أحرقتهم بالنار، وخذ لهم أخاديد عند باب مسجد بني كندة، وقيل إنه أنشد :

لما رأيت الأمر أمرا منكرا
أجبت ناري ودعوت قنبرا

وقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس قال: أتني علي بزنادقة، فحرقهم بالنار، ولو كنت أنا لم أحرقتهم؛ لنهي النبي - صلى الله عليه وسلم - أن يعذب بعذاب الله، ولضربت أعناقهم، لقوله: [من بدل دينه فاقتلوه]. (٣)

وهذا الذي قاله ابن عباس هو مذهب أكثر الفقهاء ، وقد روي أنه أجّهم ثلاثا.

(١) الملل والنحل ١٤٦/١ مرجع سابق.

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين ص ١٠٠، مرجع سابق.

(٣) البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب لايعذب بعذاب الله ٢١/٤، وكتاب استنابة المرتدين والمعاندين، باب حكم المرتد والمرتدة

٥٠/٨ مرجع سابق.

والثانية : (السابعة) وكان قد بلغه عن ابن السوداء (١)، أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه، قيل : إنه طلبه ليقتله، فهرب منه.

والثالثة : (المفضلة) الذين يفضلونه على أبي بكر وعمر". (٢)
ويذكر ابن تيمية - رحمه الله - أن " الشيعة الأولى لا يتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر، وإنما كان النزاع في عثمان وعلي". (٣)
ولعل ابن تيمية - رحمه الله - يقصد الشيعة المقربين من علي، وهم أنصاره وأعوانه، وليسوا الشيعة الثلاث الذين ذكرهم قبل قليل، ويؤيد هذا قوله في أول كلامه عن الطوائف الثلاث: "وحدث في أيامه الشيعة لكن كانوا مختلفين بقولهم، لا يظهرونه لعلي وشيعته".

ويستشهد ابن تيمية - رحمه الله - على عدم وجود التفضيل في الشيعة الأولى

(١) ابن السوداء : هناك خلاف بين العلماء فيما إذا كان ابن السوداء، هو عبد الله بن سبأ، رأس الفرقة السبئية، أم أنه شخص آخر، فيذكر عبد القاهر البغدادي، أن ابن السوداء يهودي في الأصل من أهل الحيرة، أظهر الإسلام، وأعان السبئية على قولها، وانتسب إليها لما وجدها أعرق أهل الأهواء في الكفر، بينما يرى آخرون أن ابن السوداء هو عبد الله بن سبأ، كان يلقب بذلك لسواد أمه، ويؤكد المحققون هذه المقولة. انظر : البغدادي، عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، ص١٧٧-١٧٩ مرجع سابق.

- والدكتور سعدى الهاشمي، ابن سبأ حقيقة لاخيال، ص٥، مكتبة الدار، بالمدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

د. الزركلي، الأعلام ٨٨/٤ مرجع سابق.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤، ٣٣/١٣، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ٣٤/١٣ .

بقول شريك بن عبد الله (١): "إن أفضل الناس بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبو بكر وعمر، فقليل له: تقول هذا وأنت من الشيعة؟ فقال: كل الشيعة كانوا على هذا. وهو الذي قال هذا على أعواد منبره، أفنكذبه فيما قال". (٢)

ويطلق على الشيعة أيضا لفظ (الرافضة). (٣)

وهذا اللفظ أول ما خرج في الإسلام كان عندما خرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية، في خلافة هشام بن عبد الملك، واتبعه الشيعة، فسئل عن أبي بكر وعمر، فتولاهما، وترحم عليهما، فرفضه قومه، فقال: رفضتموني، رفضتموني، فسموا الرافضة. (٤)

"وهكذا يمكن القول بأن التشيع لم يكن مذهباً واحداً، بل اتخذ أطواراً مختلفة، ومر بمراحل عديدة، فقد كان لكل عصر نوع من التشيع، ولكل طائفة لون من التشيع.

(١) شريك بن عبد الله النخعي الكوفي، ولد عام ٩٠هـ، تولى القضاء بواسط والكوفة، وصف بأنه صدوق يخطئ كثيراً، تغير حفظه منذ ولي قضاء الكوفة، وكان عادلاً فاضلاً عابداً شديداً على أهل البدع، وكان يقدم علياً على عثمان، توفي سنة سبع أو ثمان وسبعين بعد المائة.

انظر: ابن حجر، تهذيب التهذيب ٣٢٣/٤-٣٢٧، دار صادر بيروت.

- و ابن حجر، تقريب التهذيب ٣٥١/١ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

(٢) مجموع الفتاوى ٣٤/١٣ مرجع سابق.

(٣) كما ذكر البغدادي، الفرق بين الفرق من ٢١، مرجع سابق.

- والرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٥٩، مرجع سابق.

(٤) انظر: ابن تيمية، مجموع الفتاوى، ٣٦، ٣٥/١٣ مرجع سابق.

- والرازي، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص ٥٩، ٦٠، مرجع سابق.

فقد وجد المعاصرون لعلي - رضي الله عنه - الذي أبرزوا فضائله وكفاءته، كما ظهر في عهده من فضل عليا على عثمان فقط، وظهر بعد ذلك الرافضة الذين رفضوا ولايتي أبي بكر وعمر، ثم ظهر الغلاة الذين كفروا الصحابة" (١). يقول الذهبي في (ميزان الاعتدال) (٢): "إن الشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من يتكلم في عثمان، والزبير، وطلحة، ومعاوية، وطائفة ممن حارب عليا - رضي الله عنه - وتعرض لسبهم، والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة، ويترأ من الشيخين أيضا" أهـ. ويذكر أصحاب كتب الفرق فرق الشيعة وأقسامها الكثيرة، ومقالات كل فرقة بتوسع.

أما أصول الفرق الشيعية فهي كالتالي :

في كتاب (الفرق بين الفرق) للبغدادي (٣) جعل أهم فرقهم أربعة: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغلاة.

وفي (الملل والنحل) للشهرستاني (٤) خمس فرق: كيسانية، وزيدية، وإمامية، وغلاة، وإسماعيلية.

وفي (اعتقادات فرق المسلمين والمشركين) للرازي (٥): أربع فرق: الزيدية، والإمامية، والكيسانية، والغالية.

ويبين الشهرستاني ما تجتمع عليه الشيعة فيقول: "يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبار والصغار، والقول بالتولي والتبري، قولا وفعلا وعقدا، إلا في حال التقية، ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك، ولهم في تعديدة الإمام كلام وخلاف كثير، وعند كل تعديدة وتوقف

(١) د. أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ١٠١ مرجع سابق.

(٢) ٦/١ مرجع سابق.

(٣) ص ١٦ ، مرجع سابق.

(٤) ١٤٧/١ مرجع سابق.

(٥) ص ٦٠ ، مرجع سابق.

مقالة، ومذهب، وخطب". (١)

وفي العصر الحاضر تشكل الإمامية الاثنا عشرية، والزيدية أهم فرق الشيعة المعاصرة، وأوضحها أثراً، وأعلىها صوتاً.

أما الزيدية، وفرقهم الثلاث (الجارودية، والسليمانية، والمالحية) فإن الدكتور أحمد جلي، يرى أنها انقرضت أو ذابت في فرق الشيعة الأخرى، وما بقي من الزيود فهم متمسكون بآراء زيد المعتدلة نسبياً في الإمامة والاعتقاد، كما يتبعون زياداً في آرائه وأحكامه الفقهية. (٢)

ويذكر الأستاذ محمود شاکر أن الزيود في اليمن يشكلون ٢٥٪ من مجموع السكان، ويقدر عددهم بأكثر من مليونين ونصف المليون. (٣)

أما الإمامية الاثنا عشرية، فإنهم بعد ثورتهم في إيران بقيادة الخميني، صاروا يشكلون خطراً حقيقياً، وتهديداً مباشراً لأهل السنة والجماعة، لما يحملونه من آراء متطرفة، وحقد دفين عليهم، وعلى أية حال فليس هذا بمستغرب لمن زين له سوء عمله فرآه حسناً.

فإذا كان الصحابة - رضوان الله عليهم - لم يسلموا منهم، وهم خير الأمة بعد نبيها، فما بالك بمن هو دونهم !

كما أن كتاب الله وسنة رسوله لم تسلم من طعنهم، فزعموا أن في القرآن زيادة ونقصاً. (٤)

وأما السنة فإنهم لا يثبتون إلا ما روي عن طريق الأئمة من أهل البيت، أو ممن نسبهم إلى التشيع، كسلمان الفارسي، وعمار بن ياسر. (٥)

(١) الملل والنحل ١/١٤٦، ١٤٧ مرجع سابق.

(٢) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ١٩٢، مرجع سابق.

(٣) العالم الإسلامي ص ٦٣، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط ١، ١٤٠٠هـ.

(٤) انظر بتوسع : إحسان إلهي ظهير، الشيعة والقرآن، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط ٥، ١٤٠٤هـ.

(٥) انظر: أحمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ١٧٧، مرجع سابق.

ويحتل كتاب (الكافي) مكانة كبيرة لديهم، فهو في مقام صحيح البخاري عند أهل السنة، مع العلم بأن جل ما في الكافي - كما يقول أبو زهرة - أخبار تنتهي عند الأئمة، ولا يصح أن نقول أنه يذكر سندا متصلا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولا أن يدعى أن هذه أقوال النبي - صلى الله عليه وسلم - إلا على أساس أن أقوال أئمتهم هي أقوال النبي صلى الله عليه وسلم، وأنها دين الله تعالى. (١)

كما أنهم يعتقدون بعصمة الأئمة، يقول صاحب كتاب (عقائد الإمامية): "إن الإمام كالنبي، يجب أن يكون معصوما من جميع الرذائل والفواحش ما ظهر منها وما بطن، من سن الطفولة إلى الموت، عمدا وسهوا، كما يجب أن يكون معصوما من السهو والخطأ والنسيان". (٢)

ويقول الخميني: "وثبوت الولاية والحاكمية للإمام عليه السلام، لا يعني تجرده من منزلته التي هي عند الله، ولا تجعله مثل من عداه من الحكام، فإن للإمام مقاما محمودا، ودرجة سامية، وخلافة تكوينية؛ تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون، وإن من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لا يبلغه ملك مقرب ولا نبي مرسل...". (٣)

ومن المعلوم أن التقية من دين الشيعة، وتعني باختصار: الكذب عند أدنى حاجة، وادعاء الموافقة ظاهرا، فهم أهل كذب، كما أن أسلافهم قد بنوا دينهم على الكذب على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأهل بيته، وأئمة المسلمين.

وذكر أبو المظفر الاسفراييني في (التبصير في الدين) (٤) من فرق الشيعة

(١) محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، ص ٤٣٩، دار الفكر العربي. القاهرة.

(٢) محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، ص ٦٧، منشورات مطبعة النعمان، النجف.

(٣) الخميني، الحكومة الإسلامية، ص ٥٢، دروس ألقيت في النجف، تحت عنوان: "ولاية الفقيه" ١٣/١١-١٢/١-١٣٨٩هـ.

(٤) أبو المظفر الاسفراييني (ت ٤٧١هـ) التبصير في الدين، ص ٢٤-٢٦ - بتصرف =

عشرين فرقة، منهم من الإمامية خمس عشرة فرقة، يكفرون الصحابة، ويقولون بتغيير القرآن بالزيادة والنقص، ولا يعتمدون على أخبار أهل السنة.

ثم قال: "إن العاقل يعلم ببديهة العقل فساد مقالتهم، وأنهم قصدوا بمقالتهم إظهار ما كانوا يضمرونه من الإلحاد والشر بموالاته قوم من أشرف أهل البيت، وإلا فليس لهم دليل يعتمدون عليه، ويجعلون خرافات مقالتهم إليه، حتى إنهم لما رأوا الجاحظ يتوسع في التمانيف، ويصنف لكل فريق، قالت الروافض: صنف لنا كتابا. فقال لهم: لست أدري لكم شبهة حتى أرتبها وأتصرف فيها. فقالوا: إذا دلتنا على شيء نتمسك به. فقال: لا أدري لكم وجهها، إلا أنكم إذا أردتم أن تقولوا شيئا مما تزعمونه، تقولون: إنه قول جعفر بن محمد الصادق، لا أعرف لكم سندا تستندون إليه غير هذا الكلام.

فتمسكوا بحمقهم وغبواتهم بهذه السوءة التي دلهم عليها، فكلما أرادوا أن يخلطوا بدعة، أو يخترعوا كذبة نسبوها إلى ذلك السيد الصادق، وهو عنها منزة، وعن مقالتهم في الدارين بريء، حتى حكى عنه أنه قال: كادت الروافض أن تنصر عليا فنسبته إلى العجز، وكادت المعتزلة أن توحد ربها فشركته، وأرادت أن تعدل ربها فجورته".

ولست هنا في مقام بيان مقالتهم، وذكر انحرافاتهم كلها، فذلك أمر قد ألفت فيه الكتب الكثيرة قديما وحديثا. (١)

= يسير - تحقيق الدكتور/ محمد محمود الخضري، الناشر: عزت العطار الحسيني، مكتب نشر الثقافة الإسلامية، ط١، ١٣٥٩هـ.

(١) انظر: كتب المقالات والفرق، بالإضافة إلى الكتب التخصصية التالية:

- ابن تيمية، منهاج السنة النبوية.
- ابن حجر الهيتمي، المواقف المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة.
- شاه عبد العزيز ولي الله الدهلوي، مختصر التحفة الاثني عشرية.
- محمد عبد الستار التونسي، بطلان عقائد الشيعة.
- إحسان إلهي ظهير، الشيعة والسنة؛ والشيعة والقرآن؛ و الشيعة وأهل البيت، وغيرها.

لكنني أُنبه على أن انحرافهم العقدي بدأ يتسرب إلى بعض المسلمين، وذلك بسبب نشاطهم في الدعوة إلى مذهبهم بكل وسيلة وفي كل مكان من العالم، وهو أمر ينبغي التنبيه إليه، ويحق لنا اعتبارهم مع الحركات الصوفية من أشد الأخطار التي تواجه الأمة الإسلامية من الداخل في هذا العصر.

كما تجدر الإشارة إلى غلاة الشيعة ممن يقولون بالظاهر والباطن لنصوص القرآن، والذين يطلق عليهم "الباطنية".

"والباطنية : لقب عام تنطوي تحته طوائف عديدة، تلتقي جميعها في تأويل النصوص الظاهرة، وإثبات معان لها، وتلجأ إلى الرموز والإشارات في تفسير النصوص الدينية، وإخراجها عن معانيها الظاهرة، مستهدفين بذلك هدم الدين وإبطال شعائره وأحكامه العملية". (١)

ومن الطوائف التي تنحو هذا المنحى طائفة "الإسماعيلية" الذين ينتسبون إلى إسماعيل، الابن الأكبر لجعفر الصادق، (ت ١٤٥هـ) (٢) وهم يتفرعون إلى فروع عديدة، "كالبهرة" (٣) و "الأغاخانية" (٤) وغيرها. وكذلك من الطوائف الباطنية "النميرية" (٥) و "الدروز" (٦) والذين مازالوا

(١) د. أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص١٩٣، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) انظر: المرجع السابق، ص ٢٢٨ وما بعدها.

(٤) انظر: المرجع السابق، ص ٢٣٩ وما بعدها.

(٥) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٣ وما بعدها.

- بالاضافة إلى الحسيني عبد الله، الجذور التاريخية للنميرية العلوية، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٤٠٠هـ.

- وأبي الهيثم، الإسلام في مواجهة الباطنية، دار الصحوة للنشر، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٦) انظر: د. أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص٢٦١، وما بعدها، مرجع سابق.

مع إخوانهم من الفرق المنحرفة يساهمون بقدر كبير من حرب المسلمين، ومعاداتهم، والسعي في تفريق كلمتهم، نسأل الله أن يجعل كيدهم في نحورهم.

٣ - الصوفية :

تعتبر الصوفية من الفرق ذات الفروع الكثيرة، وتزداد هذه الفروع - أو ما يسمى بالطرق الصوفية - مع مضي الأيام، نظراً لتوارث المناصب في هذه الطرق، وبالتالي استقلال بعض الطرق عن الأخرى.

وبالرغم من محاولة كثير من الباحثين قديماً وحديثاً الوصول إلى أصل كلمة الصوفية، وأنها مشتقة من الصوف، وهو اللباس الذي يدل على الزهد في الدنيا والإعراض عن ملذاتها.. بالرغم من ذلك كله إلا أن واقع الصوفية يدل بوضوح وجلاء على أنها مجموعة من أفكار ورواسب الديانات القديمة، لاتمت إلى الأصول الإسلامية، ولا إلى الزهد - الذي يأمر به الإسلام بمقدار مناسب - الذي يدعيه المتصوفة بصفة، وذلك أن الانحراف الشديد في معتقدات الصوفية يجعلهم أبعد الناس عن دين الإسلام، وعقيدته الصافية.

ويظهر أن الأفكار الصوفية المنحرفة أخذت في الدخول إلى البيئة الإسلامية رويداً رويداً مع الفتوحات الكبيرة التي تحققت في القرنين الأول والثاني من الهجرة، وكان للعجم دور كبير في ذلك ممن لم يدخل الإيمان في قلوبهم.

ويشير بعض الباحثين إلى أن "التصوف بلغ غايته وذروته من حيث العقيدة والتشريع في نهاية القرن الثالث، حيث استطاع الحسين بن منصور الطلاج أن يظهر معتقده على الملأ، ولذلك أفتى علماء العصر بكفره وقتله، فقتل سنة ٣٠٩هـ وملب على جسر بغداد". (١)

ويذكر ابن خلدون في مقدمته شيئاً عن المرحلة المتأخرة في تاريخ التصوف، حيث وصل إلى درجة كبيرة من الانحراف من خلال مشاركة الشيعة في بعض العقائد،

(١) عبد الرحمن عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص٣٤،

وابتداع عقائد أخرى ليست من الإسلام بأي حال، فيقول: "ثم حدث أيضا عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف وفيما وراء الحس، وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بالوهية الأئمة، وطول الإله فيهم.

وظهر منهم أيضا القول بالقطب، والأبدال؛ وكأنه يحاكي مذهب الرافضة في الإمام والنقباء، وأشربوا أقوال الشيعة، وتوغلوا في الديانة بمذهبهم، حتى جعلوا مستند طريقهم في لبس الخرقاة أن عليا - رضي الله عنه - لبسها الحسن البصري، وأخذ عليه العهد بالترزام الطريقة، واتصل ذلك منهم بالجنيد (١) من شيوخهم، ولا يعلم هذا عن علي من وجه صحيح". (٢)

وبالإضافة إلى هذه الانحرافات الشنيعة فإن الفكر الصوفي فكر باطني، ذلك أن الصوفية يقولون بأن للقرآن ظاهرا وباطنا، فيمكن إذا تصنيف "الصوفية" تحت مسمى "الباطنية".

ويطلق المتصوفون على علماء الشريعة أسماء مختلفة، فتارة يسمونهم (علماء الظاهر) وتارة (علماء الرسوم) وتارة (أهل النظر) بينما يسمون أنفسهم: (أهل الله) و (العارفون بالله) و (أهل الكشف) و (علماء الباطن) و (علماء الغيب) الخ". (٣)

(١) الجنيد : هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم، من متصوفة أهل السنة، أثنى عليه ابن تيمية في أكثر من موضع، وعده من الشيوخ المشهورين بالخير، ويقول الجنيد: "علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يقرأ القرآن ويكتب الحديث لا يصلح له أن يتكلم بعلمنا". توفي عام ٢٩٧هـ انظر: ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ٤/٥، ٣٤٩، مرجع سابق.

- والزركلي، الأعلام ١٤١/٢ مرجع سابق.

(٢) مقدمة ابن خلدون، ص ٣٢٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٤ .

(٣) محمد فخر شقفة، التصوف بين الحق والخلق، ص ٣٦، الدار السلفية، الكويت ط ٣، ١٤٠٣ هـ.

يقول عبد الرحمن عبد الخالق: "وأما القرآن والسنة فإن للصوفية فيهما تفسيراً باطنياً، حيث يسمونه أحياناً تفسير الإشارة، ومعاني الحروف، فيزعمون أن لكل حرف من القرآن معنى لا يطلع على معناه إلا الصوفي المتبحر، المكشوف عن قلبه.

وعلى هذا الأساس كان للمتصوفة دينهم الخاص الذي يختلف في أصوله وفروعه عن الدين الذي جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم". (١)

وعلى كل حال، فإن انحرافات الصوفية لم تقف عند هذا الحد، بل إنهم الآن على كثرة طوائفهم والاختلاف فيما بينهم، يقفون بتعاون وتآزر في محاربة الفكر السلفي الراشد، المبني على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، كما أنهم يستجهلون أهل العلم في البلاد الإسلامية، ويبدعون أهل السنة بوجه عام، وهم بهذا الفعل إنما يقومون بالوفاء لزعيمهم؛ إمام الضلال محيي الدين بن عربي (٢) الذي قام بنفس العمل.

وهم إذا بهذا الصد عن سبيل الله يحرمون كثيراً من المسلمين فهم دينهم على الوجه الصحيح، كما أنهم "يؤذون موتى المسلمين وسلفهم الصالح ببناء المساجد والقباب على قبورهم، وممارسة الشركيات والبدع والخرافات عندها، من

(١) الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة ص ٢٧، مرجع سابق.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي، أبو بكر الحاتمي الطائفي الأندلسي، المعروف بمحيي الدين بن عربي، الملقب عند الصوفية بالشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، وغير ذلك، ولد في (مرسية) بالأندلس، سنة ٥٦٠هـ وتوفي في دمشق سنة ٦٢٨هـ. أحمد بن محمد المقرئ، نفح الطيب ٢/٣٦١-٣٤٨ مرجع سابق.

- والذهبي، ميزان الاعتدال ٢/٦٥٩، ٦٦٠ مرجع سابق.

- وابن حجر، لسان الميزان، ٥/٣١١-٣١٥ مرجع سابق.

- وخير الدين الزركلي، الأعلام ٦/٢٨١، ٢٨٢ مرجع سابق.

طواف، وتمسح، وتبرك، ودعاء من دون الله، وغير ذلك مما يتفطر له قلب كل مؤمن مشفق على دينه وأمته". (١)

ويتواجد الصوفية في كل بلد إسلامي - بلا استثناء - إلا أن لهم ظهورا في بلاد كالهند، وباكستان، وأندونيسيا، ومصر، بل إفريقيا كلها، أكثر من غيره في البلاد الإسلامية، ومع هذا فإن لهم وجودا في كل مكان.

ومن المؤسف أن تواجههم لم يقتصر على البلاد الإسلامية وحدها، بل إن لهم نشاطات خارج البلاد الإسلامية، من خلال بعض الجمعيات، والمراكز الإسلامية في أوروبا، والولايات المتحدة.

وكم يعاني الدعوة إلى الله من هؤلاء الذين لا يريدون من الإسلام إلا أن يكون موالداً وأذكارا بدعية، ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول أبو بكر الجزائري : "ومما يؤسف له أن معظم المراكز الإسلامية في أوروبا تنتشر فيها الصوفية بشكل كبير جدا، وأنها تنقل المساعدات والدعم من قبل الدول الإسلامية، علما بأنها تعطي صورة مشوهة عن الإسلام والمسلمين، إذ تنقل للنصارى صوراً قريية من التثليث الذي عندهم والشركيات التي طالما حاولوا الفرار منها بعد أن أفسد عليهم اليهود عقيدتهم.

وقد أعجبت جدا ببعض النصارى الذين اعتنقوا الإسلام في فولتا العليا (بوركينافاسو) أو (وطن الحرية) - كما سماها الرئيس الحالي لها توماس سنكره - عندما سألتهم لماذا انضموا إلى جماعة أهل السنة في (وغادوغو) ويرأسها الأخ (سليمان ويدراغو - رئيس مطار العاصمة سابقا -) ولم ينضموا إلى الطريقة التيجانية على انتشارها؟ فقالوا: نحن تركنا الشرك لندخل في التوحيد، لا لندخل في الشرك مرة أخرى.

فما السر إذا في انتشار الصوفية في معظم المراكز الإسلامية في أوروبا،

(١) د. ناصر العقل، مقدمة تحقيقه لكتاب (اقتضاء المرط المستقيم، لابن

تيمية) ص٣٦، - بتصرف يسير - مرجع سابق.

وتعيين مسئولين عنها، معظمهم من الصوفية؟". (١).

ولقد وفق الله عدداً من العلماء المعاصرين للرد على مفتريات الصوفية في مسائل معينة، وهي ردود كثيرة والله الحمد.

ووفق الله آخرين للكتابة عن الصوفية تاريخاً وفكراً، كما فعل الشيخ عبد الرحمن الوكيل في كتابه (هذه هي الصوفية) والأستاذ محمد فخر شقفة في كتابه (التصوف بين الحق والخلق) والشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه (الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة) والشيخ إحسان إلهي ظهير في كتابه (التصوف، المنشأ والمصدر).

كما قام آخرون بالكتابة عن فرق معينة، كما فعل الشيخ علي الدخيل الله في كتابه (التيجانية) وهو في الأمل رسالة ماجستير، مقدمة إلى قسم العقيدة، بكلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

وكما فعل الأستاذ عبد الرحمن دمشقية، في كتابه عن (النقشبندية).

كما أن الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في جزء من كتابه السابق، قد تحدث عن التجانية والرقاعية والبكتاشية بتفصيل جيد وموثق.

فجزاهم الله خيراً.

(١) أبو بكر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، ص ٣٣، - الهامش بتصريف

المبحث الثاني : الجهل واستغلال أصحاب المصالح له .

أولا - تعريف الجهل وأقسامه :

الجهل في اللغة : "نقيض العلم، وقد جهله فلان جهلا وجهالة، وجهل عليه .
وتجاهل : أظهر الجهل وليس به .

والجهالة : أن تفعل فعلا بغير علم . وقالوا : جهلاء، كما قالوا : علماء، حملا
على ضده ... وفي كلام العرب : جهلت الشيء إذا لم تعرفه" . (١)
وفي اصطلاح المتكلمين : "هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه .
واعترضوا عليه بأن الجهل قد يكون بالمعدوم، وهو ليس بشيء، والجواب
عنه : إنه شيء في الذهن" . (٢)

وعندي أن هذا الجواب لا يكفي، فيبقى الاعتراض على هذا التعريف قائما،
خاصة إذا علمنا أن "الجهل يتحقق بالمعدوم كما يتحقق بالموجود" . (٣)
وقيل : "هو صفة تضاد العلم عند احتمالها وتصوره .
واحترز به عن الأشياء التي لا علم لها، فإنها لا توصف بالجهل لعدم تصور
العلم فيها" . (٤)

وهناك قسمان للجهل، هما : البسيط، والمركب .

أما الجهل البسيط فهو : "عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالما" . (٥)

(١) ابن منظور، لسان العرب (١١/١٢٩) - بتصرف يسير واختصار - مرجع سابق .

(٢) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات ص ١٠٨، مرجع سابق .

(٣) إبراهيم المختار أحمد عمر الجبرتي الزيلعي (محقق) (مسائل لا يعذر فيها
بالجهل على مذهب الإمام مالك) شرح العلامة الأمير على منظومة بهرام ص ٢٧،
هامش (١)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ٢، ١٤٠٦هـ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص ١٠٨ مرجع سابق .

وأما الجهل المركب فهو : "عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع". (١)
ويشبه هذا قول بعضهم: "الجهل يذكر ويراد به عدم الشعور، ويذكر ويراد به الشعور بالشيء على خلاف ما هو به". (٢)
وعندما نعرض هذين القسمين على ما ورد في الشرع نجد أن: "القسم الأول فطري ولا عيب فيه، قال تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهتكم لاتعلمون شيئاً) (٣) وإنما العيب التقصير في إزالة الجهل، ودواؤه التعلم.
والقسم الثاني: الغلط، ودواؤه التوقف والتثبيت، وسببه الجهل الخلقى، مع العجبة والعجب، وهو على أربعة أنواع:

- جهل باطل بلا شبهة، لا يصلح عذرا أصلا في الآخرة.
 - وجهل هو دونه، لكنه باطل لا يصلح عذرا أيضا في الآخرة.
 - وجهل يصلح شبهة.
 - وجهل يصلح عذرا.
- أما (الأول) : فالكفر من الكافر لا يصلح عذرا، لأنه مكابرة وجود بعد وضوح الدليل، قال تعالى: (وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا) (٤) لأن الآيات الدالة على وحدانية الصانع جل جلاله، وكمال قدرته، وعظمة ألوهيته، لا تعد كثرة، ولا تخفى على من له أدنى لب، قال أبو العتاهية:

أم كيف يجحده الجاحد	فياعجبا كيف يعصى الإله
تدل على أنه الواحد (٥)	وفي كل شيء له آية

-
- (١) الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، ص ١٠٨، مرجع سابق.
(٢) إبراهيم المختار أحمد عمر الجبرتي الزيلعي، (محقق) (مسائل لايعذر فيها بالجهل على مذهب الإمام مالك) شرح العلامة الأمير على منظومة بهرام من ٢٧، هامش (١) مرجع سابق.

(٣) سورة النحل ٧٨ .

(٤) سورة النمل ١٤ .

(٥) ديوان أبي العتاهية، ص ١٢٢، دار صادر، ودار بيروت للنشر، بيروت، ١٣٨٤هـ

وكذلك الدليل على صحة رسالة الرسل من المعجزات القاهرة، والحجج الباهرة؛ ظاهرة محسوسة في زمانهم، وقد نقلت تلك المعجزات بعد انقراض زمانهم بالتواتر قرنا بعد قرن إلى يومنا هذا، فكان بمنزلة إنكار المصوس، فلذلك لم يجعل عذرا.

وأما (الثاني): وهو الجهل الذي دون جهل الكافر، ولكنه لا يصلح عذرا، كجهل صاحب الهوى في صفات الله عز وجل، مثل جهل المعتزلة بالصفات، فإنهم أنكروها حقيقة بقولهم: إنه عالم بلا علم، وقادر بلا قدرة، وسميع بلا سمع، وبصير بلا بصر، وهكذا في سائر الصفات.

وكجهل المشبهة، فإنهم قالوا بجواز حدوث صفات الله عز وجل وزوالها عنه، مشبهين الله بخلقه، لمخالفته الدليل الذي لا شبهة فيه سمعا وعقلا.

وكذا جهلهم بأحكام الآخرة، كجهل المعتزلة بسؤال المنكر والنكير، وعذاب القبر، والميزان، والشفاعة لأهل الكبائر، وجواز العفو عما هو دون الشرك، وجواز إخراج أهل الكبائر الموحدين من النار، وإنكارهم إياها كإنكار الجهمية ظلود الجنة والنار، وأهلها.

فالجهل بهذا باطل، لا يكون عذرا في الآخرة، كجهل الكافر، لأن الدلائل الناطقة بهذه الأحكام من الكتاب والسنة كثيرة واضحة لا تخفى على من تأمل فيها عن إنصاف.

وأما (الثالث): وهو الجهل الذي يصلح أن يكون شبهة، فهو الجهل في موضع تحقق فيه الاجتهاد، من غير أن يكون مخالفا للكتاب والسنة، بناء على اشتباه مالميس بدليل دليلا، من ذلك وطء الأب جارية ابنه، فإنه لا يجب عليه الحد لوجود الشبهة، وهو قوله عليه الصلاة والسلام: [أنت ومالك لأبيك]. (١)

(١) رواه الإمام أحمد، المسند ١٧٩/٢، ٢٠٤، ٢١٤ مرجع سابق.

- وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب التجارات، باب ما للرجل من مال والده، ٧٦٩/٢ مرجع سابق.

قال الألباني: صحيح. انظر: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل

٦٥/٦، المكتب الإسلامي، بيروت، ودمشق، ط١، ١٣٩٩هـ.

وأما (الرابع) : وهو الذي يصلح عذرا، فهو الجهل في دار الحرب من مسلم .
لم يهاجر، إنه يكون عذرا في الشرائع، حتى لا يلزمه القضاء عند الجمهور، لأنه
غير مقصر في طلب الدليل، وإنما جاء الجهل من قبل خفاء الدليل في نفسه، حيث
لم يشتهر في دار الحرب بسبب انقطاع ولاية التبليغ عنهم، فهو بمنزلة الخطاب
في أول ما ينزل، فإنه خفي في حق من لم يبلغه من المسلمين، لعدم استفاضة
بينهم، فيصير الجهل به عذرا، كما في قصة أهل قباء، فإنهم صلوا الظهر إلى
بيت المقدس بعد نزول فرض التوجه إلى الكعبة، وافتتحوا العصر متوجهين إليه
أيضا، فأخبروا بتحويل القبلة إلى الكعبة، وهم في الصلاة، فتوجهوا إليها،
وأتَمَّوا صلاتهم، وجوز ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأن الخطاب لم
يبلغهم". (١)

وقال الأصفهاني في المفردات: (٢) "الجهل على ثلاثة أضرب :

الأول : وهو خلو النفس من العلم، هذا هو الأمل.

الثاني: اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه.

الثالث: فعل الشيء بخلاف ما حقه أن يفعل، سواء اعتقد فيه اعتقادا صحيحا

أو فاسدا، كمن يترك الصلاة متعمدا، وعلى ذلك قوله تعالى: (قالوا أتتخذنا

مزوا قال أعود بالله أن أكون من الجهلين) (٣) فجعل فعل الهزو جهلا.

وقال تعالى: (فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة) (٤) أم.

(١) إبراهيم المختار أحمد عمر الجبرتي الزيلعي (محقق) (مسائل لايعذر فيها

بالجهل على مذهب الإمام مالك) شرح العلامة الأمير على منظومة بهرام،

ص٢٧-٢٩ الهامش، مرجع سابق.

(٢) ص ١٠٢، مرجع سابق .

(٣) سورة البقرة ٦٧ .

(٤) سورة الحجرات ٦ .

وذكر ابن تيمية - رحمه الله - أقسام الجهل، فقال: (١)
"الجهل : الذي هو عدم العلم، أو عدم اتباع العلم.
- فإن لم يعلم الحق فهو جاهل جهلا بسيطا.
- فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلا مركبا.
- فإن قال خلاف الحق عالما بالحق، أو غير عالم فهو جاهل أيضا، كما قال
تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما). (٢)
وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال
سبحانه: (إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة). (٣) أهـ.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ١/٢٢٤، ٢٢٥، - باختصار - تحقيق د. ناصر العقل،

مرجع سابق.

(٢) سورة الفرقان ٦٣ .

(٣) سورة النساء ١٧ .

ثانيا : الجهل بالعقيدة الإسلامية في العالم الإسلامي.

ليس من المبالغة أو التهويل أن نقول بأن العالم الإسلامي اليوم يشهد جهلا شديدا بالعقيدة الصحيحة بين الكثيرين من أبنائه والمنتسبين إليه، وليس من المبالغة أيضا القول بأن الجهل موجود بنوعيه البسيط والمركب، وقد ساهمت ظروف كثيرة في وجود هذا الجهل وبقائه.

ويستغرب المسلم وجود هذا الجهل وانتشاره، مع أن الإسلام حث على طلب العلم والتعلم، وجعل ذلك عبادة يؤجر عليها المسلم.

قال الإمام البخاري - رحمه الله - في صحيحه في كتاب العلم: "باب فضل العلم(١)، وقول الله تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير)(٢) وقوله عز وجل: (رب زدني علما). (٣) ويقول في باب آخر سماه: (العلم قبل القول والعمل)(٤) لقول الله تعالى: (فاعلم أنه لا إله إلا الله)(٥) فبدأ بالعلم.

وإن العلماء هم ورثة الأنبياء ورثوا العلم، من أخذه أخذ بحظ وافر، ومن سلك طريقا يطلب به علما سهل الله له طريقا إلى الجنة.

وقال جل ذكره: (إنما يخشى الله من عباده العلماء). (٦) وقال: (وما يعقلها إلا العلماء)(٧) وقال: (وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب

(١) صحيح البخاري ٢١/١ مرجع سابق.

(٢) سورة المجادلة ١١ .

(٣) سورة طه ١١٤ .

(٤) صحيح البخاري ٢٥/١ مرجع سابق.

(٥) سورة محمد ١٩ .

(٦) سورة فاطر ٢٨ .

(٧) سورة العنكبوت ٤٣ .

السعير)(١) وقال : (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون). (٢)
وقال النبي صلى الله عليه وسلم : [من يرد الله به خيرا يفقهه، وإنما العلم بالتعلم].

وقال أبو ذر : لو وضعت المصمامة (٣) على هذه - وأشار إلى قفاه - ثم ظننت أنني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها.

وقال ابن عباس: كونوا ربانيين حكما فقهاء.

ويقال: الرباني : الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره". أهـ.

وظهور الجهل علامة من علامات الساعة وأشراطها، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: [إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويثبت الجهل - وفي رواية: ويظهر، وفي رواية: وينزل فيها الجهل - ويشرب الخمر، ويظهر الزنا]. (٤)

وقد ذكر الشاطبي أن مما يقع به الإحداث في الدين، الجهل، وهو:

- إما أن يكون جهلا بأدوات الفهم، كاللغة العربية.

- أو يكون جهلا بالمقاصد، من وجوب النظر إلى الشريعة بعين الكمال لابعين

النقصان، واعتبارها اعتبارا كلياً في العبادات والعبادات.

وكذلك الإيقان بأنه لا تضاد بين آيات القرآن، ولا بين الأخبار النبوية، ولا

(١) سورة الملك ٢٨ .

(٢) سورة الزمر ٩ .

(٣) السيف الصارم الذي لا ينثني، وقيل الذي لاحد له. ابن حجر (١/١٩٤) مرجع سابق.

(٤) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل،

٢٨/١، مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل

والفتن في آخر الزمان ٢٠٥٦/٤ مرجع سابق.

بين أحدهما مع الآخر. (١)

كما يزيد الاستغراب على وجود هذا الجهل مع سهولة العقيدة الإسلامية ويسرها وموافقتها للفطرة، ذلك أنها ليست نتاج عقل بشري ناقص، بل هي وحي إلهي من خالق الإنسان وموجده سبحانه وتعالى، تتفق تماما مع معطيات العقول السليمة، بل وتؤمل فيها مناهج النظر والتفكير في مجاهيل كثيرة بالنسبة لهذا العقل، فتصبح بذلك مصدرا أصيلا، وأساسيا من مصادر المعرفة التي لاغنى للإنسان عنها في حياته، فضلا عن أهميتها لسبب وجوده وتكليفه بالعبودية الكاملة لله رب العالمين.

وبهذا يصبح الإنسان المعتمد على الوحي الإلهي كائنا متميزا من نواحي كثيرة، أهمها الانعتاق من سيطرة العقل المجرد الذي طالما ظلمه أصحابه بتكليفه فوق طاقته، وهو المحدود الناقص، وبفرض نتائج لمقدمات معينة، ترفضها عقول الآخرين، بل وتنقضها، ومن ثم يبقى حائرا لأنه لا يوجد عقل قياسي يحتكم إليه، ويرضى ويطمئن لنتائجه.

١ - جهل أتباع المبتدعة :

الجهال من أتباع المبتدعة، فيهم من لا علم عنده أصلا، وفيهم من عنده علم، ولكنه قليل أو مبني على جهل، وأكثرهم أميون، لا يقرأون ولا يكتبون، وهؤلاء إن لم يوقفوا إلى علماء صادقين من علماء السنة يعلمونهم العقيدة الصحيحة ويلقنونهم إياها (١) فإنهم ولا شك، سيكونون أمام أمرين، إما الجهل بالعقيدة

(١) انظر: الاعتصام، ٢/٢٩٢-٣١٧ مرجع سابق.

وقد فصل فيها القول، وضرب كثيرا من الأمثلة التي ما زال كثير من الناس واقع فيها.

(٢) كان من منهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وأتباعه تلقين العقيدة السلفية للعامة، ومطالبتهم بحفظها عن ظهر قلب، وسؤالهم =

الصحيحة، مما يترتب عليه إخلال كبير بالدين، عقائده وشرائعه، كما كان حاصلًا عند البادية، أو اللجوء إلى علماء، هم في الحقيقة جهال، فيأخذون عنهم جهلهم وضلالهم، ويبقون تحت سيطرتهم واستغلالهم، كما هو حاصل في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي في العصر الحاضر من دجاجة الموفية، والفرق المنحرفة، وغيرهم ممن يعظمون القبور، ويزينونها في نفوس العامة، ويضعون صناديق النذور عندها أو في المساجد لاستغلال هؤلاء الجهال.

وهؤلاء الذين جعلهم الناس رؤساء لهم في الدين، وهم جهال يفتنون الناس، ويقولون في دين الله بغير علم، يصدق عليهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فافتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا]. (١)

وهو من أشراط الساعة، كما قال عليه الصلاة والسلام: [إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأماغر]. (٢)

= عنها كل يوم بعد إحدى الصلوات إلى عهد قريب، حيث كثر العلم، وفتحت المدارس، وصارت العقيدة تدرس في كافة المراحل الدراسية. وكان هذا الأسلوب الجيد سبباً في انتشار العقيدة الصحيحة في أنحاء الجزيرة بعد أن كانت تعج بالشركيات والبدع، بالإضافة إلى أن هذا الأسلوب حل أمثال لمشكلة الأمية التي يعاني منها أفراد المجتمع حينئذ، وما زالت تعاني منها مجتمعات إسلامية أخرى.

(١) البخاري، صحيح البخاري، باب كيف يقبض العلم، ٢٤/١ مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب رفع العلم وقبضه وظهور الجهل والفتن في آخر الزمان ٢٠٥٦/٤ مرجع سابق.

(٢) محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣١٥/٢، ٣١٦ رقم الحديث (٦٩٥) مرجع سابق.

قال ابن المبارك رحمه الله: الأصغر: أهل البدع. (١)
وكم في العالم الإسلامي اليوم من أمثال هؤلاء، وبالمقابل فإن العلماء
الذين يعتمد عليهم ويثق المسلمون في علمهم قليل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
يقول المودودي رحمه الله:

"إن الذين يبتلون بهذا الشرك المنبعث من التوهم والاعتقاد بالخرافات
يصبحون لقمة سائغة لكل أفاك يحترف الشعوذة والدجل، أو كيّس يعرف يلعب بعقول
السذج والبله، ومن ثم ترى من الناس من ينصب نفسه ملكا، ويصل جبل نسيه
بالشمس والقمر وغيرها من الآلهة الكاذبة، ويجعل الناس يوقنون بأنه بلغ
ذروة الألوهية وأنهم عبيده، ومنهم من يصير سادنا لبيت من بيوت الآلهة، أو
مجاورا لقبر من قبور الصالحين، ويقول للناس: إن بيئتنا وبين الذين ترجون
منهم النفع أو الضرر صلة وآصرة، لا يمكنكم أن تصلوا إليهم إلا بواسطتنا.

ومنهم من يظهر بمظهر كاهن أو شيخ من مشايخ الطرق، ويرى الناس من
شعوذته وأفانين تدجيله ما يجعلهم يستيقنون أن هذه الرقى والتمايم والتعاويد
قادرة على قضاء حاجاتهم وتفريج كربهم بطريق لاتصل إليه مقدرة الطاقة
البشرية.

ثم إن هؤلاء الدجاجة المشعوذين تنتقل حقوقهم ووظائفهم وامتيازاتهم
ودوائر نفوذهم إلى أبنائهم وأحفادهم، وسلائل أبنائهم وأحفادهم، حتى إنها
بتمادي الأزمان وتعاقب الليالي والأيام تصبح مجدا أصيلا، وحقا موازيا لتلك
الأسر والعائلات، لايزحزحهم عنها مزحزح، ولا ينازعهم فيها منازع، وهكذا تكون
هذه العقيدة - الشرك - سببا في استعباد البشر واسترقاقهم...". (٢)

(١) انظر: كتاب الزهد والرقائق، ص ٢٨١، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة
الرسالة، بيروت.

- والمرجع السابق.

(٢) أبو الأعلى المودودي، الإسلام والجاهلية ص ٢٠، ٢١، مؤسسة الرسالة، بيروت،

وهذا الذي ذكره المودودي - رحمه الله - حاصل وواقع في كثير من مجتمعات المسلمين.

فهذا زعيم البهرة - وهي إحدى طوائف الإسماعيلية - في الهند يملك ثروة ضخمة، وقد ثبت لدى الحكومة الهندية أن دخله السنوي لا يقل عن ثمانية ملايين جنيه إسترليني، كل ذلك من الضرائب التي يفرضها على أتباعه في شتى أنشطتهم وعباداتهم. (١)

ويذكر أن زعيم البهرة الحالي (الدكتور محمد برهان الدين) يستوحى تصرفاته من كتاب سري قام أبوه الزعيم السابق بتأليفه عام ١٣٢٥هـ ليكون دليلاً تهتدي به الطائفة، واسم الكتاب (نور الحق المبين) زعم فيه مؤلفه أنه إله على الأرض، ويكفي أن تطوف حول بيته لتكون كمن يطوف حول بيت الله الحرام، ويفسر قول الله تعالى: (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) (٢) بقوله: إن هذا الحبل له طرفان ... أحدهما: في يد الله - تعالى الله عن ذلك - والآخر في يده...

وهو كذلك يأمر أتباعه بالسجود له، واعتبار ذلك فرساً دينياً على كل أبناء الطائفة، لأنه إله الأرض، كما تقول تعاليم البهرة. (٣)

والأمثلة كثيرة مشاهدة في أنحاء كثيرة من العالم الإسلامي من هذا النوع من أصحاب المصالح الذين يستغلون جهل المسلمين بعقيدتهم، ممن يتمتعون بالامتيازات المادية والاجتماعية، ويتوارثونها أباً عن جد.

وبذلك تبقى الانحرافات العقدية، وتنتشر وكأنها هي الإسلام.

(١) انظر: د. أحمد محمد جلي، دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين، ص ٢٣٠، مرجع سابق.

(٢) سورة آل عمران ١٠٢ .

(٣) انظر: مجلة التوحيد المصرية، عدد ٣، سنة ٩، ربيع الأول ١٤٠٠هـ نقلاً عن مجلة روز اليوسف المصرية، ٢٤ نوفمبر ١٩٨٠م.

بل إن أصحاب المصالح يقفون في وجه كل مصلح حق يريد خيرا بالمسلمين، فيسفهونه، ويشوهون سيرته، وقد يصل بهم الأمر إلى محاربته وقتاله، حتى لا يفسد عليهم هذه المصالح وتلك الامتيازات، تماما كما كان فرعون يقول لقومه عن موسى، كما جاء في القرآن: (إني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد). (١)

وكما يقول عن نفسه، كما جاء في القرآن: (مآ أريكم إلا ما أرى ومآ أهديكم الا سبيل الرشاد). (٢)

إلا أن مما يهون الأمر، ويفتح بارقة الأمل هو عودة كثير ممن كانوا ضحية لهؤلاء المبتدعة إلى طريق الحق والصواب في معتقداتهم، وشورتهم على من كانوا سببا في بعدهم عن المعين الصافي، بل وفضحهم، وبيان سواتهم وعيوبهم، وتحذير جماهير المسلمين منهم. (٣)

وهذا الأمر توفيق من الله لهؤلاء ولا شك، وبالإضافة إلى ذلك فإنه يدلنا على أن الجهل أتباع المبتدعة ليس فقط بسبب فقدان العلم، بل يضاف إلى ذلك صفة أخرى، وهي فقد الفطرة السليمة والعقل البديهي الواضح.

ذلك أن الجهل ليس قسيما للعقل، وإنما هو قسيم للعلم، فقد يكون المرء قليل العلم، ولكن يكون كذلك من العقلاء الذين لايسهل التمويه عليهم أو جر

(١) سورة غافر ٢٦ .

(٢) سورة غافر ٢٩ .

(٣) لمعرفة بعض الأمثلة، انظر:

- د. تقي الدين الهلالي، الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، ص٢-١٢،

ط ١، ١٣٩٣هـ.

- عبد الرحمن الوكيل، هذه هي الصوفية، مرجع سابق.

- برهان الدين البقاعي، مصرع التصوف، أو تنبيه الغيبي إلى تكفير ابن

عربي، ص٣-١٠، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، المكتبة السلفية، بالمدينة

المنورة.

أقدامهم بالشبهات، أو مجرد الشعارات والعبارات، وهذا القدر من العقل البديهي المستمد من الفطرة السليمة من الفساد، هو الذي يقوم عليه أتباع الهدى المحمدي من عوام الخلق، وهو الذي اعتمد عليه القرآن الكريم في عرض أدلة دعوته، فهو لا يعرض لمعومات الأمور، أو متعمقات الأدلة والبراهين، بل يكتفي بالسهل القريب التناول على من صلحت فطرته، وانشرح صدره، فإن ذلك كاف للهداية في الإسلام.

فجهل الاتباع إذا فساد في الفطرة، وفقدان للتمييز، وعمى في القلب، يجعل المرء غير قادر على رؤية الحق مع وضوحه وجلاته، فالحذر الحذر من كلا الصنفين، جهل الرؤوس وجهل الأتباع". (١)

٢ - جهل المثقفين :

قد يستغرب هذا العنوان، ولكنه حقيقة واقعة بين كثير ممن نسميهم مثقفين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وهؤلاء من الذين بلغوا درجة كبيرة من العلم والتحصيل العلمي، وصار لهم مكانة في مجتمعاتهم، وهم كذلك كثيرا ما يكونون من أذكى الناس وحذاقهم، كونوا لهم آراء في العقيدة مستمدة من خارج الأصول الإسلامية، سواء كانت من الفكر الشيوعي الملحد، أو الغربي الملحد أيضا في أكثر مذاهبه الفكرية المتعددة، فلم يكتفوا بجهلهم الأساسي، أو فقدهم للعلم الصحيح بالعقيدة الإسلامية، بل أضافوا إليه جهلا آخر، هو قياس المعتقدات والأفكار بالمقاييس التي تعلموها، ورضعوا لبانتها فصارت لهم ديناً، ولم تسلم من ذلك العقائد الإسلامية.

ومن أمثلة ذلك :

- إنكار الغيب، وعدم الإيمان إلا بالمحسوسات.

(١) محمد العبد، وطارق عبد الحكيم، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم

- الفصل بين الدين وأنشطة الحياة الأخرى، وهو ما يسمى بالثقافة العلمانية.

- التفسير المادي - الماركسي - للتاريخ والظواهر الاقتصادية والاجتماعية.

وعلى كل حال، فمعظم هؤلاء ممن درس على علماء غير مسلمين، أو تخرج من مؤسسات غربية أو شرقية.

يقول الدكتور محسن عبد الحميد: "ومن هنا فإن مثقفينا المحدثين في فروع الحياة كلها - إلا من رحم ربك منهم - قد نقشوا ما عند الغربيين، وظنوا أنه لثقافة إلا ثقافتهم، ولا أدب إلا أدبهم، ولا فن إلا فنهم، ولا واقع إلا واقعهم، وهم في مقابل جهلهم بالإسلام وحضارته، عرفوا كل شيء عن واقع الحضارة الغربية". (١)

وهذا واحد من كبار المثقفين، بل من كبار أساتذة الفلسفة المعاصرين يعترف بحقيقة جهله بالإسلام، وتأثره بمعطيات الفكر الأوربي، وهو الدكتور زكي نجيب محمود، الذي يسمى بفيلسوف الوضعية المنطقية في العالم العربي، حيث يقول بعد أن بلغ الستين: "لم تكن قد أتيت لكاتب هذه الصفحات في معظم أعوامه الماضية فرصة طويلة الأمد، تمكنه من مطالعة صحائف تراثنا العربي على مهل، فهو واحد من ألوف المثقفين العرب الذين فتحت عيونهم على فكر أوروبي - قديم أو جديد - حتى سبقت إلى خواطرهم ظنون بأن ذلك هو الفكر الإنساني الذي لا فخر سواه، لأن عيونهم لم تفتح على غيره لتراه، ولبثت هذه الحال مع كاتب هذه الصفحات أعواماً بعد أعوام؛ الفكر الأوروبي دراسته وهو طالب، والفكر الأوروبي تدريسه وهو أستاذ، والفكر الأوروبي مسلاته كلما أراد التسلية في أوقات الفراغ، وكانت أسماء الأعلام والمذاهب لاتجيبه إلا أصداء مفككة متناثرة،

(١) أزمة المثقفين تجاه الإسلام ص ٥١، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة،

كالإشباح الغامضة يلمحها وهي طافية على أسطر الكاتبين ...
استيقظ صاحبنا - كاتب هذه الصفحات - بعد أن فات أوانه أو أوشك، فإذا هو
يحس الحيرة تؤرقه، فطفق في بضعة الأعوام الأخيرة التي قد لا تزيد على السبعة
أو الثمانية، يزدرد تراث آبائه ازدراد العجلان..". (١)
وقد سبق الدكتور زكي نجيب محمود وتلاه كثير من المثقفين ممن جهلوا الإسلام
وعقيدته بدرجات متفاوتة.

كما أن هناك صنفاً آخر من المثقفين الذين تخصصوا في الدراسات الإسلامية أو
العربية ممن درسوا في المؤسسات التعليمية الغربية على كبار المستشرقين، ولم
يكن لديهم حصانة فكرية، وعقيدة صحيحة يزنون بها الأشياء، فعادوا إلى بلادهم
بما يحملونه، وصار أحدهم عندما يريد عرض الإسلام وعقيدته فإنه يعرضه من خلال
تصورات المستشرقين له، لا من خلال مصادره وأصوله، وهو عندما يفعل ذلك فإنها
عنده مسلمات لا تقبل المناقشة أو الحوار.

بيد أنه لا بد من الإشارة إلى أن بعضاً من هؤلاء عرف أن ما هو فيه خطأ،
فعاد عنه، وصح مساره الفكري قدر المستطاع، وبقدر ما كان حوله من مؤثرات
في تلك الفترة الانتقالية، سواء كانت مؤثرات علمية، كالكتب التي يرجع
إليها، والمحيط العلمي الذي يعيش فيه، أو مؤثرات اجتماعية، من خلال
معتقدات المجتمع الذي هو فيه، أو الصفة اللصيقة به، ونحو ذلك.

أما المثال الآخر للتأثر بالثقافات غير الإسلامية، فهو ما كتبه رضا محمد
لاري..

هذا الكاتب قام على مدار سبعة أيام بتحليل ظاهرة الالتزام بين الشباب في
المجتمع السعودي، واستخدم المنهج المادي الماركسي في تفسير تلك الظاهرة

(١) تجديد الفكر العربي، المقدمة ص ٦٠، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط ٦،

وذلك في زاوية "٧" أيام، في جريدة الرياض(١)، حيث زعم بأن الشباب الفقير بالمملكة اتجه إلى الالتزام بالدين الإسلامي ليثبت تفوقه على أئداده من الشباب الغني.

فالفر في نظره هو الذي دفع الشباب إلى الالتزام، إثباتا لوجودهم، وهو تفسير في غاية الخطورة والخبث والفساد في آن واحد، ذلك أنه يجعل الإسلام مجرد مخرج لهؤلاء الفقراء، مثله مثل أي أمر آخر يلجأ إليه الضعفاء والمقهورون، وليس منها ربا نيا كاملا للإنسان والأسرة والمجتمع والدولة والبشرية كلها، ينظم علاقاتها، ومسئولياتها في هذه الأرض.

وهو بهذا التفسير يجعل الالتزام بالدين ظاهرة مؤقتة، لأنها مرتبطة بسبب مؤقت هو الفقر.

وليس هذا محل الرد على هذه السخافات، لكنه نموذج لجهل المثقفين في مجتمعاتنا الإسلامية بأصول الإسلام وقواعده.

وقد رد الكثير من العلماء وطلبة العلم على هذا الكاتب، مما جعله يعتذر في نفس الجريدة(٢)، ويعتبر هذه المقالات مقالات اجتهادية لم يحالفه التوفيق - على حد قوله - في إبراز المعاني، أو في إبراز الأفكار التي أراد أن يوصلها إلى القارئ من خلال معالجة بعض الظواهر المتعلقة بشبابنا الصاعد.

وهو بهذا لا يعترف بخطئه في تحليلاته وآرائه، إنما يعتذر عن خطأ في التعبير عن مقاصده، وهو استغفال واضح للقارئ، وتقوية يمتص بها غضب العلماء وطلبة العلم، بل والمسلمين الذين ألمهم هذا الهراء السخيف، والذي يمثل - كما أسلفنا - استعمال فكر أجنبي، وهو الفكر الشيوعي الملحد، مقياسا على عملية تحول طبيعية في مجتمع مسلم مؤمن بالله.

فليس مستغربا أن يعود شبابه إلى دينهم بقوة وحرص.

(١) جريدة الرياض، من ١-٧ محرم ١٤٠٩هـ.

(٢) جريدة الرياض، ١/٢/١٤٠٩هـ . ص٢، بعنوان : ايضاح واعتذار.

ونقول لمثقفينا ممن جهلوا الإسلام، كما يقول الدكتور محسن عبد الحميد:
"إن المسلم الذي يعتقد أن الإسلام هو دين الله الخاتم، يفرض عليه منطلق الإيمان أن ينطلق من أصوله، وفي إطار ضوابطه وقواعده، ولا يجوز أن يتخذ من الثقافات الأجنبية، والمذاهب المادية، والاتجاهات العلمانية، التي آمن بها في غياب فهم صحيح للإسلام، حجة على الإسلام، يحاول أن يحرف مبادئه وضوابطه في سبيل أن يسوغ خلفيته الثقافية الأجنبية التي شكلتها ثقافات متنوعة، تصطدم مع الإسلام في أصوله، وقواعده، وأنظمته الحيوية.

على هؤلاء أن يذكروا موقفهم بين يدي رب العالمين، إن كانوا يؤمنون بالله واليوم الآخر، عندما يحاسبهم الله تعالى عما ارتكبوه من الأخطاء والآثام بحق دينهم وأمتهم، لأنهم لم يتبعوا طريق الإسلام الحق، بل شوهوا الحقائق، وحرفوا الشرائع، وزيفوا الأفكار، فاقتدى بهم كثيرون من أبناء جيلنا الحائر القلق". (١)

ويستغل أصحاب المصالح وخاصة السياسيون ممن لا يريدون الحكم بما أنزل الله أتباع هذين النموذجين من الجهل، فتصرف المساعدات للصوفية في كثير من البلاد الإسلامية التي لاتحكم أنظمتها بالحكم الإسلامي، لأن المتصوفة قد حصروا أنفسهم في دوائر ضيقة من العبادات، ولا يهتمهم أن يحكم بالإسلام أو لا يحكم، فانتشارهم وزيادتهم وقوتهم من مصلحة هؤلاء الحكام، كل ذلك يتم في نفس الوقت الذي يحارب فيه أتباع الدعوة السلفية، والمطالبون بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - بين المسلمين.

وهذا التمكين للصوفية جعلهم في كثير من البلاد الإسلامية هم الذين يمثلون الإسلام، ويتحدثون باسمه، بعد أن كانوا إلى عهد قريب مجرد مجموعات قليلة من الناس، تجتمع في زوايا خاصة، وليس لهم أثر يذكر.

(١) المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري ص١٤٨، سلسلة كتاب الأمة، الصادر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية في قطر، ط ٢، ١٤٠٤هـ.

كما يستغل الحكام بغير ما أنزل الله أصناف المثقفين في تحسين باطلهم، بل وفي أحيان كثيرة في جعلهم يدرسون الإسلام حسب المناهج الغربية التي تربوا عليها، ليخرجوا بدراساتهم على الناس بشرعية الربا، وأنه غير حرام بصورته الحاضرة، أو عدم ارتبط الحكم بالدين الإسلامي، أو التقاء الديانات، وخاصة الديانات السماوية الثلاث من حيث مساواة أتباعها، وأن المؤمن بواحد منها يعتبر مؤمناً بلا تفریق، كل ذلك للتمويه والتشويه خدمة لمصالح معينة.

وهكذا نجد أن هؤلاء المثقفين ممن جهلوا الإسلام، هم في الحقيقة عبء على أمتهم ومجتمعاتهم الإسلامية، من حيث يشعرون أو لا يشعرون، وذلك بقيامهم بعمل الوكيل الداخلي والمطبي لأفكار وثقافات ما كان لها أن تدخل إلى مجتمعات المسلمين فتفسد عليهم عقيدتهم ودينهم الذي ارتضاه الله لهم.

وهؤلاء أو أكثرهم يصدق فيهم قول الرسول صلى الله عليه وسلم : [دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها].

وعندما سأله حذيفة أن يصفهم، قال عليه الصلاة والسلام: [هم من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا]. (١)

ويريد الألم إذا عرفنا أثر هؤلاء المثقفين ثقافة أوروبية من أبناء المسلمين.

يقول الأستاذ عبد القادر عوده رحمه الله: "هؤلاء المثقفون ثقافة أوروبية، والذين يجهلون الإسلام والشريعة الإسلامية إلى هذا الحد، هم الذين يسيطرون على الأمة الإسلامية، ويوجهونها في مشارق الأرض ومغاربها، وهم الذين يمثلون الإسلام والأمم الإسلامية في المجامع الدولية". (٢)

(١) جزء من حديث في الصحيحين، سبق تخريجه ص ٢٦٤ .

(٢) الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه، ص ٤٠، مؤسسة الرسالة.

المبحث الثالث : الاستعمار السياسي .

أولا : لمحة عن الاستعمار في العالم الاسلامي:

يعرف الاستعمار بأنه: "امتداد النفوذ السياسي لدولة ما إلى دولة أخرى". (١)

إلا أن الاستعمار الذي تعرض له العالم الإسلامي في القرنين الأخيرين ليس امتدادا للنفوذ السياسي للدول المستعمرة فحسب، بل كان في حقيقة الأمر "امتدادا للحروب الصليبية ضد الإسلام والمسلمين". (٢)

وقد اعترف بذلك عدد من الكتاب الغربيين، فهذا ريشتر (Richter) يقول: "جهد الصليبيون طوال قرنين لاستعادة الأرض المقدسة من أيدي المسلمين المتعصبين، فكان عهد الحروب الصليبية من أجل ذلك أروع العهود في العصور الوسطى كلها ... ولكن ذلك الجهد قد خاب، وتراجعت الحملة الصليبية أمام سدود عنيدة من التعصب الإسلامي". (٣)

كما يقول جاردنر (Gairdner) بصراحة أكثر: "لقد خاب الصليبيون في انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين ليقيموا دولة مسيحية في قلب العالم الإسلامي... والحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ هذه المدينة، بقدر ما كانت لتدمير الإسلام". (٤)

(١) نذير حمدان، في الغزو الفكري، المفهوم، الوسائل، المحاولات، ص٢٦٧، مكتبة الصديق، الطائف.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، وهي عدد من البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي، الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٣٩٦هـ - ص١٤٢، بحث الدكتور علي عبد الطيم محمود، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ.

(٣) د. مصطفى خالدي، و د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص١١٤، ١١٥، المكتبة العصرية، بيروت، صيدا، ١٩٨٢م.

(٤) المرجع السابق.

وقد أكد ذلك القائد البريطاني (أدموند هنري ألنبي) الذي قاد الحملة البريطانية من مصر لغزو فلسطين، سنة ١٩١٧م، حيث استولى على بيت المقدس، وقال كلمته المشهورة: "الآن انتهت الحروب الصليبية"، وقد كوفى من دولته بمنحه رتبة (فيلد مارشال) ولقب (فيكونت). (١)

ولا شك أن الضعف الشديد الذي أصاب دولة الخلافة العثمانية، بالإضافة إلى جهود العملاء في داخلها، كانت سببا رئيسيا للاستعمار الكبير الذي تعرض له العالم الإسلامي قبل وبعد سقوط الدولة العثمانية، حيث لم ينج من الاستعمار إلا أجزاء من الجزيرة العربية وأفغانستان، وهو أمر رهيب حقا، خاصة إذا علمنا أن الاستعمار بقي في بعض البلاد الإسلامية أكثر من ثلاثة قرون، مما مكنه من أحداث الأثر الكبير في المجتمع المسلم، وخاصة في عقيدته بأساليب شتى، سنذكر شيئا منها بعد قليل.

وقد توزعت مصالح المستعمرين وأماكن نفوذهم في بداية الأمر بين هولندا، وبريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، والبرتغال، ثم جاءت المرحلة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية لتتشترك الولايات المتحدة، ومن ثم الاتحاد السوفيتي مع اختلاف في أسلوب التقسيم ومناطق النفوذ، بل وأسلوب الاستعمار.

ولكي تتضح هذه المسألة بشكل أكبر يمكن أن نقسم استعمار العالم الإسلامي إلى ثلاثة أقسام:

١ - الاستعمار المليبي المباشر :

ومن أمثلته احتلال البرتغال والإنجليز والهولنديين لجزر الهند الشرقية، ومنها أندونيسيا قرابة ثلاثة قرون ونصف، ولم تستقل أندونيسيا إلا في سنة ١٣٦٥هـ. (٢)

(١) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ١٤٢، بحث د. علي عبد الحليم محمود، مرجع سابق.

(٢) انظر: أبو هلال الأندونيسي، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، ص ١٥، دار الشروق، جدة، ط ٤، ١٤٠٤هـ.

- وكذلك احتلال فرنسا للجزائر، سنة ١٨٣٠م، ولتونس سنة ١٨٨١م، ومراكش سنة ١٩١٢م، وللشام سنة ١٩٢٠م.
- واحتلال بريطانيا للهند سنة ١٨٥٧م، ولمصر سنة ١٨٨٢م، وللعراق سنة ١٩١٤م، ولفلسطين سنة ١٩٢٠م، ثم تسليمها لليهود بعد ذلك.
ولم يكن هذا التوزيع وليد الصدفة، فلقد كشف الاتفاق الودي المنعقد بين بريطانيا وفرنسا سنة ١٩٠٤م عن جانب من سياسة تقطيع أوصال العالم الإسلامي. (١)

٢ - الاستعمار الشيوعي المباشر :

كان انتهاء الحرب العالمية الثانية، وخروج الطغاة منتصرين فيها على تركيا وألمانيا، نصرا كبيرا للشيوعية أيضا، وتثبيتا لاستعمار القيصرية الروسية لعدد من الجمهوريات الإسلامية في أواسط آسيا، لتصبح مرة أخرى مستعمرات روسية، ولكن تحت الحكم الشيوعي.
ومع أن المسلمين قد حاولوا مرارا التخلف من الحكم القيصري قبل الحكم الشيوعي، إلا أن تلك المحاولات لم تنجح لأسباب كثيرة. (٢)
ولقد استغل الشيوعيون كل ما أمكنهم للقضاء على القيصرية، ومن ذلك استغلال الحقد الدفين في قلوب المسلمين على مظالم القيصرية.

ولما لم تكن السلطة قد استقرت بعد للشيوعيين في تلك الفترة فقد أمدر مجلس مفوضي الشعب، برئاسة (لينين) نداءه الشهير إلى المسلمين في ديسمبر ١٩١٧م الذي يقول فيه: "أيها المسلمون في روسيا، أيها التتر على شواطئ الفولجا وفي القرم، أيها الكيرقيز والسارانيون في سيبيريا والتركستان،

(١) انظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٢٩٣، بحث د. علي جريشه

(مجموعة بحوث) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مرجع سابق.

(٢) انظر: د. سعد عبد العزيز مطروح، المسلمون بين المطرقة والسندان،

ص ١٩، ١٨، دار البحوث العلمية، الكويت، ط ١، ١٤٠٠هـ.

والتتر والأتراك في القوقاز، أيها الشيثيون، يا أهل الجبال في أنحاء القوقاز، أنتم يا من انتهكت حرمت مساجدكم وقبوركم، واعتدي على عقائدكم ومقدساتكم، ستكون حرية عقائدكم وعاداتكم، وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم .. الخ".

وبعد أن نجح الشيوعيون في اغتصاب السلطة في نفس العام الذي وجه لينين به هذا النداء لمسلمي روسيا - عام ١٩١٧م - قلبوا لهم ظهر المجن، وتحركت أساطيل الحرس الأحمر الشيوعية في يناير ١٩١٨م، - لاحظ قصر المدة بين الخطاب السابق والهجوم - دون سابق إنذار، لتخضع بالحديد والنار رقاب المسلمين، حيث ارتكبت الفظائع والمجازر الدموية بشكل تقشعر له الأبدان، وأبيد ملايين المسلمين، ويشهد الكتاب السوفيتية بهذه المجازر في معرض الفخر بشجاعة الحرس الأحمر . (١)

"وامتد نفوذ الشيوعيين في الشرق فتسلموا الحكم في الصين، فضموا المناطق الإسلامية التركستانية التي بجوارها إليهم نهائيا. وفي الغرب اتسع النفوذ الشيوعي في أوروبا الشرقية، فأصبحت ألبانيا الدولة المسلمة في قبضتهم، وأضحى المسلمون في شرقي تلك القارة يخضعون لذلك النفوذ ويكتوون بناره". (٢)

ويكفي أن نعلم أن الشيوعيين يسيطرون على أكثر من ٧ مليون كم^٢، من العالم الإسلامي، وهي مساحة تقرب من خمس أرض المسلمين اليوم، ويقيم على هذه الرقعة ما يعادل خمس عدد المسلمين في العالم كله. (٣)

(١) انظر: د. سعد عبد العزيز مصلوح، المسلمون بين المطرقة والسندان ص٢٣-٢٥ مرجع سابق.

(٢) محمود شاكر، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، ص ٨٠٧، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ.

(٣) المرجع السابق، ص ٤ .

٣ - الاستعمار غير المباشر :

هذا النوع من الاستعمار يمثل المرحلة التالية للاستعمار المباشر، وذلك أن الدول الكبرى أدركت عدم إمكانية استمراره، فمع وعي الشعوب لواقعها، وإدراكها لمصالحها، وخاصة شعوب العالم الإسلامي، قامت حركات التحرير في أكثر من مكان، وكان الإسلام في واقع الأمر هو المحرك الحقيقي لهذه الشعوب.

فهو الذي حارب في الجزائر ضد فرنسا، وفي السودان ضد انجلترا، وفي برقة وطرابلس ضد إيطاليا (١)، وفي أفغانستان ضد روسيا الشيوعية.

وإذا كان المستعمرون لم يتمكنوا من الاستمرار في استعمار العالم الإسلامي، وهم في نفس الوقت لا يريدون أن تقوم للإسلام قائمة؛ كما هو هدف استعمارهم أولاً، فإنهم لجأوا إلى الخروج من بلاد العالم الإسلامي، ولكن مع إيجاد أنظمة عميلة للمستعمرين حسب الاتفاق على تقاسم مناطق النفوذ في العالم.

"في منتصف القرن العشرين، وفي الخمسينات على وجه التحديد قررت الولايات المتحدة أن تترك النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة لتحقيق نفس الأهداف التي كان يحققها هذا النفوذان.

لكن إن اتفقت الولايات المتحدة مع بريطانيا وفرنسا في الأهداف، فقد اختلفت معها في التخطيط والتنفيذ، حيث مارست الولايات المتحدة ما يسمى بلعبة الأمم، وكان من أهم أساليبها (صناعة البطل أو الزعيم) الذي تتعلق به آمال الأمة، فيمتص مشاعرها سلباً وإيجاباً، دون أن يحدث أضراراً بمصالحها" (٢) ومن تلك المصالح حرب الإسلام، وخاصة في عقيدته.

(١) انظر: سيد قطب، المستقبل لهذا الدين، ص ١١١-١١٣، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت ١٣٩٨هـ.

(٢) الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص ٢٩٦، - بتصرف- ، بحث د. علي جريشه، مرجع سابق.

وقد بين (مايلز كوبلاند) مؤلف الكتاب الشهير (لعبة الأمم) هذه السياسة، وخاصة تطبيقها في مصر مع جمال عبد الناصر. (١)
ويسمي بعض الباحثين هذا النوع من الاستعمار : بالاستعمار الأوروبي الحديث، (الامبريالمزم). (٢)

وفي نظري أن هذا يخرج الاتحاد السوفيتي من هذا النوع من الاستعمار بينما هو مشارك فيه من خلال الحكومات الشيوعية في العالم الإسلامي، كما في اليمن الجنوبي، أو من خلال إعداد الأحزاب الشيوعية في البلاد الإسلامية، وإمدادها لتتسلم السلطة في بلدانها، سواء عن طريق الانقلاب العسكري، أو التأييد الشعبي، وكسب الأصوات في الانتخابات، أو من خلال الاتفاق مع المعسكر الغربي، وهو حامل فعلا؛ حيث خرجت بريطانيا من عدن ليستلمها الشيوعيون، وخرجت المليبية من الحبشة ليستلمها الشيوعيون، وتشير الدلالات الكثيرة إلى أن هذه التغيرات لا يمكن أن تحدث إلا باتفاق أصحاب المصالح من المعسكرين الشرقي والغربي.

بل إن مما يؤكد تعاون الشيوعية والمليبية ضد الإسلام في هذا المجال هو موافقة الاتحاد السوفيتي على قيام حكم موال للغرب في أفغانستان لعدم نجاحه في تثبيت حكم الموالين له من الشيوعيين الأفغان، وذلك في سبيل عدم قيام حكم إسلامي.

وكما هو ملاحظ فإن هذه الأقسام الثلاثة من الاستعمار للعالم الإسلامي موجودة إلى اليوم، وإن كان القسم الأول أقلها شأنًا في العصر الحاضر، ومن أمثلته: قبرص، وأجزاء من شمال اليونان، وجنوب الفلبين، وغيرها.

(١) انظر: مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، تعريب: مروان خير، انترناشيونال سنتر، بيروت.

(٢) انظر: د. جميل عبد الله محمد المصري، حاضر العالم الإسلامي، وقضايا المعاصرة ٧٧/١، الجامعة الإسلامية، كلية الدعوة وأصول الدين، ط١، ١٤٠٦هـ.

كذلك لا نغفل عن الاحتلال اليهودي لفلسطين العزيزة على قلب كل مسلم.
ومن الجدير بالذكر أن التعليل الصحيح لظاهرة غزو العالم الإسلامي
واستعماره هو ما أخبر الله به سبحانه وتعالى في الآيات الكريمة التالية:
قال تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم). (١)
وقوله تعالى: (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا
حسادا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق). (٢)
وقوله تعالى: (ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا). (٣)
يقول الأستاذ محمد قطب معلقا على هذه الآيات:
"فهو حقد دائم، كامن في قلوبهم ضد الإسلام، لا يحتاج إلى باعث آخر، فمجرد
وجود إسلام في الأرض كاف لتحريك ضغائنهم، وبعث على التحرك ضد المسلمين
ليردوهم عن دينهم إن استطاعوا". (٤)

(١) سورة البقرة ١٢٠ .

(٢) سورة البقرة ١٠٩ .

(٣) سورة البقرة ٢١٧ .

(٤) واقعنا المعاصر ص١٩٠، مرجع سابق.

ثانيا : نماذج من جهود الاستعمار في حرب العقيدة الإسلامية، والتمكين للانحراف العقدي .

١ - المساهمة في إنشاء فرق منحرفة عن الإسلام:

١ - البهائية :

البهائية فرقة منحرفة عن الإسلام، نشأت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وهي وريثة البابية التي سبقتها بالظهور بفترة قصيرة. وقد ولد المرزا حسين علي، في قرية (نور) من قرى المازندران، من إيران، في ٢ محرم ١٢٢٣هـ الموافق ١٢ نوفمبر ١٨١٧م، وتلقى العلوم الشيعية والموفية. (١)

وفي عام ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م، اعتنق البابية، وهو في السابعة والعشرين من عمره، واستطاع أن يبرز في هذه الفرقة باتصاله (بقرة العين) التي تتبوأ مركزا مرموقا لدى أصحاب هذه الفرقة الضالة - البابية - ولقبته قرة، بلقب (بهاء الله) وهو اللقب الذي لم تمنحه لغيره من زعماء البابية. (٢)

وكان الزعم بظهور المهدي الذي يخلص المسلمين من أعدائهم - والذي يؤمن بظهوره أيضا أهل السنة والجماعة لورود الأحاديث الصحيحة في ذلك - هو الذي جعل المسلمين يحضرون مؤتمر (بدشت) المشهور في تاريخ البابية، ولكن قرة العين، ومعها بهاء الله، وهما يرأسان أحد فريقَي البابية في هذا المؤتمر يضمران خلاف ذلك، حيث قامت قرة العين بإلقاء خطابها، وبينت فيه أن أحكام الشريعة قد نسخت بظهور الباب، وإسقاط الأحكام الشرعية من صوم، وصلاة، وزكاة، والأوامر والنواهي.

ودعت إلى الاشتراك في الأموال والنساء، والاستمتاع بالحياة بلا حدود، فكان

(١) انظر: إحسان إلهي ظهير، البهائية، ص٧، ٨، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط١، ١٤٠٠هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص١٣-١٥ .

أن انفض المؤتمر، وهجموا على أولئك الذين ظهر جليا أنهم لا يريدون إلا تدمير الأمة ودينها، ففروا إلى أماكن مختلفة.

وكان أن اتجهت قرة العين إلى الباب، متفقة مع (البارفوشي) الملقب (بالقدوس) لإنقاذه من هؤلاء الناقمين.

وقد قُضي فيما بعد على فتنة البابية، وقتلت قرة العين، وآخرين بعد أن استغلوا الاضطراب السياسي ضد الشاه ناصر الدين في إيران، فأعدمت ومن معها، عام ١٢٦٩هـ - ١٨٥٢م، ثم تلا ذلك إعدام الباب بعد فترة. (١)

وقد حاولت القنصلية الروسية في طهران التدخل رسمياً لإنقاذ الباب من حبل المشنقة، ولكن حكم الإعدام كان قد نفذ قبل وصول التدخل الروسي. (٢)

وما أن أعدم الباب حتى قام بالأمر بعده المرزا حسين علي، الملقب (بالبهاء) ونافس أخاه (يحيى) الملقب (بصبح الأزل) رئاسة الفرقة البابية. وكان المرزا حسين أحد المتهمين بمحاولة قتل الشاه، وتم القبض عليه، وأودع في السجن.

وهنا يبدأ الاستعمار بحماية هذه الفرقة المنحرفة، فكان أن تدخل السفير الروسي في القضية، وشهد بطهارة أخلاقه، وبرأئه من الاشتراك في مؤامرة قتل الشاه، فحكمت الحكومة الإيرانية ببراءته، واشترطت نفيه إلى بغداد، فسار إليها محمياً بفرسان من قبل الروس خشية أن يماب بأذى من أية جهة. (٣)

(١) انظر : عبد الرحمن الوكيل، البهائية، تاريخها وعقيدتها، ص٩٩، ١٠٢، ١٠٧، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٨١هـ.

- و د. عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ٢٦١-٢٦٥ دار الجيل، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، ص٣٢٢، مرجع سابق.

(٣) انظر: إحسان إلهي ظهير، البهائية، ص٢٠-٢٢، مرجع سابق.

وفي بغداد قدمت له السفارة الانجليزية عرضا بمنحه الجنسية البريطانية، أو نقله ورفاقه إلى الهند، ليكون هناك تحت رعايتها وحفظها، وتشير بعض الدلائل إلى أن السفير الانجليزي في طهران كان قد تدخل أيضا لإنقاذ البهاء من الإعدام. (١)

ولم يهدأ الشاه حتى تم نفي البهاء إلى مكان بعيد عنه أبعد من بغداد، فكان أن نفي إلى الآستانة سنة (١٢٨١هـ - ١٨٦٤م)، ثم إلى أدرنة، وهنا وقع الشقاق بين البهاء وصبح الأزل، وانقسموا قسمين، واشتد الخلاف بينهما، مما اضطر الحكومة التركية إلى التفريق بينهما، فنفت البهاء إلى عكا، وصبح الأزل إلى قبرص.

ونشط البهاء حتى استطاع القضاء على أتباع أخيه، وصار أمر الفرقة إليه، فلقيبت بالبهائية (٢)، حتى زعم آخر الأمر أن بهاء الله تجلى في وجهه، فصار يسدل على وجهه برقعاً لئلا يشاهد بهاء الله، ثم هلك وهو في الخامسة والخمسين في عكا، سنة ١٩٨٢م بعد ادعاءاته الكثيرة، ومنها النبوة والرسالة والإلهية. (٣)

وأما خدمة البهاء للإنجليز فإنه بمساعدة ابنه عباس أفندي، قد ساهم في الإطاحة بالخلافة العثمانية، وفي الاستيلاء على البلاد العربية، وفلسطين على وجه الخصوص.

وكان ابتهاج البهاثيين عظيماً بدخول الإنجليز إلى فلسطين، ولخدمات البهاء وابنه، أنعم الإنجليز عليهم بنيشان فرسان الامبراطورية البريطانية في احتفال

(١) انظر: إحسان إلهي ظهير، البهائية، ص٢٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: عبد الرحمن الوكيل، البهائية تاريخها وعقيدتها، ص١٢٠، ١٣١، مرجع سابق.

- و د. عبد الرحمن عميرة، المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها ص٢٦٩-٢٧٢ مرجع سابق.

(٣) انظر: إحسان إلهي ظهير، البهائية، ص٤٢-٤٤، مرجع سابق.

أقيم في حديقة الحاكم العسكري لحيفا، في السابع والعشرين من إبريل سنة ١٩٢٠م. (١)

"وهكذا ابتدأت هذه الديانة بالخيانة من محمد علي الشيرازي - الباب - الذي آواه الروس، وروبوه وحرزوه على مزاعمه، وانتهت إلى حسين علي - بهاء الله - الذي احتضنته روسيا، وظلمته من الحكومة الإيرانية، ثم استلمه الملبينيون الآخرون؛ الإنجليز، فأدى هو وابنه خدمات جيلة لهم حتى قلدوهم أعلى الأوسمة، إعلاماً للأصدقاء والأعداء بأنه هو ونحطه من صناعة أيديهم، وأنهم عملاؤهم في تلك البلاد الشرقية، أدوا لهم أجل الخدمات، وذلك بتقويض دعائم الإسلام، وتوهين قوى المسلمين". (٢)

وتشير بعض المراجع إلى أنه يوجد بهائيون في سورية، ولبنان، وأنحاء أخرى من العالم العربي، وإيران، وأوربة، وأمريكا، ولكن مركزهم الرئيسي في حيفا. (٣)

٢ - القاديانية :

لما كان الاستعمار البريطاني هو أكثر المستعمرين نصيباً في العالم الإسلامي، فقد عمل الإنجليز ما في وسعهم لهدم الإسلام، واستعباد المسلمين، ومن ذلك إنشاء فرق منحرفة، تحمل في الظاهر اسم الإسلام، وتعمل في الحقيقة على هدم أصوله، وتقطيع أوصاله، وتخدم مصالح الاستعمار البريطاني بكل اخلاص، وتفان، وتنظيم.

وكان لهم ذلك بقيام القاديانية على أيديهم، وتحت أعينهم، وبواسطة غلام أحمد، مؤسس القاديانية.

(١) انظر: إحسان إلهي ظهير، البهائية، ص ٢٤، ٢٥، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٥، ٢٦، - بتصرف -.

(٣) انظر : عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٧١٠، مرجع سابق.

"ولد غلام أحمد في قرية من قرى البنجاب، سنة ١٨٢٩م في أسرة عميلة للاستعمار، وكان أبوه واحداً من الذين خانوا المسلمين، وتآمروا عليهم لطغي العز والجاه من مساعدته للإنجليز - التي تحتل الهند حينئذ - ونشأ في هذه البيئة الموبوءة". (١)

وكان غلام أحمد في الهند أشد مكرراً على الإسلام من ميرزا حسين علي - بهاء الله - في إيران، ذلك أن الأخير تجرأ وأظهر العداوة والبغضاء للمسلمين، وقال بنسخ القرآن وشريعة محمد صلى الله عليه وسلم، بينما تدرج غلام أحمد في دعاواه، وأخفى حقدته، فظهر بمظهر التجديد مرة، وبإدعاء أنه المهدي مرة أخرى، ثم بعد ذلك هبوا النفوس المريضة لقبول نبوته (٢) من خلال أقواله وكتابات، حتى أعلن النبوة، وقال إنه نبي مرسل، ينزل عليه الوحي، ولكنه تابع ليس بمستقل، كتبعية هارون لموسى، وحرف معاني القرآن الكريم، وروج أفكاراً باطلة، وأدى للاستعمار خدمات جليلة، من أهمها: تحريم الجهاد، ورفع السلاح ضد بريطانيا، مما جعل المستعمرين يسرون منه أعظم السرور، وتغيرت حاله من موظف بسيط إلى صاحب قصور وعربات، وخدم وأتباع. (٣)

لقد كان غلام أحمد هو المرشح الأمثل لتولي هذه المهمة التي خطط لها الإنجليز، فقد وضعت لجنة (جمع المعلومات وتقصي الحقائق) تقريراً يتضمن المواصفات اللازمة فيمن يمكن أن يكون فرقة موالية للاستعمار، ذات مظهر إسلامي، تساهم في إثارة الجدل والنزاع بين المسلمين، ذلك أن "حركة أحمد بن عرفان

(١) إحسان إلهي ظهير، القاديانية، دراسات وتحليل، ص٢٢، ٢٣، - بتصرف -، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ط ١٢، ١٣٩٨هـ.

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، القادياني والقاديانية، ص٦٧، ٦٨، الدار السعودية للنشر، جدة، ط ٤، ١٣٩١هـ.

(٣) انظر: إحسان إلهي ظهير، القاديانية، دراسات وتحليل، ص١٩، ٢١، مرجع سابق.

الشهيد (١) قد ألهمت شعلة الجهاد، وبعث الروح الإسلامية في نفوس المسلمين، فكانوا سببا لمصاعب الإنجليز في الهند". (٢)

وقد تضمن هذا التقرير نقاطا خمسة :

- ١ - أن يكون من أحد العوائل المشهورة بولائها للاستعمار البريطاني.
- ٢ - أن يكون مسلما، وممن اشتهر في الدفاع عن الإسلام.
- ٣ - استعداد المرشح للمرور بالاختبارات والمعارك الثقافية، والقدرة على الانتقال من حالة إلى أخرى، كالتجديد، والتصوف، حتى يصل إلى أعلى الدرجات.
- ٤ - الإخلاص للإنجليز، والحماس لبدعه المنافية للإسلام حتى آخر الشوط.

(١) أحمد بن عرفان الشهيد، قائد إسلامي كبير، ولد سنة ١٢٠١هـ وكون حركة إسلامية في الهند إبان الاحتلال الإنجليزي لها، وأشعل في قلوب المسلمين شعلة الإيمان، والحماسة، والجهاد في سبيل الله، واجتمع عليه عدد كبير، واستطاع أن يقيم دولة إسلامية فترة من الزمن، تشتمل على بشاور وما جاورها، ثم استشهد في إحدى المعارك مع الشيخ في ٢٤ ذي القعدة، سنة ١٢٤٦هـ، وكان من مزايا دعوته حرمة - رحمه الله - على محاربة البدع والشركيات، ويربط كثير من الباحثين بين حركته، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، له كتاب بالفارسية حوى مجموعة رسائله التي تدل على الدعوة إلى التمسك بالتوحيد، اسمه (المراط المستقيم). انظر: أبو الحسن الندوي، إذا هبت ريح الإيمان، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت، ودار القلم بالكويت، ١٣٩٤هـ.

- وأبو الحسن الندوي، الإمام الذي لم يوف حقه من الإنصاف والاعتراف، دار الاعتصام، القاهرة، ط ٢، ١٣٩٨هـ.

(٢) أبو الحسن الندوي، القاديانية ثورة على النبوة المحمدية، ص ٤، - باختصار - المطبعة السلفية، القاهرة.

٥ - أن تكون فيه مواصفات الزعامة الدينية، والفكرية، والاجتماعية، بحيث يكون قادرا على زعامة دعوة تكون بمستوى العقيدة الإسلامية.
وقد تم رفع هذا التقرير إلى الحكومة البريطانية سنة ١٨٧٠م، وعلى ضوءه تم التنفيذ. (١)

ولهذا فليس بمستغرب أن يقول في عريضته التي قدمها إلى الحاكم الإنجليزي: "إن العمل المهم الذي أنا منصرف إليه بلساني وقلبي منذ أول عهدي بهذه الحياة إلى هذا اليوم وأنا ابن الستين هو أن أصرف قلوب المسلمين إلى طريق الحب، والولاء، والإخلاص، والوفاء الخالص المادق للحكومة الإنجليزية، وأزيل عن نفوس بعض سفهائهم الأوهام الخاطئة كالجهاد وغيره، مما يصددهم عن صفاء القلوب، ويصرفهم عن الصلوات القائمة على الإخلاص". (٢)

ويقول: "إني لم أعمل على تعبئة قلوب مسلمي الهند البريطانية بالطاعة والولاء للحكومة البريطانية فحسب، بل ألفت كذلك كتبا كثيرة، بالعربية، والفارسية، والأردية، أطلعت فيها سكان البلاد الإسلامية الأخرى على ما نعمنا به من التمتع بالأمن والسعادة والرفاهية والحرية في كنف الحكومة البريطانية، وتحت ظلها الوارف". (٣)

ويقول: "وإني لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من أتباعي، بقدر ما يقل المعتقدون بمسألة الجهاد المقدس، فإن مجرد الإيمان بي كالمسيح، والمهدي، هو

(١) انظر: د. عبد الله سلوم السامرائي، القاديانية والاستعمار الإنجليزي، ص ٥٤، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر، ١٩٨١م.

(٢) أبو الأعلى المودودي، ما هي القاديانية، ص ٩٧، دار القلم، الكويت، ١٤٠١هـ.

(٣) المرجع السابق.

إنكار للجهاد". (١)

ويمكن اجمال دعاوى القاديانية بثلاثة أغراض:

الأول : محاربة ختم النبوة.

الثاني: محاربة مبدأ الجهاد وإلغاء وجوبه.

الثالث: طاعة الانجليز، والولاء لهم. (٢)

ومن الجدير بالذكر أن هناك عوامل مشتركة بين البهائية والقاديانية،

منها:

- أن كلا الفرقتين صنيعة الاستعمار.

- محاربة مبدأ ختم النبوة.

- محاربة المسلمين والولاء لأعدائهم.

- الترويج إلى أن الديانات السماوية - الحالية - لافرق بينها. (٣)

- الارتباط بالماسونية، والتعاون معها. (٤)

- وجود مراكز لكلتا الديانتين في فلسطين التي تحتلها إسرائيل!! حيث

أعطى اليهود مركزا للقاديانيين في حيفا، وأمدوهم بالكتب والمال. (٥)

وهكذا نرى كيف ساهم الاستعمار في إيجاد هذه الانحرافات العقيدية في

المجتمعات الإسلامية، من خلال هذه الفرق المنحرفة، البعيدة كل البعد عن الإسلام

وهديه.

(١) المرجع السابق، ص ٩٨ .

(٢) انظر بتوسع إلى: د. عبد الله سلوم السامرائي، القاديانية والاستعمار

الانجليزي، ص ١٦٣-٢٠٣، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٢٤ .

(٤) المرجع السابق، ص ٢٢٨ .

(٥) انظر: إحسان إلهي ظهير، القاديانية دراسات وتحليل، ص ٤٦-٤٨، مرجع سابق.

ب - تشجيع التصوف والطرق الصوفية: (١)

من المعلوم أن كثيرا من الأفكار والعقائد الصوفية مبنية على الخرافات والبدع والانهازامية، فهي أبعد ما تكون عن عقائد الإسلام القوية التي تحث على العمل والعزة، وعدم الرضا بالظلم، أو التسلط أو الاستعمار.

وقد أدرك المستعمرون هذا الأمر، فكان لهم موقف مساند للتصوف والفرق الصوفية في البلاد الإسلامية المستعمرة، حتى يضمنوا بذلك عدم المقاومة، فتسهل عليهم السيطرة على تلك البلاد وتنفيذ أحكامهم فيها.

وكان هناك كثير من الطرق الصوفية أطوع للمستعمرين من الزنوج والوثنيين.

قال الرئيس (فيليب فونداسي) من المستعمرين الفرنسيين: اضطر حكامنا الإداريون، وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية، لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهما وانتظاما من الطرق الوثنية التي تعرف باسم (بيليدو) و (هاجون) أو من بعض كبار الكهان أو السحرة السود. (٢)

وتشير بعض المصادر إلى أن الحكومة الفرنسية في زمن الانتداب على سورية حاولت نشر الطريقة التيجانية، واستأجرت بعض الشيوخ لهذه المهمة، فقدمت لهم المال، والمكان المناسب، لتنشئة جيل يميل إلى فرنسا، ولكن مجاهدي المغرب لفتوا انتباه المظلمين من أهل البلاد إلى خطر الطريقة التيجانية، وأنها فرنسية استعمارية، تتستر بأستار الدين، فهبت دمشق عن بكرة أبيها بتظاهرات صاخبة، ووزعت المناشير في بيان ضلال وعمالة المأجورين لها. (٣)

ويعلق الأستاذ محمد فهر شقفه على التساؤل القائل بكيفية التوفيق بين القول بانتشار الإسلام على يد بعض الطرق الصوفية في أفريقيا، وبين اهتمام

(١) انظر: محمد فهر شقفه، التصوف بين الحق والظن، ص ٢١٠-٢١٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: محيي الدين القليبي (مغرب)، الاستعمار الفرنسي في أفريقيا
السوداء، ص ٥٣ .

(٣) انظر: محمد فهر شقفه، التصوف بين الحق والظن، ص ٢١٧، مرجع سابق.

الاستعمار بنشر الطرق الصوفية فيقول:

"إن المستعمرين لا يخشون انتشار مثل هذا الإسلام المزعوم، بل يشجعون ذبوعه، فهو أفيون مخدر رهيب، وقد ذكرت صحيفة (الجمهورية) المصرية، نقلا عن صحيفة (التايمز) اللندنية كلاما لأحد رجال الاستعمار البريطاني، يحض على تشجيع البدع والأوهام بين المسلمين، فإن ذلك كفيل بقتل حيويتهم، وشل نشاطهم، وإبعادهم عن الإسلام، وهم يظنون أنهم لا يزالون فيه". (١)

ويتساءل الأستاذ محمود مهدي الاستانبولي قائلا: "ماذا يشجع الغربيون التصوف الهدام في بلادنا؟" ثم يقول مجيبا:

"من هنا ندرك البواعث الخفية التي تجعل الأوروبيين يرتاحون إلى تشجيع التصوف، ويعنون بإنشاء المعاهد له، وتأليف الكتب عنه، ونشرها بين المسلمين، فهو يحقق لهم عدة أغراض في آن واحد:

أولا : يلهي المسلمين عن أمر دينهم الحق، ويصرفهم عن طابعه الأصيل من جهاد وتضحية .

ثانيا : أنه اعتراف ضمني بامتداد سلطان ديانة الأوروبيين على المسلمين، لأن التصوف يوناني الأصل ! .

ثالثا : يضمن للغربيين حالة من الجمود والضعف والبلادة، يريحهم من عملاق الإسلام القوي المجاهد .

رابعا : أنه يهون الظلم والاستعمار على المسلمين بنشره بينهم نظرية الجبر والحلول، ووحدة الوجود، وبيان أن الله تعالى قد حل في الجميع، فلا يحق اعتراضه بل الرضا والقبول". (٢)

(١) محمد فخر شقفة، التصوف بين الحق والظن، ص ٢١٧، مرجع سابق.

(٢) هل نحن بحاجة إلى نظام عقائدي جديد، ص ٢٩، ٣٠ - بتصريف - المكتب الإسلامي، دمشق، وبيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ.

ج - تمكين العمل التنصيري بين المسلمين:

منذ أن بزغ فجر الإسلام في مكة وإلى يومنا هذا، لم تتوقف محاولات اليهود والنصارى في إخراج المسلمين عن دينهم، قال تعالى: (ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطعوا). (١)

وغاية مناهم، ومنتهى رضاهم أن يتبعهم المسلمون، قال تعالى: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم). (٢)

وعلى الرغم من فشل النصرانية في مهدها، وبين أهلها، إلا أن جهود المنصرين في نشر الديانة النصرانية كانت كبيرة، وكانت علاقة المنصرين بحكوماتهم التي استعمرت العالم الإسلامي علاقة تبادلية قوية، فقد خدم المنصرون الاستعمار، وخدم الاستعمار المنصرين؛ فكانت أعداد كبيرة من هؤلاء المنصرين تسبق الاستعمار لتمهيد الأرض، وتسهيل اجتياح البلاد الإسلامية بكافة الطرق. (٣)

وعندما يتمكن الاستعمار من بلد من البلاد الإسلامية فإنه يطلق يد المنصرين، بل ويدعمهم، ويسهل عليهم ويحميهم، بل إن الحماية مستمرة قبل الاستعمار وبعده من قبل السلك السياسي الأجنبي في البلاد الإسلامية. (٤)

(١) سورة البقرة ٢١٧، وانظر: البقرة ١٠٩، وآل عمران ١٠٠، ١٤٩ .

(٢) سورة البقرة ١٢٠ .

(٣) انظر: د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص١١٦، مرجع سابق.

- ونذير حمدان، في الغزو الفكري، المفهوم، الوسائل، المحاولات، ص١١٢، مرجع سابق.

(٤) انظر: د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص١١٧، مرجع سابق.

ويتركز العمل التنصيري في خدمته للاستعمار وفي خدمة الاستعمار له في:
- أنه يمثل همزة الوصل بين المواطنين والمستعمرين، وعلى الأقل بين المواطنين النصارى، والأجانب المستعمرين.

- توظيف أكبر عدد من المنصرين وأعاونهم في الحكومة الاستعمارية.
- توسيع أعمال ومؤسسات التنصير، وزيادة نفوذه وحمائته، وبالتالي تثبيت مركز الاستعمار، ودعم موقفه. (١)

أما بعد الاستعمار المباشر فإن التنصير يستمر في خدمة المصالح الاستعمارية، وتخريج أجيال موالية للحكومات الاستعمارية من معاهده ومدارسه، بل والمساهمة في تأمين وتسهيل المعاهدات التجارية والسياسية، خدمة للمستعمر أولاً. (٢)

وقد تنوعت أساليب التنصير في البلاد الإسلامية، فكان الوعظ وتنفير الناس من الإسلام، واستغلال حاجاتهم، وجهلهم من أهم الأساليب.
أما الوسائل فكانت كثيرة، منها:

- التعليم، وإنشاء المدارس والمعاهد والجامعات، وهي منتشرة في أنحاء العالم الإسلامي.

- التطبيب، وإنشاء المستشفيات والمستوصفات.
- تقديم الخدمات الزراعية والمهنية، والخدمات الاجتماعية لأبناء المسلمين. (٣)

(١) انظر: نذير حمدان، الغزو الفكري، ص ١١٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق بتوسع ص ١١٦ .

(٣) انظر: بتوسع إلى : د. مصطفى خالدي و د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٥٨، ٩٠، ١٩١، مرجع سابق.

- وإلى ما كتبه أبو هلال الأندونيسي في : غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، مرجع سابق.

- الإعلام، وخاصة الإذاعات الموجهة بلغات المسلمين.

وتتركز جهود المنصرين في العصر الحاضر، أو في مرحلة ما بعد الاستعمار المباشر على عدد من البلاد الإسلامية، أهمها: الدول الأفريقية المسلمة، والأقليات المسلمة في أفريقيا، وعلى أندونيسيا، حيث جهود المنصرين قائمة بشكل هائل من حيث الإمكانيات والتخطيط وأعداد المنصرين. (١)

وبطبيعة الحال فإن قبول الديانة النصرانية من المسلم والدخول فيها انحراف عقدي خطير، يتمثل في عدم إيمانه بنسخ الرسالة المحمدية للرسالات السابقة، كما أنه قبول بالضلالات الكثيرة، والشرك الواضح الذي تقوم عليه النصرانية.

ويركز المنصرون على تشويه العقيدة الإسلامية من حيث المصادر، وخاصة القرآن والسنة.

وكذلك صدق رسالة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، والنيل منه، ومن الصحابة رضوان الله عليهم.

وهي مرحلة هدم للمسلمات التي يعرفها عوام المسلمين، فضلا عن علماءهم.

كما يحاول المنصرون تصحيح العقيدة النصرانية في نفوس المسلمين - على حد زعمهم - من التشويه الذي يحملونه، وذلك في مناقشة ودراسة الآيات القرآنية الواردة في شأن النصارى.

وقد يظن أن المسلمين بما عندهم من الحصانة الجيدة والمعرفة المسبقة بالنصارى وعقائدهم لن يتأثروا بجهود المنصرين، وهذا إن صح في البلاد التي يعرف أهلها الإسلام معرفة جيدة مع استغنائهم عن غيرهم وعدم حاجتهم إلى المعونات الخارجية، فإنه لا يصح أبدا في البلاد التي يكثر فيها الجهل بالإسلام، وتكثر فيها الحاجة إلى حياة أفضل بسبب الفقر والأمراض.

(١) انظر: أبو هلال الأندونيسي، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، مرجع سابق.

وتشير بعض المصادر إلى أن المنصرين يسعون إلى تحويل أندونيسيا بأكملها إلى بلاد نصرانية، خلال خمسين سنة، وقد نجحوا في تنصير كثير من المسلمين، وقد وصل عدد الذين ارتدوا عن الإسلام ودخوا في النصرانية في (جاوا) وحدها ٦٥,٠٠٠ نسمة. (١)

إن استغلال بوّس الشعب الأندونيسي وفقره هو المدخل الرئيسي لتنصير المسلمين هناك.

ونفس الأمر يحدث في إفريقيا، حيث الجهل بالإسلام والحاجة إلى الغذاء والكساء والدواء بين تلك الشعوب المسلمة التي تستغل أسوأ استغلال من قبل الكنائس التي تدعمها الحكومات والشعوب والنصرانية، مما يجعل مسؤولية المسلمين عن إخوانهم الفقراء مسئولية مضاعفة، أولاً: سد حاجتهم، ومد يد العون لهم، كما هو مقتضى الأخوة الإسلامية، وثانياً: تظييمهم من براثن التنصير، الذي لا يألو جهداً في رد المسلمين عن دينهم. (٢)

ومع ذلك، فإن جهود المنصرين لم تترك أي بلد إسلامي، حتى منطقة الخليج الغنية، وما تزال الكنائس في البحرين، والكويت، والإمارات العربية المتحدة تعمل بانتظام حيث تخدم النصارى في المنطقة، وتحاول تنصير المسلمين بكل وسيلة ممكنة. (٣)

(١) أبو هلال الأندونيسي، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، ص١٣، ١٤، مرجع سابق.

(٢) من أهم المراجع التي تبين التخطيط الشامل والمركز على تنصير الشعوب الإسلامية، كتاب (الغارة على العالم الإسلامي) ل (أ. ل شاتليه) لخصها ونقلها إلى العربية محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، الدار السعودية للنشر، جدة، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

(٣) انظر ما كتبه أحمد فون دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي.

المبحث الرابع : الغزو الفكري :

توطئة :

بعد خبرة طويلة، ومعاناة شديدة، أدرك أعداء الإسلام والمسلمين أن السيطرة المباشرة على المسلمين بصفة مستمرة أمر ليس من السهولة بمكان.

فقد كانت الحروب الصليبية القديمة والحديثة خير شاهد على ذلك.

وقد تعلموا من خلال تعاملهم مع المسلمين أن الإسلام هو السبب الحقيقي لعزة المسلمين وقوتهم، لذلك كان لابد من الاتجاه إلى أسلوب آخر في محاربة المسلمين؛ بمحاربة الإسلام نفسه، وتقويض دعائمه في نفوس أبنائه، وبالتالي تحصل السيطرة لهم دون بذل الجهود المضيئة والدماء الكثيرة.

وهذا الأسلوب الجديد وهو ما يسمى بالغزو الفكري ليس جديداً على الأمم.

وتتفاوت الأمم والجماعات فيه، حيث تعيش تنافساً مستمراً في سبيل هدف ما أساسه التفوق والغلبة، وحب السيادة، والاستئثار بالمنافع، ونحو ذلك.

وقد عبر عنه القرآن الكريم في إيجاز واعجاز بقوله تعالى: (أن تكون أمة هي أربى من أمة). (١)

"فالغزو الفكري واحد من شعب الجهد البشري المبدول ضد عدو ما لكسب معارك الحياة معه، ولتذليل قيادته، وتحويل مساره، وضمان استمرار هذا التحويل حتى يصبح ذاتياً إن أمكن، وهذا أقصى مراحل الغزو الفكري بالنسبة للمغلوب، وإن كان في نفس الوقت أقصى درجات نجاح الغزاة". (٢)

وتتأكد خطورة هذا النوع من الغزو على العالم الإسلامي، بكونه يسري في جسد الأمة، وبين أبنائها سريان النار في الهشيم، ومع مرور الأيام تكون الأمة

(١) سورة النحل ٩٢ .

- وانظر: الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٧٩، بحث د. عبد الستار سعيد، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

الإسلامية فارغة من محتواها الإسلامي الأصيل، حيث تتعدد مشاربها ومواردها الفكرية، وتبتعد فيه عن موردها الأصيل، وهو الإسلام.

ومما هو معلوم لدى كل إنسان أن الحرب المباشرة سبب لاجتماع المتفرقين، واختلف الميادين، حتى يمكن رد العدو وإبعاد خطره، بينما الغزو الفكري سم مهلك، تتجرعه الأفراد والجماعات، حتى يؤدي بهم إلى الهلاك بهدوء وسهولة، دون شعور منهم بذلك، وقد يكون صانع هذا السم أحد أبنائهم، وبني قومهم.

والغزو الفكري نوع من أنواع (الفتنة) التي هي أشد من القتل، وأكبر من القتل، كما عبر القرآن الكريم عن ذلك.

يقول الشيخ عبد الرحمن الدوسري رحمه الله: "وحياة الإنسان الحياة الطيبة هي بصحة دينه، وحسن أخلاقه، وسلامة عقله وتفكيره من المؤثرات."

والقيام بفتنته عن دينه، وإفساد أخلاقه، وبلورة تفكيره يعتبر قتلا معنويا لروحه، وجنابية على عقله، وقتل الروح أعظم من قتل الجسم، ولهذا قال تعالى: (والفتنة أشد من القتل) (١) وقال تعالى: (والفتنة أكبر من القتل). (٢) ... وجميع أنواع الفتنة والتضليل الذي عمله ويعمله المبطلون للصد عن سبيل الله وإغراء الناس على الخروج من حكم دينه، وعداء أهله وإيذائهم؛ هي أشد من القتل، وأكبر، لا محالة" (٣).

وقد كان الغزو الفكري الموجه إلى العالم الإسلامي كبيرا ورهيبا، بحيث إنه حقق درجات كبيرة من النجاح، ولم يترك الأعداء سبيلا في هذا المجال إلا سلكوه، ولا وسيلة إلا استخدموها.

كما كان هذا الغزو متنوعا وشموليا، بحيث تأثرت به الحياة الإسلامية المعاصرة في معظم جوانبها، فكان هناك غزو للعقيدة والعبادة، وكان هناك غزو

(١) سورة البقرة ١٩١ .

(٢) سورة البقرة ٢١٧ .

(٣) الأجوبة المفيدة لمهمات العقيدة، ص٧٦، ٧٧، - بتصرف يسير - مرجع سابق.

للحياة الاجتماعية، وغزو للحياة السياسية، وغزو للحياة التعليمية .
ومع التأكيد على ارتباط هذه الأمور ببعضها، ومدورها عن مورد واحد هو
الفكر الذي يسبق السلوكيات والمواقف، يتضح لنا أن تسميته بالغزو الفكري
تسمية مناسبة وواقعية، مهما اختلف نوع الفكر وهدفه .
ولعل من المناسب أن نشير إلى أن الغزو الفكري يسير على اتجاهين من
ناحية مخططات الغزاة، وأهدافهم .

الاتجاه الأول: الهدم، ويركز بشكل كبير على العقيدة والاصول الفكرية
للمسلمين، دون دعوتهم - في أحيان كثيرة - إلى عقائد أخرى، فالمهم عندهم هو
الخراب عن هذه العقيدة المؤثرة، كما يركز على القيم الاجتماعية عند
المسلمين، مظهرا العيوب التي جاءت من قبل العادات والتقاليد، على أنها عيوب
الإسلام .

أما الاتجاه الثاني: البناء، ويسلك سبلا كثيرة، حيث يحاول الغزاة بذلك
القيام بعملية التغريب الكامل للشخصية الإسلامية، والمجتمعات الإسلامية، كما
يعملون على زرع المذاهب الفكرية الإلحادية في أذهان المسلمين، وتتنافس
مدارس الغزاة على هذه الأذهان .

أولاً : ركائز الغزو الفكري :

يعتمد الغزو الفكري الموجه إلى الأمة الإسلامية أو العقيدة الإسلامية على كل ما يخدمه، ومن يخدمه، وبذلك يستفيد من جهود كل عدو للإسلام والمسلمين. بيد أن هناك أربع ركائز، تعتبر الأساس والمحور الذي تلتقي عليه تلك الجهود، وهي : الاستعمار، والتنصير، والاستشراق، واليهودية والصهيونية. وفي أحيان كثيرة تلتقي تلك الركائز، بحيث لا يستطيع المرء أن يفرق بينها، مما يجعل بحث كل ركيزة منها بمعزل عن الأخرى أمراً ليس كافياً. ولهذا فإنك ستجد عند الحديث عن كل ركيزة إشارة إلى العلاقة بينها، والتآزر القائم في جهودها ضد الإسلام والمسلمين، مع الركائز الأخرى.

١ - الاستعمار :

حرصت الدول الاستعمارية - على تفاوت فيما بينها - على التأشير في فكر وعقائد الشعوب الإسلامية التي استعمرتها. ويعتبر الكثير من الباحثين أن الغزو الفكري للعالم الإسلامي سار في خط متواز مع الغزو السياسي والعسكري، وإن لم يظهر بوضوح إلا عندما فشلت الحملات العسكرية في القضاء على الإسلام كدين ودولة. (١) وكان الاستعمار هو السند الحقيقي للتنصير والاستشراق، وفي كثير من الأحيان يمثل أداة التنفيذ لما يصل إليه خبراء التنصير والاستشراق، خاصة في الوقت الذي كان المسلمون فيه يبدأ واحدة، ولم يظهر بينهم عملاء للغرب يقومون بهذه المهمة، أو يدعون الناس إليها، كما هو الحال فيما بعد وإلى يومنا هذا. إن الاستعمار، سواء بشكله القديم المباشر، أو الحديث غير المباشر يعتبر المحض الطبيعي، والأم الرؤوم لكل جهود الغزو الفكري ومخططاته.

(١) انظر: عطية مقر، الإسلام في مواجهة التحديات ص(٢١)، مؤسسة الصباح، الكويت.

ففي السابق فرض العلمانية على البلاد الإسلامية في مختلف شئون الحياة، فكانت حملة نابليون على مصر بداية لدخول العلمانية إليها، وظهورها هناك. (١) أما في العصر الحاضر، فقد تكفل بهذه المهمة أبناء المسلمين ممن اعتنقوا العلمانية؛ الديانة الجديدة لأوروبا.

وحرصت فرنسا أكثر من غيرها على التبعية الفكرية للشعوب المستعمرة، وأدركت أن اللغة من أهم أسباب وحدة التفكير - وهو أمر صحيح - فعملت على فرض اللغة الفرنسية في كل مستعمراتها، وما يزال المسلمون في الجزائر حتى بعد الاستقلال يعانون أشد المعاناة من هذا الأمر الذي لم يقف عند حدود اللغة فقط، بل جلب معه الثقافة الفرنسية، والفكر الأوروبي.

وعلى الرغم من انحسار الاستعمار المباشر عن أكثر البلاد الإسلامية، إلا أن جهود الدول الاستعمارية ما تزال قائمة في مجال الغزو الفكري للبلاد الإسلامية، سواء كانت جهودا رسمية مباشرة عن طريق الاتفاقيات بينها وبين دول العالم الإسلامي، وبرامج المنح الدراسية لأبناء المسلمين النابغين، أو كانت عن طريق رعاية الجهود الأخرى، ودعمها، وتيسير أعمالها في بلادهم، أو في البلاد الإسلامية والتي من مظاهرها الجامعات العلمانية، والنصرانية، في العالم الإسلامي، وعقد المؤتمرات الخاصة بالمستشرقين، أو غير ذلك.

أما الاستعمار الشيوعي فإن له جهودا جبارة في التأثير على أفكار المسلمين بنشر مذهب الإلحادي بكل الوسائل وفي كل المجتمعات، وبشكل أخص على مجتمعات المسلمين التي يسيطر عليها، أو على مجتمعات المسلمين التي لا يسيطر عليها بواسطة عملائه وأتباعه المنبثين في كل البلاد الإسلامية.

وللدلالة على جهود الاستعمار الشيوعي في غزو المسلمين فكريا، نورد

(١) انظر: د. السيد أحمد فرح، جذور العلمانية، ص١٠، مرجع سابق.

- ومحمد قطب، واقعا المعاصر، مبحث (دور الاحتلال البريطاني وأدواته في الإفساد) ص٢١٥، مرجع سابق.

مادكرته مجلة (العلم والدين) الروسية في عددها الصادر في كانون الثاني من سنة ١٩٦٤م، وهي وثيقة صادرة من جهات رسمية في الاتحاد السوفيتي، حيث تقول: "إننا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية، وكان مبادئ لينين لم تتشربها دماء المسلمين... وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين، فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعا، وما يزال يتفجر قوة، بدليل أن ملايين من الجيل الجديد في المناطق الإسلامية، يعتنقون الإسلام، ويجاهرون بتعاليمه...".

وقد جاء في الوثيقة بيان للخطوات التي يجب أن يعملها الشيوعيون لمحاربة الإسلام، وكان منها ما يلي باختصار:

- ١ - مهادنة الإسلام إلى أجل، لضمان السيطرة، ولجذب الشعوب العربية إلى الاشتراكية.
- ٢ - تشويه سمعة المتدينين، واتهامهم بالعمالة للاستعمار والصهيونية.
- ٣ - تعميم دراسة الاشتراكية في جميع مراحل التعليم، ومراعاة الإسلام ومحاصرته.
- ٤ - منع قيام الحركات الدينية، مهما كان شأنها، وبكل الوسائل الرادعة.
- ٥ - محاصرة الدين من كل الجهات، وإلحاق التهم به، وتنفير الناس منه، بالأسلوب الذي لا يتم عن معاداة الإسلام.
- ٦ - تشجيع الكتاب الملحدين في مواجهة الدين والتركيز على إنتهاء عصر الإسلام.
- ٧ - قطع الروابط الدينية، وإحلال الرابطة الاشتراكية بدل الرابطة الإسلامية.
- ٨ - التأكيد على أن هدم الدين لا يتم بهدم المساجد والكنائس، بل يجب هدم الضمير الديني.
- ٩ - مراعاة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرده به.
- ١٠ - خداع الجماهير بأن المسيح - عليه السلام - اشتراكي، وإمام الاشتراكية، وأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - كذلك، وكذا بقية الأنبياء والرسل.
- ١١ - تحطيم القيم الدينية والروحية، بإظهار ما فيها من ظل وعيب وتحذير القوى الناهضة.

١٢ - نشر الأفكار الإلحادية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعور الديني، والعقيدة الدينية. (١)

وهكذا نرى أن الاستعمار بكافة أشكاله ومراحله يعد ركيزة هامة من ركائز الغزو الفكري الموجه إلى الإسلام والمسلمين.

٢ - التنصير :

ذكرنا سابقا أن التنصير عمل بجد ونشاط وحرية في ظل الاستعمار الذي تعرضت له البلاد الإسلامية (٢)، بيد أن التنصير لم تقف جهوده عند فترات الاستعمار، بل إنه ينطلق في كثير من الأحيان من جمعياته ومؤسساته الخاصة ليكون إحدى الركائز الأساسية في غزو العالم الإسلامي فكريا بصفة مستثمرة، وما كان ارتباطه بالاستعمار إلا من قبيل تبادل المصالح بينهما، حيث يخدم كل منهما الآخر.

وللتنصير في الوقت الحاضر جمعيات كثيرة، وجهود جبارة تدعمها ميزانيات ضخمة، تفوق ميزانيات بعض الدول، ولهذا ينشط المنصرون في نشر الإنجيل ودعوة الناس إلى اعتناق النصرانية، وتقوم كل فرقة من فرق النمارة بمنافسة الفرقة الأخرى في هذه الدعوة.

وللتنصير مؤتمرات متعددة لمراجعة أعمالهم وللتخطيط للمراحل القادمة من العمل التنصيري في البلاد الإسلامية، ومن أشهر هذه المؤتمرات :

١ - مؤتمر القاهرة، سنة ١٩٠٦م في دار عرابي باشا، وتحت رئاسة القسيس زويمر، الذي بلغت به الجرأة أن دخل الجامع الأزهر ليوزع فيه نشراته التي تفيض بالطعن على الإسلام.

٢ - مؤتمر أدنبره، سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م.

(١) انظر نمس هذا البيان والوثيقة، لدى عبد الرحمن حسن حينكه الميداني،

كواشف زيوف، ص ٤١٥-٤١٨، دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر ص ٣٢٢.

٣ - مؤتمر لكنؤ سنة ١٣٢٩هـ / ١٩١١م.
وهو أخطر المؤتمرات الثلاثة، وكان أبرز موضوعاته (الجامعة الإسلامية،
وكيفية مقاومتها).

٤ - مؤتمر القدس، سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م.

٥ - مؤتمر القدس، سنة ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م.

٦ - مؤتمر القدس، سنة ١٣٨٠هـ / ١٩٦١م. (١)

وغيرها من المؤتمرات التي نشر عنها، أو لم ينشر، وهو الأكثر.
ويعمل المنصرون على زعزعة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، مستغلين
الجهل، والفقير، والمرض، للوصول إلى أهدافهم، وهم في ذلك يدعون نشر المدنية
والحضارة بين الشعوب المسلمة الهمجية - حسب زعمهم - .

وتتعدد أساليب المنصرين وطرقهم في العمل التنصيري بين المسلمين، حسب
المكان الذي يعملون فيه .

وهناك طريقة تجدر الإشارة إليها، يستخدمها المنصرون في المناطق المغلقة
أمامهم، وهي طريقة صانعي الخيام. (٢)

وذلك بأن يقوم بعض النصارى من ذوي التخصصات البعيدة عن الدين بالدخول
إلى البلاد الإسلامية، تحت ستار أعمالهم التخصصية، سواء في مجال البترول، أو
الطب، أو تعليم اللغة، أو غير ذلك، ومن ثم يقومون بالعمل التنصيري بهدوء
وخبية.

(١) انظر: ا. ل شانليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص٤٩، ٧٧، ١٤١ مرجع سابق.

- والغزو الفكري، والتيارات المعادية للإسلام، ص٤٧٧، مرجع سابق.

- و د. علي جريشه، ومحمد الزبيبق، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي،
ص٣٢، دار الاعتماد، القاهرة.

(٢) انظر: أحمد فون دنفر، التبشير المسيحي في منطقة الخليج العربي، ص٨،
مرجع سابق.

وقد يكتفي بعضهم بكتابة تقرير إلى الكنيسة التي يتبعها عن تلك المنطقة التي زارها.

٣ - الاستشراق :

الاستشراق هو : علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. (١)
وكلمة مستشرق تعني كل متخصص بدراسة شؤون الشرق، عقائده، ولغاته، وعاداته، ويعنينا هنا ما هو متصل بدراسة الشرق الاسلامي.
وقد تضافرت جهود المستشرقين منذ فترة طويلة على اختلاف مللهم لتقديم دراسات كثيرة حول الإسلام والمسلمين، ولم تكن تلك الدراسات في غالب الأحيان تصدر عن موضوعية وتجرد، بل إن الحقد الدفين والنظرة العدائية، هي السمة الغالبة على أعمال المستشرقين.

وارتبط التنصير بالاستشراق، حيث كان المنصرون في بداية الأمر هم الذين يتولون مهمة دراسة الشرق لخدمة النصرانية، كما استطاع الاستعمار أن يجند طائفة من المستشرقين لخدمة أغراضه وتحقيق أهدافه، وهو أمر يعترف به بعض المستشرقين المنصفين، ويشعرون إزاءه بالخجل. (٢)

واستطاع اليهود كذلك الدخول في الاستشراق، وكان لهم دور بارز في توجيه الدراسات الاستشراقية، وقد تمكن اليهود من الدخول في الاستشراق بوصفهم الأوروبي، وصار (جولد تسيهر) في عصره، - وهو يهودي مجري - زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع، ولا تزال كتبه إلى اليوم تحض بالتقدير

(١) رودى بارت، الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص١١،

ترجمة د. مصطفى ماهر، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة.

(٢) انظر: د. حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للمصراع الحضاري، ص٤٤،

مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

والاحترام الفائق من كافة فئات المستشرقين. (١)
وتكمن خطورة الاستشراق في ظاهره العلمي المجرد، وهو الأمر الذي لم يوجد
فعلا الا بدرجات قليلة جدا، وكان المستشرق الذي يتبع المنهج العلمي الصحيح
بتجرد وموضوعية ينتهي به الأمر غالبا إلى الدخول في الإسلام.

وهذا المظهر العلمي - المزعوم - كان سببا في تورط الكثير من أبناء
المسلمين في اعتناق ونشر كثير من آراء المستشرقين، ومن ثم نقلها إلى
بيئاتهم الإسلامية - وهو من أشد أنواع الغزو الفكري - كما مر سابقا. (٢)

ومعلوم أن أقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات الغربية والشرقية - خاصة
روسيا - ومعاهد البحوث المتخصصة بهذه الدراسات هي محاضن طبيعية لهؤلاء
المستشرقين وتلامذتهم، ولهذا نعد الاستشراق من ركائز الغزو الفكري الموجه إلى
العالم الإسلامي، إن لم يكن هو الركيزة الأولى والأهم في الآثار والنتائج التي
حملها الغزو الفكري إلى العالم الإسلامي، لأن ميدان عمل المستشرقين هو الفكر
الذي يهتم به المتعلمون، والمثقفون.

ويهتم المستشرقون كثيرا بالعقيدة الإسلامية، ناقدين أسسها، ومبرزين
انحرافات المنتسبين إليها، واطهارهم بمظهر المظلومين والمقهورين في تاريخ
الإسلام.

وبشكل عام نجد أن اهتمامات المستشرقين تركز على الجوانب التالية فيما
يتعلق بالعقيدة الإسلامية :

- التشكيك بدين الإسلام وملاحيته للبشرية .
- التشكيك برسالة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وإيراد الشبهات على
حياته الخاصة .

- التشكيك بالقرآن الكريم، وبكونه كتابا منزلا من عند الله، وكذلك

(١) انظر: د. حمدي زقزوق، الاستشراق والظلفية الفكرية للمراع الحضاري،
ص٤٨، ٤٩، مرجع سابق.

(٢) أي عندما يكون بأيدي أبناء المسلمين، انظر ص ٣٢٧.

بالقراءات، وزعم التناقض فيما بينها، وترجمة القرآن الكريم ترجمات محرفة .
- التشكيك بصحة الحديث النبوي، وإيراد الشبهات الكثيرة حول رواته، فهم يلتقون - مثلا - مع الشيعة في نقد روايات أبي هريرة رضي الله عنه .
- الاهتمام البالغ بالحركات المنحرفة، والأشخاص المنحرفين في التاريخ الإسلامي، وإبرازهم، كاهتمامهم بالاعتزال، والتصوف، واهتمامهم بالحلج الصوفي، وابن الراوندي (١) الملحد، وغيرهم .
- تشير بعض المصادر (٢) إلى أن لهم دورا في التخطيط لإنشاء البهائية في إيران، والقاديانية في الهند، وهما الديانتان اللتان نشأتا على عين المستعمر وتحت سمعه .
وقد قام مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض بجهد مشكور، حيث كلف عددا من العلماء المسلمين بدراسة عدد من مقولات المستشرقين، وكتبهم التي ألفوها في الدراسات الإسلامية والعربية، ثم جمع هذه البحوث في جزئين كبيرين تحت عنوان : (مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية). (٣)
كما أن هناك دراسات جيدة أخرى عن الاستشراق بوجه عام، وعن بعض القضايا التي أثارها المستشرقون بوجه خاص.

(١) ابن الراوندي: أبو الحسين، أحمد بن يحيى بن إسحاق الراوندي، زنديق ملحد، كان أولا من متكلمي المعتزلة، ونسبت إليه فرقة منهم هي الراوندية، ثم ترندق واشتهر بالإلحاد، وكتب (فضيحة المعتزلة) في الرد على المعتزلة، ثم رد عليه ابن الخياط منهم بكتابه (الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد) توفي سنة ٢٩٨هـ انظر: ابن كثير، البداية والنهاية (١١٢/١)، مرجع سابق.

- والزركلي، الأعلام ، ٢٦٧/١، ٢٦٨ .

(٢) انظر: د. محسن عبد الحميد، أزمة المتكلمين تجاه الإسلام، ص٣٩، مرجع سابق.

(٣) انظر: الجزء الأول، حيث ركز على دراسة المستشرقين للقرآن والسنة والسيرة النبوية والعقيدة الإسلامية والفلسفة الإسلامية، وغيرها. الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ.

٤ - اليهودية والصهيونية :

قبل البدء في بيان هذه الركيزة من ركائز الغزو الفكري، لابد من الإشارة إلى أن اليهودية والصهيونية هما شيء واحد، وإن ادعى البعض أن اليهودية دين، وأن الصهيونية فكرة سياسية، فاليهودية العالمية هي محض الصهيونية، والمنتسبون إلى الصهيونية إنما هم يهود.

وعلى كل فإن اليهود يحرصون على الترويج لفكرة الفصل بين هذين الاسمين اللذين يشبهان وجهي عملة واحدة، وذلك لكي يكون لهم مبرر من بينهم، يرمون عليه الأخطاء، أو التعصب الذي يلاحظه عليهم مخالفوهم، وعلى سبيل المثال يسمون حكاه إسرائيل في فلسطين المحتلة صهاينة، ويدعي اليهود في الولايات المتحدة أنهم بريئون من وحشيتهم وجرائمهم.

وفي حقيقة الأمر فإن يهود الولايات المتحدة هم السند الأساسي لإخوانهم في فلسطين، ولولا دعمهم المادي والمعنوي لما كان ليهود فلسطين، أو الصهاينة - كما يسمونهم - شأن.

ولكي نعلم مدى الأثر الكبير لليهود في الغزو الفكري الموجه إلى شعوب الأرض، وبالأخص شعوب العالم الإسلامي، نورد عبارة اعترف بها اليهود أنفسهم في مجلة (الجامعة الإسرائيلية) أخذها (لويس داست Louis Daste) مؤلف كتاب (اليهود والجمعيات السرية) ووضعها على غلاف كتابه، ونصها :

"نصافد في كل التغييرات الفكرية الكبرى عملا يهوديا، وسواء كان ظاهرا واضحا، أو خفيا سريا، وعلى هذا فان التاريخ اليهودي يمتد بامتداد التاريخ العالمي بجميع مجالاته، حيث تتغلغل فيهآلاف الدسائس". (١)

ولهذا فإن اليهود منذ بزغ فجر الإسلام، وأشرقت شمسهم في سماء المدينة لم يكفوا عن الكيد له بكل وسيلة ممكنة، ولأنهم قوم عرفوا بالجبن والحرص على

(١) انظر: د. أحمد شلبي، اليهودية، ص٣١٣، مكتبة النهضة العربية، القاهرة،

الحياة، فإن المؤامرات والدسائس كانت أهم وسائلهم في حرب الإسلام والمسلمين. أما في العصر الحاضر فإنهم لم يتركوا مجالاً يحاربون فيه الإسلام إلا ودخلوه، وتعتبر مشاركتهم في الغزو الفكري مشاركة أساسية ومؤثرة في بقية ركائز الغزو الفكري، فهم - على سبيل المثال - متواجدون في التنصير، ومن المعلوم أن اليهودي صموئيل زويمر هو الذي كان يدير عملية الغزو التنصيري للعالم الإسلامي، وهم بهذا يدخلون النصرانية لخدمة أغراضهم التي فيها إفساد النصرانية وغزو المسلمين، وهناك عشرات اليهود في هذا المجال. (١) وهم كذلك متواجدون في الاستشراق، بل هم في حقيقة الأمر أساتذة الاستشراق ورواده الأوائل.

فهذا (جولد تسيهر) اليهودي، وإمام المستشرقين الذي أصدر كتابه (العقيدة والشريعة في الإسلام) وبه يغمز في القرآن الكريم، ويطنع فيه، ويكرر اتهامه بالتناقض. (٢)

وكذلك المستشرق مرجليوث، الذي نشر سنة ١٩٢٥م رأيه في الشعر الجاهلي والتشكيك في مصادره، ثم خرج برأيه يشكك في إعجاز القرآن الكريم، ثم قلده كتاب عرب، وعلى رأسهم الدكتور/ طه حسين، الذي أخذ آراء هذا المستشرق، وضمنها كتابه "في الشعر الجاهلي".

ولا ننسى المستشرق اليهودي فنسك، رئيس تحرير دائرة المعارف الإسلامية التي وضعت بإقلام المستشرقين اليهود والمبشرين من أصل يهودي، فجاءت ملأى بالمطاعن والتحريف على الإسلام. (٣)

(١) انظر: عبد الله التل، جذور البلاء، ص١٩٨، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط ٣، ١٤٠٥ هـ.

(٢) انظر: محمد محمود المصاف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص٨١، ٨٢، دار الاعتصام، القاهرة.

(٣) انظر: عبد الله التل، جذور البلاء ص٢٠٠، مرجع سابق.

كما كان لليهود دور بارز في الاستعمار الذي تعرض له العالم الإسلامي، ومن ذلك ما فعلوه في هدم الخلافة العثمانية، وإبرازهم لمصطفى كمال أتاتورك، اليهودي الأصل، الذي قام بخلع السلطان عبد الحميد، وكرس العلمانية في تركيا، بالإضافة إلى حربه المباشرة للإسلام وعلماؤه.

وهكذا نجد أن لليهود دورا أساسيا في الغزو الفكري، يتمثل في الدعم والتحرير والمشاركة في مختلف جوانبه، ومع ذلك فإن لليهود أيضا دورا بارزا متميزا، قد لا يشاركون فيه أحد إلا من قبيل ما يسمحون به في التنفيذ، بعد أن يظهروا ذلك الغير في الإطار الذي يريدون، وبعد تظيئه عن مبادئه ودينه الأصلي.

هذا الدور البارز يتمثل في تلك الجمعيات السرية الداخلة في إطار الماسونية، صنعة اليهود للسيطرة على العالم.

تنتشر الجمعيات الماسونية في كل بلاد العالم، ولم تسلم منها كثير من بلاد المسلمين، تحت مسميات أخرى، هي الروتاري، والليونز، وغيرها.

والماسونية أو البنائون الأحرار (Free mason) من أخطر الجمعيات السرية في العالم، وأقدمها وأبعدها أثرا في مجرى التاريخ، وهي يهودية أولا وأخيرا.

يقول الحاخام الدكتور إسحاق وايز (Isac Wise): "الماسونية مؤسسة يهودية في تاريخها ودرجاتها وتعاليمها، وكلمات السر فيها، وفي إيضاحاتها، يهودية من البداية حتى النهاية". (١)

وفي دائرة المعارف اليهودية ط١٩٠٢، ٥/٣٠٥ : "إن اللغة الفنية والرموز والطقوس التي تمارسها الماسونية الأوروبية ملأى بالمثل والاصطلاحات اليهودية، ففي محفل سكوتلند تجد التوايح الموضوعة على المراسلات والوثائق الرسمية كلها بحسب تقويم العصر، والأشهر اليهودية، وتستعمل كذلك الأبجدية العبرية". (٢)

ويتضح خطر الماسونية في نزع الفوارق الدينية بين أتباعها، والارتباط

(١) انظر: عبد الله التل، جذور البلاء، ص١٢٨، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

بالروابط الإنسانية التي اخترعتها اليهودية تحت شعارات : الحرية، والمساواة، والإخاء. (١)

وهذا كله بطبيعة الحال سبب لصفاء الجو لليهود، فلا يبقى دين غير دينهم. وقد تورط بالماسونية عدد من المسلمين مخدوعين بادعاءاتها، وإغراءاتها، ولما تبين لهم حقيقة أمرها تركوها، وكان منهم من قام بفضحها وبيان خطرهما. (٢)

وما تزال الماسونية تحاول اصطياد المؤثرين في كل بلد، سواء في مجال السياسة أو الاقتصاد أو التعليم، بالإضافة إلى أصحاب التخصصات الدقيقة في مختلف العلوم.

كما نجد أن لليهودية والمهيونية دورا آخر في مجال الغزو الفكري، وهذا الدور لا يقل خطورة عن الأدوار الأخرى، ويتمثل في إبرازهم لرعامات فكرية، كان لها الأثر الكبير في الحياة الإنسانية المعاصرة، ومناهج العلوم التي تدرسها.

وقد ورد في البروتوكول الثاني من (بروتوكولات حكماء صهيون) ما نصه: "لاتتموروا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء، ولاحظوا هنا أن نجاح دارون Darwin، وماركس Marx، ونيتشه Nietzsche، قد رتبناه من قبل، والأثر غير الأخلاقي لاتجاهات هذه العلوم في الفكر الأممي - غير اليهودي - سيكون واضحا لنا بالتأكيد". (٣)

(١) انظر: عبد الله التل، جذور البلاء، ص١٣٢، مرجع سابق .

- وبروتوكولات حكماء صهيون، ص١٤٤، ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤ .

(٢) انظر: حسين عمر حمادة، شهادات ماسونية، أورد فيه عن جمال الدين الأفغاني، ورشيد رضا، ومحمد عبده، وأنور السادات وغيرهم. دار قتيبة، دمشق، ط ١، ١٤٠٠هـ.

(٣) بروتوكولات حكماء صهيون، ص١٢٣، ١٢٤، ترجمة محمد خليفة التونسي، مرجع سابق.

وبطبيعة الحال فقد تأثرت المجتمعات الإسلامية بذلك كله .
وهكذا نجد أن لليهود دورا بارزا في الغزو الفكري الموجه إلى العالم
الإسلامي، متخذًا عددا من الأساليب، ومستخدما الكثير من الوسائل .

ثانيا : من وسائل الغزو الفكري :

تتعدد وسائل الغزو الفكري، حسب نوع الغزو ومكانه، وهناك وسيلتان
رئيسيتان تجدر إليهما الإشارة، وهما التعليم والإعلام .

أ - التعليم :

- علمانية التعليم :

كانت الخطوة الأولى في هذا المجال هي علمانية التعليم، وذلك بإبعاده عن
مؤسساته الإسلامية، وإيجاد مؤسسات تعليمية علمانية منافسة، وقد كانت خطة
كرومر تقضي بذلك، وهو ما تم تنفيذه بالفعل في مصر، ثم بقية بلاد المسلمين .

يقول اللورد لويد المنسوب السامي - زمن الاحتلال - في مصر: "إن التعليم
الوطني عندما قدم الانجليز إلى مصر، كان في قبضة الجامعة الأزهرية، الشديدة
التمسك بالدين، والتي كانت أساليبها الجافة القديمة تقف حاجزا في طريق أي
إصلاح تعليمي، وكان الطلبة الذين يتخرجون في هذه الجامعة يحملون معهم قدرا
عظيما من غرور التعصب الديني، ولا يصيبون إلا قدرا ضئيلا من مرونة التفكير
والتقدير، فلو أمكن تطوير الأزهر عن طريق حركة تنبعت من داخله لكانت هذه
خطوة جلية الخطر .

ولكن إذا بدا أن مثل هذا الأمل غير متيسر تحقيقه، فحينئذ يصبح الأمل
محصورا في إصلاح التعليم اللاديني، الذي ينافس الأزهر، حتى يتاح له الانتشار
والنجاح، وعندئذ فسوف يجد الأزهر نفسه أمام أحد أمرين: فإما أن يتطور ...
وإما أن يموت ويخفي". (١)

(١) انظر: د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢/٢٩٤،

وبطبيعة الحال، فعندما تسود العلمانية، فإن التغريب سيكون في كل الخطوات التالية سواء إلى الارتباط بالغرب النصراني، أو الشرق الشيوعي، وكلاهما بلاء ووبال على العقيدة الإسلامية وأهلها.

يقول المستشرق جب Gibb في كتابه (وجهة الإسلام): "والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب هو أن نتبين إلى أي حد يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي، والأساس الأول في ذلك كله هو أن يجري التعليم على الأسلوب الغربي، وعلى المبادئ الغربية، وعلى التفكير الغربي... هذا هو السبيل الوحيد، ولا سبيل غيره، وقد رأينا في المراحل التي مر بها طبع التعليم بالطابع الغربي في العالم الإسلامي، ومدى تأثيره على تفكير الزعماء المدنيين، وقليل من الزعماء الدينيين". (١)

ولهذا كانت صيحات محمد إقبال - الشاعر المسلم الذي جرب نظم التعليم الغربي - لا تنتهي، وحق لها أن تكتب بماء الذهب، وأن يعيها كل شاب مسلم، يقول: "إياك أن تكون آمنا من العلم الذي تدرسه، فإنه يستطيع أن يقتل روح أمة بأسرها". (٢)

ويقول: "إن التعليم هو (الحامض) الذي يذيب شخصية الكائن الحي، ثم يسكونها كما يشاء، إن هذا (الحامض) هو أشد قوة وتأثيرا من أي مادة كيميائية، هو الذي يستطيع أن يحول جبلا شامخا إلى كومة تراب". (٣)

ويبين - رحمه الله - خطر نظام التعليم الغربي باختصار قائلًا: "إن نظام التعليم الغربي، إنما هو مؤامرة على الدين والخلق والمروءة". (٤)
فهل يعي هذا المسئولون عن التعليم في البلاد الإسلامية؟

(١) انظر: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ٢٠٢/٢، مرجع سابق .

(٢) انظر: أبو الحسن الندوي، المراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية، ص١٦٩، دار القلم بالكويت، ودار الأنصار بالقاهرة، ط ٣، ١٣٩٧هـ.

(٣) المرجع السابق.

(٤) المرجع السابق.

- إنشاء المدارس التنصيرية :

انتشرت المدارس التنصيرية مع طول الاستعمار في كافة أرجاء العالم الإسلامي، وذلك أنه لا بد من المدرسة حتى يستطيع المنصرون الاتصال بالناس. (١) وكانت هذه المدارس على مختلف مستوياتها التعليمية، واختصاصاتها المختلفة سبيلا لتنصير المسلمين وإخراجهم عن دينهم، سواء في دور الحضنة، أو المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية.

وقد كان من الأمور الهامة التي يأخذها المنصرون بعين الاعتبار: الحرص على أبناء العائلات والمتنفذين في المجتمع الإسلامي الذي يحطون فيه، وكانت الهيئات التنصيرية في تنافس كبير فيما بينها لافتتاح المدارس، ومع هذا فقد اتفقت على وضع التوراة باللغة العربية بين أيدي الطلاب على أنه كتاب تدريس أساسي. (٢)

ولقد اتفقت المؤتمرات التي عقدها المنصرون على التعاون بين المنصرين كلهم للوصول إلى أهدافهم في العالم الإسلامي، كما أن التنصير عن طريق التعليم مقصود به المسلمون على وجه الخصوص. (٣)

وما تزال مدارس التنصير تنتشر في كثير من أنحاء العالم الإسلامي كالأردن، ومصر، وأندونيسيا، وأماكن كثيرة من إفريقيا.

كما كان هناك جهد آخر يتمثل في إنشاء الكليات النصرانية، ذات الهدف التنصيري المباشر في البداية، أو ذات الصفة العلمانية في آخر الأمر، مثل: الكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأمريكية اليوم) في بيروت (٤) ومثيلتها في

(١) انظر: د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص ٧١، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٠، نقلا عن مراجع أجنبية.

(٣) المرجع السابق، ص ٨٠، ٨١، نقلا عن مراجع أجنبية.

(٤) انظر تفاصيل كثيرة عنها في المرجع السابق، ص ٩٥-١٠٩ .

القاهرة، واستانبول، والخرطوم، بالإضافة إلى كلية (ماكيري) في يوغندا التي كان يرسل إليها أبناء جنوب السودان خاصة لاستكمال دراستهم، وفقا لأهداف وتوجيهات الإنجليز. (١)

- مناهج التعليم :

مما لا يختلف فيه أكثر المتمثلين بالتعليم كون مناهجه متأثرة إلى حد كبير بالفكر الغربي، والمناهج التعليمية الغربية، سواء في إطاره العام وتقسيمات العلوم وأساليب التعليم، أو في مضمونه ومحتوياته.

ويهمنا هنا ما يتصل بالمضمون والمحتويات للعلوم في مدارس المسلمين.

ومن المؤكد أن الأثر يتضح بشكل أكبر في مناهج العلوم الإنسانية والاجتماعية، وفي مواد الفلسفة التي تدرس في بعض البلاد الإسلامية.

وهذا لا يعني سلامة مناهج العلوم التجريبية، فإن الإطار العام لها يؤدي في

النهاية إلى النظرة الإلحادية، وإن لم يكن التصريح قائما في هذا المجال. (٢)

وليس من اليسير بطبيعة الحال تتبع مواطن الغزو الفكري وآثاره كلها في العلوم التي تدرس في مدارس المسلمين، ولكنني أشير إلى نظرية دارون في النشوء والارتقاء كمثال لهذه الآثار، وهي بطبيعة الحال مصادمة لما جاءت به المبادئ الإسلامية حول خلق الانسان.

(١) انظر: د. حسان محمد حسان، وسائل مقاومة الغزو الفكري للعالم الإسلامي، ص٧١، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، السنة الأولى، ١٤٠١هـ شعبان، العدد ٥ .

(٢) تحدث د. جعفر شيخ إدريس ، في محاضرة عن مناهج العلوم الإنسانية ومشكلاتها، عن الإطار الإلحادي، الذي يحيط بالعلوم المختلفة في الفكر الغربي المعاصر، وهذه المحاضرة ألقى في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، بالرياض عام ١٤٠٧هـ وهي مسجلة، وتوزع من قبل المركز.

وهناك جهد طيب قام به الأستاذ علي لبن، في الرد على مؤلفي كتابي الفلسفة والمنطق لطلاب الشهادة الثانوية في المدارس المصرية، ونظرا لضخامة الموضوع فقد اکتفى بالرد على كبير مؤلفي هذين الكتابين (زكي نجيب محمود) في القضايا المتعلقة بالعقيدة، وهو جهد يستحق الإشادة والتشجيع، ونأمل أن يتبعه جهود أخرى. (١)

- الابتعاث :

ليس الابتعاث في حد ذاته أمرا مشينا أو مضرًا إذا كان بناء على حاجة فعلية، وبعد تخطيط ودراسة واعية، ثم توج ذلك باختيار وانتقاء الذين يراد ابتعاثهم، ممن لديهم حصانة فكرية وعقدية أصيلة. إن الابتعاث الذي نقصده، والذي كان رافدا لعملية الغزو الفكري عن طريق التعليم، غير ذلك تماما.

وقد بدأت آثار الابتعاث تظهر مع عودة عدد من المبتعثين إلى الدراسة في أوروبا، ومن أشهرهم في هذا المجال رفاة الطهطاوي، وخير الدين التونسي، وعلي عبد الرازق، وطه حسين، وغيرهم. (٢)

وكانت آراؤهم بين الوطنية، والعلمانية، ونقد الأصول الإسلامية. وما يزال العالم الإسلامي يجني ثمار هذا الأمر في أفواج العائدين من البلاد

(١) الكتاب بعنوان (الغزو الفكري في المناهج الدراسية) أولا: (في العقيدة) في الرد على زكي نجيب محمود، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر: د. محمد زين الهادي العرماسي، نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، الفصل الخامس (دور الابتعاث إلى الدول غير الإسلامية في انتشار العلمانية في المجتمعات الإسلامية) ص ١٠٩، دار العاصمة، ط ١، الرياض ١٤٠٧هـ.

الغربية والشرقية، ممن تربوا في معاهد الغرب، وعلى يد المستشرقين الحاقدين.
وما انتشر المذاهب الفكرية في مجالات الحياة المختلفة والمنافية للإسلام
وأصوله إلا بسبب هذه الأفواج التي صارت غربية أكثر من الغرب نفسه.
وقد نجح الغرب في مقولته: يجب أن تقطع الشجرة بأحد أغصانها.

ونستشهد بما قاله (ولفرد كانتول سمث) في آثار الشباب المسلم الدارس في
الغرب، حيث يقول: "إن من أهم أسباب حركة الحرية والإباحية التي تسود اليوم
في العالم الإسلامي، ومن أكبرها، نفوذ الغرب، فقد بلغت هذه الحركة أوجها في
أوروبا من أواخر القرن التاسع إلى الحرب العالمية الأولى، وهكذا شأن نهضة
أوروبا وتقدمها، وقد سافر كثير من الشباب المسلم إلى الغرب، واطلعوا على
روح أوروبا وقيمها، وأعجبوا بها إلى أبعد حد، وينطبق هذا بخامة على الطلاب
الذين درسوا في جامعات أوروبا بعدد لم يزل يزداد مع الأيام، وهم الذين سببوا
استيراد كثير من أفكار الغرب وقيمها إلى العالم الإسلامي، وقد حازت قصب السبق
في هذا المضمار تلك المعاهد الثقافية التي قامت بتربية جيل بأكمله على
النمط الغربي الحديث.

وكان مما صدره الغرب إلى العالم الإسلامي تلك الأفكار المتعددة الجديدة
التي تقع من الأهمية والدقة بمكان، والاتجاهات العقلية الدقيقة الفجة والميول
الحديثة التي كان في نشرها أوفر نصيب لنمط التعليم الغربي الحديث، ويفوقها
في ذلك تأثير معاهد الغرب الحقوقية والسياسية، والاجتماعية الجديدة، ونفوذها
الزائد، ومنها ما يسلط إجباراً، وما يحاول تسليطه.

وبينما قام بعض المسلمين لمقاومة هذا التيار رحب به البعض الآخر، إن
بعضهم قد وقع تحت تأثير هذه التربية رسمياً، وبعضهم قد رحب بهذا التيار
بدافع من أنفسهم، وأنتج ذلك أن كثيراً من المسلمين اعترفوا بهذه النظريات
والمعاهد كحقيقة ثابتة، وخضعوا لها بالتدريج، وهكذا استمر عمل التغريب

بسرعة وقوة بالغتين". (١)

ب - الإعلام :

تعتبر أجهزة الإعلام، سواء كانت مقروءة كالصحافة والكتاب، أو مسموعة كالإذاعة، أو مرئية كالتلفزيون، وما في حكمها، وسائل هامة من وسائل الغزو الفكري الموجه إلى الأمة الإسلامية.

ومن المسلمات المعروفة سيطرة اليهود على أجهزة الإعلام العالمية (٢) مما كان له أثر كبير على نشر الإباحية والأخلاق الرذيلة، حتى صارت عقائد تزاحم الفضيلة، والأخلاق الحسنة بتأويلات يهودية الأصل.

كما أن علمانية الأجهزة الإعلامية في البلاد الإسلامية كان سببا لنيان كثير من المسلمين دينهم، وتأثرهم بهذه النظرة من التفريق بين الدين ونواحي الحياة الأخرى، فصارت عقائد كثير من المسلمين مهزوزة هشة، تسقط عند أدنى شبهة أو ضعف، حتى إنك تشاهد في كثير من الأحيان برنامجا كاملا، أو كتابا من إعداد مسلم، لاتجد فيه رائحة الإسلام، ولا آثاره، هذا إن لم يكن العكس من محاربة الإسلام، والتهكم به، وبلغته، وعلمائه، وإبراز المنحرفين والشاذين في ميادين الفكر المختلفة على أنهم رموز المجتمع، وطلائعه الناجحة، وهذا لعمري انحراف عقدي خطير، لا يقل خطورة عن تهكم أحد المنافقين بالقراء من صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في غزوة تبوك، حتى نزل قول الله تعالى: (قل أبالله وءاياته ورسوله كنتم تستهزءون، لاتعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم). (٣)

(١) انظر: أبو الحسن الندوي، نحو التربية الإسلامية الحرة، ص٢٤، ٣٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ.

(٢) انظر: د. يوسف محيي الدين أبو هلاله، الإعلام اليهودي المعاصر وأثره في الأمة الإسلامية، ص١٤-٢٤، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط ١، ١٤٠٨هـ.

(٣) سورة التوبة ٦٥، ٦٦ .

وتختلف استخدامات هذه الأجهزة في عملية الغزو الفكري، فبينما يركز الاستشراق على الكتب والبحوث والمجلات الصادرة من الجمعيات الاستشراقية، والمؤتمرات العلمية، نجد أن التنصير يفعل ذلك، ويزيد عليه باستغلال الإذاعات الموجهة باللغات السائدة في العالم الإسلامي. (١)

أما اليهود فعملهم الدعم والتيسير لكل من يريد الإضرار بالإسلام والتشويه لعقيدته وحضارته، سواء عن طريق الصحف التي يملكونها أو الإذاعات والمحطات التلفزيونية التي يديرونها.

ونفس الشيء يفعلُه الاستعمار، سواء كان مباشراً كما في البلاد الشيوعية، وقيامه بعملية إذابة الشخصية الإسلامية، أو كان غير مباشر، كالأنظمة العميلة للغرب والشرق التي تقوم بعملية الترويج للفكر الغربي والشرقي في البلاد الإسلامية.

وهكذا يقوم الإعلام في العالم الإسلامي، أو الموجه إلى العالم الإسلامي بدور كبير في عملية الغزو الفكري، مما كان له أكبر الأثر على الحياة الإسلامية المعاصرة، من انحرافات عقديّة خطيرة، وتجهيل المسلمين بدينهم، حتى نشأت أجيال كاملة متعلمة، لكنها في الوقت نفسه جاهلة الجهل المركب.

(١) انظر: نذير حمدان، في الغزو الفكري، ص١٢٤، ١٢٥، مرجع سابق.

المبحث الخامس : ضعف إجراءات حماية العقيدة :

أولا : اختلاط العقيدة الصحيحة بغيرها، ودخول الانحراف إليها نتيجة لضعف الحماية :

إن من العلامات المؤكدة لحاجة الإنسان إلى عقيدة ودين، ارتباطه الدائم بعقيدة ما وتأثره بها، فهو لا ينفك ملتزما لها ومدافعا عنها، بل وداعيا إليها سواء كانت صحيحة أو فاسدة .

والإسلام، هذا الدين العظيم الذي ارتضاه الله لعباده كلهم، وبه بعث رسله، وأنزل كتبه؛ هو الدين الذي فطر الله عليه البشر منذ خلقهم، قال تعالى: (فطرة الله التي فطر الناس عليها). (١)

بيد أن هذه الفطرة قد تتسلط عليها عوامل أخرى فتؤثر فيها، ومن أهم هذه العوامل ما يلي:

- الأسرة وما في حكمها من حيث نوع الدين الذي ينقل إلى الإنسان .

- ما يعرض للإنسان من الشهوات والشبهات المختلفة .

أما الأول فيشهد له قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه]. (٢)

وأما الثاني فإنه مشاهد معروف من حياة البشر، فالشهوات قد تمل بالإنسان من حبه للعلو والرفعة - مثلا - إلى أن يكفر بالله، وأن يقيم نفسه إلها من دون الله، كما حكى تعالى عن فرعون قوله: (ما علمت لكم من إله غيري). (٣)

وكثير من المعرضين عن دين الله كانت الشهوة سببا في إعراضهم.

(١) سورة الروم ٣٠ .

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات،

هل يملى عليه، ٩٧/٢، مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على

الفطرة، ٢٠٤٧/٤ مرجع سابق.

وأما الشبهات فإن الانسان وقد وهبه الله العقل فإن التفكير يتردد في عقله وقلبه في كل شيء، وهو إن لم يرتبط بالمصادر الإلهية في معرفته فإن جهله ببعض الأشياء سيتولد عنه شبهة تصبح ديناً له، كما حكى تعالى عن الدهريين قولهم: (ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون). (١)

ومن هذه المنطقات - وإن اختلفت الصور - يحدث الانحراف عن العقيدة الإسلامية قديماً وحديثاً، وارتبط هذا الانحراف بعاملين اثنين يشبهان إلى حد كبير المؤثرين السابق ذكرهما على إيمان الإنسان.
هذان العاملان هما:

- الانحراف في مصادر الدين وموارد العقيدة.

- الانحراف في تأويل وتفسير نصوص الدين ومقاصد الإسلام.

فبدلاً من التزام مصادر الدين الأساسية، وهي القرآن والسنة قامت بعض الفرق الإسلامية بورد موارد أخرى، والأخذ عنها، وإن لم يشعر أتباعها المتأخرون بذلك، مما جعلهم ينكرونه أشد الإنكار.

فالمصوفية - على سبيل المثال - أخذت عن مذاهب وديانات غير الإسلام، فكان لها نصيب من الأفلاطونية الحديثة (٢) في نظرية الكشف والشهود، وفي النفس

(١) سورة الجاثية ٢٤ .

(٢) مؤسس هذا المذهب هو (أمونيوس سكاس Ammonius Saccas) كان أول أمره حمالاً، وقد ولد من أبوين نصرانيين، ولكنه اعتنق الدين اليوناني القديم، وهو أول المعلمين الإسكندرانيين الذين حاولوا التوفيق بين تعاليم أرسطو وأفلاطون، ومات سنة ٢٤٢م، ولم يؤثر عنه أي كتاب، وأكبر مؤيديه والمنتصرين لمذهبه تلميذه (أفلوطين)، وربما عد مؤسس المذهب، وقد ولد سنة ٢٠٤م، ولازم أمونيوس إحدى عشرة سنة، وفي سنة ٢٤٥م قصد روما، حيث استقر بها، وأسس مدرسته التي قام عليها حتى مات في كامبانيا سنة ٢٧٠م=

ومبوطها إلى هذا العالم، وفي العقل الأول، والنفس الكلية، وفي نظرية الفيض وغير ذلك، إذ كلها مستمدة من مصادر الأفلاطونية الحديثة مع قليل أو كثير من التحوير. (١)

وأخذت الصوفية من التصوف الهندي بعض ما يتصل بالطقوس الدينية والرياضية الروحية، وأساليب مجاهدة النفس. (٢)

كما أخذت عن النصرانية الرهبنة، والطول، ثم حور الطول ليصبح قولاً بوحدة الوجود. (٣)

وهكذا اختلطت العقيدة في نفوس هؤلاء لتصبح مزيجاً من الإسلام والديانات القديمة والمذاهب البشرية.

كما أن لهذا العامل - الانحراف في مصادر الدين - أثراً كبيراً في وجود العامل الثاني، وهو الانحراف في تأويل نصوص الدين، وحمله على خلاف مراد الله تعالى، ومراد رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد ذكرنا سابقاً شواهد على ذلك.

ونفس الأمر لدى كثير من الفرق الإسلامية المنحرفة، فإنك تجد أن اختلاط العقائد مظهر واضح في انحراف هذه الفرقة أو تلك، والذي جاء أساساً من الانحراف في مصادر الدين، واختلاط المصادر الصحيحة من قرآن، وسنة بمصادر أخرى، وديانات سابقة، ومن ثم كان التأويل خلاف مراد الله ورسوله، كما هو

= ويختلف مؤرخو الفلسفة الأفلاطونية الحديثة أمي فلسفة يونانية أم فلسفة القرون الوسطى، أي مرتبطة بالنصرانية، ولكل وجهة نظر. انظر: د. زكي نجيب محمود، وأحمد أمين، قمة الفلسفة اليونانية، ص ٢٦٦-٢٧٢ مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ٨ .

(١) انظر: محمد فهد شقفة، التصوف بين الحق والظن، ص ١٦-١٨، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٨، ١٩ .

(٣) المرجع السابق ص ١٨-٢٠ .

الحال لدى القدرية، والجبرية (١) والمعتزلة (٢) وغيرها.
إن الإسلام كيان مستقل بمصادره وموارده، ومنهجه ونظامه، لذلك أمر الله نبيه بالبراءة من أعمال المشركين في سورة (قل يأيها الكفرون).
قال ابن كثير: "قوله (قل يأيها الكفرون) (٣) يشمل كل كافر على وجه الأرض، ولكن المواجهون به هم كفار قريش، وقيل إنهم من جهلهم دعوا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى عبادة أوثانهم سنة، ويسعون معبوده سنة، فأنزل الله هذه السورة، وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يتبرأ من دينهم بالكلية". (٤)

ثانياً: الحياة المعاصرة، وضرورة التنبه إلى اختلاط العقائد والأفكار:
كان الاتصال بين الأمم والشعوب فيما مضى أمراً في غاية الصعوبة، لعدم وجود وسائل الاتصال المختلفة والسريعة التي نشاهدتها في هذا العصر، لهذا كانت كثير من المجتمعات تحتفظ بخصائصها فترات طويلة من الزمن، ولم يكن التغيير يحدث بسهولة كما هو الحال الآن.
وفي هذا العصر يسر الله لبني آدم كثيراً من وسائل الاتصال المختلفة التي لم تكن عند السابقين، سواء كانت وسائل الانتقال والترحال كالسيارات والطائرات والبواخر، أو وسائل اتصالية لنقل المعلومات والأخبار والأفكار كوسائل الاتصال الإعلامي المقروء، والمسموع، والمرئي.
وفي الماضي كانت الرحلة من مكة إلى الشام تحتاج إلى شهر كامل، ومثونة

(١) انظر: أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية، ص ٣١، ٣٢ مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ١٦١، ١٦٢ .

(٣) سورة الكافرون ١ .

(٤) تفسير القرآن العظيم ٥٦٠/٤ مرجع سابق.

كثيرة لا يقدر عليها إلا القليل من الناس، أما اليوم فإنه في ساعات معدودة يمكن أن ينتقل الإنسان من مكة إلى بلاد ملحة - مثلا - كروسيا أو الصين، أو إلى بلاد يسودها الشرك والعقائد الفاسدة، كل ذلك لا يكلفه كثيرا من الأموال أو الجهد أو الوقت.

وهكذا صار اتصال البشر ببعضهم البعض مباشرة أمرا ميسورا جعل التنقل والترحال من خصائص الحياة المعاصرة، في مقابل الركود والانغلاق قديما.

أما المعلومات والأفكار فأمر واضح جدا، مما جعل تشبيه الأرض بالقرية الصغيرة - التي يعرف كل واحد من أفرادها أحوال الآخرين - تشبيها صحيحا إلى حد كبير.

وقد كان اتصال البشر بعضهم ببعض قديما سببا في اختلاط العقائد الصحيحة بالفاسدة، على الرغم من قلة ذلك الاتصال.

ومن أقرب الشواهد ما فعله عمرو بن لحي عندما ذهب إلى الشام، وعاد معه بواحد من الأصنام التي كان أهل الشام يمجدها ويدعونها من دون الله.

هذا العمل الفردي كان سببا لأن يصبح معظم أهل الجزيرة عبادا للأصنام فيما بعد، على الرغم من احتفاظهم بشيء من شعائر دين إبراهيم الخليل عليه السلام من الحج، وإطعام الطعام، وتعظيم البيت، ونحو ذلك، فاختلطت العقيدة الصحيحة بعقائد فاسدة.

فإذا كان هذا قد حدث قديما فإنه اليوم يحدث بشكل أكبر وأكثر، فكم من شبيه بعمرو بن لحي في هذا العصر، قد سافر من بلده ومجتمعه المسلم إلى بلاد كافرة، ثم عاد ومعه أصنام كثيرة، وليس صنما واحدا!

كما أن الكفر بأشكال مختلفة يدخل إلى المجتمعات المسلمة بوسائل الاتصال الأخرى، سواء كان عن طريق كتاب، أو مجلة، أو جريدة، أو كان برنامجا في الإذاعات التي يحركها بسهولة، وكلها تتسابق لكسبه، والتأثير على فكره، أو كان عن طريق التلفزيون، الذي أوشك البث العالمي له أن يدخل مرآطه الأخير، وبطبيعة الحال ستكون الأمم الغالبة هي المسيطرة عليه، وهي الأمم الكافرة

والملحدة في هذا العصر.

كما أن شعارات التبادل الثقافي، وحرية الرأي، التي لا يوجد تكافؤ بين أطرافها جعل هدم العقيدة الإسلامية وتشويهها أمرا مرتبطا بنتائج هذه الشعارات التي يحسن أعداء الإسلام استغلالها، بينما يسيء المسلمون في الاستفادة منها لنشر الإسلام وتمكينه في الأرض.

ومع ضعف إجراءات حماية العقيدة وجد الاختلاط في العقيدة بين المسلمين في هذا العصر على المستوى الاجتماعي والفردى.

أما المستوى الاجتماعى فانك ترى التناقض في الأنظمة الاجتماعية السائدة بين المسلمين.

ففي التعليم يدرس الإيمان والكفر في آن واحد، وفي الاقتصاد يسود الربا ويقوم بعض المسلمين بالتعامل به، وقد يرى بعضهم حله وجوازه، وفي السياسة تجد الحكم بما أنزل الله في شأن، والحكم بغير ما أنزل الله في شأن آخر، كما تجد الولاء للكافرين بنفس المستوى الذي يعطى للمؤمنين إن لم يزد عليه.

أما على مستوى الأفراد فإن المسلم المعاصر تتنازعه التيارات الفكرية المختلفة، حتى بات كثير من المسلمين يحمل خطأ كبيرا في عقيدته، فهو يؤدي الصلاة وسائر الفروض، مقرا بعبوديته لله، ومع هذا تجده علمانيا، يحمل العلمانية في نشاطه وأعماله وعلمه، بل ويدافع عنها، أو تجده اشتراكيا يمجد الاشتراكية ويدعو إليها، وهو يمر على أنها والإسلام سواء.

كما نجد أن كثيرا من المسلمين قد أخذوا عن الغربيين نظرتهم للدين على أنه علاقة بين العبد وربّه، يجب أن يكون له زمن محدد، ومكان محدد، هو المسجد، ولا يجوز أن يخرج منه، ويتعامل مع الإسلام على هذا الأساس.

هذا بالإضافة الى أن الرابطة التي تجمع المسلم بأخيه على أساس إسلامه صارت لدى كثير من المسلمين ضعيفة، أو غير موجودة، وحل محلها الروابط القومية والوطنية التي نبتت في الغرب، وقد تكون صالحة له، لكنها بكل تأكيد ليست صالحة للمجتمعات الإسلامية، وأفراد الأمة الإسلامية التي يريد الله لها أن

يجتمع أفرادها على الأخوة في الله، كما قال تعالى: (إنما المؤمنون إخوة). (١)
إن هذه الانحرافات كلها مردها إلى اختلاط العقائد المختلفة بالعقيدة
الإسلامية في نفوس كثير من المسلمين، ومهما تكن الأسباب لوجود هذا التداخل
والاختلاط في العقيدة داخليا أو خارجيا، مقصودا أو غير مقصود، فإن المسلم
مطالب بتحرير عقيدته، واستبراء دينه من كل دخيل أو نقص.
كما أن الأمة بكاملها مطالبة ببذل أسباب الحماية من هذا الاختلاط والتداخل
من خلال الأمور التالية :

الأول : إيجاد الحصانة الداخلية للمسلمين بتعليمهم العقيدة الصحيحة منذ
الصغر، وتعامدها بالتثبيت والتمكين في كل وقت.

الثاني: إيجاد الوقاية اللازمة ضد الأفكار المنحرفة والعقائد الباطلة
والشبهات المضللة، حسب ما يقتضيه الحال ويوجبه، من منع كتب الإلحاد
والشبهات، والتنبيه للمفرضين، وأشدهم خطرا وأبعدهم أثرا أولئك الذين يحملون
الإسلام في مظاهرهم، وتعتشعش الأفكار الضيئة في عقولهم، وغير ذلك من أسباب
الوقاية، وهي كثيرة.

والنقطة الأولى أهم بكثير، وألزم في هذا العصر، لسهولة الاتصال بكافة
أشكاله، فعندما يحمل المسلم حصانة عقديّة جيدة، فإنه لاخوف عليه، لأن له علما
يدفع به الشبهات، وله ديناً يدفع به الشهوات، فلا خوف عليه إذا أينما حل، بل
إنه سيكون بعون الله لسان صدق في خضم الثقافات المتعددة، والأفكار المتداخلة
في هذه الأرض الصغيرة، والتي زادت صغرا في هذا العصر باتصال أهلها فيما
بينهم بسهولة ويسر أكثر مما مضى.

الثالث : قيام العلماء ببيان تلك الشبهات الدخيلة على العقيدة الإسلامية،
وبيان مصادرها بكل الوسائل الممكنة، والتنبيه عليها، إبراء للذمة، وحماية
لجناب التوحيد، وهو منهج الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أصحابه في

تعليمه لهم، وللأمة كلها، ومثاله قوله عليه الصلاة والسلام: [لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد]. (١)

ثالثاً : اختلاط عقائد المسلمين بغيرها لدى الأقليات المسلمة :

إن مصطلح الأقلية المسلمة يعني مجموعة من المسلمين يعيشون في دولة غير مسلمة، ويقل عددهم عن ٥٠٪ من عدد السكان. (٢)

ولا شك أن الأقليات المسلمة تعتبر جزءاً هاماً من الأمة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية المعاصرة، فهي تشكل من ٢٥ إلى ٤٠٪ من أعداد المسلمين في العالم. (٣)

"والأقليات المسلمة حيثما وجدت وعلى اختلاف ظروفها، مهددة في مصيرها كأمة مسلمة، ذات خصائص متميزة في عقيدتها وفكرها وسلوكها ونظرتها إلى الحياة، وهذه الخصائص تتهددها أخطار شتى، وضغوط رهيبية، منها ما هو عفوي نابع من أنماط الحياة، ونظم المجتمعات حيث تعيش تلك الأقليات، ومنها ما هو مخطط له بدءاً ممتزجاً بأفكار، وضغائن، وكرامية عمياء، ومسلح بالحديد والنار، وأفانين البطش والإرهاب، وأسباب الفناء". (٤)

وهذا كله كان من أسباب اختلاط العقيدة في نفوس كثير من أبناء المسلمين

(١) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر النبي

صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ١٠٦/٢ مرجع سابق.

(٢) انظر: الأقليات المسلمة في العالم، أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي

السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض من ١٢-١٧

جمادى الأولى، ١٤٠٦هـ، ٤٥/١، بحث د. جمال الدين محمد محمود، الندوة

العالمية للشباب الإسلامي، الرياض.

(٣) انظر: المرجع السابق، ١٥٢/١، بحث د. حمد إبراهيم المليفح.

- و ٤٠٣/١، بحث د. محمد محمود محمدين.

(٤) المرجع السابق ١١/١، حسن بن عبد الله آل الشيخ، (تقديم).

هناك، فلم يعد بعضهم يفرق بين ما هو من الإسلام وما هو من غيره، بل قد يحمل الإسلام، وينسب إليه معطيات الأفكار، والمذاهب الأخرى، كالاشترابية والعلمانية. بالإضافة إلى ذلك، فإن وجود هذه الأقليات غالباً في أطراف العالم الإسلامي أو بعيداً عنه، جعل أبناء تلك الأقليات بعيدين عن مراكز العلوم ومصادر المعرفة الإسلامية التي تتركز في وسطه.

كما أن مجتمع الأقلية تظهر فيه بشكل أكبر من غيره مسألة تقليد المغلوب للغالب التي ذكرها ابن خلدون، في مقدمته تحت عنوان: (فصل في أن المغلوب مولع أبداً بالاعتداء بالغالب في شعاره، وزيه، ونطته، وسائر أحواله، وعواقده) (١)

وهذا الاختلاط في العقيدة بين بعض أبناء الأقليات المسلمة، أو ما يسميه البعض "بالذوبان الثقافي" هو أشد ما نخشاه على الأقليات الإسلامية في البلاد غير الإسلامية، لاسيما تلك الدول التي تتأمل ثقافتها المخالفة للإسلام مخالفة كاملة عبر قرون طويلة كالدول الأوروبية، وتلك التي تفرض تصوراً معيناً للحياة وتوجه ثقافة أبنائها نحوه بكل الطرق كالدول الشيوعية (٢) أو تلك التي تؤثر العادات الجاهلية والموروثات القديمة الخاطئة على السكان كلهم كما في البلاد الهندية والأفريقية.

وعلى أية حال فإن البلاد الشيوعية تحرم على مهر المجتمعات الأقلية، ومنها الإسلامية في فكر واحد، مما يجعل الأقليات المسلمة في البلاد الشيوعية أكثر تائراً بذلك من غيرها، لاسيما إذا تذكرنا الأعداد الهائلة من المسلمين الذي يعيشون في البلاد الشيوعية.

إن الإسلام والشيوعية شيئان متناقضان لا يمكن التعايش بينهما، وثقافتان مختلفتان في نظرتهما إلى الكون والإنسان والمجتمع، لذلك عمل الروس مافي

(١) انظر: مقدمة ابن خلدون، ص ١٤٧، مرجع سابق.

(٢) الأقليات المسلمة في العالم ١/٥٢، بحث د. جمال الدين محمد محمود، مرجع سابق.

وسعهم من تهجير المسلمين إلى مناطق أخرى، ومنع للمدارس والمؤسسات الإسلامية، وتنشئة جديدة كاملة للجيل المسلم على الشيوعية، تبدأ من الحضانة، ولا تنتهي بالجامعة، بل تستمر في كل نشاط وبكل وسيلة، كل ذلك لتضييع الهوية الإسلامية، فكانت النتائج أن وجد شباب يدعون الإسلام، ويعتزون بانتسابهم إليه، ولكنهم لا يؤمنون بالله، ويقصدون الماركسية.

وكنموذج لذلك الخط نجد أن من الشباب المسلم في تلك الأقليات من يؤمن بالماركسية، أو بعزل الدين عن الدولة، أو عن المجتمع، أو يعتبر أن الربا نظام طبيعي في المعاملات، أو يحاول تعليل التخلف في بعض البلاد الإسلامية بأنه ناشئ عن النظرة الإسلامية للكون والحياة، كما أنه في الوقت نفسه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويعرف أركان الإسلام وعباداته - على أحسن الافتراضات - ولكنه قد تشكل ثقافيا بعيدا عن الإسلام الذي يريده الله سبحانه. (١)

وقد ذكر أحد الذين زاروا الاتحاد السوفيتي من رابطة العالم الإسلامي أنه قابل عددا من الشباب المسلمين، كان حديثهم عن الإسلام نابعا من القلب، بيد أن أحدهم وهو في الخامسة والعشرين قال: انظر إلى هذا، وأشار إلى تمثال لينين في (ساحة لينين) بمدينة (أوفه) وقال: إنني أقدم هذا بعد الله، ثم قال: إنني أعبد الله، وأحب لينين لأنه هو الذي أتاح لنا الحياة! (٢)

والأمر لا يختلف عن ذلك كثيرا في الصين الشيوعية، فقد مارست السلطات الشيوعية - السابقة - قبل سياسة الانفتاح ضغوطا رهيبية على المسلمين (٣)،

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم (١/٥٠٠، ٥١)، بحث د. جمال الدين محمد محمود، مرجع سابق.

(٢) انظر: محمد صفوت السقا أمين، المسلمون في الاتحاد السوفيتي، ص ٦٥، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٠هـ.

(٣) انظر: مجلة الأمة عدد (٥)، ربيع الأول ١٤٠٥هـ استطلاع عن المسلمين في الصين.

ومصهرا لثقافات الشباب المسلم هناك، لا يقل عن جهود الروس في الاتحاد السوفيتي إن لم يزد عليه.

ولهذا فإننا سننظر إلى جانب آخر من اختلاط العقيدة لدى بعض مسلمي الصين، فبسبب الضغط الشديد والحرب المستمرة على الإسلام هناك، لم يعرف كثير من المسلمين في الصين دينهم حق المعرفة، ومع أن المذهب الحنفي هو السائد والشائع هناك، وهذا يعني أن غالبيتهم من أهل السنة، إلا أن بصمات التأثير الشيوعي واضحة في ثقافتهم، وممارساتهم، كما يقول ذلك أحد الكتاب الذين زاروا الصين منذ سنوات (١) فهم كما يقول الكاتب : "لا يعرفون شيئاً عن المذهب الحنفي، ولا يدركون أن في ثقافتهم وممارستهم خطأ بين ما هو سني، وما هو شيعي، ولا بين ما هو عربي وفارسي". (٢)

كما أن هناك جانباً آخر من الخطأ في العقائد رآه الكاتب هناك، حيث يقول: "إذا كانت عبادة السلف وعظماء الرجال من أركان عقائد الصينيين القدامى، فإننا نجد في هذا السلوك تفسيراً لاهتمام المسلمين الملحوظ هناك سواء بالأضرحة، أو بإحياء ذكرى الميت في اليوم الثالث للوفاة، وبعد أسبوع، ثم بعد أسبوعين، وفي ذكرى الأربعين، وفي كل عام، ثم إحياء الذكرى على نطاق واسع في العام العاشر.

إن تعظيم الأموات على هذا النحو المبالغ فيه عند المسلمين هو في حقيقة الأمر شاهد على الصورة التي تشكل بها الإسلام في الصين". (٣)

أما في الغرب فإن الأقليات الإسلامية هناك تعيش غربة حقيقية عن الإسلام، وذلك لطبيعة المجتمعات الغربية وتركيبها الذي يستطيع أن يبنتع ويصهر أي

(١) انظر: فهمي هويدي، الإسلام في الصين، ص ١٨٧، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٤٠١هـ.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٤١.

أقلية لاتحافظ على عقيدتها محافظة جادة، وبكل الوسائل.

ففي بريطانيا تشكو الأقلية الإسلامية هناك من الضعف الكبير في المعرفة بالإسلام لدى كثير من الجيل الجديد، بل إنه تحدث حالات ردة عن الإسلام لدى الصغار الذين يهملهم آباؤهم ولا ينتبهون إلا عند فوات الأوان، ومعلوم أن المنصرين ينشطون كثيرا للعمل بين المسلمين هناك، بل إنهم قد كونوا جمعيات خاصة لهذا الغرض، وهم يستفيدون من المعتنقين الجدد للنصرانية من أبناء المسلمين. (١)

وعلى أية حال فإن أقل ما يحصل عليه المنصرون هو التشكيك، وبت الشبهات بين الديانات السماوية، مما يجعل بعضا منهم ينهج النهج الغربي في البعد عن الدين كله، وعدم إشغال ذهنه بمسائل العقيدة، والحياة حياة علمانية صرفة.

وفي فرنسا يوجد أعداد كبيرة من أبناء المغرب العربي، والجزائر على وجه الخصوص، ويعيش الجيل الثاني من هؤلاء حياة ممزقة، لأنه "أصبح ممزقا بين حضارتين مختلفتين، وثقافتين مختلفتين، ولغتين مختلفتين، فهو ثائر أو متمرد على أسرته في البيت، وهو في نفس الوقت منبوذ من المحيط الذي يعيش فيه مادام لم يندمج اندماجا كاملا، عقيدة، ولغة، وأخلاقا، وسلوكا، ومنهج حياة" (٢) ويتهدد هؤلاء ما لم نسرع بتدارك ما يمكن تداركه الأخطار التالية:

- الانحلال الأخلاقي.
- الانهيار الثقافي.
- الفرنسة الكاملة.
- الانسلاخ من حضيرة الإسلام.
- استغلال الجمعيات التنصيرية لهم. (٣)

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم، بحث عن أساليب التبشير النصراني بين

الأقليات المسلمة في بريطانيا، لعطاء الله صديقي، ٢٨٥/١-٢٠٣، مرجع سابق.

(٢،٣) الأقليات المسلمة في العالم ١٠٢٩/٣-١٠٣٠، بحث د. تركي رابح، مرجع سابق

وفي ألمانيا تعيش الأقلية المسلمة التركية مشكلات كثيرة لنفس الأسباب التي يعيشها إخوانهم في بريطانيا وفرنسا، وتصر بعض المدارس وخاصة التابعة منها للكنيسة على اصطحاب التلاميذ إلى الكنائس لأداء الطقوس النصرانية، وهذا الأمر خطير جداً، حيث يشبون على علم بأمور النصرانية، وجهل بدينهم.. (١)

وفي الولايات المتحدة يعيش المسلمون السود حياة مليئة بالجهل عن الإسلام مما جعل (وارث الدين محمد) ابن (اليجا محمد، أول زعيم للمسلمين السود) يجري تغييرات كثيرة في هذه الجماعة، ابتداءً من الاسم، حيث صار اسمها (البلالين)، ثم أعلن في المؤتمر الذي عقده رابطة العالم الإسلامي في مدينة نيويورك أنه وأتباعه يشهدون منذ الآن أنهم مسلمون سنيون، يطبقون القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وطالب أتباعه بالصلاة والصيام والحج، وهي الأركان التي لم يطالب بها والده أتباعه من قبل. (٢)

أما الجاليات الأخرى من المسلمين الذين يعملون هناك، أو استوطنوا منذ زمن فانهم يواجهون مشكلات كثيرة في ميدان تعليم وتربية أبنائهم على الإسلام، وتساهم الجهود الذاتية القليلة بطل جزء منها، ولكن المشكلة باقية.

أما في الهند فإن المسلمين هناك لم يفقدوا هيبتهم السياسية فحسب، بل تعين عليهم مقاومة الضغط الثقافي للأكثرية، إذ بذلت محاولات ملحة ومقصودة لفرض ثقافة الغالبية على الأقلية المسلمين، وازداد هذا الجهد عنفاً في السنوات الأخيرة، وقد تم ذلك على أية حال باسم القومية الهندية، والعلمانية الهندية، والثقافة الهندية". (٣)

ولقد عمل احتكاك المسلمين الطويل في الهند بالمجتمع الهندوسي، والحكم

(١) انظر: الأقليات المسلمة في العالم ١٠٥٠/٣، بحث الدكتور رجاء حسين أبو

السمن، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق ٩٥،٩٤/١، بحث د. كمال كامل عبد الحميد.

(٣) المرجع السابق، ٦٣٤/٢، بحث راشد شان.

الاستعماري على تغيير البناء الفكري والثقافي للمسلمين، "إذ غزت المجتمع الإسلامي قيم ثقافية معينة غريبة عن الإسلام... وهم يتعلقون بدينهم تعلقا لا يختلف كثيرا عن التعلق بالخرافات الشعبية، والقيم والمعتقدات، والمشاعر، والتعصب، التي جاءتهم عن طريق غير طريق الإسلام، والتي تقف في وجه أية محاولة للتغيير الاجتماعي.

وينقسم المسلمون إلى مجموعات متنازعة لا يعدها حصر، وبالذات الوطنيون العلمانيون، وعامة المسلمين التقليديين.

والمجموعة الأولى: إما أن ترفض الإسلام أو تطالب بالتغيير في أحكامه الأساسية، بينما تستمر المجموعة الثانية في التمسك بتقاليدها وعاداتها، ومعتقداتها الخرافية...

ولقد كانت التغييرات الاجتماعية البنيوية التي مرت بها المجتمعات الإسلامية نتيجة التشعب بقيم وأفكار وعادات وتقاليد أجنبية عاملا هاما ساهم في مأساتهم الحالية". (١)

كما أن هناك محاولات صريحة لإجبار المسلمين على قبول الهندوكية (٢)، وتزداد المشكلة ويتبين حجمها إذا عرفنا المستوى السيء لمسلمي الهند من الناحية الاقتصادية والتعليمية، فهل يصمدون، أم سيوجد (سيخ) من نوع جديد؟

أما في إفريقيا فإنه بالإضافة إلى الشبهات والشكوك التي يثيرها المنصرون هناك فإن هناك مشكلة أخرى هي: "بقاء واستمرار بعض العقائد والشعائر التقليدية، والجاهلية في أوساط المسلمين، وبخامة ممن أسلموا حديثا، ولكن استمر إيمانهم ببعض المقدسات القديمة يشوب حياتهم الإسلامية". (٣)

(١) الأقليات المسلمة في العالم ٦٥٠/٢، بحث مشهود أحمد. مرجع سابق .

(٢) انظر: د. محمد حبيب الله مختار (مغرب) المسلمون في الهند يجبرون على قبول الهندوكية، نشرة من إصدار الوقف الصديقي، باكستان، ١٤٠٥هـ.

(٣) محمد جلال عباس، المد الإسلامي في إفريقيا، ص ١٤٠، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ١٣٩٨هـ.

إن حماية العقيدة في نفوس المسلمين أمر لازم وهام، وبسبب الضعف في إجراءات الحماية دخل الانحراف إليها قديما وحديثا، وعلى أية حال، فإن الحماية المطلوبة في هذا الزمن بشكل أكبر، وذلك لوجود التقارب بين البشر، بشكل أكبر مما مضى - كما بينا سابقا - ومعلوم أن من مقاصد الإسلام وتوجيهاته حماية جناب التوحيد، وسد طرق الشرك، وهو أمر لابد أن يتذكره الدعاة الذين يعملون في مواجهة الانحراف العقدي.

الباب الثالث

وسائل الدعوة في مواجهة الإنحراق العقدي

الفصل الأول : الوسائل المباشرة .

الفصل الثاني : الوسائل غير المباشرة .

الفصل الثالث : نماذج من جهود بعضه الريئاسات العاملة

في الدعوة والتعليم الإسلامي .

تمهيد :

لقد تم اختيار الوسائل المذكورة في البحث لكونها أكثر ارتباطا بحياة الناس، كما أنها جمعت بين الوسائل التي جاء بها الإسلام، وصارت جزءا من نظامه، كالخطابة، والتعليم، والجهاد، وبين الوسائل التي اهتدى إليها الإنسان في العصر الحديث، كالصحافة والإذاعة والتلفاز، وذلك لأن هذه الوسائل الحديثة صار لها من التأثير ما ليس لغيرها، ولها من الانتشار وسعة مساحة التلقي ما لا يكون لغيرها، والمسلم مطالب بإبلاغ هذا الدين، وإيصال العقيدة الصحيحة بكل الوسائل المشروعة.

ومع ذلك فإن نجاح الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي لا يقتصر على استخدام هذه الوسائل أو غيرها فقط، بل إن سلامة المنهج، والتخطيط الصحيح، وعامل مهم جدا، كما أن الأساليب الصحيحة في عرض العقيدة لها دور كبير في نجاح الدعوة في هذه المواجهة.

إن الارتباط بالقرآن الكريم والسنة النبوية، والاسترشاد بهديهما كفيل بأن يجعل الداعية إلى تصحيح العقيدة على خير منهج، وأحسن أسلوب، سيما وأن القرآن الكريم يأمرنا مراعاة أن نتبع الأسلوب الحسن في دعوتنا، يقول الله جل وعلا: (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن). (١)

كما أن لفطنة الداعية وذكائه دورا فعّالا في هذه المواجهة، فما يصلح لبلد قد لا يصلح لبلد آخر، وما يحسن أن يقال هنا غير ما يقال هناك، وما يؤثر هنا خلاف ما يؤثر هناك.

وهناك قضايا يمكن أن تكون مدخلا للداعية في مواجهة الانحراف العقدي.

وعلى سبيل المثال فإن أهل السنة كلهم يجلون الأئمة الأربعة، مالك، وأبا حنيفة، والشافعي، وأحمد، ويأخذ أكثرهم الأحكام الفقهية عنهم، أو عن واحد منهم، لكنك تعجب إذا عرفت أن بعضا منهم يأخذون الفقه عن هؤلاء الأئمة، ولا

(١) سورة النحل ١٢٥ .

يأخذون العقيدة (١)، مع أنهم - رحمهم الله - ألفوا في العقيدة وبينوها، بل ضحوا كثيرا من أجلها، كما حصل للإمام أحمد رحمه الله، ومع ذلك تجد من يقول عن نفسه: فلان بن فلان، الشافعي مذهباً، الأشعري عقيدة!

وهنا يأتي دور الداعية الفطن، حيث يستطيع أن يربط المسلمين بعقيدة المذهب الذي يسود في هذه البلد أو تلك.

ومعلوم أن الأئمة الأربعة - رحمهم الله - لم يختلفوا في مباحث العقيدة، وخاصة في أبواب التوحيد، وإخلاص العمل لله، والبعد عن الشرك والبدع، وهي أكثر ما يسود المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

وقد عمد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - في بعض رسائله إلى الاستشهاد بأقوال الأئمة الأربعة في مسائل العقيدة، ليقيم الحجة كاملة على مخالفه، كما في رسالته إلى عبد الله بن سحيم، إمام أهل الجمعة (٢).

وأشار في رسالة أخرى إلى عبد الرحمن بن عبد الله السويدي - عالم من أهل العراق - إلى استعداده لمخاصمة الحنفي بكلام المتأخرين من الحنفية، وكذلك المالكي، والشافعي، والحنبلي، عند مسألة الدعوة عند القبور والنذر لها. (٣)

كل ذلك للدلالة على أن دعوة التوحيد التي قام بها ليست من عنده، بل هي ما جاء في القرآن والسنة، وما عليه سلف الأمة وأئمتها رضوان الله عليهم.

ولهذا فإن جمع أقوال الأئمة الأربعة وغيرهم في مسائل العقيدة أمر في غاية الأهمية، وقد قام الدكتور يوسف محمد صديق بتأليف كتيب صغير سماه (دقائق العقيدة عند الأئمة الأربعة) (٤) فما أجدر هذه الخطوة بالتشجيع، لأنها بإذن الله ستكون سندا للدعوة في مواجهة الانحراف العقدي.

(١) د. جعفر شيخ إدريس في لقاء خاص بكلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام.

(٢) انظر: الرسائل الشخصية ص ٦٢-٧٤ مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق، ص ٣٨.

(٤) د. يوسف محمد صديق، دقائق العقيدة عن الأئمة الأربعة، مكتبة ابن تيمية،

الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

الفصل الأول : الوسائل المباشرة .

المبحث الأول : الاتصال الشخصي .

المبحث الثاني : الخطابة .

المبحث الثالث : الحوار والمناظرة والجدال بالحسنى .

المبحث الرابع : التعليم .

المبحث الخامس : الجهاد .

المبحث الأول : الاتصال الشخصي .

الاتصال الشخصي نوع من أنواع الاتصال بين البشر، وهو يعني العلاقة التي تحدث بين شخصين أو أكثر بدون وسائط، بل مباشرة، ولذا فإن كل إنسان يملك هذا النوع من الاتصال .

وإذا قصد الداعية المسلم باتصالاته الشخصية الدعوة إلى دين الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أمكن أن نسمي هذا الاتصال الشخصي بـ (الدعوة الفردية)، أي التي تكون من شخص واحد، ويكون الخطاب أو القصد فيها موجهاً إلى شخص واحد أيضاً، أو إلى فئة قليلة من الناس، لكنها ليست اجتماعاً بالمعنى المفهوم للاجتماع. (١)

وهذا النوع من الاتصال من أقدم أنواع الاتصال بين البشر، وهو كذلك من أقدر وسائل الدعوة على إحداث التأثير (٢)، وتغيير الأفكار والاتجاهات.

وترجع أهمية الاتصال الشخصي في مجال الدعوة إلى عوامل كثيرة من أهمها:

١ - القدرة على انتقاء المتحدث معه (٣)، والتركيز عليه، ومتابعة قبوله لما يريد الداعية منه .

٢ - يتم بصورة عفوية خالية من التعقيد، مما يتيح مجالاً للمناقشة، والمصارحة التامة، وهذا يؤدي إلى مزيد من الاقناع. (٤)

(١) انظر: عبد البديع صقر، كيف ندعو الناس، ص٢٢، الاتحاد الإسلامي العالمي

للمنظمات الطلابية، الكويت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

(٢) انظر: د. محيي الدين عبد الطيم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية،

ص١٦٤، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ص١١٩،

دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٤) المرجع السابق.

٣ - على الرغم من أهمية الاتصال الشخصي والدعوة الفردية في جميع مراحل الدعوة، إلا أنه في الظروف المعيبة التي يتعذر فيها الوصول إلى الجماهير يصبح أكثر أهمية وفائدة، لأنه حينئذ هو الوسيلة الوحيدة لتبليغ دين الله. (١)

٤ - إن الداعية المسلم الذي يريد مواجهة الانحراف العقدي سيتاح له ذلك عن طريق الاتصال الشخصي، وسيفيد بشكل جيد، لأن وسائل الاتصال الجماهيرية كالإذاعة والتلفاز تركز بشكل أكبر على الأخبار والمعلومات (٢)، دون الرغبة في مواجهة ماعليه الناس من عقائد.

ومن ناحية أخرى فإن مجال العقائد يتطلب مواجهة مباشرة بين الداعي والمدعو، حتى لا يتجاهل المدعو مايقوله الداعي، وهو ما يحدث في الوسائل الاتصالية الأخرى عندما لا يكون الحديث مرغوبا فيه من قبل المدعو.

٥ - الاتصال الشخصي يسمح بتبادل الأفكار من ناحيتين، كما أن المتلقي قد يحظى بمعلومات إضافية، أو يتمحيم لهذه المعلومات. (٣)

٦ - إن السلوك الحسن والخلق الفاضل، والتطبيق العملي الصحيح لمقتضيات العقيدة الإسلامية تشكل اتصالا شخصيا، ودعوة غير مباشرة إلى من نرتبط معهم بعلاقات مباشرة، كالأسرة والأصدقاء، والجيران، وغيرهم، وهذا يعني أن الاتصال الشخصي ليس هو القول فقط، بل السلوك والفعل كذلك.

(١) انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ص١١٩، مرجع سابق.

- وعبد البديع مقر، كيف ندعو الناس، ص٢٤، مرجع سابق.

(٢) انظر: د. محيي الدين عبد الطيم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، ص١٦٥، مرجع سابق.

(٣) انظر: افريت روجرز، الأفكار المستحدثة وكيف تنشر، ص١٣٤، ترجمة سامي ناشد، الناشر عالم الكتب، القاهرة.

٧ - إن الظروف المحيطة بجو الاتصال الشخصي تعين الداعية على اختيار الزمان المناسب، والموضوع المناسب للشخص المدعو..

فمثلا عند حدوث المرض يؤكد الداعية على المريض أن القلوب يجب أن تتعلق بالله الذي يملك الشفاء، وترك أي علاقة أخرى بالأولياء أو المقبورين الذين لا يملكون لأنفسهم حولا ولا قوة، فضلا عن شفاء غيرهم.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الاتصال الشخصي يمكن أن يكون مباشرا موجهها بين الأطراف، أو بوسائط خاصة بين طرف وآخر، أو آخرين، ومثاله الرسائل الخاصة، التي يرسلها الدعاة لإصلاح العقيدة إلى أشخاص بعينهم، أو أهل بلد محدد، لكن الأول المواجه أكثر أثرا ونجاحا، للمزايا السابقة.

وقد مارس رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - هذا النوع من الاتصال في مراحل دعوتهم المختلفة.

فهذا إبراهيم - عليه السلام - يلاطف أباه ويناصحه، كما قال تعالى: (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا. إذ قال لأبيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا - إلى قوله - إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا). (١)

وهذا يوسف - عليه السلام - يخاطب المسجونين معه، ويدعوهم إلى الله الواحد القهار، كما قال تعالى: (ياصحبى السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار. ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وأبآؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون). (٢)

وهذا موسى - عليه السلام - يخاطب فرعون بالقول اللين مباشرة، كما أمره ربه في قوله تعالى: (اذهبا إلى فرعون إنه طغى. فقولا له قولا لينا لعله يتذكر

(١) سورة مريم ٤١-٤٥ .

(٢) سورة يوسف ٣٩، ٤٠ .

أو يخشى) (١) ويقف أمام فرعون ليبلغ رسالة ربه، كما قال تعالى: (... إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بعناية من ربك والسلام على من اتبع الهدى. إنا قد أوحى اليك أن العذاب على من كذب وتولى). (٢)

وهكذا فعل رسل الله في إبلاغ دين الله، بذلوا جهدهم، وأدوا ما أمرهم الله به، حتى جاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فكان من أولى خطوات دعوته الاتصال الشخصي، لم ينتظر حتى يجتمع الناس له، بل سعى إليهم يكلمهم فردا فردا، وبدأ بزوجه خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فكانت أول من آمن به، ثم علي بن أبي طالب، وكان صغيرا في حجره، وأبو بكر الصديق صديقه والمقرب منه، ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنهم أجمعين، ثم سعى كل منهم لدعوة الآخرين باتصالاتهم الشخصية، فأمن على يدي أبي بكر عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم. (٣)

وبهذه الوسيلة انتشر الإسلام في أرجاء مكة، حيث يقوم كل مسلم بالدعوة إلى دين الله، حتى صار المسلمون قوة كبيرة تهاجم أعداؤهم.

وبما أن دعوة الإسلام دعوة عالمية ليست لشعب دون آخر، كما قال تعالى: (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) (٤) فقد كتب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الكتب، وأرسل الرسل للملوك والرؤساء حتى يبلغهم دين الله، وهذه الرسائل الشخصية كانت حجة عليهم.

وقد قام رسل رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، ورضي عنهم، بمواجهة هؤلاء الرؤساء، وبيان ما يحتاجون إليه من البيان حول الدعوة الجديدة.

وكان صلى الله عليه وسلم يتجه مباشرة إلى مكان اجتماع الناس، فيحادثهم

(١) سورة طه ٤٣، ٤٤ .

(٢) سورة طه ٤٧، ٤٨ .

(٣) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١/٢٥٧، ٢٦٧ تحقيق مصطفى السقا وزملائه، مرجع سابق.

(٤) سورة الأنبياء ١٠٧ .

ويدعوهم إلى هذا الدين، قال ابن سعد في الطبقات: "كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوافي الموسم كل عام، يتبع الحاج في منازلهم في المواسم بعكاظ، ومجنة، وذئ مجاز، يدعوهم إلى أن يمنعوه حتى يبلغ رسالات ربه، ولهم الجنة، وكان أبو لهب دائما يتعقبه ويقول: لاتطيعوه، فإنه صابئ كاذب، فيردون على رسول الله أقبح الرد ويؤذونه". (١)

وهكذا كانت الدعوة الإسلامية تعتمد على الاتصال الشخصي كوسيلة ناجحة ومهمة لما لها من الآثار والنتائج التي تفوق غيرها من الوسائل، وما انتشر الإسلام على أيدي الأحاد من الدعاة الصادقين في أفريقيا، أو الأحاد من التجار المسلمين في آسيا إلا شواهد على ذلك. (٢)

بيد أن هذه الوسيلة تقوى وتكون أكثر فاعلية إذا التزم المستخدم لها ثلاثة أمور :

أولها : القدوة الحسنة .

وثانيها : العمل ضمن جماعة .

وثالثها : التخطيط الجيد .

-- فالقدوة الحسنة أساس هام لمن يريد تغيير ما عليه الناس، وذلك أن من طبائع البشر تقدير الفعل المشاهد أمامهم أكثر من القول، وقد تثمر القدوة الحسنة مالا يثمر القول البليغ والكلام الرفيع.

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى (١/٢١٦) - بتصرف - دار صادر، ودار بيروت، بيروت، ١٣٨٠هـ.

(٢) انظر: د. السيد رزق الطويل، الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج، مبحث استمرار الجهود الشخصية في نشر الدعوة، ص ٢٤٠-٢٤٧، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، سلسلة دعوة الحق، ذو القعدة ١٤٠٤هـ.

- وانظر: د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفهية، ص ٧٦، ٧٧، مكتبة الإنطو المصرية، القاهرة، ١٩٨٠م.

ولكي تكون القدوة حسنة في شخص الداعي الذي يواجه الانحراف العقدي، لا بد أن تكون سيرته حسنة؛ وهي ترجع إلى أصليين كبيرين هما: حسن الخلق، وموافقة العمل القول. (١)

- أما الخلق الحسن فإن هناك أخلاقا كثيرة يقدرها البشر على اختلافهم، ويرونها فضائل ينبغي التزامها، كالصدق، والطم، والصبر، والأمانة، وغير ذلك. وقد أكد القرآن الكريم والسنة النبوية على هذه الأخلاق، بل وجعل لها بعدا أعلى من كونها فضائل يقدرها الناس إلى كونها عبادات يؤجر فاعلها ويثاب، بل إن الدين كله إنما جاء متمما مكارم الأخلاق ومؤكدا لها، وناهيا عن سيئها، ومحرمها لها.

ونذكر شيئا من الأخلاق التي حث عليها القرآن الكريم :

قال تعالى: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين). (٢)

وقال تعالى: (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل). (٣)

وقال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: (يأئبها المدثر. قم فأنذر. وربك فكبر. وثيابك فطهر. والرجز فاهجر. ولا تمنن تستكثر. ولربك فاصبر). (٤)

وقال تعالى: (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك). (٥)

- أما الأصل الثاني، وهو موافقة العمل للقول، فإن الآيات الآمرة بذلك كثيرة، قال تعالى عن شعيب - عليه السلام - وهو يجادل قومه: (وما أريد أن

(١) انظر : د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص٦٨، دار عمر بن الخطاب للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط ٢ .

(٢) سورة الاعراف ١٩٩ .

(٣) سورة الاحقاف ٢٥ .

(٤) سورة المدثر ١-٧ .

(٥) سورة آل عمران ١٥٩ .

أخالفكم الى ما أنهنكم عنه). (١)

وحذر الله سبحانه عن مخالفة أفعالنا لأقوالنا، فقال سبحانه: (يأيها الذين ءامنوا لم تقولون مالا تفعلون. كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون). (٢)

وهذا الأمر هام للدعاة عامة، ولمن يقوم بالدعوة باتصاله الشخصي خاصة.

-- أما العمل ضمن جماعة، فاننا أردنا أن نؤكد بهذا أحد مقاصد الإسلام الرئيسية، وهو لزوم الجماعة، والتعاون مع المؤمنين على البر والتقوى.

ولا يعني هذا أن لا يدعو الداعية بصفة انفرادية إلا ضمن جماعة محددة، - وإن كان هو الأحسن والأولى لحصول المصالح الكثيرة من الحماية والنصرة والتأييد - بل إنه ينبغي على الأقل أن يتشاور الداعية مع إخوانه، ويطلب منهم النصيحة في أمر دعوته الفردية واتصالاته الشخصية، وهو أمر يتفق تماما مع مقتضيات الإسلام ومقاصده الرئيسية، قال تعالى: (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) (٣) وقال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدون). (٤)

كما أن من المهم جدا أن لا يقصد الداعية بدعوته الفردية شق عما الجماعة المسلمة، أو الرغبة في الأتباع والزعامة، بل بقصد التكامل مع غيره، ويرحب بكل من يعينه.

-- أما التخطيط الجيد فله عناصر كثيرة، من أهمها تحديد الأهداف، وتشخيص المشكلة، والتي تمثل هنا (الانحراف العقدي)، ولهذا فإن الداعية باتصالاته الشخصية المقصود بها الدعوة إلى دين الله وتصحيح العقيدة في نفوس الناس،

(١) سورة هود ٨٨ .

(٢) سورة الصف ٢، ٣ .

(٣) سورة التوبة ٧١ .

(٤) سورة المائدة ٢ .

إذا كان يسير على بينة من أمره بخطوات ثابتة مدروسة، فإنه باذن الله سيلقي النجاح في دعوته، وستؤتي ثمارها، ولو بعد حين.

ومن التخطيط الجيد في الدعوة عبر الاتصال الشخصي اختيار الأشخاص المؤثرين كرؤساء الطرق الصوفية، أو دعاة المذاهب المنحرفة ورؤسائها، والتركيز عليهم، فإنه بصلاحهم يصلح خلق كثير، وشواهد ذلك في السنة والسيره كثيرة. (١)

وهذا لا يعني أن يقف المرء دعوته على هؤلاء، بل يحرم على الجميع، متذكرا قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: [لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم]. (٢)

ومتذكرا عتاب الله سبحانه لنبيه الكريم في أول سورة عبس، عندما أعرض عن ابن أم مكتوم الأعمى، بسبب حرصه على كبراء قريش.

ومن التخطيط الجيد في هذا المقام مراعاة حال المدعو، والطريقة التي يتبعها معه، فإن من الناس من تكفيه الإشارة، ومنهم من يحتاج إلى القول الصريح المباشر، ومنهم من تؤثر فيه الهدية، ومنهم من يحتاج إلى الزجر والتعنيف، ومنهم من تجب معه المقاطعة والهجر بعد البيان والبلاغ الحسن.

وهكذا نجد أن الاتصال الشخصي أحد وسائل الدعوة، بل من أهم وسائلها، خاصة في مواجهة الانحراف العقدي ومعالجته، وباستطاعة كل منا القيام به، بل إنه في

(١) من ذلك ما فعله مصعب بن عمير مع سعد بن معاذ، الذي حلف على قومه أن يسلموا أو يعترفوا، فأسلموا جميعا. انظر: ابن هشام، السيرة النبوية ٢٨٨/٢-٨٠، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب علي بن أبي طالب ٢٠٧/٤، مرجع سابق.

- ورواه مسلم، بدون لفظ [أن يكون لك]، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ١٨٧٢/٤ مرجع سابق.

بعض الحالات يتعين القيام به على شخص معين، ويصبح فرض عين عليه، وذلك عندما يكون صاحب الانحراف تحت سلطته أو رعايته ومسئوليته.

ولو قام كل مسلم بمفاته الشخصية ببذل جهد نحو مواجهة الانحراف العقدي المنتشر في المجتمعات الإسلامية المعاصرة لحصل خير كثير، لأن الخير ما زال يعمر كثيرا من قلوب المسلمين، إنما هم فقط بحاجة إلى التوجيه والبيان، وتوضيح الانحرافات التي يقع فيها بعضهم، وهم غير عالمين بحرمتها، وخطورتها على العقيدة والدين.

ومما يؤسف له تقصير كثير من العلماء في بعض البلاد الإسلامية في مواجهة تلك الانحرافات السائدة في مجتمعاتهم، على الرغم من معرفتهم لها، حيث يفتح بعضهم بحجج واهية، وأعدار ضعيفة؛ كانتشار الانحراف، وغلبة أهله، وعدم الرغبة في الاختلاف مع الناس.

ولو عمل هؤلاء العلماء وطلاب العلم على مواجهة تلك الانحرافات لأعانهم الله وسدد خطاهم، كما حصل للمادقين من الدعاة قديما وحديثا، ولو لم يحصل لهم إلا أن يبعذروهم الله، لأنهم قاموا بما أوجب عليه، ثم النجاة من عذاب الله في الدنيا والآخرة، قال تعالى: (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم أو معذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة إلى ربكم ولعلمهم يتقون. فلما نسوا ماذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بغيض بما كانوا يفسقون). (١)

وإذا كانت هناك عقبات أو موانع من مواجهة هذا الانحراف وأهله، فإن الاتصال الشخصي خير وسيلة يقوم بها العالم والداعية في مثل هذه الظروف، فلا عذر لأحد عن مواجهة الانحراف العقدي، وترداد المسؤولية وينتفي العذر على العلماء خاصة، فنسأل الله أن يهدي الجميع إلى العمل الصادق الخالص لاصلاح مافسد من عقائد المسلمين.

(١) سورة الأعراف ١٦٤، ١٦٥ .

المبحث الثاني : الخطابة

الخطابة : فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالتد .
فلا بد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا .
ولا بد من جمهور يستمع، وإلا كان الكلام حديثا أو وصية .
ولا بد من الإقناع، وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيده
بالبراهين، ليعتقدوه كما اعتقده .

ثم لابد من الاستمالة، والمراد بها أن يهيج الخطيب نفوس سامعيه أو
يهدئها، ويقبض زمام عواطفهم يتصرف بها كيف شاء، سارا أو محزنا، مضحكا أو
مبكيا، داعيا إلى الثورة أو إلى السكينة. (١)

والخطابة قديمة قدم الإنسان، إلا أن ازدهارها - حسب ما وصل إلينا - كان
أولا في بلاد اليونان، "فعندما شاعت الحرية السياسية في بلاد اليونان، وأبيح
لكل فرد أن يعلن رأيه ويدافع عنه، وأن يقترح على الحكومة ما يشاء نشطت
الخطابة، وشعر الأفراد بحاجتهم إليها، ونشأ بينهم معلمون يعلمون الخطابة
والجدل، ويديرون على حسن الحديث، ومحاولة كسب الجولة في تأييد رأيه". (٢)

بيد أن الخطابة في تلك الفترة كانت مرتبطة بالجدل (٣) الذي يقصد منه
غلبة الخصم، حتى لو كانت المقدمات مظلة للجمهور، وعلى كل حال فقد كان من
آثارهم أنهم شجعوا الخطابة، وأشاعوها، وجعلوها فنا مستقلا له قواعده

(١) د. أحمد محمد الحوفي، فن الخطابة، ص٥، دار نهضة مصر للطبع والنشر،
القاهرة، ط٤.

- وانظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص١٥-١٧، دار
القلم، الكويت، ط٢، ١٤٠٢هـ.

(٢) المرجع السابق ص١٧٣، ١٧٤ .

(٣) انظر: أرسطو، كتاب الخطابة، ص٩٠، ترجمة وتحقيق د. إبراهيم سلامة، مكتبة
الإنجلو المصرية، القاهرة، ط١، ١٣٦٩هـ.

وأصوله. (١)

وإن كان السوفسطائيون - في العهد اليوناني - أول من اتجه إلى استنباط قواعد علم الخطابة لتعليمها الشبان في أثينا، فإن أرسطو جاء بعد هؤلاء فجمع قواعده، وضم شوارده في كتاب أسماه (الخطابة) فصار أصلاً لذلك العلم، ومرجعاً يرجع إليه الخطباء والمؤلفون. (٢)

ثم جاء العهد الروماني، فكانت الخطابة فيه أقل شأنًا، بسبب شدة الحكام وجورهم على مخالفيهم، ومع ذلك ظهر بعض الخطباء عند الشدائد والأزمات. (٣) أما عند العرب فقد كان للخطابة شأن عظيم في أسواقهم ومنتدياتهم ومحافلهم ومراثيهم وحروبهم وإصلاح ذات بينهم.

ويرى بعض الباحثين أن ازدهار الخطابة عند العرب في الجاهلية يعود إلى الطبيعة الشفهية للأدب الجاهلي، إذ الكتابة قليلة، والتعبير بالنتثر المسموع أيسر وأولى. (٤)

ونجد أن الجاحظ يوازن بين الشاعر والخطيب عند العرب في تلك الفترة ذاكراً أن الشاعر كان أرفع قدراً عندهم من الخطيب، وهم إليه أحوج، لرده مآثرهم عليهم، وتذكيرهم بأيامهم، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر وابتدل وتكسب به، صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر. (٥)

(١) انظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص١٧٤، مرجع سابق.

(٢) انظر محمد أبو زهرة، الخطابة، ص١٤، ١٣، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٠م.

(٣) انظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص١٩٢، مرجع سابق.

(٤) انظر: إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص٣٢، دار الثقافة، بيروت.

(٥) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ١/٢٤١، تحقيق

عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ٤، ١٣٩٥هـ.

ومن أشهر خطباء العرب الجاهليين قس بن ساعدة الإيادي، خطيب عكاظ، والذي كان يدين بالتوحيد، ويؤمن بالبعث، ويدعو إلى ترك عبادة الأصنام.

ولما جاء الإسلام وأنار النفوس بنوره، ازدانت الخطابة، وارتفع شأنها أكثر من ذي قبل، وذلك أن الإسلام أثر فيها مضمونا وأسلوبا ومقصدا وارتباطا بالدين.

أما المضمون فإن معاني القرآن الكريم وألفاظه الجزلة صارت جزءا هاما في أي خطبة، كما أن لغة القرآن الكريم الخالية من الخشونة والجفاف، أو التعقيد والتشويه، أصبحت مؤثرة جدا في كل خطب المسلمين.

وكذلك الحديث النبوي، وهو الذي يلي القرآن منزلة، وقد اجتمعت فصاحة اللفظ وجودة المعنى وحسن الأداء، ففيه جوامع الكلم، مما كان له أثر كبير بعد القرآن الكريم في الخطابة عند المسلمين. (١)

أما الاقتباس من القرآن الكريم والحديث النبوي فأمر معروف، حيث يكون القرآن والحديث في مضمون الخطبة دليلا وشاهدا وعنصر استمالة وجذب للسامعين.

وأما الأسلوب فإن الخطباء أخذوا ينفجون نهج القرآن الكريم في الاستدلال، إذ وجدوا فيه أبلغ طريق للإقناع الخطابي، واجتمع في أدلة القرآن ما لا يجتمع في سواها. (٢)

كما سمي السلف الخطبة التي لم تبدأ بالحمد والتحميد (البتراء)، وسموا الخطبة التي لم توشح بالقرآن، ولم تزين بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم (الشوهاة). (٣)

أما المقصد فقد امتازت الخطبة في العهد الإسلامي بنبل المقصد، وسمو الغرض، والنزاهة عن الأغراض الشخصية، فهي قائمة للدعوة إلى دين الله،

(١) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة، ص ٢٦٠-٢٣، مرجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق ص ٢٦١.

(٣) انظر: الجاحظ، البيان والتبيين، ٦/٢، مرجع سابق.

واتباع مبادئه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتوحيد الله سبحانه بالعبادة(١) بينما كانت الخطابة في الجاهلية يقصد بها أحيانا الفخر بالأنساب، وإشعال نار الحرب للانتصار للقبيلة حتى لو كانت ظالمة، وغير ذلك من مآثر الجاهلية.

أما ارتباط الخطابة بالدين، فإنها صارت جزءا من الشعائر التعبدية، حيث ارتبطت بأركان الإسلام كالصلاة والحج، أو غيرها من العبادات كالعيدين والاستسقاء والكسوف، والخسوف.

ونجد أن جمهور الخطبة له علاقة بمفهوم الجماعة والحث عليها وتنميتها على أساس الأخوة في الإسلام، ذلك أن صلاة الجمعة وفيها الخطبة تجمع أهل الحي الواحد، أو عدد من الأحياء في مكان واحد.

أما صلاة العيدين والاستسقاء وفيها الخطبة فتجمع عددا أكبر من المسلمين - قد يكونون أهل مدينة بأكملها - في صعيد واحد.

وبصورة أعظم نجد أن خطبة يوم عرفة تجمع من كل أبناء المسلمين أعدادا هائلة في مكان واحد، في اجتماع ليس له نظير في أي مذهب أو دين آخر.

ومن ناحية أخرى فإن الجمهور هنا يأتي للاستماع إلى الخطيب بحب وشوق، راجيا مرضاة الله، مجتنبيا ما نهى عنه الرسول - صلى الله عليه وسلم - من كل شيء يشغل عن الاستماع والفهم، سواء كان بالكلام أو غيره.

قال صلى الله عليه وسلم : [إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت - والإمام يخطب - فقد لغوت].(٢)

(١) انظر د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص ٢١٢، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري ومسلم، البخاري، صحيح البخاري، كتاب الجمعة، باب الإنصات يوم الجمعة والإمام يخطب (١/٢٢٣) مرجع سابق.

- ومسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب في الإنصات يوم الجمعة في الخطبة ٥٨٢/٢ مرجع سابق.

وقد كان أول شيء فعله رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد أمره بالجهر بالدعوة هو جمعه أهله وعشيرته، ثم قام خطيباً فيهم قائلاً: [الحمد لله أحمده وأستعينه، وأؤمن به وأتوكل عليه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، - ثم قال: - إن الرائد لا يكذب أهله، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم، ولو غررت الناس ما غررتكم، والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله اليكم خاصة، وإلى الناس كافة، والله لتموتن كما تنامون، ولتبعثن كما تستيقظون، ولتحاسبن بما تعملون، ولتجزون بالإحسان إحساناً، وبالسوء سوءاً، وإنها للجنة أبداً أو النار أبداً، وإنكم لأول من أنذر، ومثلي ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأً أهله، فخشي أن يسبقوه فجعل يهتف يا صباحاه]. (١)

وصارت الخطابة جزءاً من حياة الأمة ودينها، عن طريقها توضح الأفكار، ويؤمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدعى للجهاد في سبيل الله، حتى لا يخطو مجتمع مسلم من هذه الوسيلة العظيمة في أي زمان أو مكان، حتى يومنا هذا، مما يجعلنا نعلق آمالاً كبيرة على إمكانية استغلالها في مواجهة الانحراف العقدي الذي تعانيه كثير من مجتمعاتنا الإسلامية المعاصرة.

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أنواع الخطابة، ومقومات نجاحها، وذلك أن الخطابة إذا كانت فطرة عند البعض وجبلة، فإنها عند آخرين مكتسبة، لابد من دراستها، وتعلمها والدربة عليها.

هناك أنواع كثيرة للخطابة، ويعتبر أرسطو هو أول من عني بتقسيم الخطابة إلى أنواع، حيث جعل ذلك في الفصل الثالث من كتاب الخطابة (٢)، وهي عنده ثلاثة

(١) انظره لدى الشامي، محمد بن يوسف المالحي الشامي، (ت ٩٤٢هـ) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، ٤٣٢/٢، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي القاهرة، ١٣٩٤هـ.

- وانظره في بقية كتب السيرة.

(٢) انظر : من ١١٢، ١١٣، مرجع سابق.

أنواع : الاستشارية، للنصح والإرشاد والتحذير.

والقضائية، للاتهام والدفاع.

والاستدلالية، للمدح والذم.

أما الخطابة في هذا العصر، فإن بعض الباحثين يرى أنها على أربعة

أنواع، هي: السياسية، والقضائية، والدينية، والمحافل. (١)

بينما يرى الدكتور عبد الجليل شلبي أن الخطابة خمسة أنواع: السياسية،

والدينية، والقضائية، والاجتماعية، وخطب التكريم. (٢)

وهذه التقسيمات هي باعتبار موضوعات الخطب، وعلى أية حال فإن هناك

تداخلا، إذ يمكن إدخال خطب التكريم في الخطابة الاجتماعية، كما يمكن أن نسمي

خطب المحافل خطابة اجتماعية، ولكل باحث طريقته في التقسيم.

بيد أن الجدير بالملاحظة والبيان هو الخطأ الذي يقع فيه كثير من

الباحثين في هذا العلم، هذا الخطأ هو في فكرة تقسيم أنواع الخطابة، من خلال

فصل ما سمي بالخطابة الدينية عن غيرها، وهذا الفصل غير وارد لمن فهم الإسلام

بشموله الذي لم يترك شأنا من شؤون الحياة إلا ونظمه، ولهذا لم تحسن هذه

التسمية، ونحن نظن بالمسلمين الذين يرون هذه الأقسام أن قصدهم هو خطب

العبادات والوعظ، لا أن الأنواع الأخرى من الخطابة كالسياسية والقضائية

والاجتماعية لا تدخل للدين بها، ولهذا كان من الأولى أن نسميها خطب العبادات

والوعظ، وليس الخطابة الدينية، لأن الدين - كما أسلفنا - شامل لكل نظم

الحياة وأنشطة الإنسان، كما أن كلمة الدين عامة، لا يحسن وصف جزء من نظامه

وعباداته بها، وخاصة في مثل هذه الحال.

والخطابة الناجحة تعتمد على عوامل أهمها : الخطيب، ثم الموضوع.

وعندما نعتبر العامل الأول - وهو الخطيب - هو الأهم، فلأن العامل الثاني

(١) انظر: إيليا حاوي، فن الخطابة وتطوره عند العرب، ص ٢٣-٢٥، مرجع سابق.

(٢) انظر: الخطابة، وإعداد الخطيب، ص ١٠٣ وما بعدها، مرجع سابق.

وهو الموضوع يأتي تبعاً له، ونتيجة لجودته أو ضعفه، ونحن نرى خطبا كثيرة تكون جودتها من شخص غيرها من شخص آخر، كما أن الجمهور ومتابعته للخطبة إنما يكون بسبب الخطيب وأسلوبه، ولهذا اهتم الأقدمون والمحدثون بهذا العامل اهتماما عظيما، وكان مما يتناقله العرب ويتذكروه علماءها فيما بينهم صفات الخطيب وما يكون عليه حال الخطابة. (١)

ويمكن أن نقول بإجمال : إن الخطيب الناجح له مقومات أهمها :

١ - العلم، ويكون بالتالي :

- العلم بالموضوع الذي يريد التحدث عنه.

- والعلم باللغة التي يخطب بها .

- والعلم بنوع الجمهور الذي يتحدث إليه .

- الثقافة الواسعة التي تعينه على الشواهد والأمثال.

٢ - حسن الإلقاء (٢)، ويكون بالتالي:

- حسن مخارج الحروف، وتمييز أجزاء الكلمة.

- جهازة الصوت وقوته.

- تغيير نبرات الصوت فيميز لهجة الاستفهام عن لهجة الخبر.

- الإشارة باليد أو غيرها مما يوضح المعنى، ويثبتته في نفس السامع.

- عدم التكلف أو التقليد ومحاولة الاستفادة من طبيعته التي خلقه

الله عليها. (٣)

(١) انظر: الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، ١/٨٩-٩٧ مرجع سابق.

(٢) انظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب، ص٣٨-٤٣، مرجع سابق.

(٣) انظر: كارنيجي ديل، التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة، ص٩٢-٩٧،

ترجمة رمزي يسي، وعزت فهيم صالح، دار الفكر العربي.

٣ - الثقة وقوة الشخصية مع العاطفة. (١)

- أما الثقة فدليل على قناعاته أصلاً بما يقول، مما يسهل قبوله ويبعد الشك عنه.

- أما قوة الشخصية فهبة من الله، لها أثر كبير في كلماته ونظراته.

- أما العاطفة، فإننا لانريد قوي الشخصية بمعنى الجاف الخشن، بل المتأثر الذي يؤثر، والمملوء حماسة فيما يدعو إليه مما يثيرها في نفوس سامعيه.

٤ - مراعاة حال السامعين، من حيث :

- مستواهم العلمي.

- المكان المناسب .

- الزمان المناسب.

- الظروف المحيطة بهم، فقر، أمراض، ثورة، أو غيرها.

٥ - حسن المظهر والهيئة :

وذلك أن النظر يفاعل في القلب كما يفاعل الكلام في السمع (٢)، كما أن الصورة الأولى لشخصية الخطيب في نفس من يراه لأول مرة، إنما تكون من مظهره وهيئته، وقلما تتغير هذه الصورة بسهولة، إذ تنطبع في الذهن.

أما العامل الثاني وهو الموضوع فإن له ضوابط من أهمها :

١ - المناسبة :

فهناك موضوعات تمس حياة الناس وحاضرهم، وهم لذلك يهتمون بها، ويتشوقون إلى سماعها، وشرح جزئياتها، بينما هناك موضوعات أخرى أصبحت بعيدة عن خواطرهم ولا يعينهم أن يسمعو عنها شرحاً ولا تفصيلاً. (٣)

(١) انظر: محمد أبو زهرة، الخطابة من ٥٧، ٥٨، مرجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٥٨ .

(٣) انظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة وإعداد الخطيب من ٢٤، مرجع سابق.

وهذا ليس دائما، فقد يكون الموضوع المناسب هو ما يحتاج إليه الناس لا ما يريدون الحديث عنه، وخاصة في مثل ما نحن بصدده - مواجهة الانحراف العقدي - وعلى الخطيب حينئذ أن يسلك الأساليب المناسبة لجعل موضوعه محببا، ومرغوبا فيه، مما يزيد في نسبة نجاحه .

٢ - وحدة الموضوع. (١)

وهذا يعني أن يكون موضوع الخطبة واحدا، وذلك أن كثرة المواضيع المعروضة أمام السامع ترهقه وتجعله لا يتابع الخطيب.

٣ - ترتيب العرض. (٢)

وذلك بأن يكون للخطبة مقدمة تلفت الذهن وتوجه الفكرة .

- ١ - ثم عرض الفكرة أو الموضوع وشرحه .
- ٢ - ثم الاستدلال على ما يقول لحفز الناس وإقناعهم.
- ٣ - ثم النتيجة وفيها الدعوة صريحة والإلزام بالعمل.

٤ - الإيجاز والاختصار:

وذلك أن كثرة الكلام ينسي بعضه بعضا - كما تقول العرب - بالإضافة إلى أن ذلك يتفق مع ما ورد عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه جابر بن سمرة - رضي الله عنه - قال: [كنت أصلي مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا]. (٣)

وعن عمار بن ياسر - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: [إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا

(٢،١) انظر: د. عبد الجليل شلبي، الخطابة واعداد الخطيب، ص٣٦، ٣٧، مرجع سابق.

(٣) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٥٩١/٢ مرجع سابق.

الملاة واقصروا الخطبة]. (١)

وهذا كله أرفق بالسامع، وأحب إلى نفسه، وأشوق له للعودة مرة أخرى إلى هذا الخطيب.

وهناك أمر هام مرتبط بمقومات الخطيب الناجح والخطبة الناجحة، ذلك هو التدريب والمران.

قال أبو زهرة: "هذا العلم ينير الطريق، ولا يحمل على السلوك، فهو يرشد دارسه إلى مناهج ومسالك، ولا يحمله على السير فيها، هو يعطيه المصباح، ولا يضمن له أن يرى به إذا كان في عينيه رمد، وإن أرسطو واضع كتاب الخطابة لم يكن خطيباً، بل قال فيه الجاحظ: إنه كان بكىء اللسان، وليس علم الخطابة بدعا في ذلك، فعلم النحو لا يضمن لمتعلمه أن ينطق بالفصحى ما لم يمرس نفسه عليه، وعلم الأخلاق لا يضمن لعارفه سلوكاً قويمًا ما لم يروض نفسه على الأخذ به، وعلم العروض لا يكوّن شاعراً... وهكذا كل العلوم النظرية التي تظهر ثمرتها في العمل تعطي من يريدتها قانوناً يساعده، ولا تضمن له العمل إلا إذا راض نفسه على قانونها". (٢)

فما أجدر الدعاة إلى الله باستغلال هذه الوسيلة الهامة والمؤثرة، سواء في خطب العبادات كالجمعة والاستسقاء وعرفة، أو في خطب الوعظ الذي يمكن أن يقوموا به حسب الحاجة، وليس هناك حاجة أشد من مواجهة مظاهر الفساد في العقيدة والانحراف عن مفاهيم القرآن والسنة فيها، مما يقتضي أن يبذل الدعاة المخلصون مزيداً من الجهد في مواجهة هذا الانحراف عن طريق الخطابة، وأن يعدوا أنفسهم لهذا الأمر بكل أنواع الإعداد.

(١) رواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب تخفيف الملاة والخطبة، ٥٩٤/٢ مرجع سابق.

(٢) محمد أبو زهرة، الخطابة، ص٩، مرجع سابق.

المبحث الثالث : الحوار، والمناظرة، والجدال بالحسنى .

هناك ثلاثة ألفاظ في موضوعنا هذا مرتبطة ببعضها البعض بعلاقة يحسن توضيحها، هذه الألفاظ هي: الحوار، والمناظرة، والجدل.

أما الحوار والمحاورة فقد وردت مادتها في القرآن في ثلاثة مواضع، ويمكن أن تفهم على أنها مراجعة الكلام، وتداوله بين الطرفين. (١)

والمحاورة يمكن أن تكون دون أن يكون بين طرفي الحوار ما يدل بالضرورة على وجود الخصومة. (٢)

وأما المناظرة فقد عرفها المتكلمون بأنها: هي النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين، إظهارا للصواب. (٣)

فهي إذا تعني تردد الكلام بين شخصين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله، وإبطال قول صاحبه، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق. (٤)

وأما الجدل فإنه يختلف عن المناظرة بكون الغاية منه إلزام الخصم حتى لو لم تكن الاستدلالات والبراهين صحيحة، ولذلك يعرف بأنه: "القياس المؤلف من المشهورات والمسلمات، والغرض منه إلزام الخصم، وإفحام من هو قاصر عن إدراك مقدمات البرهان.

(١) انظر: أصول الحوار، ص ٩، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، الرياض، ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر: المرجع السابق .

(٣) انظر: الجرجاني، التعريفات، ص ٢٩٨، مرجع سابق.

- وانظر: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري (محقق)، (رسالتان) طبقات المجتهدين لابن كما باشا، وعلم البحث والمناظرة لطاش كبرى زاده، ص ٣١، تحقيق أبي عبد الرحمن بن عقيل، محرم ١٣٩٧هـ.

(٤) انظر: د. زاهر عواض الألمعي، مناهج الجدل في القرآن الكريم ص ٣٠، مرجع سابق.

أو هو دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شبهة". (١)
فالمناظرة يكون الغرض منها الوصول إلى الصواب في الموضوع الذي اختلفت
أنظار المتناقشين فيه .

والجدل يكون الغرض منه إلزام الخصم والتغلب عليه في مقام الاستدلال. (٢)
ولهذا اقتصرت في تعريف المناظرة عن معنى الجدل بقولهم: إظهارا للصواب.
هذا في عرف المتكلمين واصطلاحهم.

أما الجدل في القرآن الكريم، فإنه ورد بمقام الذم والحمد، أما الذم
فلأنه يحمل معنى الجدل الذي ذكرناه فيما سبق من الرغبة في الغلبة، وإلزام
الخصم دون أن يكون الحق مقصودا، أو قد يكون الباطل مقصودا من أحدهما، ومن
ذلك قول الله تعالى:

(وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق). (٣)

(ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا). (٤)

(وقالوا ءألهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا). (٥)

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد). (٦)

أما ورود الجدل في القرآن بمقام الحمد، فإنه مقيد في الغاية منه أن
يكون الحق ولا غيره، وهو بهذا يأخذ تعريف المناظرة، وهو مقيد كذلك بالأسلوب

(١) الجرجاني، التعريفات، ص (١٠١، ١٠٢)، مرجع سابق.

(٢) محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص ٥، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٨،
١٩٨٠م.

(٣) سورة غافر ٥ .

(٤) سورة غافر ٤ .

(٥) سورة الزخرف ٥٨ .

(٦) سورة الحج ٣ .

بأن يكون حسنا، قال تعالى:

(وجادلهم بالتى هى أحسن). (١)

(ولا تجادلوا أهل الكتب إلا بالتى هى أحسن). (٢)

وقد وردت ألفاظ مرادفة له، مثل: المحاجة، والمخاصمة. (٣)

قال ابن تيمية رحمه الله: "أما المجادلة الشرعية، كالتى ذكرها الله تعالى عن الأنبياء - عليهم السلام - وأمرهم بها، فى مثل قوله تعالى: (قالوا يئسوا قد جدلنا فأكثرت جدلنا) (٤)، وقوله: (وتلك حجتنا إتيها إبراهيم على قومه) (٥)، وقوله تعالى: (الم تر إلى الذى حآج إبراهيم فى ربه) (٦)، وقوله تعالى: (وجادلهم بالتى هى أحسن) (٧)، وأمثال ذلك، فقد تكون واجبة أو مستحبة، وما كان كذلك لم يكن مذموما فى الشرع". (٨)

ويشترك الحوار والمناظرة والجدل فى كونها من طرفين يتردد الكلام بينهما، والداعية المسلم هو الذى يستغل ذلك لنصرة الحق وقمع أهل البدع، وما أحوج المسلمين إلى استخدام هذه الأمور فى العصر الحاضر لمواجهة الانحراف العقدي. فالحوار هو المنطلق الأول الذى يمكن استخدامه مع كثير من الناس، لأن ما لديهم من فساد العقيدة ليس مبنيا على علم وأدلة، بل تقليد للغير وجهل فى

(١) سورة النحل ١٢٥ .

(٢) سورة العنكبوت ٤٦ .

(٣) انظر: د. علي جريشة، منهاج الدعوة وأساليبها، ص١٦١، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، بمصر، ط ١، ١٤٠٧هـ.

(٤) سورة هود ٣٢ .

(٥) سورة الأنعام ٨٣ .

(٦) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٧) سورة النحل ١٢٥ .

(٨) درء تعارض العقل والنقل ١٥٦/٧، - بتصريف يسير - مرجع سابق.

الدين، وبشيء من الحوار الهادف من قبل الدعاة مع أمثال هؤلاء تزول كثير من الانحرافات، وهو أمر يحدث بكثرة، والله الحمد.

والحوار جزء هام من العلاقات الإنسانية، إذ به تتحقق المواجهة المباشرة بين القلوب والعقول، ولما كانت القلوب والعقول خاضعة للفطرة السليمة من ناحية، وللتعاليم المحرفة التي تطرأ عليها من ناحية أخرى، فقد وجب أن تكون الغلبة في النهاية للحوار الذي تستنير به الفطر السليمة. (١)

ومن الملاحظ أن القرآن الكريم استخدم الحوار في كثير من آياته كوسيلة فعالة لتقرير الإيمان في النفوس، وهذا يدل على أهميته ومدى فائدته في إيصال الحق إلى الناس.

ويستخدم القرآن أسلوب السؤال والتساؤل لإيجاد الحوار أو لتنشيطه، سواء بالاستخبار والاستعلام (٢)، مثل قوله تعالى: (يسئلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً). (٣) أو بالاستفهام، وهو أداة التساؤل لأغراض كثيرة، ومنها على سبيل المثال: (٤)

- الإنكار التوبيخي، نحو قوله تعالى: (قال أتعبدون ما تئنحون. والله

(١) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٢٤٢، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، بحث الاستاذ محمد رمضان لاوند، مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط ٢، ١٣٩٦هـ.

(٢) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، ص ٧٥، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٠٦هـ.

(٣) سورة الأحزاب ٦٣ .

(٤) انظر: د. سيد محمد ساداتي الشنقيطي، مفاهيم إعلامية من القرآن الكريم، ص ٧٥-٧٧، مرجع سابق.

خلقكم وما تعملون). (١)

- التقرير، ومنه قوله تعالى: (قالوا أنت فعلت هذا بعالتنا
يا إبراهيم). (٢)

- التهكم، ومنه قوله تعالى: (قالوا يشعيب أصلونك تأمرك أن نترك ما يعبد
آبائنا أو أن نفعل في أمولنا ما نشأوا إنك لانت الطيم الرشيد). (٣)
والحوار عملية قائمة بين الرسل والدعاة من جهة، وبين المدعويين من جهة
أخرى.

وقد يبدأ الحوار هادئًا طبيعيًا، ثم يتحول إلى مناظرة بطلب من أحد
المتحاورين، فيصبح حوارًا لهدف الوصول إلى الحق، فكل مناظرة حوار، وليس كل
حوار مناظرة، وهنا يأمرنا الله سبحانه بأن يكون هذا الحوار الهادف أو
المناظرة والجدل بالحسن، وبالتالي هي أحسن، وهو الأمر الذي قيد الله به لفظ
الجدل الواردة في القرآن في مقام الحمد والندب إلى استخدامه.

أما إذا تحول الحوار إلى مناظرة بالباطل، وجدل بالباطل، فهو أمر لا يحسن
الاستمرار معه، بل لا يجوز، لأن ذلك مما نهى الله عنه وذمه، وهو ظلم وعدوان
ومراء أمام الناس.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما المناظرة المذمومة من العالم بالحق،
فإن يكون قصده مجرد الظلم والعدوان لمن يناظره، ومجرد إظهار علمه وبيانه
لإرادة العلو في الأرض، فإذا أراد علوا في الأرض أو فسادا كان مذمومًا على
إرادته". (٤)

وقال أيضا عن الجدل المذموم: "والمذموم شرعا ما ذمه الله ورسوله،

(١) سورة الصافات ٩٥، ٩٦ .

(٢) سورة الأنبياء ٦٢ .

(٣) سورة هود ٨٧ .

(٤) درء تعارض العقل والنقل ١٦٨/٧ مرجع سابق.

كالجدل بالباطل، والجدل بغير علم، والجدل في الحق بعد ما تبين". (١)

وقال في شرح الطحاوية: "ولا نماري في دين الله، معناه: لانخام أهل الحق باللقاء شبهات أهل الأهواء عليهم، التماسا لامترائهم وميلهم، لأنه في معنى الدعاء إلى الباطل، وتلبيس الحق، وإفساد دين الإسلام". (٢)

وقال بعض العلماء موجهًا لطالب العلم: "إياك والممارة فإنها نقمة، أما المناظرات في الحق فإنها نعمة، إذ المناظرة الحقّة فيها إظهار الحق على الباطل، والراجح على المرجوح، فهي مبنية على المناصحة والطم ونشر العلم، أما الممارة في المحاورات والمناظرات فإنها تحجج ورياء، ولغظ وكبرياء، ومغالبة ومرء، واختيال وشحناء، ومجارة للسفهاء، فاحذرهما واحذر فاعلها تسلّم من المآثم وهتك المحارم، وأعرض تسلّم، وتكبت المآثم والمغرم". (٣)

كل هذا يبيّن أهمية الحذر من الممارة في الحوار والمناظرة والجدل، فليس هدف المسلم الداعية هو أن يتغلب على الطرف الآخر لمجرد الغلبة، بل انتصارًا للحق ورغبة في علوه، وإنما أكدنا على التحذير من الممارة في مثل هذه الحالات، لأنه كثير الحدوث، حيث تسيطر الأهواء وحب الظهور والرغبة في الغلبة، ليس للحق، بل انتصارًا للنفس، وخاصة أمام الناس، وهو ما يمحق المناظرة، وينقلها إلى مناظرة بالباطل، وجدل بالباطل.

ومثل المرء المكابرة، وذلك أن "الغرض منه لا يكون إلزام الخصم، ولا الوصول إلى الحق، بل اجتياز المجلس والشهرة، أو مطلق اللجاجة، أو غير ذلك

(١) ابن تيمية، درء تعارض العقل والنقل ١٥٦/٧ مرجع سابق.

(٢) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ص٣١٢، مرجع سابق.

(٣) د. بكر بن عبد الله أبو زيد، حلية طالب العلم، ص٤٩، دار الراية،

الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ.

من الأغراض التي لاتغني من الحق شيئاً". (١)

أما الحوار والمناظرة والجدل رغبة في الوصول إلى الحق، وإلزام الخصم به فقد كان هذا شأن رسل الله - صلوات الله وسلامه عليهم - مع أقوامهم، والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم.

- من ذلك مجادلة نوح لقومه حتى قالوا فيما ورد في القرآن الكريم:

(قالوا يئوُح قد جلدتنا فأكثرت جدلنا). (٢)

- ومن ذلك (٣) مناظرة إبراهيم عليه السلام للملك النمرود في إثبات وجود الله في قوله تعالى: (ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم في ربه أن آتته الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين). (٤)

- ومنه ما ورد من محاورة موسى لفرعون ومناظرته له في قوله تعالى: (قال فرعون وما رب العلمين. قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون). (٥)

قال الشيخ حافظ الحكمي: "ومناظرة الرسل لأعداء الله يطول ذكرها، ومقامات نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - مع هذه الأمة أشهر من أن تذكر، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتحته إلى خاتمته، إلا أن أمته لم يكن فيهم من يجحد

(١) انظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، ص٥، مرجع سابق.

- وحافظ حكمي، معارج القبول ١/٦٣، مرجع سابق.

(٢) سورة هود ٢٢ .

(٣) انظر بالتفصيل: حافظ الحكمي، معارج القبول ١/٦٤-٧١، مرجع سابق.

(٤) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٥) سورة الشعراء ٢٢-٢٨ .

الخالق، بل هم مقرون بربوبيته، غير أنهم لم يقدروه حق قدره، بل عبدوا معه غيره". (١)

ولما عجز العرب عن مواجهة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في المحاجة والحوار والمنظرة، ومن ذلك عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن أو بعشر سور من مثله، أو بسورة واحدة، كما قال تعالى:

(فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صدّقين). (٢)

(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدّقين). (٣)

(قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صدّقين). (٤)

لما عجزوا عن ذلك كله وغيره، عمدوا إلى اليهود يتشيرونها في شأن النبي - صلى الله عليه وسلم - ويسألونهم علما من الكتاب، لكي يستطيعوا الرد على النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا لهم: سلوه عن ثلاث نأمركم بهن، فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل، وإن لم يفعل فالرجل متقول، فروا فيه رأيكم، سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول؛ ما كان أمرهم؟ فإنه قد حدث لهم حديث عجيب، وسلوه عن رجل طواف، قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها؛ ما كان نبؤه؟ وسلوه عن الروح ماهي؟ فسأل المشركون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن هذه المسائل، فانتظر حتى نزلت الآيات المشتملة على الأجوبة، فكان الفتية هم أصحاب الكهف، والطواف هو ذو القرنين، والروح كان الجواب عنها في سورة الإسراء، (ويسألونك عن الروح

(١) حافظ الحكمي، معارج القبول ١/٦٨، مرجع سابق.

(٢) سورة الطور ٣٤ .

(٣) سورة هود ١٢ .

(٤) سورة يونس ٣٨ .

قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا). (١)
والأمثلة من مناظرات الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع المشركين واليهود
والنصارى كثيرة. (٢)
وعن المناظرات بين الصحابة قال الحافظ ابن عبد البر: "تجادل أصحاب رسول
الله - صلى الله عليه وسلم - يوم السقيفة، وتدافعوا، وتقرروا، وتناظروا حتى
صار الحق في أهله.
وتتناظروا بعد مبايعة أبي بكر في أهل الردة، وفي فصول يطول ذكرها،
واحتجوا على أبي بكر بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: [أمرت أن أقاتل
الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، فإذا قالوها حقنوا مني دماءهم وأموالهم
إلا بحقها وحسابهم على الله] (٣) فقال أبو بكر: من حقنها الزكاة، والله لأقاتلن
من فرق بين الصلاة والزكاة، ولو منعوني عناقا - ويروى عقالا - لقاتلتهم عليه،
فبان لعمر وغيره من الصحابة الذين خالفوا أبا بكر في ذلك أن الحق معه،
فبايعوه". (٤)
كما ناظر ابن عباس - رضي الله عنه - الخوارج مناظرة رائعة، كانت سببا
في رجوع نمفهم في وقت واحد. (٥)

(١) سورة الإسراء ٨٥ .

- وانظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ٣٢١-٣٢٩ مرجع سابق.

(٢) انظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل ٤٠-٥٤ مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري، صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة، ١١٠/٢،
مرجع سابق.

- ورواه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى
يقولوا لا إله إلا الله (١/٥١-٥٢) مرجع سابق.

(٤) جامع بيان العلم وفضله ١٠٢/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٥) انظر تفصيل المناظرة لدى ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله
١٠٣/٢، ١٠٤، مرجع سابق.

وكذا فعل عمر بن عبد العزيز - رضي الله عنه - حتى رجعت طائفة منهم. (١)
واستمرت المناظرات في جميع العصور الإسلامية وتأثرت بأقيسة اليونان
ومنطقهم وأساليبهم في الاستدلال، وخاصة في المعتزلة (٢) الذين اعتمدوا كثيرا
على العقل وحده، وقدموه في الاستدلال.
ومن المناظرات الشهيرة في التاريخ الإسلامي مناظرة الإمام عبد العزيز
الكناني (٣) مع بشر المريسي (٤) حول خلق القرآن، أمام المأمون، وكان النصر

-
- (١) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله ١٠٥/٢، مرجع سابق.
(٢) انظر: محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل من ٢٠٠، مرجع سابق.
(٣) عبد العزيز بن يحيى بن عبد العزيز الكناني المكي، فقيه من تلاميذ الإمام
الشافعي، كان يلقب بالفول لدمامته، توفي سنة ٢٤٠هـ، نفي الذهبي أن يكون
كتاب (الحيدة) له، مع شهرة نسبته إليه، وقال ابن حجر: "وهو صاحب كتاب
الحيدة" وكذا قال الخطيب في تاريخ بغداد، وابن العماد في شذرات الذهب.
انظر: الذهبي، ميزان الاعتدال ٦٣٩/٢ مرجع سابق.
- وابن حجر، تهذيب التهذيب ٦/٣٦٣، ٣٦٤، مرجع سابق.
- والخطيب البغدادي، تاريخ بغداد ١٠/٤٤٩، ٤٥٠، مرجع سابق.
- وابن العماد، شذرات الذهب ٢/٩٥، مرجع سابق.
- والزركلي، الأعلام، ٤/٢٩، مرجع سابق.
(٤) أبو عبد الرحمن، بشر بن غياث بن أبي كريمة، عبد الرحمن المريسي، العدوي
بالولاء، فقيه معتزلي عارف بالفلسفة، قال ابن حجر: "مبتدع ضال لا ينبغي أن
يروى عن ولا كرامة" وهو رأس طائفة المريسية من المرجئة، توفي سنة ٢١٨هـ
انظر: ابن حجر، لسان الميزان، ٢/٢٩-٣١، مرجع سابق.
- وابن خلكان، وفيات الأعيان، ١/٢٧٧، ٢٧٨، مرجع سابق.
- والزركلي، الأعلام ٢/٥٥، مرجع سابق.

فيها للحق حيث أثبت الكناني أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق (١) مما شرح الله به الصدور، ونفس عن المسلمين كربة عانى منها كثير منهم، ومن أشد من عانى في ذلك الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

وهكذا يتبين لنا أهمية الحوار والمناظرة والجدال بالحسنى كوسيلة نافعة من وسائل الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

بيد أنه مع ذلك لابد من الإشارة إلى أن هذا الأمر ليس من السهولة بمكان، ولئن كان الحوار سهلاً وأقل خطورة، فإن المناظرة ليست كذلك، خاصة إذا علمنا بقلة أعداد العلماء القادرين عليها من ناحية، ومن ناحية أخرى ورود النهي عن الجدل والتناظر في بعض المسائل من العقيدة.

لهذا كان لابد لي من إجمال عدد من الضوابط العامة للمناظرة في مسائل العقيدة، وهي:

١ - عدم التناظر والجدال في ذات الله أو أسمائه وصفاته من جهة كيفياتها مما لا تدركه العقول ولا تصل إليه إلا بالقدر الذي أخبر الله به وعلمه رسله، فنقف عند هذا الحد.

قال الحافظ ابن عبد البر: "ونهى السلف - رحمهم الله - عن الجدل في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه". (٢)

وقال في شرح الطحاوية: "ولا نخوض في الله، وذلك بالكف عن كلام المتكلمين الباطل، وذم علمهم، فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم، وغير سلطان أتاها، قال تعالى: (إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى). (٣)

(١) انظر (الصيدة) رسالة تحوي المناظرة بكاملها، طبعت منفردة، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ٩٢/٢، مرجع سابق.

(٣) سورة النجم ٢٣ .

- وانظر ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ٣١٣، مرجع سابق.

٢ - أمر الله سبحانه في جدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن، وأهل القبلة خير منهم، فهم بها أولى، وذلك أن لا يُكْفَرُ الطرف الآخر بما يَكْفُرُ به إلا بعد قيام الحجة عليه، وبيان أن ما تلبس به قولاً أو فعلاً أو اعتقاداً هو كفر.

قال في شرح الطحاوية: "والله تعالى قد أمرنا أن لانجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا منهم، فكيف بمناظرة أهل القبلة؟ فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب، فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي أحسن، وليس إذا أخطأ يقال: إنه كافر، قبل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بكفر من تركها، والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان". (١)

٣ - عدم اجراء المناظرات إلا عند الحاجة، ولا يتخذها وسيلة دائمة في كل أحواله، وقد يكون هناك ما يقوم مقامهما من النصيحة والتذكير، ذلك أن المناظرات ليست بالأمر اليسير، والتي تنتهي إلى خير أقل من سواها، وقد تفضي إلى الجدل والمكابرة، وقد نهينا عن ذلك.

كما نقل عن جماعات من السلف كرههم للجدال بين المسلمين لما يسببه من الكلام في الدين، والإساءة إلى مقام رب العالمين، قال أحدهم :

وكان الموت أقرب ما يليني	أأقعد بعدما رجفت عظامي
وأجعل دينه غرضاً لديني	أجادل كل معترض خصيم
وليس الرأي كالعلم اليقين	فأتترك ما علمت لرأي غيري
تصرف في الشمال وفي اليمين	وما أنا والخصومة وهي لبس
يلحن بكل فج أو وجين (٢)	وقد سنت لنا سنن قوام
أغر كغرة الصبح المبين	وكان الحق ليس له خفاء
بمنهاج ابن آمنة الأمين	وما عوض لنا منهاج جهم

(١) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، ص٣١٥، مرجع سابق.

(٢) الوجين : الحجارة، وشط الوادي، المعجم الوسيط ١٠١٥/٢، مرجع سابق.

فأما ما علمت فقد كفاني
فلمست مكفرا أحدا يصلي
وكننا إخوة نرمي جميعا
فما برح التكلف أن رمينا
فأوشك أن يخر عماد بيت
وينقطع القرين عن القرين(١)
وقال الإمام الغزالي ناصحا تلميذه بالانتهاه عن أشياء، منها قوله: "ألا
تناظر أحدا في مسألة ما استطعت، لأن فيها آفات كثيرة، فإثمها أكبر من نفعها
إذ هي منبع كل خلق ذميم، كالرياء والحسد والكبر والحقد والعداوة والمباهاة
وغيرها.

نعم لو وقع مسألة بينك وبين شخص أو قوم، وكانت إرادتك فيها أن تظهر
الحق ولا يضيع، جاز البحث، لكن لتلك الإرادة علامتان:

أحدهما : ألا تفرق بين أن ينكشف الحق على لسانك أو على لسان غيرك.

والثانية: أن يكون البحث في الخلاء أحب إليك من أن يكون في الملا".(٢)

ومع هذا فقد تكون المناظرة واجبة أو مستحبة في بعض الأحوال.

قال ابن تيمية رحمه الله: "وأما جنس المناظرة بالحق فقد تكون واجبة
تارة، ومستحبة أخرى، وفي الجملة جنس المناظرة والمجادلة فيها محمود
ومذموم، ومفسدة ومصلحة، وحق وباطل".(٣)

ويقول رحمه الله: "فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع
دابره؛ لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه

(١) انظر: ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، ٩٤/٢، مرجع سابق، وفيه

نقول كثيرة عن أئمة السلف حول هذا الموضوع ٩٢/٢-٩٩ .

(٢) أيها الولد من ١٣٦، تحقيق علي محيي الدين علي القرية داغي، دار الاعتصام،

القاهرة ١٤٠٥هـ.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١٧٤/٧ مرجع سابق.

شفاء الصدور، وطمانينة النفوس". (١)

٤ - الانتباه لقدرة المناظر، فليس كل عالم يجيد المناظرة والجدل.

قال ابن عبد البر: "قال بعض العلماء: كل مجادل عالم، وليس كل عالم مجادلا، يعني أنه ليس كل يتأتى له الحجة، ويحضره الجواب، ويسرع إليه الفهم بمقطع الحجة، ومن كانت هذه خصاله، فهو أرفع العلماء قدرا، وأنفعهم مجالسة ومذاكرة، والله يؤتي فضله من يشاء، والله ذو الفضل العظيم". (٢)

وقال ابن تيمية رحمه الله: "ليس كل من عرف الحق - إما بضرورة أو نظر - أمكنه أن يحتج على من ينازعه بحجة تهديه أو تقطعه، فإن ما به يعرف الإنسان الحق نوع، وما به يعرفه غيره نوع، وليس كل ما عرفه الإنسان أمكنه تعريف غيره به، فهذا كان النظر أوسع من المناظرة، فكل ما يمكن المناظرة به يمكن النظر فيه، وليس كل ما يمكن النظر فيه يمكن مناظرة كل أحد به". (٣)

وقال أيضا: "وقد يبنهون - السلف - عن المجادلة والمناظرة، إذا كان المناظر ضعيف العلم بالحجة وجواب الشبهة، فيخاف عليه أن يفسده ذلك المضل كما ينهى الضعيف في المقاتلة أن يقاتل علجا قويا من علوج الكفار، فإن ذلك يضره ويضر المسلمين بلا منفعة". (٤)

٥ - ارتبط المناظر والمجادل بالأدلة النقلية الصحيحة والعقلية المريحة، واستخدام أقيسة القرآن والسنة وبراهينهما بدلا من أقيسة اليونان ومنطقهم، لأنها لاتسلم من الخطأ والتناقض، وفي القرآن والسنة ما هو خير منه وأحكم.

قال ابن القيم رحمه الله :

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢٥٧/١ مرجع سابق.

(٢) جامع بيان العلم وفضله ١٠٧/٢ مرجع سابق.

(٣) درء تعارض العقل والنقل ١٧١/٧ مرجع سابق.

(٤) المرجع السابق ١٧٣/٧ .

فاجلس إذا في مجلس الحكمين للرحمن لا للنفس والشيطان

الأول النقل الصحيح وبعده العقل الصريح وفطرة الرحمن(١)

وقال في شرح الطحاوية: "وإذا تأمل الفاضل غاية ما يذكره المتكلمون والفلاسفة من الطرق العقلية وجد الصواب منها يعود إلى بعض ما ذكر في القرآن من الطرق العقلية بأفصح عبارة وأجزءها، وفي طرق القرآن من تمام البيان والتحقيق مالا يوجد عندهم مثله، قال تعالى: (ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا). (٢)

٦ - عند عدم الاتفاق واستمرار التنازع يرد الأمر إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم، قال تعالى: (فإن تنازعتهم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا). (٣)

قال ابن تيمية رحمه الله: "وقد كان العلماء من الصحابة والتابعين إذا تنازعوا في شيء اتبعوا أمر الله تعالى - ثم ذكر الآية السابقة - وكانوا يتناظرون في المسألة مناظرة مشاورة ومناصحة". (٤)

وفي حقيقة الأمر يجب أن يكون حكم الله ورسوله هو غاية المناظرة ومقصدتها الأساسي، وإذا استمر الخلاف وخرج عن هذه القضية الأساسية رد إليه المتناظران، وذكرنا به، حتى يحصل الاتفاق والائتلاف بالوصول إلى الحق الذي يحكم الله ورسوله به في قضيتهما، والله أعلم.

(١) القصيدة النونية من ٢١، مرجع سابق، وقد سبق هذه الأبيات ومايا نافعة لمن

يجادل أهل الأهواء والباطل ١٨-٢١ .

(٢) سورة الفرقان ٣٣ .

- ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية من ١١٢، مرجع سابق.

(٣) سورة النساء ٥٩ .

(٤) مجموع الفتاوى ١٧٢/٢٤ مرجع سابق.

- وانظر: درء تعارض العقل والنقل ٢٢٩/١ مرجع سابق.

المبحث الرابع : التعليم

من الأمور المعلومة المشتهرة حث الإسلام على طلب العلم النافع، وتعليمه للناس، فهو دين العلم، والرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - هو المعلم الأول لهذه الأمة، وقد امتن الله على هذه الأمة الأمية بذلك، قال تعالى: (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين). (١)

وجعل مرتبة العلماء عظيمة شامخة، قال تعالى: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم). (٢)

قال القرطبي رحمه الله: "في هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحد أشرف من العلماء لقرنهم الله باسمه واسم ملائكته كما قرن العلماء، وقال في شرف العلم لنبيه صلى الله عليه وسلم: (وقل رب زدني علما) (٣) فلو كان شيء أشرف من العلم لأمر الله تعالى نبيه أن يسأله المزيد منه، كما أمر أن يستزيده من العلم". (٤)

وقال سبحانه: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). (٥)

قال القرطبي: "أي في الثواب في الآخرة، وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم". (٦)

وعن أبي أمامة الباهلي - رضي الله عنه - قال: ذكر لرسول الله - صلى

(١) سورة الجمعة ٢ .

(٢) سورة آل عمران ١٨ .

(٣) سورة طه ١١٤ .

(٤) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ٤/٤١٦ مرجع سابق.

(٥) سورة المجادلة ١١ .

(٦) القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري ١٧/٢٩٩ مرجع سابق.

الله عليه وسلم - رجلان، أحدهما عابد، والآخر عالم؛ فقال عليه أفضل الصلاة والسلام: [فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم] ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلم الناس الخير]. (١)

والآيات والأحاديث في فضل العلم والعلماء كثيرة، بالإضافة إلى ذلك جاء في القرآن والسنة أمران جعلوا المسلمين ينشطون بشكل كبير في ميدان التعليم هما:

الأول: الوعيد الشديد لمن علم علما ثم كتمه عن الناس، قال تعالى: [إن الذين يكتُمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللعنون]. (٢)

وقال تعالى: [إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم]. (٣)

وعن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: [من كتم علما ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار]. (٤)

الثاني: الأجر العظيم والثواب الجزيل الذي لا ينقطع لمن يعلم الناس الخير، وينشر العلم بين عباد الله، ومن ذلك ما سبق في حديث أبي أمامة قبل قليل، بالإضافة إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: [من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان

(١) رواه الترمذي، وقال حديث حسن صحيح، سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة ٣٢٧/٧، ٣٢٨ مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة ١٥٩ .

(٣) سورة البقرة ١٧٤ .

(٤) رواه الحاكم، وقال صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي في التلخيص ١٠٢/١ مرجع سابق.

عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من آثامهم شيئاً]. (١)
وعن عثمان بن عفان - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -
قال: [خيركم من تعلم القرآن وعلمه، - وفي رواية - إن أفضلكم من تعلم القرآن
وعلمه]. (٢)

وهكذا انطلق المسلمون جماعات وأفرادا يحملون ميراث النبي - صلى الله
عليه وسلم - من علم الكتاب والسنة، وينشرونه في الآفاق، حتى أصبح التعليم
لاينفصل أبداً عن نشاط المجتمع المسلم. (٣)

وكان المسجد يحتل مركز الصدارة بين أماكن العلم ودوره، لأنه القلب
النابض والمركز الأساسي للمجتمع المسلم أينما كان، ثم أضيفت المدارس
الخاصة والعامّة، ودور العلم التي ساهمت في عملية التعليم بين المسلمين.

وبهذه الأسس الإسلامية لعملية التعليم نجد أنه من اليسير على الدعاة
مواجهة الانحراف العقدي ومعالجته عن طريق هذه الوسيلة الهامة.

وهذه الوسيلة من أنجح الوسائل لإزالة الانحراف العقدي من نفوس بعض
المسلمين، لأن تغيير الأفكار والمعتقدات عن طريق التعليم أمر مجرب ومشاهد،
وقد استفاد الغرب منه في زعزعة الإيمان في نفوس كثير من الشباب المسلم،

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة، صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو
سيئة، ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ٢٠٦٠/٤ مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري عن أبي هريرة، كتاب فضائل القرآن، باب خيركم من تعلم
القرآن وعلمه، ١٠٨/٦، مرجع سابق.

(٣) انظر: د. سيد سجاد حسين، و د. سيد علي أشرف، أزمة التعليم الإسلامي،
ص٥٠، مقتطف من بحث د. زكي بدوي، المقدم إلى المؤتمر العالمي الأول
للتعليم الإسلامي، المنعقد بمكة المكرمة، عام ١٩٧٧م، ترجمة د. أمين حسين
الرباط، شركة مكاتبات عكاظ للنشر والتوزيع، وجامعة الملك عبد العزيز
بجدة، (سلسلة التعليم الإسلامي) ط١، ١٤٠٣هـ.

وكان مدخلا هاما من مداخل الغزو الفكري الموجه إلى العالم الإسلامي، لذلك كان علينا أن نبادر باستغلال هذه الوسيلة الناجحة في تمكين الإيمان في نفوس العباد، وجعله مستقرا ثابتا من خلال ما ورد في الكتاب والسنة من أدلة وبراهين توافق الفطرة، وتطمئن إليها النفوس.

وقد قام علماء المسلمين ودعاتهم قديما وحديثا بهذا الأمر خير قيام، وأدركوا أهمية هذه الوسيلة، فإن المعلومات الهشة والانفعالات العاطفية المؤقتة لاتفيد المسلم بنفس القدر الذي يكون فيه حاملا للعلم الصحيح، مستقرا في قلبه وعقله، وخاصة علم العقيدة وتوحيد الله تبارك وتعالى.

إن استخدام هذه الوسيلة في مواجهة الانحراف العقدي له أهمية عظيمة، وفائدة كبيرة، ومن ذلك :

- من خلال التعليم يمكن بناء العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب بتكامل وقوة، وهو ما لا يحصل في الخطابة مثلا.

- يساهم التعليم الصحيح الهادف في غرس العقيدة الصحيحة، وتكوين أجيال سالحة، تغير في مجتمعاتها على المدى البعيد.

- التعليم الإسلامي يحافظ على هوية المجتمع المسلم، فلا يعطي أفراداه ولاءهم لغير الله، وتزداد أهمية ذلك في مجتمع الأقلية المسلمة التي تواجه الضغط الثقافي والتعليمي للذوبان في المجتمعات الكافرة.

- قد يصعب إرسال الدعاة إلى بعض البلاد، ومن خلال تعليم عدد من أبناء تلك البلاد وحملهم للعقيدة الصحيحة، ومن ثم عودتهم إلى بلادهم، يمكن القضاء على مظاهر الانحراف العقدي فيها، وحتى لو استطاع الدعاة الوصول إلى تلك البلاد فإن أبناءها أعلم بها، وأقدر منهم على مخاطبة أقوامهم وفهمهم لما يملح شأنهم، فتأهيل الدعاة من خلال تعليمهم وعودتهم إلى بلادهم أمر هام جدا.

إن الداعية الذي لا يستخدم وسيلة التعليم قليلا ما يبقى له أثر في مدعويه، بينما لو جلس للتعليم وخصص جزءا من وقته له، فإنه وإن ذهب فسيبقى من يحمل علمه ويقوم بمهمته من تلاميذه وطلابه.

إلى غير ذلك من الفوائد العظيمة الخاصة والعامّة للتعليم، فهو وسيلة لا ينبغي للدعاة إلى الله أن يتركوها أو يهملوها.

وهناك عدد من الأمور الهامة التي تجعل من التعليم وسيلة فعالة وناجحة في مواجهة الانحراف العقدي، منها:

أولاً : اهتمام الداعية بالنظر والفهم لسياسة التعليم في البلد الذي يريد أن يمارس فيه هذه المهنة في مدارس النظامية، فإن كان هذا البلد لم توضع فيه سياسة للتعليم سعى سعياً حثيثاً إلى إيجاد سياسة للتعليم، بحيث تنسجم مع تعاليم الإسلام وأهدافه، التي من أهمها نشر الإسلام، وغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الطلاب.

وإن وجد سياسة سابقة لكنها مخالفة لما يهدف إليه الإسلام، أو أنها علمانية، تفصل التعليم الدنيوي عن الديني، فإنه يسعى حثيثاً إلى إصلاحها، والرفع بذلك إلى المسئولين إبراء لذمته، وفي حالة نجاح مساعيه فإنه سيسهل مهمة العاملين للإسلام في هذا المجال من بعده.

ثانياً : قيام الداعية بالتعليم في المساجد وغيرها من تجمعات المسلمين، وفي هذا خير كثير، ونشر لعلوم الكتاب والسنة، ومجال لمناقشة الانحرافات العقدية وتبيينها، والرد عليها، حتى تزول من أذهان المسلمين.

ودروس المساجد فيها من المصالح الكثيرة ما يجعل الدعاة العاملين يحرصون عليها، فتثمر ثمرات طيبة، وينتقل العلم إلى أكبر عدد من المسلمين، وإذا وجد العلم ذهب الجهل والخرافة.

ثالثاً : هناك من بين الطلاب سواء في التعليم النظامي أو الخاص في المساجد ونحوها عدد من النابهين الموهوبين الذين يحسن أن ينتبه إليهم ويهتم بأمرهم، فهم كنز ثمين، قد ينفع الله بهم، فيصبحون علماء كباراً لهم دورهم في إعادة المسلمين إلى دينهم، وعقيدتهم الصحيحة، ومن ثم إعادة مجد الإسلام وعزة المسلمين.

رابعاً : في هذا العمر جدت وسائل حديثة للتعليم وإيصال المعلومات إلى الطلاب، وتحبيبتهم في مادتهم، ينبغي أن يلم بها الداعية ليستثمرها في عمله في التعليم كوسائل الإيضاح، أو أساليب التأشير وطرق التدريس وغيرها، مما ييسر على المعلم عمله، ويرغب الطلاب في دراستهم، والمسلم مطالب بأن يكون على خير ما يمكن في أدائه لعلمه.

خامساً : قد يعمل الداعية بحكم تخصصه الدراسي في تعليم مواد تطبيقية كالرياضيات، والفيزياء، والأحياء، وهي مواد يمكن أن يجعل منها طريقاً إلى إصلاح عقائد طلابه، وتثبيت الإيمان في نفوسهم لما تشتمل عليه من مظاهر خلق الله سبحانه، وذكر لسننه الكونية، وكيفيات حدوثها، وكل ذلك يمكن أن يكون في النهاية ترسيخاً للعقيدة، ونفياً للأفكار الخبيثة سواء ما تعلق منها بالإلحاد، أو بالشرك الذي يقع من عوام المسلمين وجهالهم، إذ كل مافي الكون من آيات الله المنظورة تدل على وحدانيته سبحانه، واستحقاقه دون غيره للعبادة.

وباختصار ينبغي أن يهدف المعلم إلى تثبيت العقيدة في نفوس طلابه في أي مادة يدرسها، وهو أمر ممكن وميسور.

إن التعليم يشكل خطة طويلة المدى من شأنها إحداث تغييرات في المفاهيم والأفكار والقيم الاجتماعية، ويصوغ التفكير والسلوك للفرد، وبهذا يمكن تغيير الفرد المسلم.

ومن المهم أن يبدأ في سن مبكرة، لذا ينبغي التركيز على أبناء المسلمين وعدم إهمالهم، سواء من الدعاة أو الآباء في أسرهم، أو من المسؤولين عن التعليم في البلاد الإسلامية.

ومن المؤكد أن وظيفة التعليم وهدفه يجب أن يكون تزويد المسلمين بالعقيدة الإسلامية، ومعرفة التوحيد والرسالة، واليوم الآخر (١)، وغيرها من

(١) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية من ٢٧٨، ٢٧٩، بحث الأستاذ إبراهيم علي، مرجع سابق.

أسس العقيدة، حتى تكتمل حماسة الفرد المسلم، فيكون صالحا مصلحا كما أمر الإسلام.

كما أن هذه الوظيفة والأهداف يجب أن تصاحب عملية التعليم في المجتمع المسلم، بأي شكل كان هذا التعليم؛ دورا في المدرسة، أو حلقة في المسجد، أو الكتاب، وفي أي زمان كان، وهو ما يجعل الانحراف العقدي ينحصر عن مجتمعات المسلمين بشتى صورته ومظاهره، وتتحقق العبودية المادقة لله رب العالمين على الوجه الذي يرضاه الله سبحانه، ويوافق منهجه الذي أرسل به رسله، وأنزل كتبه.

المبحث الخامس : الجهاد

الجهاد هو ذروة سنام الإسلام، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم (١)، وقد شرعه الله وأمر به، وبين أحكامه وفضله في نصوص كثيرة من القرآن والسنة.

والحق لا بد له من قوة تحميه من كيد الكائدين، وتسلط الجبابرة والظالمين، حتى يمكن أن يصل إلى كل أحد، ويتحقق البلاغ الذي كلفت به الأمة المسلمة. والجهاد وسيلة لتغيير الواقع الاجتماعي المنحرف في أي مكان، حتى تصبح العبودية الكاملة لله رب العالمين، والذلة والصغار للطفة المنحرفين عن منهجه، المعتدين على حرمانه.

وقد كان الجهاد في العصور الإسلامية الزاهرة، ابتداءً بعصر النبي - صلى الله عليه وسلم - وعصر خلفائه الراشدين وازحا في كونه أحد وسائل الدعوة إلى دين الله وإعلاء كلمته، بيد أن الهزيمة التي مني بها المسلمون في العصور المتأخرة جعلتهم ينسون ذلك أو يكادون، وصار في بعض الفترات أمرا غريبا لا يعرفه كثير من المسلمين.

ومن المعلوم أن الأعداء في كل مكان سواء من الكفرة والملحدين، أو من المنحرفين الضالين لا يريدون أن يعرف المسلمون هذا الجانب أو يتذكروه، حتى تبقى لهم السيطرة على بلاد المسلمين، لذلك شوهوا معناه في نفوس المسلمين، وحاولوا عن طريق الفرق الضالة أن يزيلوه من شريعة الإسلام.

والحديث عن الجهاد واسع، فهو ميدان خطير، وقضية هامة، وقد جعله الله مرتباً بال عقيدة، إذ إن هدفه إعلاء كلمة الله، دون أي شيء آخر، فلم يشرع للظلم ولا التوسع في الأرض ولا المغنم والمكاسب . وقد مر تشريع الجهاد في سبيل الله بأربع مراحل.

(١) كما في الحديث الذي رواه الترمذي، وقال : حسن صحيح، سنن الترمذي، كتاب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة ٢٨٠/٧، ٢٨١، مرجع سابق.

قال ابن القيم رحمه الله: "كان محرماً، ثم مأذوناً به، ثم مأموراً به لمن بدأهم القتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين". (١)

أما المرحلة الأولى: وهي كونه محرماً في قول الله تعالى: (الم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلوة وءاتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية) (٢) مع الأمر بالصبر والمفح والإعراض عن المشركين، وذلك كله في مكة.

والمرحلة الثانية: مأذوناً به، كما في قوله تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير. الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وملوت ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولننصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز. الذين ان مكنهم في الأرض أقاموا الصلوة وءاتوا الزكوة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عتبة الأمور). (٣)

قال ابن القيم رحمه الله: "لما استقر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة، وأيده الله بنصره، وبعياده المؤمنين، وألف بين قلوبهم بعد العداوة والإحن التي كانت بينهم فمنعته أنصار الله وكتيبة الإسلام من الأسود والأحمر، وبدلوا نفوسهم دونه، وقدموا محبته على محبة الآباء والأبناء والأزواج، وكان أولى بهم من أنفسهم، رمتهم العرب واليهود عن قوس واحدة، وشمروا لهم عن ساق العداوة والمحاربة، وصاحوا بهم من كل جانب، والله سبحانه يأمرهم بالصبر والعفو والمفح، حتى قويت الشوكة، واشتد الجناح، فأذن لهم حينئذ في القتال، ولم يفرضه عليهم، فقال تعالى: (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن

(١) زاد المعاد ٥٨/٢ مرجع سابق.

(٢) سورة النساء ٧٧ .

(٣) سورة الحج ٣٩-٤١ .

الله على نصرهم لقدير)" (١).

المرحلة الثالثة: مأمورا به لمن بدأهم بالقتال، وذلك في مثل قوله تعالى: (وقتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين). (٢)

ويرجح بعض العلماء وجود هذه المرحلة، ويرى بعضهم عدم وجودها، إلا أن الناظر إلى سيرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذه الفترة يترجح عنده وجودها. (٣)

المرحلة الرابعة: مأمورا به لجميع المشركين، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: (فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرمد فإن تابوا وأقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم). (٤)

وقال تعالى: (يأيها الذين ءامنوا قتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين). (٥)

وهكذا انتهت مراحل تشريع الجهاد عند هذا الحد، قتال لكل كافر ومشرك، حتى لا يبقى أحد يقف في مواجهة هذا الدين ليصد الناس عنه ويمنع عنهم هداه، وحتى يعود المنحرفون من المسلمين عن انحرافهم، ويثوبوا إلى دينهم وإسلامهم.

ولا بد من الإشارة إلى أمرين هاميين في مجال استخدام هذه الوسيلة في مواجهة الانحراف العقدي بين المسلمين:

(١) زاد المعاد ٥٨/٢ مرجع سابق.

(٢) سورة البقرة ١٩٠ .

(٣) انظر: د. محمد نعيم الياسين، الجهاد ميادين وأساليبه، ص٧٤-٧٦، دار

الفرقان، عمان - الأردن، ط٣، ١٤٠٦هـ.

(٤) سورة التوبة ٥ .

(٥) سورة التوبة ١٢٣ .

أولاً : لا بد من قيام الحجة على المخالف بأن ما يفعله أو يقوله أو يعتقده أمر من الكفر، فإن قبل وتاب ترك، وإلا قوتل وعودي.

الثاني: أن الجهاد تغيير باليد، وهي درجة من درجات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليست إلا لذي سلطان من المسلمين، حتى لاتحدث الفتنة بينهم، ويحمل كل منهم السلاح على الآخر.

أما محاربة غير المسلمين من الملحدين الذين تسلطوا على رقاب المسلمين في البلاد الشيوعية فأمر مختلف، ومع أن الهدف واحد، وهو أن لاتكون فتنة، وأن يكون الدين كله لله، إلا أن التعامل معهم غير التعامل مع المسلمين الذين يرجى أن يعودوا إلى رشدهم دون قتال ولا حرب، فقتال الملحدين واجب على الإطلاق نشرًا لدين الله، ودفاعًا عن عبادته المستضعفين.

وقد ذكر الله سبحانه في أكثر من موضع غاية الجهاد في سبيل الله وهدفه الأساسي، فقال تعالى: (وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين). (١)

وقال تعالى: (وقتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله فإن انتهوا فإن الله بما يعملون بصير). (٢)

إن هدف الجهاد هو تعبيد الناس لله وحده وإخراجهم من العبودية للعباد إلى العبودية لرب العباد، وإزالة الطواغيت كلها من الأرض جميعاً، ومنع خضوع البشر لبشر مثلهم، وتقديم أنواع العبادة لهم أو للطواغيت الآخرين من الدعاء، والنذر، والذبح، والتعظيم، والتشريع، والتحاكم الذي يشكل الانحراف والفساد في العقيدة. (٣)

(١) سورة البقرة ١٩٣ .

(٢) سورة الأنفال ٣٩ .

(٣) انظر: د. علي بن نفيح العلياني، أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية، والرد على الطوائف الضالة فيه، ص١٥٨، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

قال ابن كثير رحمه الله: "قال الضحاك عن ابن عباس (وقتلوهم حتى لا تكون فتننة) يعني لا يكون شرك، وكذا قال أبو العالية، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم.

وقوله: (ويكون الدين كله لله) قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية: يخلص التوحيد لله". (١)

وقال ابن جرير الطبري في هذه الآية: "فقاتلوهم حتى لا يكون شرك ولا يعبد إلا الله وحده لا شريك له، فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو الفتننة، (ويكون الدين كله لله) يقول: وحتى تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره". (٢)

وقال الشوكاني: "وقاتلوهم حتى لا تكون فتننة، فيه الأمر بمقاتلة المشركين إلى غاية، هي ألا تكون فتننة، وأن يكون الدين لله، وهو الدخول في الإسلام والخروج عن سائر الأديان المخالفة له، فمن دخل في الإسلام وأقلع عن الشرك لم يجل قتاله". (٣)

فهدف الجهاد إذا تعبيد الناس لرب العالمين، حتى لا يبقى شرك يؤثر على إخلاص العبودية لله سبحانه.

وقد بين ابن تيمية - رحمه الله - أن القتال يكون واجبا لكل أحد خرج عن شرائع الإسلام الظاهرة، ولأهل الإلحاد والبدع، مستدلا بنفس الآية السابقة، فقال رحمه الله: "كل طائفة خرجت عن شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها باتفاق أئمة المسلمين، وإن تكلمت بالشهادتين، فإذا أقروا بالشهادتين، وامتنعوا عن الزكاة وجب قتالهم حتى يؤدوا الزكاة، وكذلك إن امتنعوا عن صيام شهر رمضان، أو حج البيت العتيق، وكذلك إن امتنعوا عن تحريم

(١) تفسير القرآن العظيم ٣٠٩/١ مرجع سابق.

(٢) جامع البيان في تفسير القرآن ١٦٢/٩ مرجع سابق.

(٣) فتح القدير ١٩١/١ مرجع سابق.

الفواحش أو الزنا، أو الميسر، أو الخمر، أو غير ذلك من محرمات الشريعة .
وكذلك إن امتنعوا عن الحكم في الدماء والأموال، والأعراض والأبضاع ونحوها
بحكم الكتاب والسنة .

وكذلك إن امتنعوا عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار إلى
أن يسلموا ويؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون .

وكذلك إن أظهروا البدع المخالفة للكتاب والسنة، واتباع سلف الأمة
وأئمتها؛ مثل أن يظهروا الإلحاد في أسماء الله وآياته، أو التكذيب بأسماء
الله وصفاته، أو التكذيب بقدره وقضائه، أو التكذيب بما كان عليه جماعة
المسلمين على عهد الخلفاء الراشدين، أو الطعن في السابقين الأولين من
المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، أو مقاتلة المسلمين حتى يدخلوا
في طاعتهم التي توجب الخروج عن شريعة الإسلام، وأمثال هذه الأمور .

قال تعالى: (وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله). (١)
فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين
كله لله .

وقال تعالى: (يأأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربوا إن
كنتم مؤمنين. فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله). (٢)

وهذه الآية نزلت في أهل الطائف، وكانوا قد أسلموا وصلوا وصاموا، لكن
كانوا يتعاملون بالربوا، فأنزل الله هذه الآية، وأمر المؤمنين فيها بترك
ما بقى من الربوا، وقال: (فإن لم تفعلوا فآذنوا بحرب من الله ورسوله) ...
والربوا آخر المحرمات في القرآن، وهو مال يؤخذ بتراضي المتعاملين، فإذا كان
من لم ينته عنه محاربا لله ورسوله، فكيف بمن لم ينته عن غيره من المحرمات

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

(٢) سورة البقرة ٢٧٨، ٢٧٩ .

التي هي أسبق تحريماً وأعظم تحريماً". (١)

وقد قام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - بإقامة الجهاد في سبيل الله ضد أوكار الفساد، ومظاهر الانحراف التي كانت تسود نجد والجزيرة العربية حينئذ، حيث تحالف مع الإمام محمد بن سعود في الدرعية على الجهاد والدعوة إلى دين الله.

وكان - رحمه الله - لا يكفر أحداً حتى تقوم عليه الحجة، ويعرف ما هو فيه من الكفر. (٢)

وقد خالفه أعداؤه في هاتين المسألتين، التكفير والقتال، مخالفة كبيرة، ولكنه ناقشهم وكاتبهم، وبين وجه الصواب في ذلك. (٣)

وكان لاستخدامه للجهاد فوائد عظيمة، حيث انقمع الشرك عن أكثر الجزيرة، وصارت بلاداً للتوحيد ينعم أهلها إلى اليوم بثمرات تلك الأعمال الجليلة.

وسار على نفس المنهج الشيخ عثمان بن فودي في غرب أفريقيا التي كان يسودها كثير من البدع والخرافات تحت حماية سلاطين وقواد كان من مصلحتهم - فيما يعتقدون - بقاء تلك الخرافات والبدع والشركيات، فحاربهم الشيخ عثمان ونصره الله عليهم، مما ساعد فيما بعد على تثبيت التوحيد وإرسال الدعوة إلى الأماكن المجاورة. (٤)

وبهذا يتضح لنا أهمية الجهاد باعتباره وسيلة عظيمة من وسائل الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي، الذي هو أخطر الأمراض على الأفراد والمجتمعات الإسلامية.

(١) مجموع الفتاوى ٢٨/٥١٠-٥١٢ مرجع سابق.

(٢) انظر: الرسائل الشخصية، ص ٢١٦، ٢٤٤، مرجع سابق.

(٣) المرجع السابق ص ٢٥، ٢٧٢ مرجع سابق.

(٤) انظر: بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب ٢/٣٥٨-٣٦٦، بحث الأستاذ عبد الفتاح الغنيمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٣هـ.

بيد أنه من اللازم أن نشير إلى أنه ليس كل انحراف عقدي يجوز مواجهته بهذه الوسيلة، فالانحرافات الصغيرة، والبدع التي لا تصل إلى حد الكفر لايجوز رفع السلاح في مواجهتها، بل يكتفى بالنصيحة والموعظة، والمسلم أواب الى ربه إذا بان له الحق، ودعم بأدلة الكتاب والسنة.

ومن المهم أيضا أن نبين أن هذه الوسيلة مرحلة أخيرة في المواجهة، يجب أن يسبقها مختلف الوسائل، وأن تستخدم الأساليب المختلفة من الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال والتي هي أحسن، فإن استحكمت الباطل وأمر عليه أهله جاز للمسلمين حينئذ أن يستخدموا هذه الوسيلة التي شرعها الله، وبين هدفها (حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله). (١)

(١) سورة الأنفال ٣٩ .

الفصل الثاني: الوسائل غير المباشرة .

المبحث الأول: الكتاب والصحافة :

المبحث الثاني: الإذاعة والتسجيلات والصوتية .

المبحث الثالث: التلفاز والتسجيلات المرئية .

- مدخل :

نقصد بالوسائل غير المباشرة، تلك الوسائل التي تستخدم لاتصال الناس بعضهم ببعض، بشكل غير مباشر، أي بدون المواجهة المباشرة بين الأشخاص.

وهذه الوسائل تتميز بكونها تربط الناس بعضهم ببعض بأعداد هائلة، رغم تباعد المسافات والديار، ويكون هناك بالإضافة إلى الوسيلة المرسل والمستقبل، فالمرسل يتحكم في هذه الوسائل وفي المضمون الذي تحمله هذه الوسائل، ويتوجه به إلى المستقبل قاصدا التأثير فيه.

ولما كان المسلم مطالباً بالدعوة إلى هذا الدين وإلى مواجهة الانحراف العقدي الموجود بين المسلمين، فإن هذه الوسائل توفر له ذلك بشكل كبير، وعن طريقها يستطيع الدخول في بلاد كثيرة، وفي كل بيت من بيوت المسلمين، لاتحده المسافات، ولا الموانع، ولا الحدود السياسية والاقليمية.

إن استخدام هذه الوسائل الاتصالية الحديثة في تبصير المسلمين بدينهم وتعميدهم لله وحده، وإصلاح عقائدهم أمر سهل وميسور، يحتاج فقط إلى خطوات عملية ومعرفة بكيفية استخدامها، ومن فضل الله أنه يوجد كثير من المسلمين ممن تخصصوا فيها وعرفوها معرفة جيدة، ولم يبق إلا أن يقوم الدعاة بدورهم في هذه الوسائل والأجهزة، كما أن المسئولية تزداد وتعظم إذا عرفنا أن بلادنا إسلامية كثيرة لاتمانع في مشاركة العلماء والدعاة في تقديم برامج إسلامية عبر هذه الوسائل، وإذا وجد هناك موانع وعقبات فإن البدائل كثيرة، ومن ذلك استخدام الأشرطة التسجيلية الصوتية والمرئية، وهذا يكون عند صعوبة استخدام هذه الوسائل الرسمية كالإذاعة والتلفاز، إذ إنها تحمل كثيرا من خصائصها ومميزاتها، بل إن استخدام هذه التسجيلات الصوتية والمرئية مع الإذاعة والتلفاز أمر مفيد، وتنوع مطلوب.

والوسائل الاتصالية الحديثة لها نصيب من التأثير على فئات المجتمع الإسلامي من أطفال ونساء، وشباب وكهول.

فنجد أن الصحافة والكتاب تؤثر بشكل واضح على المثقفين والمتعلمين،

وتنتشر بينهم، بينما نجد أن الإذاعة تؤثر على نطاق أوسع، وتستمر في الإرسال خلال الأربع والعشرين ساعة في كثير من الأحيان.

أما التلفاز فإن تأثيره واضح على الأميين والأطفال (١)، ويتميز بنقل المشاهد الحية، وكأن الإنسان يشاهدها مباشرة، ويستغرق التلفاز حاستي النظر والسمع، مما يجعل سيطرته على المتابع كبيرة جدا. وسنفضل في خصائص كل نوع من هذه الوسائل على حدة.

ومن المؤسف أن نجد أن هناك اختلافا كبيرا في تقدير أهمية استخدام هذه الوسائل في مجال الدعوة إلى الإسلام، ولقد تعددت المواقف تجاه هذه الوسائل، وكانت ثلاثة:

- هدم الوسيلة الجديدة وتحطيمها.

- مقاطعتها والإعراض عنها .

- تحويلها وتسخيرها لخدمة الحق والخير. (٢)

إن من المهم جدا قبل الحديث عن هذه الوسائل بالتفصيل أن نحدد الموقف منها، ولا شك أن الموقف الثالث هو اللائق بأمة راشدة تملك معيار الاختيار والانتقاء، وهو اللائق بأمة تحمل الحق دون غيرها، وتستطيع أن تعرف وبسهولة صحة استخدام هذه الوسيلة أو تلك. (٣)

ويحزن المرء عندما يرى إعراض البعض عن هذه الوسائل بسبب أنها لم تنشأ في ديار الإسلام، ولم تصنع بأيدي المسلمين.

"إن الإسلام لم يخترع السيف، ولا الخيل، ولا اللغة العربية، ولا الخطبة، ولا النطق، ولكنه استخدم هذه الوسائل في سبيل أهدافه وغاياته، بعد أن منحها

(١) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص٣٠٨، بحث الأستاذ زين العابدين

الركابي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص٣٠٥ .

(٣) المرجع السابق.

المضمون الحق، والضابط الأخلاقي". (١)

ومن المعروف أن اليهود والنصارى والشيوعيين تقدموا كثيرا في استخدام هذه الوسائل لمصالحهم المختلفة، من عقائد وأفكار، أو اقتصاد وتجارة، أو سياسة وغيرها، بينما لا يزال العالم الإسلامي يجتر ما عند هؤلاء وأولئك حتى أصبحت تلك الوسائل مجال هدم وتدمير لكثير من المجتمعات الإسلامية.

إن المجتمعات الإسلامية المعاصرة تتأثر بهذه الوسائل وترتبط بها، وهذا مما يزيد في مسؤولية العلماء والدعاة تجاه هذه الوسائل.

لقد كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتتبع الناس في مواسمهم ومحافلهم لتبليغهم دين الله.

وقد كان العلماء بدءا بصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يسافرون الأيام والشهور طلبا لآية من كتاب الله أو حديثا من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، واليوم من غرفة صغيرة، أو عبر صحيفة توزع بالملايين يمكن أن ينشر دين الله، ويعلم الناس عقيدتهم الصحيحة، فأى عذر بعد هذا!

وكما يثاب المؤذن بمدى صوته فإنني أرجو الله أن يشيب الدعاة بمدى أصواتهم وبلاغهم ودعوتهم عبر هذه الوسائل. (٢)

(١) الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٣٠٥، بحث الأستاذ زين العابدين الركابي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مرجع سابق.

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٣٠٩.

المبحث الأول : الكتاب والصحافة :

يعتبر الكتاب وسيلة هامة من وسائل الاتمال، وهو وسيلة قديمة وحديثة في آن واحد، لكن الكتاب في القديم لم يكن بانتشار الكتاب في هذا العصر بعد اختراع آلات الطباعة المتقدمة، حيث يطبع لكتاب واحد في بعض الأحيان ملايين النسخ، تصل إلى أماكن مختلفة من العالم.

فالتباعة إذا هي سر انتشار الكتاب، وهي كذلك السبب في وجود الصحافة، وقد جمعنا بين الوسيلتين لهذا السبب، بالإضافة إلى اشتراكهما في خصائص عديدة منها :

- تنتشر بين المتعلمين دون غيرهم، فيقتصر أثرها عليهم مباشرة.
- أنها وسائل مقروءة.
- أنهما يتأثران باختيار القارئ وخلفياته الفكرية والاجتماعية، ولهذا فإن كل إنسان لا يختار صحيفة أو كتاباً إلا إذا كانت متفقة مع ميوله واتجاهاته، وأحياناً مع حاجاته ومتطلباته.
- وقد كان للكتاب دور كبير في العلوم الإسلامية، ومنها العقيدة، في القديم والحديث، وزادت أهميته في هذا العصر، حيث نشرت كتب السلف في كل مكان، مما أعان على تبصير الناس بعقيدتهم ودينهم.
- كما أن له دوراً في المؤسسات التعليمية المعاصرة، فبينما كان اللقاء والمشاهدة هي الأساس في تلقي العلوم قديماً، صار الكتاب أساساً لا يقل أهمية عنها في العصر الحاضر، وجاء التعبير عن المدرسة بأنها: مدرس وطالب وكتاب.
- ويسهم الكتاب في تقديم دراسات متخصصة مفصلة عن مختلف القضايا والعلوم منها كتب العقيدة الصحيحة، والدراسات التي تعالج الانحراف العقدي بشكل عام.
- إن المساهمة في إيجاد كتب العقيدة الصحيحة بين المسلمين إنشاءً وطباعة ونشراً أمر مهم جداً، يساعد كثيراً على القضاء على الانحراف العقدي، ويسهم في تبصير المسلمين بعقيدتهم الإسلامية.

ومن نعم الله على المسلمين توفر المطابع الكثيرة في ديار الإسلام، ووجود دور النشر والتوزيع التي تحرص على كتب العقيدة وتهتم بها، ويبقى دور الدعاة والعلماء في مساهماتهم بإخراج كتب السلف الصالح، وإيجاد كتب معاصرة ودراسات متخصصة لمواجهة الانحراف العقدي بكافة أشكاله.

وأعتقد أن الكتاب فيه مجال أكبر للدعاة والعلماء، كما أن إمكانية حفظه في المكتبات الخاصة والعامّة تعطية ميزة على الصحافة التي تحفظ في أماكن خاصة من المكتبات، لكن ليس بالشكل الذي تحفظ به الكتب.

والاهتمام بالكتاب الإسلامي عموماً أمر مطلوب، فإذا وجد كتاب الله بين أيدي المسلمين، ومعه كتب التفسير المناسبة، وكتب السنة وشروحها، فإن المصادر الأساسية للعقيدة الصحيحة تكون بين أيديهم، ويكون اعتمادهم عليها في معرفة العقيدة، إذ تكمن المشكلة في أن كثيراً من المسلمين يعتمد في معرفته للعقيدة على كتب مظلة بتأثير الفرق المنحرفة كالأعتزال والتشيع والتصوف؛ ومن ذلك تعقيد مباحث العقيدة، وإخراجها عن يسرها وسهولتها كما وردت في القرآن والسنة.

ولهذا كان وجود المكتبات العامة التي يتوفر بها ما يحتاج إليه المسلمون من كتب الشريعة عامة أمر لازم وواجب، ينبغي على القادرين القيام به وتشجيعه.

ولندرك أهمية الكتاب والمكتبات في المجتمع نشير إلى قيام الاتحاد السوفيتي بإنشاء (١٢٤,٨٠٠) مكتبة عامة، تحتوي على (١١٩٨) مليون كتاب، أي لكل ألفين من السكان - على وجه التقريب - مكتبة عامة. (١)

وهذه الجهود المرتبطة بالثورة الثقافية التي قامت في الاتحاد السوفيتي إنما تهدف أساساً إلى نشر الفكر الشيوعي والعقيدة الماركسية بين أفراد المجتمع، فهل قمنا نحن المسلمين بشيء من هذا، ونحن نحمل العقيدة الصحيحة،

(١) انظر: د. أحمد بدر، الاتصاف بالجماهير والدعاية الدولية، ص ٧٩، دار القلم، الكويت، ط ١، ١٣٩٤هـ.

والدين الصحيح الذي ارتضاه الله للبشر.

ومما تنبغي الإشارة إليه؛ أهمية الاستفادة مما يسمى بالكتاب الشعبي، وهو "الكتاب ذو الطبعة الرخيصة الذي يستطيع الجمهور العام الحصول عليه للترزود بمختلف ألوان الثقافة والعلم والأدب والفن، وغيرها". (١)

وذلك أن كثيرا من المجتمعات الإسلامية ليست غنية، كما أن أفرادها يشكون من قلة ذات اليد، لهذا كان الحصول على الكتاب بشكل عام مشكلة، مما يجعل الكتاب الشعبي على الرغم من رداءة ورقه أو طباعته يساهم في حل هذه المشكلة، ويمكننا عن طريقه نشر الكتب المهمة بين الأفراد ذوي الدخل المحدود من أفراد المجتمعات الإسلامية.

ومن فضل الله؛ أن كثيرا من المسلمين اليوم يحرفون على اقتناء الكتب الإسلامية، ويتابعون إنتاج العلماء في مجال الكتابة، مما يعني أهمية اخراج الكتب النافعة ونشرها بينهم مع الاهتمام بشكل خاص بكتب العقيدة؛ أساس الدين وركنه القوي، لاسيما في هذا العصر الذي تسلطت فيه الأفكار والمعتقدات المنحرفة على عقول المسلمين وأذهانهم بشتى الوسائل والأساليب.

كما يجب الاهتمام بمكتبة المنزل، وإشاعتها بين المسلمين حتى تكون مرجعا للأسرة المسلمة في معرفة أمور الدين، وقبل ذلك بيان الكتب الهامة والمفيدة للأسرة المسلمة.

وهناك جهود بذلت في هذا المقام من أهمها وأجودها - في نظري - ما قام به المعهد العالمي للفكر الإسلامي من خلال إداره (دليل مكتبة الأسرة المسلمة) (٢) حيث حوى تقسيما وتعريفا بعدد طيب من الكتب المناسبة للأسرة المسلمة.

(١) د. أحمد بدر، الاتصال بالجمهير والدعاية الدولية، ص٧٦، مرجع سابق.

(٢) خطة وإشراف د. عبد الحميد أبو سليمان، الناشر المعهد العالمي للفكر الإسلامي، واشنطن.

أما الصحافة فعلى الرغم من ذكر الباحثين لبعض أشكال صحفية قديمة (١)، إلا أن المرحلة الهامة في تاريخها بدأت بعد اختراع الطباعة في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، حيث بدأت تظهر الصحف بشكل كبير، فصدرت أول صحيفة مطبوعة في ألمانيا، عام ١٥٠٢م، ثم تبعتها إيطاليا عام ١٥٦٩م، ثم إنجلترا عام ١٦٢٢م، ثم انتشرت في بقية البلاد الأوروبية. (٢)

وظهرت أول صحيفة يومية عام ١٧٠٢م في إنجلترا، ثم عام ١٧٧٧م في باريس بفرنسا، ثم عام ١٧٨٤م في الولايات المتحدة. (٣)

ودخلت الصحافة إلى البلاد العربية، وكان من أوائل الصحف العربية صحيفة الوقائع المصرية، عام ١٨٢٨م، وهي صحيفة حكومية ما زالت تصدر حتى الآن، وتهتم بنشر البيانات والقرارات الرسمية للحكومة المصرية. (٤)

وصحيفة المبعثر الجزائرية، عام ١٨٤٧م، وحديقة الأخبار اللبنانية عام ١٨٥٨م. (٥)

وقد استفادت الصحافة من الوسائل المساندة الأخرى كالأقمار الصناعية، ووكالات الأنباء، وغيرها، حتى وصلت عدد النسخ الصحفية المطبوعة في العالم إلى ٤٠٠ مليون نسخة يوميا، وهذا العدد يوزع على ثلثي سكان الأرض تقريبا، وهناك

-
- (١) انظر: د. أحمد بدر، الاتمال بالجماهير والدعاية الدولية ص٦٤ مرجع سابق.
- ود. عبد اللطيف حمزة، الإعلام له تاريخه ومذاهبه، ص١٢، دار الفكر العربي، ودار الكتاب الحديث، الكويت.
- (٢) انظر: د. أحمد بدر، الاتمال بالجماهير والدعاية الدولية ص٦٤ مرجع سابق.
- (٣) انظر: فهمي قطب الدين النجار، الإعلام والبيت المسلم، ص١٢٤، شركة الشعاع للنشر، الكويت، ط١، شعبان ١٤٠٥هـ.
- (٤) المرجع السابق.
- (٥) انظر: د. أحمد بدر، الاتمال بالجماهير والدعاية الدولية، ص٦٦، ٦٧، مرجع سابق.

مليار ونصف مليار إنسان لاتصل الصحف إليهم بسبب الأمية، وتدني الدخل، وتخلف الموايلات. (١)

ويعتبر نصيب المسلمين في العالم من امتلاك الصحف وإدارتها نصيبا ضئيلا بالمقارنة إلى عددهم وإلى نصيب قوميات وأمم أخرى أقل منهم.

فلدى اليهود - على سبيل المثال - ٢٤٤ صحيفة في الولايات المتحدة وحدها، منها ١٥٨ دورية، ولديهم ثلاثون دورية في كندا، ولهم ١١٨ صحيفة في أمريكا الجنوبية، وفي أوروبا ٢٤٨ دورية، ولهم في العالم كله صحف ومجلات ودوريات تصل إلى ٧٦٠ صحيفة ومجلة دورية، ويصدر في الولايات المتحدة وكندا ١٨٦١ صحيفة يومية، ونص دستور الاتحاد السوفيتي على إنشاء شبكة صحفية هدفها تدعيم النظام الشيوعي. (٢)

ومما يؤسف له أن الصحافة في العالم الإسلامي - إذا تجاهلنا مسألة الأعداد والأرقام - لاتعبر فعلا عن الصحافة اللائقة بالمسلمين، فغالبيتها تسير في ركاب الفكر الغربي أو الشرقي، وتخدم مصالحه أكثر من خدمة المسلمين، وتعتمد على وكالات الأنباء الغربية وتحليلاتها وتعليقاتها على الأخبار بشكل كبير جدا، مما يجعلها في غالب الأحيان مطية سهلة للأفكار الخاطئة، والأخبار المضرة بالمسلمين.

إن للصحافة مزايا كثيرة مما يجعلنا نؤكد على وجوب الاهتمام بها، وجعلها وسيلة خيرة نافعة للمسلمين، تساهم بتوفيق الله في مواجهة الأمراض الكثيرة، ومنها الانحراف العقدي.

ومن مزاياها الهامة التي ينبغي معرفتها لمن يريد استخدام هذه الوسيلة لمواجهة الانحراف العقدي ما يلي:

(١) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٣١٠، بحث الأستاذ زين العابدين

الركابي، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص ٣١٠، ٣١١.

- الانتشار الكبير والسريع، فالصحف توزع في كافة أنحاء البلد الذي تصدر فيه، وفي كثير من الأحيان توزع في البلدان المجاورة، أو بلاد أخرى بعيدة، وقد أسهمت وسائل المواصلات والنقل في خدمتها من هذا الجانب. (١)

- متابعة المتعلمين والمثقفين لها، لأنها وسيلة مقروءة لا يستطيع الأمي الاستفادة منها مباشرة، مما يجعل آثارها وارتباطها بالمتعلمين أمرا خاصا بها دون بقية الوسائل، وهي فرصة لإثارة قضايا الفكر والعقيدة وتوجيهها الوجهة الصحيحة، حتى تؤثر فيهم، وهم غالبا صفة المجتمع، وعناصره المؤثرة فيه، إما بالقيادة، أو التعليم، أو غير ذلك، ولعل في هذا ما يفسر تسابق المنظمات الفكرية والسياسية على السيطرة على الصحف وامتلاكها.

- سهولة التناول، فتعدد مواضيعها وتنوعها وكونها تقرأ بسرعة لما تحمله من أحاديث قصيرة، ومقالات وتحقيقات وتعليقات مختلفة، بالإضافة إلى سعرها الزهيد، ما يجعل بإمكان كل واحد من الناس شراؤها رغم انخفاض مستواه المعيشي، أو شدة انشغاله، كل ذلك يجعل الصحيفة سهلة التناول. (٢)

- بإمكان القارئ التحكم في وقت قراءتها، وإعادة القراءة في أوقات مختلفة، وهو الأمر الذي يجعل الاختيار في جانب المستقبل كبيرا، مما يعين على تفهم المضمون ومراجعته وفهمه أو مناقشته والرد عليه، وهو مالا يتوفر في وسائل أخرى، كالإذاعة والتلفاز.

- يمكن للصحافة التي يقوم عليها المسلمون طرح قضايا الانحراف العقدي، أو إجراء التحليل المبدئي عن فرقة من الفرق المنحرفة، وهذا يجعل القراء يعودون إلى المراجع الأساسية والكتب المتخصصة التي يمكن أن تشير إليها الصحيفة عند معالجتها لمثل هذه الأمور، وبهذا توجه بشكل غير مباشر مسألة

(١) انظر: محمد موفق الغلاييني، دور وسائل الإعلام في وحدة الأمة ص١٦٠، دار

المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ.

(٢) المرجع السابق.

فهم كل متعلقات هذا الانحراف وفضحه من خلال المراجع الموثوقة، أو من خلال مراجعة العلماء والمتخصصين بالعقيدة الإسلامية.

إن الصحافة وسيلة هامة في مواجهة الانحراف العقدي، ونحن لانقصد بهذا أن تكون الصحيفة كتاباً عن العقيدة، بل نريد أن تجعل هدفها الرئيسي خدمة الإسلام والعقيدة الإسلامية، والمساهمة في تثبيتها في نفوس المسلمين، وإيضاح الجوانب المنحرفة والأفكار الضالة المؤثرة على المسلمين، وإذا كان هذا فليس هناك ما يمنع أن تتابع الصحافة نشاطها المعهود في نقل الأخبار، وما يتبعه من تحليلات وتعليقات ستتأثر بالهدف السابق، مما يجعلها لسان صدق يخدم المسلمين ويفيدهم.

وعلى أية حال فإن وجود مثل هذا الهدف لا ينتظر من اليهود والنصارى أو من يواليهم، بل هو من مسئولية المسلمين أنفسهم، وبالأخص القادرين منهم على إنشاء الصحف أو إدارتها، أو المشاركة في تحريرها، أو على الأقل مراجعتها، وبهذا يكون المسلمون قد استفادوا من هذه الوسيلة لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية.

المبحث الثاني: الإذاعة والتسجيلات الصوتية :

تعتبر الإذاعة من أوسع وسائل الاتصال الحديثة انتشارا بين الجماهير، ذلك أن المذياع - جهاز الراديو - ميسر الاقتناء، سهل الاستعمال والنقل في كل مكان، خاصة بعد اختراع (الترانزستور).

وقد سمع أول صوت إنساني عبر الموجات اللاسلكية عام ١٩٠٦م، ثم تطورت الموجات من طويلة إلى متوسطة، إلى قصيرة، إلى أقصر وأقصر. (١)

وقد بدأت أول محطة غير رسمية للإذاعة إرسالها عام ١٩٢٠م على يد الدكتور (فرانك كونراد) المهندس في شركة (وستنجهاوز) في الولايات المتحدة. (٢)

وفي نفس العام قامت جريدة (الديلي ميل) البريطانية بتنظيم برنامج إذاعي، وبعد أربع سنوات أنشئت هيئة الإذاعة البريطانية.

وفي عام ١٩٢٥م أصبح في العالم نحو ستمائة محطة إذاعية، وفي سنة ١٩٢٥م ارتفع عددها إلى الضعف، وفي عام ١٩٦٠م ارتفع عدد هذه المحطات ليصبح ٧٥٠٠ محطة. (٣)

وجاء إنشاء أول محطة إذاعية رسمية في البلاد العربية في القاهرة، عام ١٩٢٤م وفي عام ١٩٢٨م ظهرت الإذاعة اللبنانية، وسميت براديو الشرق، وتذيع باسم سوريا ولبنان، ثم تتابعت الإذاعات العربية فظهر أكثرها بين عام ١٩٢٨ - ١٩٥١م. (٤)

(١) انظر: د. أحمد بدر، الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية من ٨٦ مرجع سابق.

(٢) انظر: خليل مابات، وسائل الاتصال نشأتها وتطورها، ص ٢٢٩، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٢م.

(٣) المرجع السابق، ص ٢٣٠.

(٤) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٤٦، بحث الأستاذ محمد رمضان لاوند، مرجع سابق.

والإذاعة وسيلة عظيمة لمواجهة الانحراف العقدي، ونشر الدين الإسلامي، وإقامة الحجة على الناس، وذلك لسعة مدى البث الذي تصل إليه، لكن لا بد أن نشير إلى واقع أكثر الإذاعات في البلاد الإسلامية غير المنسجم مع الإسلام ونظامه وتعاليمه، حيث تأثرت بأنواع الأنظمة السياسية السائدة، وكل الإذاعات في العالم الإسلامي - تقريبا - رسمية، تشرف عليها الدول، وتتأثر بنظامها وفكر القائمين عليها.

ومن المظاهر السيئة في الإذاعات المنتشرة في العالم الإسلامي تركيبها العلماني، فأنت تستمع إلى القرآن الكريم وتفسيره، ثم تجد بعد ذلك كلاما منحلا أو أغنية خليعة أو تمثيلية سيئة، كل ذلك لا يتفق مع الإسلام الذي يأمرنا بأن تكون أعمالنا كلها مقصودا بها وجه الله ومتبعا بنها هدي المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وفي جدول البرامج في أكثر الإذاعات في البلاد الإسلامية تجد ما يسمى بالفترة الدينية، وهي الفترة المحدودة التي تداع فيها الأحاديث والشعائر الإسلامية، وأما بعد ذلك فليس للدين صلة به.

إن هذه النظرة، وهذا الفصام، يضر بالمسلمين أكثر مما ينفعهم، والواجب أن تصبغ البرامج كلها بصيغة الإسلام، وأن تكون متفقة مع أحكامه وتشريعاته، عند ذلك تستحق الإذاعة أن تسمى إسلامية، ويزول ما يسمى بالفترة الدينية، والأثر العلماني عنها.

وهذا كله يؤكد المسؤولية الملقاة على المسلمين في إصلاح الإذاعات في بلادهم، وإيجاد إذاعات تخدم الإسلام والعقيدة الإسلامية.

ومن العجيب أن نجد منظمات كثيرة للتنصير تمتلك إذاعات خاصة لخدمة النصرانية^(١)، بينما لا يوجد مؤسسة إسلامية واحدة، من المؤسسات المتخصصة

(١) مثل: إذاعة ساعة الإصلاح، بالخرطوم.

وإذاعة نور على نور، في مرسلينا.

بالدعوة إلى الإسلام تملك إذاعة واحدة. (١)

وعلى كل حال فإن المسلم ينبغي ألا يعتذر بأي عذر، إذ عليه أن يستثمر كل فرصة ممكنة لاستخدام هذه الوسيلة الهامة حتى يحصل البلاغ، وتحصل البراءة بإذن الله، وربما هدى الله أناسا عديدين، وأصلحوا من معتقداتهم بسبب كلمات صادقة من عالم جليل عبر موجات الأثير.

ومن العدل أن نذكر ما تقدمه إذاعات المملكة العربية السعودية من البرامج الإسلامية المفيدة، وبالأخص إذاعة القرآن الكريم، حيث يتابع كثير من المسلمين برامجها من فتاوى وأحاديث ودروس، تفيدهم في دينهم ودنياهم.

ويذكر بعض الاخوة الأفارقة حرص المسلمين هناك على متابعة البرامج الإسلامية والفتاوى في الإذاعات السعودية، لكنهم يشكون من التشويش في البث في بعض الأنحاء، وقلة مدته في أنحاء أخرى، مما يجعل الاهتمام بهذه الأشياء وتذكير المسؤولين بها أمرا واجبا، لما يترتب عليه من آثار ونتائج.

= وإذاعة كلمة الحياة، في مالكا بأسبانيا.

وإذاعة المحبة والوفاء، ببيروت.

وإذاعة مونت كارلو، بمونت كارلو.

انظر: نذير حمدان، في الغزو الفكري، المفهوم - الوسائل - المحاولات، ص١٢٤، ١٢٥، مرجع سابق.

(١) يستثنى من ذلك ما قامت به رابطة العالم الإسلامي، من إنشاء إذاعة صوت رابطة العالم الإسلامي في دولة بلجيكا، لكن مدة البث قصيرة جدا، فهي تبث برامجها من الساعة الثانية عشرة ظهرا، حتى الساعة الثانية بعد الظهر - ساعتين فقط - ومن أهم برامجها: إذاعة القرآن الكريم وتفسيره، بالإضافة إلى الحديث الشريف وغيره.

انظر: التقرير السنوي لرابطة العالم الإسلامي للدورة (٢٦)، ص٩٤ .

ولكي تتضح أهمية استخدام هذه الوسيلة في الدعوة إلى الإسلام ومواجهة الانحراف العقدي نذكر أهم مزاياها التي منها ما يلي:

- البث الإذاعي يصل إلى جميع الفئات في المجتمع، من الأميين، أو المثقفين أو متوسطي الثقافة، ويستهوو المذيع فئة العوام بشكل خاص - وهي الفئة التي توجد لديها انحرافات عقديّة تقليديّة - حيث أظهرت بعض الدراسات التي أجريت على بعض القرى في بلدان إسلامية، مثل تركيا، ولبنان، والأردن، أن المذيع له دور هام ورعيسي في حياة القرويين، لأنهم يتلقون منه الأخبار والتعليق عليها، ويأخذون منه كثيرا من المعلومات العامة والخاصة. (١)

والسبب في ذلك أن العامي لا يعرف القراءة غالباً، فهو لا يتعرض للوسائل المقرّوة (٢)، والمذيع لا يتطلب منه إلا أن يصغي بأذنيه فقط، ويمكنه كذلك اصطحابه إلى مكان عمله في الحقل والمعمل، فيتابعه لساعات طويلة أكثر من غيره من الفئات الأخرى.

- البث الإذاعي يتخطى الحواجز السياسية والقومية والإقليمية، ويمكن من خلاله مخاطبة كل قوم بلغتهم، وهذه الإمكانيّة تستخدم بكفاءة من قوى الشر، فالاتحاد السوفيتي ومنذ أمد طويل يسعى لبث فكره المادي الإلحادي، والمنظمات النمرانية تسعى لنشر النمرانية؛ وهكذا، ويكفي أن نعلم أن إذاعة موسكو في عام ١٩٣٠م كانت تذيّع للعالم الخارجي بخمسين لغة ولهجة مختلفة. (٣)

أما الإذاعات النمرانية الموجهة إلى شعوب العالم الإسلامي فهي كثيرة تخاطب

(١) انظر: د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجمامير، ص ١٨٠، ١٨١، مكتبة الانطو المصرية، القاهرة، ط ٣، ١٩٨١م.

(٢) انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ص ١٤٨، مرجع سابق.

(٣) انظر: سهير عبد الغني بركات، الإذاعة الدولية، ص ٢٣، مؤسسة على جراح الصباح، الكويت، ١٩٧٨م.

كل قوم بلغتهم.

إن استخدام هذه الوسيلة في إصلاح عقائد المسلمين والدعوة إلى الإسلام بشكل عام يحفظ طاقة المسلمين، ويكون بنفس الوقت حجة على من لم تبلغهم الدعوة في العالم، حيث يمكن تبليغهم بالإسلام من خلال البث والإرسال الإذاعي القوي بكل اللهجات واللغات، أو - على الأقل - بعث الفطرة في نفوسهم للبحث عن الحقيقة، ومن ثم تكون وظيفة الدعاة تشببت لإيمان والدخول في تفاصيل العبادة والسلوك.

وإذا كان الطغاة وأصحاب الممالح يمنعون الدعاة من تبليغ كلمة الله ودينه، ويضعون ومايتهم القسرية على شعوب ومجتمعات كاملة من أن يصلهم الحق والهدى، فإن المذيع جاء لينهي هذه الوصاية، ويخترق تلك الحواجز والموانع التي وضعها هؤلاء ضد هذا الدين وأتباعه من دعاة التوحيد والهدى. (١)

- المذيع يشغل حاسة واحدة من حواس الإنسان، وهي حاسة السمع، مما يكون له أثر كبير في تشببت الرسالة الإعلامية في ذهن السامع (٢)، والصوت البشري الذي يصل إلى أذن السامع يتفوق على الكلمة المكتوبة، لأنه يحمل مزيداً من التعبير عن شخصية المتحدث ونفسيته، ومعلوم أن الحديث الشفهي العادي أو الخطابي يتأثر بكيفية الإلقاء وأسلوبه، ويتفوق بعض الناس على بعض في ذلك، فالتمييز إذاً واضح بين الكلمة الموسوعة والكلمة المكتوبة.

وغير ذلك من المزايا العديدة، لكن ركزنا على الجوانب التي تخدم فكرة البحث وموضوعه.

(١) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٣٠٩، بحث الأستاذ زين العابدين الركابي، مرجع سابق.

(٣) انظر: نور الدين أحمد سليم، وسائل الاتصال المعاصرة ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، رسالة ماجستير بجامعة الإمام، قسم الإعلام، ص ١٨، عام ١٤٠٢هـ - غير منشورة - .

ويمكن أن نلحق بالإذاعة والبث الإذاعي الشريط المسجل أو التسجيل الصوتي، إذ يشتركان في كونهما وسيلتان سمعيتان يشغلان حاسة السمع، لكن للتسجيلات الصوتية مزايا أخرى تجعل استخدامها في مواجهة الانحراف العقدي - وخاصة في هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية - أمراً ذا أهمية كبيرة.

ومن المزايا الخاصة بالشريط المسموع ما يلي:

- عدم وجود موانع أو رقابة صارمة عليه (١)، ومن المعلوم أن جميع وسائل الإعلام في البلاد الإسلامية تخضع غالباً للرقابة والتحكم من قبل الأنظمة السياسية، فلا يذاع إلا ما يوافق خطها السياسي، ونحن لايهمنا ذلك بقدر ما يهمنا عدم منع صوت الحق ودعوة الإسلام التي يقوم بها العلماء والدعاة إلى الله، وعن طريق الشريط المسجل يمكن أن ننقل كلمات العلماء وبياناتهم للعقيدة، وشرحهم لها ولكتبها، وإيضاحهم لجوانب أخرى، ووجه الصواب في مقابلها، وهي أمور لايتاح عرضها بسهولة في كثير من الإذاعات، وخاصة إذا كان الانحراف العقدي في الحاكم نفسه وأفكاره، أو أشخاص لهم نفوذهم وسلطتهم، بينما يمكن ذلك كله في غالب الأحوال عن طريق الشريط المسجل، وإن كان الانتشار بطبيعة الحال أقل من البث الإذاعي.

- يتيح الشريط مجالاً أكبر لعرض المادة المسموعة، لأن الشريط بعد التسجيل يصبح كالكتاب يقرأ فيه صاحبه متى شاء، والسماع أسهل من القراءة، وخاصة في حالة التعب والملل (٢)، أو التنقل والترحال.

- القيام بإعداد شريط مسجل بمادة علمية أسهل من القيام بإنشاء إذاعة، لذلك اهتمت به كثير من مؤسسات الدعوة الإسلامية، كما فعلت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة، التي أنشأت إدارة

(١) انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ص ١٥٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق.

مستقلة توفر الأشرطة الإسلامية لمختلف المواضيع والعلوم الإسلامية، من عقيدة، وتفسير، وحديث، ودروس العلماء المختلفة.

كما اهتمت به المراكز الإسلامية في العالم الإسلامي، وفي خارجه، وجعلت له أماكن مستقلة في مقراتها ليسهل على المترددين عليها الاستفادة من هذه الأشرطة.

وأخيرا نشير إلى أن هناك علاقة تبادلية بين الشريط المسجل والإذاعة، إذ كثيرا ما تستفيد الإذاعات من الأشرطة المسجلة، لتبث مادتها عبر الأثير، وفي هذه الحالة فإن الفائدة ستكون مضاعفة إذا كانت المادة مفيدة ونافعة.

وكذلك كثيرا ما قام الأفراد بتسجيل بعض المواد النافعة التي تقدمها الإذاعة، ومن ثم ينشرونها بين الآخرين، فتحصل الفائدة لمن لم يستمع إلى البرنامج الإذاعي الذي أذيعت فيه تلك المادة.

المبحث الثالث : التلفاز والتسجيلات المرئية :

التلفاز أو (التلفزيون): جهاز نقل الصور والأصوات بواسطة الأمواج الكهربائية. (١)

وقد بدأت التجارب الأولية والمقدمات لاختراع التلفزيون في العقد الثاني من هذا القرن الميلادي، واستطاعت بريطانيا إرسال بث تلفازي منتظم عام ١٩٣٦م، وتبعتها الولايات المتحدة في عام ١٩٣٩م.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت تنتشر المحطات التلفازية في أنحاء العالم، ثم أدخل التلفزيون الملون عام ١٩٥٢م، وقد بلغت محطات التلفزيون في الدول العربية ١٩٠ محطة عام ١٩٧٧م. (٢)

والتلفزيون من أكثر وسائل الاتصال الحديثة أثرا واستحوادا على الجمهور، ذلك أنه يستغرق حاستي السمع والبصر، وينقل المشاهد حية متحركة، وبهذا يشبه الاتصال المباشر أو الشخصي الذي يعد أفضل أنواع الاتصال وأنجحها في إحداث الأثر على الطرف الآخر لعملية الاتصال.

ومما يؤسف له أن التلفزيون لم يستخدم في العالم بوجه عام، وفي العالم الإسلامي بوجه خاص الاستخدام الأمثل الذي يحقق الخير والمصلحة للإنسان، بل على العكس تماما، فقد كان لسيطرة اليهود على وسائل الاعلام، والتلفزيون بالأخص أثر كبير في فساد المواد المعروضة.

كما أن ضعف العالم الإسلامي، وعدم قدرته على الانتقاء والاختيار، والإبداع في مجال الإنتاج الإعلامي كان سببا في اعتماد الأجهزة الإعلامية في البلاد الإسلامية، ومنها التلفزيون على الإنتاج اليهودي والنصراني، وبالتالي صار هذا الإنتاج منها يحتذى من قبل العاملين في الاعلام في البلاد الإسلامية، لايمكون إلا

(١) د. إبراهيم أنيس، وزملاؤه، المعجم الوسيط، ٨٧/١، مرجع سابق.

(٢) انظر: خليل صابات، وسائل الاتصال، نشأتها وتطورها، ص ٢٧٢-٢٨٧ مرجع سابق.

أن يقلدوه بجدافيره إن لم يزيدوا عليه في سوء والضلالة .
وأستطيع القول هنا إن التلفزيون هو أقل الوسائل استخداما في خدمة الإسلام
والدعوة الإسلامية، في هذه المرحلة من حياة الأمة الإسلامية، على الرغم من أنه
من أهم الوسائل وأكثرها تأثيرا في الأفراد والمجتمعات، حيث يقضي الكثير من
الأفراد أكثر أوقات فراغهم متابعين له، مما جعل سيطرته واستحواده على
أوقاتهم أكثر من أي أمر آخر، فهو - أي التلفزيون - موجود داخل المنزل،
لايحتاج المشاهد له أن ينتقل إلى مكان آخر لمتابعتة، ويستطيع أن يشاهده
جالسا أو متكئا أو مستلقيا، "ويزداد أثره ويتعمق في فئتين من الناس هما:
فئة الأميين، وفئة الأطفال، وأسباب التأثير مشتركة بين الفئتين تقريبا، وهي:
الانبهار، وفقدان الحصانة الثقافية، وعدم القدرة على الانتقاء والاختيار". (١)

لذلك كله، تزداد المسؤولية على الأمة في الحفاظ على أبنائها بمختلف
فئاتهم من آثاره السيئة التي لاتخفى على ذي بصيرة .

ومن ناحية أخرى استخدامه في خدمة الإسلام والدعوة إليه، وتعميق الإيمان في
نفوس العباد، حتى يتحقق لهم الخير في دنياهم وأخرامهم، إذ من خلاله يمكن
معالجة الأمراض الاجتماعية في البيئة الإسلامية، ومنها الانحراف العقدي الذي
بيننا - فيما سبق - أهم مظاهره .

في إحدى البلدان العربية أثبت استفتاء طبق على القادة الثقافيين، ومنهم
رجال الإعلام أن ٦٨٪ منهم يعتقدون وجوب زيارة الأضرحة، وتقديم النذور لأصحابها .

ويمكن ببرامج التلفزيون، ومنها التمثيليات الناجحة أن ننجح في تحرير
هذه العقول من الخرافات، وذلك بوضع الخرافي القبوري في صورة شخصية تعيسة،
مختلفة المعيار والتصور، ينفر منها كل مشاهد، ويدعو الله أن يعصمه من الوقوع
في مثل هذا الضلال. (٢)

(١) الإعلام الإسلامي، والعلاقات الإنسانيّة، ص٣٠٨، بحث الأستاذ زين العابدين
الركابي، مرجع سابق.

(٢) انظر : المرجع السابق.

والتلفزيون ، هذه الوسيلة الهامة والخطيرة، يتابعه الملايين من الناس، ولا ننكر أن هناك برامج إسلامية تعرض فيه، لكن رداءة الإخراج والإعداد في أحيان كثيرة تكونان سببا في إعراض الكثير من الناس عنها، وعدم متابعتها، فينبغي إذا أن يهتم الدعاة والعلماء بمعرفة أسلوب الاستخدام الأمثل، والبحث عن عوامل النجاح والقبول لما يقدمونه من البرامج، بدلا من الطرق التقليدية التي جعلت الناس ينصرفون إلى اهتمامات أخرى عند موعد عرض أمثال هذه البرامج.

ومن المعلوم أن الفكرة العلمانية في جدولة برامج الإعلام على العموم في الصحافة، والإذاعة، والتلفزيون، ما زالت هي السائدة والمهيمنة على برامج تلك الوسائل في البلاد الإسلامية، وهو أمر لابد من علاجه ومواجهته، إذ هو انحراف في التصور والفكر والعقيدة يجب إصلاحه بالطرق المناسبة.

ومع هذا نؤكد كما سبق على أهمية استثمار الفرص الممكنة عبر هذه الوسائل لخدمة الإسلام والمسلمين المنتسبين إلى هذه الأمة، التي تسعى إلى خير الإنسان في كل جانب، من جلب المصالح له في جميع أحواله، ودرء المفساد كلها، وأخطرها فساد العقيدة والتصور.

ومما يؤكد أهمية الإسراع في تحويل التلفزيون إلى وسيلة خير وهدى، والاستفادة منه في مواجهة الانحراف العقدي وغيره من الانحرافات، تلك المزايا العديدة لهذا الجهاز، فمن أهم مزاياه :

- أنه أقرب الوسائل الاتصالية الحديثة إلى الاتصال الشخصي، وذلك لاستفراقه لحاستي السمع والبصر، فهو يستخدم الصوت والصورة المتحركة معا، وهذا مما يشد المشاهد ويجذب انتباهه، والانتباه للرسالة الإعلامية يساعد في فهمها وتذكرها، وهما أمران مهمان جدا لإحداث الأثر في الطرف الآخر. (١)

(١) انظر: محمد موفق الغلاييني، وسائل الإعلام وأثرها في وحدة الأمة، ص١٣٧، مرجع سابق.

- يستطيع التلفزيون نقل المشاهد الحية والفورية، وهو ما يعرف بال بث المباشر، الذي من خلاله يمكن نقل خطب الجمعة من الحرمين أو غيرها من المساجد، وكذا شعائر الحج، وهذه المشاهد تفيد المسلمين في الأقطار المختلفة والبعيدة، بما تحمله من مضمون، ويزداد في نفوس المسلمين كذلك تعظيم شعائر الله.

- يمكن من خلال التلفزيون نقل الدروس العلمية لعلماء المسلمين كاملة، فنحقق بهذا نشر العلم النافع بدرجة تقرب من الأخذ المباشر عن هذا العالم أو ذلك، ولكن ليس لأفراد معدودين، بل لملايين الناس.

- لما كانت أكثر الفئات المتأثرة بالتلفزيون هما فئة الأطفال والأميين فإنه يعين إذاً استخدم استخداماً حسناً على تثبيت العقيدة الإسلامية، وبنائها في نفوس الأطفال عبر برامجهم المفضلة، وأساليب الحوار، واللقاءات.

كما يمكن تعليم الأميين القراءة والكتابة - وهو أمر يحدث فعلاً - مما يجعلهم قادرين على زيادة معلوماتهم من مصادر أخرى كالكتب، وبالتالي عدم خضوعهم الكامل لوسائل معينة كالتلفزيون، أو دعاة الضلال من الخرافيين وأصحاب الطرق الصوفية، ومع الوقت تتسع مداركهم، وتصلح عقائدهم من تأثير الوسائل الخيرة الأخرى.

ونلاحظ بالتلفزيون التسجيلات المرئية الأخرى عن طريق (الفيديو) أو (السينما) ونحوها، فهذه الوسائل لها نفس المزايا التي ذكرناها سابقاً عن التسجيلات الصوتية من الحرية في الإنتاج، وقلة الموانع والرقابة، وكذلك المجال الأكبر لعرض المادة المسجلة مرات عديدة، بالإضافة إلى سهولة تسجيل المادة خاصة بعد صناعة أجهزة تسجيل الفيديو المتنقلة، وهي سهلة النقل، كما أنها خفيفة الوزن، وهذا بطبيعة الحال أسهل بكثير من إيجاد محطة تلفزيونية.

وقد كان في هذه البدائل مجالاً طيباً لنقل كثير من المحاضرات القيمة عبر هذه التسجيلات المرئية، ومن ثم إعادة عرضها في أماكن أخرى جماعية أو فردية، بين أفراد الأسرة أو في المدارس.

ومع هذا نؤكد على أن هذه الوسائل لم تستخدم بالشكل المناسب رغم ما فيها من مصالح ومنافع كثيرة.

وقبل الانتهاء من الحديث عن الوسائل الاتصالية الحديثة أشير إلى أهمية إيجاد المؤسسات الإعلامية الخاصة للإنتاج والتوزيع، فعلى الرغم من تيسر مثل ذلك إلا أن الشباب المسلم المثقف ما زال مقصرا في هذا الجانب.

ومما يحزن المرء استغلال أصحاب الثقافات الغربية لهذه الفرص، وقيامهم بإنشاء مثل هذه المؤسسات لنشر الأفلام الطيعة، أو الأشرطة الماجنة، أو لنشر الكتب والصحف والمجلات الهابطة.

إن فرص العمل للإسلام كثيرة، وإن مواجهة الانحراف العقدي من أزم اللوازم وأوجب الواجبات، إذ بصلاح العقيدة تصلح بقية الأمور، وتتحقق العبودية الكاملة لله رب العالمين في كل مجالات الحياة من سياسة، واقتصاد، واجتماع، وغيرها، وقد أمرنا الله سبحانه بالدعوة إلى دينه، لكن قصر الفهم عن وسائل الدعوة وإمكاناتها في العصر الحاضر جعل الكثير من المسلمين لا يفيدون منها، بينما يستغلها أعداء الله وأعداء دينه بشكل مذهل وكبير.

نسأل الله أن يبصر المسلمين بدينهم، وأن يعينهم على فهم واقعهم، ومتطلبات عصرهم، فذلك أول خطوات النجاح في ميدان الدعوة إلى الإسلام، قال الله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم). (١)
ومن فقه هذه الآية يعلم المسلم أن له قاعدة دائمة، هي: كل مسلم مكلف بمخاطبة جيله بلسان عصره. (٢)

(١) سورة إبراهيم ٤ .

(٢) انظر: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، ص ٣٠٥ ، بحث الأستاذ زين العابدين الركابي، مرجع سابق.

الفصل الثالث : نماذج من جهود بعض الهيئات العاملة
في الدعوة والتعليم الإسلامي .

المبحث الأول: الهيئات العاملة في الدعوة .

المبحث الثاني: الجامعات الإسلامية .

المبحث الأول : الهيئات المتخصصة في الدعوة .

أولا : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد :

أنشئت هذه الرئاسة تحت اسم (دار إفتاء والإشراف على الشؤون الدينية والمعاهد) في شهر رمضان من عام ١٣٧٤هـ في الرياض، برئاسة سماحة الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ - رحمه الله - مفتي الديار السعودية، ورئيس قضاتها سابقا. (١)

ثم تحولت في ١٣٩١/٧/٨هـ ليصبح اسمها (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) تحت رئاسة معالي الشيخ إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم آل الشيخ - وزير العدل حاليا - بموجب المرسوم الملكي رقم ١٩٣/١ في التاريخ المذكور. (٢)

واستمرت رئاسته لها حتى شهر شوال عام ١٣٩٥هـ حيث تولى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز منذ ذلك التاريخ رئاستها، بموجب المرسوم الملكي رقم ٢٤٧/١ وتاريخ ١٣٩٥/١٠/١٤هـ (٣) ولا زال رئيسا لها، حفظه الله .

وتعمل هذه الرئاسة لخدمة الإسلام والمسلمين في داخل المملكة وخارجها، وهي موضع ثقة واحترام كثير من أبناء العالم الإسلامي، وما زال الخير يسري بما تقدمه من خدمات مختلفة للمسلمين في مجالات شتى، وينتشر الدعاة التابعون لها في كثير من بلاد العالم، يؤدون مهماتهم، والتي من أبرزها نشر العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومواجهة الانحرافات العقديّة المختلفة .

وقد أثمرت جهودها ثمرات جليلة، تستحق الشكر والتقدير لكل من ساهم فيها، والدعاء لهم بالتوفيق والسداد لمزيد من العمل الإسلامي المبني على عقيدة أهل السنة والجماعة، تخطيطا وأهدافا .

(١) جريدة أم القرى، عدد ١٥٦٥، في ٢٠ رمضان ١٣٧٤هـ .

(٢) جريدة أم القرى، عدد ٢٣٨٧، في ١٣ رجب ١٣٩١هـ .

(٣) جريدة أم القرى، عدد ٢٥٩٨، في ١٩ شوال ١٣٩٥هـ .

ومن الإدارات الرئيسية التي تساهم بالقيام بمسئوليات هذه المؤسسة الخيرية

ما يلي: (١)

١ - إدارة الدعوة :

وهي تختص بأمور الدعوة والدعاة والمندوبين للتدريس في الداخل

والخارج، وتنقسم إلى إدارتين :

أ - إدارة الدعوة في الخارج :

وتحمل مسئولية الدعوة في أنحاء العالم، ما عدا المملكة ودول الخليج

العربي، وتتولى إرسال الدعاة والمدرسين إلى مراكز الدعوة والجمعيات الإسلامية

المنتشرة في أنحاء العالم.

ب - إدارة الدعوة في الداخل :

وتتولى أمور الدعوة في داخل المملكة ودول الخليج العربي، ولها فروع

كثيرة في مدن المملكة، حيث تتولى تلك الفروع تعيين الدعاة والمرشدين في

المساجد وأماكن التجمعات.

كما تتولى هذه الإدارة مسئولية تعيين الدعاة والمرشدين في الحرمين

الشريفيين، وخاصة في موسم الحج، حيث تشترك مع الجهات الأخرى والجامعات

الإسلامية في إرشاد الحجاج للطرق الصحيحة في أداء المناسك، والاهتمام بالشعائر

التعبدية، وكذلك الحث على الآداب والسلوك الإسلامي، والتمسك بالكتاب والسنة،

وتنقية العقيدة من الخرافات والبدع.

ومن الجدير بالذكر أن هذه الإدارة نشطت في السنوات الأخيرة في جانبين

متميزين، إضافة إلى أعمالها السابقة:

الأول : التخطيط الجيد للدعوة في الداخل، ووضع برامج محددة، وترتيبات

(١) انظر: عبد الحكيم عبد السلام، دور العهد السعودي الثالث في خدمة الإسلام،

رسالة دكتوراه، - غير منشورة - مقدمة لقسم الدعوة، بالجامعة الإسلامية،

١٤٠٥/١٤٠٦هـ.

للدعاة العاملين فيها، ليشمل عملهم جميع المساجد، وكذلك تدعيم هؤلاء الدعاة بطلاب العلم العاملين في جهات أخرى، كالقضاء والتعليم وغيرها، والاستفادة منهم، ووضع جداول منسقة لمحاضراتهم وندواتهم.

الثاني: الاهتمام بالجاليات العاملة في المملكة، ونشر الكتب الإسلامية المبسطة بينهم، لدعوتهم إلى الإسلام، وكذلك إقامة المحاضرات والندوات بلغاتهم في القاعات العامة، أو في مقرات عملهم بالشركات والمؤسسات العامة والخاصة، وهذه المهمة أنيطت بإدارة شؤون الجاليات.

٢ - الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء :

وهي إدارة للتنسيق في أعمال هيئة كبار العلماء - التابعة للرئاسة - التي تتكون من كبار العلماء في المملكة، حيث تقوم هذه الهيئة بمسؤوليات كبيرة، من أهمها:

بحث ما يطلب ولي الأمر بحثه، وإبداء الرأي فيه، وما يوصي مجلس الهيئة ببحثه، أو يوصي به أمينها العام، أو الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، أو اللجنة الدائمة المتفرعة عن الهيئة.

وتعقد الهيئة جلساتها مرة كل ستة أشهر، ويجوز انعقادها في جلسات استثنائية لبحث الأمور الضرورية التي لا تقبل التأخير.

- وتصدر الأمانة العامة مجلة دورية، تنشر البحوث العلمية التي توافق الهيئة على نشرها، والبحوث العلمية التي ترد من بعض الباحثين، بعد موافقة الأمين العام على نشرها، وهي مجلة قيمة لا يخلو عدد من أعدادها - تقريبا - من معالجة لمسائل العقيدة، وبيان لبعض الانحرافات العقدية المنتشرة في العالم الإسلامي.

أما اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء فهي متفرعة من الهيئة، وتقوم بإعداد البحوث اللازمة، وخاصة ما تطلبه هيئة كبار العلماء، كما تجيب على أسئلة المستفتين المختلفة، بالإضافة إلى توجيه من يكلف بإعداد البحوث التي يهم اللجنة بحثها.

وهذه اللجنة تعقد اجتماعاتها كل أسبوع مرتين، أو حسب ما تدعو إليه الحاجة.

٣ - هيئة التوعية الإسلامية في الحج : (١)

هذه الهيئة مسؤولة عن تنسيق ومتابعة أعمال التوعية الإسلامية في موسم الحج، ولها جهود بارزة في هذا المجال، حيث تستقطب الدعاة من داخل المملكة وخارجها ليقوموا بتوعية الحجاج وإرشادهم في مواقع تجمعاتهم المختلفة.

ويتم إرشاد الحجاج إلى أداء المناسك على الوجه الصحيح، بالإضافة إلى مواجهة البدع التي يرتكبها بعض الحجاج في أماكن مختلفة من المشاعر.

وتساهم باختيار الكتب المناسبة، وتوزيعها على حجاج بيت الله الحرام.

٤ - إدارة الطبع والترجمة :

وهي إدارة مهمة ونشطة في مجالها، ومن أهدافها نشر الكتب الإسلامية، وإخراج التراث الإسلامي، وطبعه محققاً، مع القيام بترجمة الكتب القيمة والمفيدة في التعريف بالإسلام وعقائده وأحكامه إلى لغات عالمية شتى، وقد ترجمت إلى حوالي ثلاثين لغة أجنبية، ونشرت ما يزيد على ثمانمائة عنوان.

كما تقوم هذه الإدارة بشراء الكتب الإسلامية النافعة، وخاصة كتب العقيدة الإسلامية، وأمّهات الكتب الإسلامية في التفسير، والحديث، ثم توزعها مجاناً على طلاب العلم في الداخل والخارج، حيث تشحن على حساب الرئاسة إلى أصحابها، وإلى الجمعيات الإسلامية في الخارج، وهو عمل جليل ساهم في نشر الكتب الإسلامية النافعة بأعداد هائلة، ولا زال هذا العمل النبيل مستمراً، وإن لم يستطع الوفاء بكل الطلبات الكثيرة جداً من الداخل والخارج.

(١) انظر: عبد الله عبد المطلب بوقس، التوعية الشاملة في الحج، ص ٧٦-٨٢،

سلسلة دعوة الحق، رابطة العالم الإسلامي، السنة الأولى ١٤٠١هـ ذو الحجة،

العدد ٩ .

- و مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول ١٣٩٥هـ.

0 - إدارة مراقبة المطبوعات :

وتقوم هذه الإدارة - كما هو اسمها - بفحص ومراجعة المطبوعات، سواء المعدة للنشر، أو التي يراد إدخالها إلى المملكة، من ناحية العقيدة والفكر على وجه الخصوص.

كما تقوم بمراقبة المصاحف التي ترد إلى المملكة من الخارج، وفحصها فحصاً دقيقاً حتى لا تدخل المصاحف المحرفة أو التي بها أغلاط، وهذا بطبيعة الحال عندما كانت أكثر المصاحف تطبع خارج المملكة، أما الآن وبعد إنشاء مطبعة الملك فهد لطباعة القرآن الكريم بالمدينة، فقد قل عمل هذه الإدارة في هذا الجانب لعدم الحاجة إلى استيراد المصاحف من الخارج، ولله الحمد.

وهكذا نجد أن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد تعمل بكل إداراتها في نشر العقيدة الإسلامية، ومواجهة الانحراف العقدي من منطلقات تحقق التكامل فيما بينها، وتصب في النهاية في مصب واحد، هو خدمة العقيدة الإسلامية الصحيحة.

وتستخدم الرئاسة وسائل مختلفة لتحقيق أغراضها، من أبرزها :

- الدعاة المتخصصون والمفرغون للدعوة في الداخل والخارج .
- الكتاب، والنشرات الموسمية والخاصة .
- المجلة، وقد أشرنا إلى مجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء، التابعة للرئاسة .
- الإذاعة من خلال بعض البرامج التي يساهم العلماء العاملون في الرئاسة بها، وكذلك برامج الإفتاء، والإشراف على بعض البرامج الدينية في بعض الدورات الإذاعية، كما تسجل الرئاسة بعض الأحاديث الإذاعية، وتزود بها الإذاعات السعودية المختلفة. (١)

(١) قام الباحثان علي سعود المهيدب، وسليمان علي الناصر، بإحصاء جيد لهذه الأحاديث، ومشاركات الرئاسة المختلفة في الوسائل الإعلامية في بحثهما (الدور =

- التلفزيون، فإن الرئاسة تزود التلفزيون السعودي بالأحاديث التلفزيونية وخاصة أحاديث التوعية الإسلامية في الحج.
كما زودت الرئاسة التلفزيون بـ (١٥٠) لوحة إرشادية توجيهية، لعرضها بين البرامج. (١)

- أما في مجال الصحافة فليس للرئاسة صحيفة مستقلة، إنما تساهم في الصحف الأخرى بمقالات مختلفة (٢)، وخاصة في المواسم أو عند وجود ما يسبب في نشر البدعة في المجتمع، فتقوم الرئاسة بالرد عليها وبيانها للناس.

-
- = الإعلامي لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد) رسالة ماجستير، قدمت لقسم الإعلام، بجامعة الإمام، عام ١٤٠٦هـ. انظر ص١١٢-١١٥.
- (١) علي سعود المهيدب، وسليمان علي الناصر، الدور الإعلامي لرئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ص١١٥، ١١٦ .
- (٢) انظر: المرجع السابق، ص١١٦، ١١٧ .

ثانيا : رابطة العالم الإسلامي.

رابطة العالم الإسلامي، وتختصر بـ (الرابطة) منظمة عالمية شعبية تمثل فيها كافة الشعوب الإسلامية في أنحاء المعمورة، وقد انبثقت عن المؤتمر الإسلامي العام الأول، الذي عقد بمكة المكرمة في ذي الحجة عام ١٣٨١هـ.

وهي تعد من الدرجة الأولى في هيئة الأمم المتحدة، ضمن المنظمات غير الحكومية، ذات الوضع الاستشاري بالمجلس الاقتصادي والاجتماعي، كما أنها عضو في منظمة اليونسكو، وفي صندوق الطفل العالمي بهيئة الأمم المتحدة، وعضو مراقب في منظمة المؤتمر الإسلامي، وتحضر جميع مؤتمراتها، بما فيها مؤتمرات القمة، ومؤتمرات وزراء الخارجية الإسلامية. (١)

وقد حددت الرابطة أهدافها بأنها :

- تبليغ دعوة الإسلام، وشرح مبادئه وتعاليمه.
- دحض الشبهات عنه، والتصدي للتيارات والأفكار الهدامة التي يريد منها أعداء الإسلام فتنة المسلمين عن دينهم، وتشتيت شملهم، وتمزيق وحدتهم.
- الدفاع عن القضايا الإسلامية بما يحقق مصالح المسلمين وآمالهم، ويحل مشاكلهم. (٢)

كما بينت الرابطة الوسائل التي تستخدمها للوصول إلى أهدافها بالتالي:

- ١ - العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية في البلاد الناطقة بالشهادتين.
- ٢ - الأخذ بمبدأ الشورى عن طريق مؤتمرات لكبار علماء العالم الإسلامي، لتبادل الرأي، والتنسيق في الجهود المبذولة من أجل انتشار الدعوة الإسلامية.
- ٣ - الاستفادة إلى أبعد مدى ممكن من منافع الحج في مجال التوعية الإسلامية عن طريق المحاضرات والندوات الإسلامية التي تقيمها الرابطة يوميا؛ ابتداء من

(١) انظر: رابطة العالم الإسلامي، عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد، ص٣،

الأمانة العامة للرابطة، مكة المكرمة، ١٤٠١هـ.

(٢) انظر المرجع السابق، ص٤ .

شهر ذي القعدة من كل عام، وحتى نهاية موسم الحج، ويحاضر فيها نخبة من كبار العلماء والمفكرين الإسلاميين، ومن الوافدين لحج بيت الله الحرام.

٤ - تقييم الرابطة ندوة إسلامية عالمية في موسم كل حج بمقرها العام، تضم أخصائيين في مختلف المجالات من علماء العالم الإسلامي، الذين يؤدون فريضة الحج.

٥ - تنظيم التعارف بين وفود الحجيج بكل وسيلة ممكنة، وتخصيص عدد من العاملين المتفرغين للتعرف على العناصر المؤمنة الواعية في المساجد، وعند المطوفين، وفي الفنادق، وغيرها.

٦ - تشجيع الدعاة الإسلاميين في كافة أنحاء العالم للعمل على نشر الإسلام، وتدعيمهم مادياً، وتجهيزهم بالإمكانات اللازمة، التي تساعدهم على أداء مهمتهم المقدسة.

٧ - توزيع المصاحف بقراءتي حفص وورش، وتراجم معاني القرآن الكريم باللغات العالمية الحية، واللغات السائدة في العالم الإسلامي.

٨ - توزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجاناً، مساهمة في تعميم الثقافة الإسلامية، ونشر الدعوة بمختلف اللغات.

٩ - رفع مستوى النشر عن طريق الصحافة والكتب والوسائل الممكنة باللغات الحية، وتشجيع المؤسسات الصحفية الإسلامية التي تخدم الدعوة الإسلامية.

١٠ - ابتعاث وفود إلى جميع أقطار العالم الإسلامي والأقطار التي تتواجد فيها الأقليات الإسلامية؛ لدراسة مشاكلهم، والتعرف على مطالبهم، ومد يد المساعدة لهم.

١١ - دعم كافة المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة، وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها لخدمة الدعوة الإسلامية.

١٢ - تشجيع التأليف الإسلامي، وشراء الكتب الإسلامية النقية التي تشرح حقائق الإسلام الناصعة.

١٣ - نشر التعليم الإسلامي؛ بالمساهمة في إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في كافة أنحاء الوطن الإسلامي، ودعمها في حدود الإمكانيات المتاحة.

١٤ - العمل على نشر لغة القرآن الكريم بين الشعوب المسلمة حتى تكون لغة التفاهم بين الجميع.

١٥ - العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي عموماً، مما يلصق بها من دعوات غريبة عن روح الإسلام. (١)

وقد نشطت الرابطة لتحقيق الأهداف المرسومة، واستخدمت الوسائل المختلفة لخدمة الإسلام والدعوة الإسلامية.

ولما كانت هذه الرابطة منظمة عالمية شعبية تمثل شعوب العالم الإسلامي؛ فقد تقرر أن تكون النفقات المالية من الاشتراكات السنوية التي تقدمها الحكومات الإسلامية، والهيئات والأفراد (٢)، بيد أن تلك الاشتراكات من الحكومات الإسلامية تلاشت مع مرور الأيام، فقامت حكومة المملكة العربية السعودية بتسديد كامل نفقات ميزانية الرابطة كل سنة.

ولكي تقوم الرابطة بأعمالها الخيرة على الوجه المطلوب فقد أنشأت إدارات مختلفة، لكل إدارة نشاط خاص يحقق في النهاية تكاملاً مع بقية الإدارات للوصول إلى الأهداف المحددة.

ومن أهم الإدارات التي تقوم عليها الرابطة ما يلي: (٣)

١ - إدارة الثقافة الإسلامية:

هذه الإدارة وجدت منذ تأسيس الرابطة، وهي تهتم بالثقافة الإسلامية نشرًا وبحثًا وتحقيقًا، وتقيم الندوات الثقافية، وتختار الكتب الإسلامية الجيدة للطبع والتوزيع، وتنظم الندوات والمحاضرات الثقافية في مدارج الكليات الإسلامية في

(١) رابطة العالم الإسلامي، عشرون عاماً على طريق الدعوة والجهاد، ص٤، ٥، مرجع سابق.

(٢) مقررات وتوصيات المؤتمر الإسلامي العام، الأول ص١٢ .

(٣) انظر: عبد الحكيم عبد السلام، دور العهد السعودي الثالث في خدمة الإسلام، ص٢٧٧-٢٩٣، مرجع سابق.

مختلف الأقطار، كما تقيم المعارض الإسلامية للكتاب أو تشارك فيها. (١)

٢ - إدارة المنظمات الإسلامية :

أنشئت هذه الإدارة لتكون صلة بين الرابطة، وبين المنظمات والجمعيات والمراكز الإسلامية في العالم، بهدف التعرف على نشاطاتها في الدعوة، وتوثيق أوامر العلاقات، وتبادل المعلومات معها، والتعاون معها لترسيخ الإسلام في نفوس أبنائه، والتصدي للتيارات المعادية للإسلام، وكذلك تقديم المساعدات لهذه المنظمات والجمعيات والمراكز. (٢)

٣ - إدارة مستودع الكتب :

هذه الإدارة تهتم بطبع الكتب الإسلامية، وتجمع ما يأتي إليها من هيئات أو أفراد تبرعوا، ثم توزعها على مراكز الدعوة في العالم، وعلى الزوار الذين يزورون الرابطة أو مكاتبها، كما تلبي طلبات الكتب الواردة إلى الأمانة العامة أو إليها مباشرة من المدارس والهيئات الإسلامية، حيث ترسلها بالبريد على حساب الرابطة.

وقد بلغت الكتب والمصاحف التي وزعت من ١٤٠٣/٧/١ إلى ١٤٠٤/٦/٣٠ هـ بلغات مختلفة (٣٠٩٤١٩) كتاباً ومصحفاً في الداخل والخارج. (٣)

٤ - إدارة الصحافة والنشر :

وتقوم هذه الإدارة بإصدارات صحفية، للقضايا الإسلامية وأخبار العالم الإسلامي، حيث تصدر الرابطة عن طريق هذه الإدارة:

- مجلة شهرية باسم (رابطة العالم الإسلامي) باللغتين العربية والانجليزية.

- مجلة أسبوعية باسم (أخبار العالم الإسلامي).

(١) انظر: تقرير الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامي، للدورة ٢٣، ص ٢٤٦-٢٤٨

(٢) انظر: المرجع السابق، ص ٢٤٩ .

- وتقرير الدورة ٢٦ ، ص ١٤٠-١٤٥ .

(٣) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٥٠-٢٥٢ .

- مجلة فصلية - كل ثلاثة أشهر مؤقتا - بالتعاون مع الأمانة العامة للمساجد، باسم (رسالة المسجد).

- سلسلة شهرية باسم (دعوة الحق) (١)، حيث يصدر كتاب شهري في مواضيع مختلفة عن شئون الثقافة والدعوة والحضارة والأقليات الإسلامية والتعريف بها.

وقد صدر منها حتى الآن حوالي خمسون كتابا في تلك المواضيع. (٢)

٥ - إدارة أبحاث القرآن الكريم والاعجاز العلمي:

وهذه الإدارة أنشئت ضمن التنظيمات الجديدة في الأمانة العامة، ومن اختصاصاتها ما يلي:

١ - نشر القرآن الكريم، وترجمة معانيه باللغات المختلفة.

٢ - إعداد تفسير مبسط معتمد للقرآن الكريم، وترجمته، وتوزيعه في أنحاء العالم.

٣ - تشجيع تأليف ونشر الكتب والأبحاث التي تتناول علوم القرآن الكريم.

٤ - الاهتمام بالاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة. (٣)

٦ - إدارة المجمع الفقهي :

وهي إدارة لتنسيق وإعداد أعمال ودورات المجمع الفقهي، الذي يدرس فيه الموضوعات الإسلامية الهامة.

٧ - إدارة شئون المبعوثين والدعاة :

وهي إدارة مهمة تقوم بالإشراف على الدعاة الذين تبعثهم الرابطة للبلاد المختلفة، حيث يبلغ عدد الدعاة حوالي ألف داعية، تنفق عليهم الرابطة مبالغ كبيرة، ويقومون بواجب الدعوة، وإمامة الناس، وإلقاء المحاضرات، وعقد

(١) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٦٢، والدورة ٢٦، ص ١٢١-١٢٤ .

(٢) في أغلب إصدارات هذه السلسلة يكتب في نهاية كل كتاب منها ما صدر من هذه السلسلة وعناوينها، وأسماء مؤلفيها.

(٣) انظر: تقرير الدورة ٢٦ ، ص ١١٩، ١٢٠ .

الندوات، وتدرّيس العلوم الإسلامية، واللغة العربية، ومساعدة المسلمين في غير البلاد الإسلامية في إجراء عقود النكاح، وتجهيز الموتى، وغير ذلك. كما يقومون بالتصدي للحركات الهدامة ومتابعتها وتحذير المسلمين من شرها. (١)

٨ - الأمانة العامة للمساجد :

تقوم هذه الإدارة بتنسيق ومتابعة قرارات وتوصيات المجلس الأعلى العالمي للمساجد، ومن ذلك عقد الدورات التدريبية للأئمة والدعاة، والتأكيد على رسالة المسجد وبيانها، بالإضافة إلى ذلك تقوم هذه الإدارة بتقديم المساعدات لبناء المساجد وإصلاحها في العالم (٢)، وغير ذلك من الأعمال الجليلة التي لا يتسع المجال للإضافة في الحديث عنها.

٩ - إدارة الأقليات الإسلامية :

ومهمتها تقصي أحوال الأقليات الإسلامية، وجمع المعلومات عنهم، والدفاع عن قضاياهم مباشرة مع حكوماتهم، أو في المحافل الدولية. (٣)

١٠ - إدارة شؤون الأديان ومكافحة التيارات الهدامة :

تقوم هذه الإدارة بدراسة ومتابعة التيارات والأفكار المعادية للإسلام، وإعداد التقارير عن نشاطاتها وحركاتها، ثم تنبيه الشعوب والحكومات الإسلامية إلى خطرهما، كما تشارك في ندوات الحوار مع النصارى، وأتباع الديانات الأخرى. (٤)

(١) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٦٤-٢٦٦، والدورة ٢٦، ص ٩٥-٩٩ .

(٢) انظر: تقرير الدورة ٢٦، ص ١٠٣-١١٠ .

(٣) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٢٥-٢٦١، والدورة ٢٦، ص ٢٣٦-٢٨٠ .

- والرابطة، عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد، ص ٩٠، مرجع سابق.

(٤) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٢٩-٣٦٢، والدورة ٢٦، ص ١٥٢-١٥٨ .

١١ - إدارة منظمة الإغاثة الإسلامية العالمية: (١)

وتشرف على أعمال منظمة الإغاثة الإسلامية التي قامت لتسد حاجة المسلمين في مجال الإغاثة، وتغنيهم عن منظمات الإغاثة النصرانية، التي تقدم الخبز والإنجيل للمسلمين المنكوبين، وتساوم هؤلاء عند سد جوعتهم، وعلاج مرضاهم على ترك الإسلام والدخول في النصرانية.

بالإضافة إلى عدد من الإدارات للخدمات المساندة؛ كالمطبعة التي تمتلكها الرابطة، وتساهم في تيسير أعمالها، وإدارة الكمبيوتر، ومركز الأجهزة السمعية والبصرية وغيرها.

وللرابطة مكاتب كثيرة في الداخل والخارج، تعمل على الوصول إلى أهداف الرابطة وتنفيذ برامجها، ويتمتع كثير من هذه المكاتب وأعضائها بالامتيازات والحصانات الدبلوماسية. (٢)

وهكذا نجد أن هذه المؤسسة الإسلامية تسهم إسهاما طيبا في الدعوة إلى الإسلام في أنحاء العالم، ومنها مجتمعات المسلمين.

وقد قامت، وما زالت تعد الدراسات، وتتابع الحركات والتيارات الهدامة، وتحذر المسلمين منها، ومن ذلك: (٣)

- إعداد دراسة شاملة، وتحذير الشعوب والدول الإسلامية من حركة (المهاريش) (٤) وهي تنظيم مشبوه، لها ارتباط بالماسونية وأفكار الإلحاد،

(١) انظر: تقرير الدورة ٢٣، ص ٢٧٢-٢٧٥، والدورة ٢٦، ص ١٥٩.

(٢) للتفصيل، انظر: الرابطة، عشرون عاما على طريق الدعوة والجهاد، ص ١٠-١٢، مرجع سابق.

(٣) انظر المرجع السابق، ص ٧٦.

(٤) المهاريش، أو المهاريشية نسبة إلى فقير هندوسي، اسمه (مهاريشي - ماهيش - يوجي) للاستزادة، انظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، ص ٤٥٧، اصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

تقوم متسترة بعلم الذكاء الخلاق، أو التأمل التجاوزي، وقد أنشأها رجل هندي، وسميت باسمه، ويعيش في أمريكا، ولهذه الحركة أتباع في عدد من المدن الأمريكية والأوروبية وبعض الدول الآسيوية والأفريقية، ولها جامعاتها ومؤسساتها الإعلامية والاجتماعية.

- قامت الرابطة بتعميم القرار الذي صدر عن المجمع الفقهي للتحذير من مذهب الوجودية الذي تزعمه جان بول سارتر، وتوزيع كتب تفند هذا المذهب، وتحذر المسلمين من الانتماء إليه.

- إعداد دراسة شاملة، وتحذير المسلمين من حركة الباطنية، وحركة إسلام جماعة في أندونيسيا، تدعو إلى عقد البيعة للمدعو الحاج نور حسن آل عبيدة أميراً، الذي ادعى أنه إمام، وأمير للمؤمنين في أندونيسيا، ولا تصح صلاة الجماعة إلا خلفه، أو خلف أحد أمرائه أو نوابه، ولا يصح القرآن والسنة إلا بروايات وأسانيد عن طريقه.

- إعداد دراسات شاملة عن الحركات الهدامة المنتهية إلى الإسلام، كالقاديانية، والبهائية، وتحذير المسلمين من شرها.

وغير ذلك من الجهود التي تستحق التقدير، لما فيها من المواجهة المباشرة للانحراف العقدي، وتحذير المسلمين من هذا الانحراف.

ومن جانب آخر تشارك الرابطة في حماية المصادر الإسلامية، وهي القرآن والسنة، من محاولات التحريف والتشويه والتشكيك، التي تخرج بين الحين والآخر من أعداء هذا الدين، كما تساهم بصورة عامة في المحافظة على العقيدة الإسلامية، وبيان أسسها ومنطلقاتها للناس، ورد الآراء التي تظهر من بعض الفرق الضالة، كالتشكيك بختم النبوة، ونحو ذلك.

نسأل الله لهذه المؤسسة الإسلامية العريقة العون والتوفيق والسداد لخدمة الإسلام والمسلمين، والقيام بأمر الدعوة الإسلامية التي قامت من أجلها، وتعمل في سبيلها.

ثالثا : منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان :

قبل خروج الاستعمار بشكله المباشر من قارة أفريقيا المسلمة، كان قد عمل على إبقاء هيمنته وتسلطه بشكل غير مباشر، وذلك من خلال الاستقلال الصوري الذي منح لبعض البلاد الأفريقية، وكانت المليبية قد رسمت هذا الاستقلال وحددت معالمه.

وقد تجلّى ذلك في تسليمها السلطة السياسية إلى فئة من أبناء أفريقيا تربت على يديها، وفي أحضان مؤسساتها التعليمية.

وفي حماية هؤلاء نشطت الكنائس النصرانية على اختلافها، واتخذت حاجة الناس إلى الغذاء والكساء والدواء سبيلا إلى تنصيرهم، وأصبح شعارهم المرفوع:

اخضع عنك دين الإسلام، نزع عنك الجوع والعطش والمرض والعري.

وكانت النتائج السيئة كثيرة جدا، توضحها النماذج التالية:

- انخفاض عدد المسلمين في ملاوي، من ٧٠٪ إلى ٣٠٪ .
- موافقة السلطات الصومالية على تبني المنصر (دوجارين) وزوجته لـ (٣٠٩٠٣) من أطفال المسلمين الصوماليين.

- ارتفاع نسبة النصارى في أفريقيا من ٣٠٪ عام ١٩٦٠م إلى ٥٠٪ عام ١٩٨٠م. ويقف وراء ذلك كله :

- أكثر من ١٠٠,٠٠٠ منصر متفرغ .
- ٢٠,٠٠٠ معهد تعليمي، تضم خمسة ملايين من أبناء المسلمين.
- أكثر من خمسمائة مدرسة لاهوتية لتخريج المنصرين والقسس.
- أكثر من ألفي مدرسة لرياض الأطفال.
- أكثر من خمسمائة مستشفى أنشأتها الإرساليات التنصيرية المختلفة.

وأمام هذا الغزو التنصيري الهائل كان لابد من عمل مضاد يقوم به المسلمون لمواجهة، ومن هنا جاءت فكرة إنشاء منظمة الدعوة الإسلامية لخدمة القارة الأفريقية الإسلامية من بعض العاملين في الحقل الإسلامي في السودان.

وكان لابد من طرح هذه الفكرة على كل المسلمين، نظرا لضخامة العمل وعظم المسؤولية، فتكون مجلس الأمناء الذي يضم ممثلين لكل من المملكة العربية السعودية، الكويت، قطر، الإمارات، مصر، ليبيا، السودان، أوغندا، نيجيريا، جامبيا.

وفي صباح الجمعة الثاني من رجب عام ١٤٠٠هـ الموافق ١٦ يونيو ١٩٨٠م عقد مجلس الأمناء جلسته التأسيسية الأولى، وفي اليوم التالي صدر النظام الأساسي لمنظمة الدعوة الإسلامية إيدانا ببدء العمل. (١)

وقد حدد النظام الأساسي أهداف المنظمة بما يلي :

أ - نشر الإسلام عقيدة وشريعة في أوساط غير المسلمين، وترشيد الجماعات المسلمة من أجل تنمية الشخصية المسلمة القادرة على فهم عقيدة التوحيد، والتعبير عن معانيها العميقة في الحياة الفردية والاجتماعية.

ب - نشر روح التفاهم والتسامح بين الجماعات المسلمة وأصحاب الديانات الأخرى.

ج - توجيه الجماعات المسلمة، وتطويرها فكريا وثقافيا وفقا لتعاليم القرآن والسنة، كمعيارين موحدتين للفكر والشعور، والممارسة الإسلامية.

د - الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية للجماعات المسلمة. (٢)

كما بين النظام الأساسي للمنظمة الوسائل التي تتخذها لتحقيق أهدافها بما يلي:

١ - القيام بدراسات علمية ميدانية ترمي إلى تبصر الواقع الحضاري واتجاهاته في إفريقيا وغيرها، والقيام بتخطيط هادف قويم لنشر الدعوة الإسلامية في القارة الإفريقية وغيرها بوسائل حديثة متطورة.

(١) انظر: مجلة الأمة، السنة الثالثة، العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ.

(٢) منظمة الدعوة الإسلامية، النظام الأساسي، الفصل الأول، ط٣، رجب ١٤٠٤هـ.

ب - تقوية الصلات بين الأفراد والهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة في مجال نشر الدعوة والتنمية الاجتماعية في إفريقيا وغيرها، وتبادل الخبرات والمعلومات وجمعها، والعمل على توحيدها في منظمات إقليمية عاملة، ودعمها ماديا وأدبيا.

ج - إنشاء المؤسسات التعليمية والصحية، والجمعيات والأندية وغيرها من المنظمات الاجتماعية والثقافية لتحقيق أغراض المنظمة.

د - القيام بنشر الكتب والمطبوعات والدوريات التي تحقق أهداف المنظمة.

هـ - القيام بأي نشاط آخر يكون لازما أو مناسبا لأي من أغراض المنظمة. (١)

كما حدد النظام الأساسي للمنظمة مصادر التمويل بأنها :

أ - القروض الحسنة، والهبات، والمدقات، والركوات من الأفراد؛

ب - الإعانات من الحكومة والمؤسسات بموافقة المكتب التنفيذي، على أن يراعى ألا تضر بأغراض المنظمة أو سمعتها. (٢)

وقد اعتمدت هذه المنظمة في بداية أمرها على التبرعات والهبات والإعانات، ورغبة في استقرار الموارد المالية وثباتها برزت فكرة إنشاء جهاز استثماري تكون عائداته المصدر الأساسي للتمويل، لذا أنشئت مؤسسة (دان فوديو الخيرية للتجارة والمقاولات). (٣)

وهي خطوة جيدة تميزت بها هذه المنظمة عن كثير من مؤسسات الدعوة الإسلامية، وبهذه الطريقة يمكن لها الاستمرار في أداء رسالتها بخطة واضحة وعمل منظم لا يتأثر بالظروف المتغيرة للموارد المالية التطوعية.

وفي قمة هذه المنظمة يأتي (مجلس الأمناء) المسئول عن التخطيط، ووضع السياسات والبرامج لهذه المنظمة، والإشراف على المكتب التنفيذي الذي يتولى

(١) منظمة الدعوة الإسلامية، النظام الأساسي، الفصل الأول، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، الفصل الرابع.

(٣) انظر: مجلة الأمة، السنة الثالثة، العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ .

تنفيذ تلك السياسات والبرامج. (١)

ولكي يتمكن المكتب التنفيذي من أداء أعماله، فقد تكونت الوحدات الإدارية التالية:

- ١ - الدعوة والتعليم والتدريب .
- ٢ - الشؤون الصحية والرعاية الاجتماعية.
- ٣ - الشباب والطلاب والمعلومات.
- ٤ - المشروعات والتمويل .
- ٥ - الطبع والنشر والتوزيع .
- ٦ - شؤون العاصمة المثلثة. (٢)

كما تشكل الوكالة الإسلامية الإفريقية للإغاثة جهازاً مستقلاً من أجهزة منظمة الدعوة، وهذه الوكالة تعمل وسط الجماعات والأقليات المسلمة، وتعننى بإغاثة المناطق الإفريقية، وخاصة الإسلامية، التي تصيبها الكوارث الطبيعية، كما تساهم في حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية للأقليات المستضعفة، ومناطق الكوارث في إفريقيا. (٣)

وقد أولت المنظمة عناية خاصة بالتعليم، باعتباره أخطر أداة من أدوات التحول الاجتماعي، ولأن الأعداء لم يستطيعوا تحقيق أهدافهم بين المسلمين - غالباً - إلا عبر هذا الجانب، وتقوم إدارة التعليم والدعوة والتدريب بجهودها في هذا المجال.

ومن أخطر المشروعات التي اضطلعت بها المنظمة القيام بمشروع (دعم التعليم الإسلامي في زنجبار) فقد وقعت المنظمة اتفاقية مع حكومة زنجبار،

(١) انظر: منظمة الدعوة الإسلامية، النظام الأساسي، الفصل الثاني، مرجع سابق.

(٢) مجلة الأمة، السنة الثالثة، العدد ٢٩، جمادى الأولى ١٤٠٣هـ.

(٣) المرجع السابق.

تعهدت المنظمة بمقتضاها بإيفاد خبراء في مناهج اللغة العربية، والدين الإسلامي، لوضع المناهج في هاتين المادتين في مراحل التعليم العام ورياض الأطفال، وقد قطع هذا المشروع شوطا كبيرا.

أما إنشاء المدارس والمعاهد ومراكز تحفيظ القرآن فهو أمر أساسي في أعمال المنظمة.

كما أن قسم الدعوة التابع لهذه الإدارة يساهم في نشر الإسلام بالكلمة الطيبة المسموعة والمقروءة والمرثية، والعمل المباشر، وكذلك تدريب الدعاة وتزويدهم بالبرامج، بالإضافة إلى توزيع المصاحف والكتب.

وساهمت المنظمة كذلك في الإشراف على عدد من المستشفيات والمراكز الصحية التي تبرع بها المحسنون، كل ذلك لسد حاجة المسلمين وإغنائهم عن الالتجاء إلى الإرساليات النصرانية التي تنتشر في هذه القارة المسلمة بشكل كبير. (١)

أما دور المنظمة تجاه الأضرار التي لحقت بعدد من أقاليم السودان من جراء الفيضانات والسيول فهو دور كبير تمثل في الإغاثة بشتى صورها.

وقد أعدت المنظمة دراسات لعدد من مشروعات إعادة التعمير، وبينت التكاليف لكل مشروع، حتى يستطيع أهل الخير المساهمة بها، والتعاون على إعادة إعمارها، ومن هذه المشروعات ما يلي :

- مشروعات إعادة التعمير في مجال المساجد، وخطوي القرآن الكريم.
- مشروعات إعادة التعمير في مجال التعليم.
- مشروعات إعادة التعمير في مجال المياه.
- مشروعات إعادة التعمير الزراعية.
- مشروعات إعادة التعمير الصحية. (٢)

(١) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، السبت ١٩/١١/١٤٠٦هـ.

(٢) انظر: نشرات لهذه المشاريع من إصدار منظمة الدعوة الإسلامية في السودان.

وهكذا نجد أن قيام المنظمة يمثّل اتجاهاً جديداً في مسيرة الدعوة الإسلامية المعاصرة، وذلك لاعتماد المنظمة أسلوب العمل المتكامل الذي تقوم بمقتضاه الدعوة الإسلامية مصحوبة بالخدمات الاجتماعية المختلفة التي يحتاجها الناس، مثل التعليم والصحة، ورعاية الطفولة والأمومة وغير ذلك. (١)

وهي بحاجة إلى دعم المسلمين لها مادياً ومعنوياً، نسأل الله لهذه المنظمة وللقائمين عليها التوفيق والسداد.

(١) انظر: صحيفة الشرق الأوسط، السبت ١٩/١١/١٤٠٦ هـ.

المبحث الثاني : الجامعات الإسلامية :

أولا : الجامع الأزهر.

بعد فتح الفاطميين لمصر، قام جوهر الصقلي، قائد المعز لدين الله الفاطمي بتأسيس مدينة القاهرة، ورأى أن لا يفاجئ أهل السنة بمصر باقامة شعائر المذهب الفاطمي حتى لا يثير كراهيتهم، لذلك قام بوضع الأساس للجامع الأزهر في ١٤ رمضان ٣٩٥هـ، وتم بناؤه في سنتين تقريبا، وأقيمت الصلاة فيه لأول مرة في ٧ رمضان سنة ٣٦١هـ. (١)

وبعد أن وطد الفاطميون ملكهم ونفوذهم الذي شمل مصر، وفلسطين، ودمشق، والحجاز، آن لهم أن يبدأوا الطور الذي يرقبونه، وهو نشر مذهبهم بشكل شامل، عن طريق الدراسة بالأزهر، بعد أن كانوا ينشرونه للخافة عن طريق دروس القصر، وغيرها من الاجتماعات المحدودة.

وكان مطلع الدراسة بالأزهر في أواخر عهد المعز لدين الله الفاطمي، فقد جلس قاضي القضاة أبو الحسن علي بن النعمان في شهر صفر سنة ٣٦٥هـ بهذا الجامع، وقرأ مختصر أبيه في فقه آل البيت، وهو المسمى بكتاب (الاختصار) في جمع حافل، وأثبت أسماء الحاضرين، فكانت هذه أول حلقة للدراسة بالأزهر. (٢)

وفي سنة ٣٧٨هـ أشار يعقوب بن كلس، أحد وزراء الدولة الفاطمية على العزيز بالله، الخليفة الفاطمي، بتحويل الأزهر إلى جامعة تدرس فيها العلوم الدينية والعقلية، وعمل الخلفاء الفاطميون من بعده على جذب طلاب العلم إليه من كافة الاقطار الإسلامية، وقد أطلق على هذا المسجد : الجامع الأزهر، نسبة إلى فاطمة الزهراء، التي ينتسب إليها الفاطميون، وقيل أيضا: لأنه كان يحيط به قصور فخمة. (٣)

(١) انظر: الأزهر، تاريخه وتطوره، ص ١٤-١٦، وزارة الأوقاف وشئون الأزهر بمصر ١٢٨٣هـ.

(٢) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

(٣) المرجع السابق، ص ١٦.

واستمر هذا الجامع مستخدماً لخدمة المذهب الفاطمي، والشيعنة عامة، ومركزاً لنشر دعوتهم، حتى وضع صلاح الدين الأيوبي نهاية الدولة الفاطمية، واستقل بمصر، ودعا للخليفة العباسي، وعادت إدارة مصر إلى أهل السنة. وبادر الأيوبيون بإزالة مظاهر التشيع، وأسند منصب قاضي القضاة إلى عالم شافعي، واستمر الأزهر جامعة للعلوم ومركزاً للدرس، يقصده العلماء وطلاب العلم من كل مكان. (١)

ومر الأزهر بأطوار مختلفة، متأثراً بنوع الحكومات المتعاقبة على مصر من المماليك إلى العثمانيين، إلى حكم محمد علي.

وكانت للأزهر ورجاله مواقف مشرفة في العصور المختلفة، من مواجهة فساد الحكام، ورد المظالم، إضافة إلى مقاومة الاحتلال، وقيادة الثورة ضد المستعمرين. (٢)

وكان من أسباب قوة الأزهر استقلال موارده المالية عن الحكام بما يملكه من أوقاف كثيرة، وتبرعات سخية من أهل الخير. (٣)

وفي القرن العشرين الميلادي بدأ الأزهر يمر بظروف ربما تكون أشق من أية ظروف مر بها من قبل، وأكثر حرجاً، فقد حرص المستعمرون الإنجليز على التعليم في مصر، ولم ينسوا دور الأزهر في مقاومة الغزو الفرنسي إلى مصر بقيادة نابليون، فكان أن خططوا لإقصاء الأزهر، وتقليل دوره في الحياة العلمية والسياسية.

وركزت السياسة البريطانية في التعليم على أمرين :

(١) انظر: الأزهر، تاريخه وتطوره، ص٢١٦-٢١٨، مرجع سابق.

(٢) انظر: د. يوسف القرضاوي، رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، ص٢٧-٤٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.

(٣) انظر: د. محمد البهي، غيوم تحجب الإسلام، ص١١١، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت والقاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ.

الأول : العمل على ازدواج التعليم في مصر، بعد فصل التعليم في الأزهر عن التعليم في الدولة، وقد كان نمط التعليم في الأزهر إلى عهد محمد علي هو النمط الوحيد، وكان التعليم في قرى مصر جميعها مؤهلاً فقط للالتحاق بالأزهر والتخرج منه .

وعلى أساس ازدواج التعليم يصبح هناك تعليم ديني في الأزهر، وآخر غير ديني، أو علماني في غير الأزهر من المدارس المختلفة التي تنشئها وزارة المعارف إذ ذاك .

بالإضافة إلى ذلك عمدت حكومة الاحتلال البريطاني إلى إنشاء معاهد ومدارس تنافس الأزهر، فأنشأت مدرسة القضاء الشرعي، ومدرسة دار العلوم الأولى لتخريج قضاة في المحاكم الشرعية، والثانية لتخريج معلمي اللغة العربية في وزارة المعارف .

الثاني: إلغاء استقلال الأزهر في تمويله وإحاقه بجهة حكومية، حتى تكون للإدارة القائمة في مصر في أي عمر من العصور، حق الإشراف على التعليم فيه، وتوجيه رجاله - قدر الإمكان - فيما يعلنونه من آراء وفتاوى .

وقد نجحت هذه الخطة، واستطاعت أن توهم من قوة هذا الحصن الإسلامي الكبير، وتضعف من صوته. (١)

وبعد انقلاب يوليو سنة ١٩٥٢م بدأ الأزهر يعيش محنة جديدة مع حكم العسكر، من افتعال الأحداث، والنيل من الأزهريين، ثم إصدار عدد من القوانين، كإلغاء القضاء الشرعي، وتجريد الأزهر من أوقافه، وإلغاء هيئة كبار العلماء .

وفي عام ١٩٦١م صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١م الذي أطلق عليه قانون تطوير الأزهر، وقد أريد به - كما يرى بعض الباحثين - مسح الأزهر، وتخريبه باسم التطوير. (٢)

(١) انظر: د. محمد البهي، غيوم تحجب الإسلام، ص ١١٩، ١٢٠، مرجع سابق.

(٢) انظر: مجلة الأمة، السنة الأولى عدد ٥، جمادى الأولى ١٤٠١هـ مقال للأستاذ

وبموجب هذا القانون أنشئت كليات جديدة، هي: الطب، والهندسة، والميدلة، وطب الأسنان، والعلوم، والزراعة، والتربية، بالإضافة إلى كليات الأزهر الأصلية، وهي كلية أصول الدين، وكلية الشريعة، وكلية اللغة العربية.

وقد تبع إنشاء هذه الكليات تغيير مناهج التعليم الأزهرى في المرطتين الإعدادية والثانوية، فأصبح على طالب الأزهر أن يدرس المناهج التي تدرس في المدارس المدنية كاملة، بالإضافة إلى مناهج الأزهر، فكان لابد من مسح العلوم الأزهرية حتى يخفف العبء عن الطلاب. (١)

ويرى الدكتور محمد البهي أن إلحاق هذه الكليات بجامعة الأزهر يزيل التصور بانفصالية الأزهر عن المؤسسات التعليمية الأخرى في مصر، لكنه يرى أنه سيكون سببا في قصر التعليم الأزهرى على المرحلة الابتدائية فقط، لأن الطالب يحق له الانتقال إلى المدارس المتوسطة والثانوية، التابعة لوزارة المعارف، ثم الالتحاق بكليات الأزهر جميعها بعد أن يؤدي على صورة ما امتحانا في مستوى التعليم الديني والعربي الذي يحصل عليه طالب الأزهر في المعاهد الأزهرية.

ويقول: "وبذلك يضاف في النصف الثاني من القرن العشرين إلى تبعية الأزهر للسياسة الحكومية التي تمت في النصف الأول نقص آخر، وهو: عدم كفاية مستوى التعليم في الأزهر لفهم الثقافة الإسلامية، فضلا عن عدم كفايته للتصدي للدعوة الإسلامية، والرأي الإسلامي، والموقف الإسلامي، إزاء الأحداث والتغييرات ومشاكل المجتمعات الإسلامية". (٢)

ويشتمل الأزهر على خمس هيئات هي :

- ١ - المجلس الأعلى للأزهر .
- ٢ - مجمع البحوث الإسلامية.
- ٣ - إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية.

(١) انظر: مجلة الأمة، السنة الأولى، عدد ٥، جمادى الأولى ١٤٠١هـ.

(٢) غيوم تحجب الإسلام، ص ١٢٢-١٢٩، مرجع سابق.

٤ - جامعة الأزهر.

٥ - المعاهد الأزهرية. (١)

ومع كل الظروف التي مر بها الأزهر، إلا أنه ساهم بدور هام في حياة الأمة الإسلامية في كل مكان، من خلال ما يأتي :

١ - وفود الدعاة الذين يرسلهم إلى أماكن كثيرة من العالم الإسلامي، وغير الإسلامي. (٢)

٢ - طلاب البعثات الإسلامية الذين يفدون إليه من كافة أرجاء العالم الإسلامي. (٣)

٣ - المدرسون الذين شاركوا في مراحل التعليم المختلفة في البلاد الإسلامية وخاصة في مجال العلوم الشرعية والعربية.

٤ - مواجهة الحركات المنحرفة، كالبهائية والقاديانية، وبيان ضلالها وفساد أفكارها.

٥ - المساهمة في فحص المصاحف والكتب العربية والأجنبية. (٤)

٦ - قيام بعض علماء الأزهر بواجبهم في مواجهة الانحرافات العقيدية بالكتابة وغيرها. (٥)

(١) الأزهر، تاريخه وتطوره، ص٥٩٠،٤٧٩، مرجع سابق.

(٢) انظر: د. يوسف القرضاوي، رسالة الأزهر بين أمس واليوم والغد، ص٦٦، مرجع سابق.

- والأزهر، تاريخه وتطوره، ص٦٠٢-٦٠٥ مرجع سابق.

(٣) المرجعين السابقين، - الأول - ص ٦٦، ٦٧ .

والثاني: ص٥٦٧-٥٨٢ .

(٤) المرجع السابق - الأخير - ص٦٠٦-٦١١ .

(٥) انظر على سبيل المثال الرسالة التي أصدرتها وزارة الأوقاف المصرية لعدد من العلماء بعنوان (منكرات يجب ان تزول) في منكرات المآتم والموائد، =

ويؤخذ على الأزهر عدد من المآخذ التي لو قام المسئولون بإصلاحها والاهتمام بها لكان لهذا المركز العلمي - الذي يعد أقدم جامعة علمية في العالم وأعرق الجامعات الإسلامية على الإطلاق - شأن عظيم، ومكانة أكبر مما هو عليه الآن، ومنها:

١ - قصور مادة التوحيد والعقائد، واستمرار تأثرها برواسب الجدل ومخلفات العقل اليوناني الذي غزا العالم الإسلامي، وأثر في مناهج تفكير بعض الفرق، وبدلا من ذلك يمكن أن ترتبط بالكتاب والسنة، وفيهما الكفاية وزيادة. (١)

٢ - تهاون بعض رجال الأزهر بالبدع والشركيات المنتشرة في المجتمع المصري، وعدم قيامهم بما يجب من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الحجة، وأسوأ من ذلك رعاية بعض رجال الأزهر للتصوف الذي أساء كثيرا إلى الإسلام، وأبعد المسلمين عن موارده الصافية بخرافات وأباطيل ليس لها من دين الله نصيب.

كما أن كثيرا من علماء الأزهر يأخذ بالمذهب السني في الفقه والأحكام، بينما تراه يحمل آراء الأشاعرة في العقائد، وهو فمل عجيب قد أشرنا إليه سابقا. (٢)

٣ - قيام بعض علماء الأزهر بإصدار فتاوى ترضي الحاكم، ولا تتفق مع شريعة الله، وهي مخالفة كبيرة، وانحراف خطير، صرف كثيرا من الناس عن الثقة بهم، والأخذ عنهم. (٣)

وكذلك إفتاء بعضهم بجواز وإباحة بعض البدع التي لا يقرها الإسلام، كالتوسل

= تقديم وتعليق محمد مهدي استانبولي، الناشر مكتبة التوعية الإسلامية، القاهرة، ط٢، ١٤٠٧هـ.

(١) انظر: د. يوسف القرضاوي، رسالة الأزهر.. من ١٠٢-١٠٨، مرجع سابق.

(٢) انظر ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٣) انظر: د. محمد البهي، غيوم تحجب الإسلام، ص ١٣٠، مرجع سابق.

بقبور الأنبياء والمالحين، وغير ذلك. (١)

إننا نرجو لهذا المركز الإسلامي العريق عودة أخرى إلى ما كان له من مكانة ليس في مصر وحدها، بل في أرجاء العالم الإسلامي، ونتمنى أن يأخذ القائمون عليه اهتمامهم بمسائل العقيدة بشكل أكبر، حتى يساهم مع بقية الهيئات والجامعات الإسلامية في العالم الإسلامي بدور فعال لخدمة الدعوة الإسلامية، والقيام بواجبها على مختلف الأصعدة، ومن ذلك مواجهة الانحراف العقدي الذي يعاني منه المسلمون في أماكن مختلفة، وبصور متعددة.

(١) انظر: مجلة التوحيد المصرية، السنة ١٦، العدد ٦، جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ.

ثانيا : الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة :

هذه الجامعة مؤسسة إسلامية عالمية، أنشأتها حكومة المملكة العربية السعودية، بالمدينة المنورة في ٢٥/٣/١٣٨١هـ، وبدأت الدراسة فيها يوم الأحد ٢ جمادى الآخرة من العام نفسه.

وكانت أولى كلياتها، كلية الشريعة التي أنشئت عام ١٣٨١هـ.

ثم كلية الدعوة وأصول الدين عام ١٣٨٦هـ.

ثم كلية القرآن الكريم عام ١٣٩٤هـ.

ثم كلية اللغة العربية عام ١٣٩٥هـ.

ثم كلية الحديث الشريف عام ١٣٩٦هـ.

بالإضافة إلى قسم الدراسات العليا، والمعهد المتوسط والثانوي، وداري

الحديث المكية والمدنية. (١)

وقد صدر المرسوم الملكي في ٧/٨/١٣٩٥هـ محددًا أهداف الجامعة الإسلامية

بالتالي: (٢)

أ - تبليغ رسالة الإسلام الخالدة إلى العالم عن طريق الدعوة والتعليم الجامعي، والدراسات العليا.

ب - غرس الروح الإسلامية وتنميتها، وتعميق التدين العملي في حياة الفرد والمجتمع، المبني على إخلاص العبادة لله وحده، وتجريد المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ج - إعداد البحوث العلمية، وترجمتها، ونشرها وتشجيعها في مجالات العلوم الإسلامية والعربية خاصة، وسائر العلوم وفروع المعرفة الإنسانية التي يحتاج

(١) انظر: دليل الجامعة الإسلامية، ص١٩، ٢٠، عام ١٣٩٧/٩٦هـ.

- ودليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج ص١٨٧، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٢) المرجعين السابقين: دليل الجامعة الإسلامية ص١٩، ٢٠.

- دليل التعليم العالي والجامعي ص١٨٧، ١٨٨.

اليها المجتمع الإسلامي عامة.

د - تثقيف من يلتحق بها من طلاب العلم من المسلمين من شتى الأنحاء، وتكوين علماء متخصصين في العلوم الإسلامية والعربية، وفقهاء في الدين متزودين من العلوم والمعارف بما يؤهلهم للدعوة إلى الإسلام، وحل ما يعترض المسلمين من مشكلات في شئون دينهم ودنياهم، على هدى الكتاب والسنة، وعمل السلف الصالح.

هـ- تجميع التراث الإسلامي، والعناية بحفظه وتحقيقه ونشره.

و - إقامة الروابط العلمية والثقافية بالجامعات والهيئات والمؤسسات العلمية في العالم، وتوثيقها لخدمة الإسلام، وتحقيق أهدافه.

والجامعة الإسلامية - كغيرها من الجامعات الإسلامية - تساهم بشكل كبير أساسي في مجال التعليم، ونشر الثقافة الإسلامية، بيد أنها تتميز بأنها تعطي طلاب البلاد الإسلامية الأخرى نصيباً أكبر من مقاعد الدراسة، حيث نجد أن الطلاب الوافدين يشكلون أكثر من ثلاثة أرباع طلاب الجامعة. (١)

وهؤلاء الطلاب يعودون إلى بلادهم دعاة وعلماء وموجهين، وقد لوحظت ثمرات خريجي هذه الجامعة في البلاد الإفريقية والآسيوية خاصة، وفي دول العالم عامة.

يقول الدكتور عبد الله بن أحمد القادري بعد جولة في عدد من دول العالم: "لقد لمسنا نفع المتخرجين من الجامعة الإسلامية أينما طلنا، لما يتمتعون به من فهم مباشر لكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - عن طريق اللغة الأصلية لهما، ولكونهم أحسن سلوكاً من غيرهم في الغالب". (٢)

(١) انظر: دليل الجامعة الإسلامية، مرجع سابق.

(٢) مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ٥١، ٥٠، ربيع الآخر - رمضان ١٤٠١هـ من ٢١٢ .

- وانظر: عبد الحكيم عبد السلام، دور العهد السعودي الثالث في خدمة الإسلام، من ٢٧٢-٢٧٥، مرجع سابق.

كما أن الجامعة الإسلامية من الجهات الرائدة في نشر الكتاب الإسلامي، وتوزيعه على طلاب العلم والمراكز الإسلامية، وخاصة كتب العقيدة التي كتبها علماء السلف.

أما الدعوة فإن لها شأنًا طيبًا في اهتمامات هذه الجامعة المباركة (١)، فقد أنشئ لها مجلس خاص بشئون الدعوة الإسلامية، وهذا المجلس يشرف على مركز شئون الدعوة بالجامعة، الذي يمثل الجانب التطبيقي والعملي من رسالة الجامعة في الدعوة إلى الله في كافة أنحاء المعمورة، متعاونًا في ذلك مع الجهات الأخرى المعنية بشئون الدعوة، مع عقد المؤتمرات والمحاضرات والطققات الدراسية المتعلقة بشئون الدعوة، وتحديد نوع المشاكل التي تواجه المسلمين، واقتراح الحلول المناسبة لها، ومن ثم المساهمة في هذه الطول. (٢)

ومن المؤتمرات الهامة التي عقدت : المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، عام ١٣٩٧هـ.

وكذلك المؤتمر الثاني لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، عام ١٤٠٤هـ.

وكان لهذه المؤتمرات وغيرها آثار حميدة في تبصير المسلمين بأمور عديدة، ودعم مسيرة الدعوة في البلاد الإسلامية بخطى ثابتة متبصرة، وهو الأمر الذي ينبغي الاستمرار فيه قدر الإمكان، حتى يتحقق التعاون والتناصح والتشاور بين المسلمين في هذه الفترة العصيبة من حياة الأمة الإسلامية.

ومن الأمور التي تشكر عليها الجامعة الإسلامية قيامها فعلا وباستمرار بإرسال الدعاة - وخاصة في فصل الصيف - إلى البلاد الإسلامية، ويشارك أساتذة الجامعة في ذلك، ولهم اسهامات جيدة في الدعوة والتعليم بين المجتمعات الإسلامية في آسيا، وإفريقيا، وبقية بلاد العالم.

(١) انظر: دليل الجامعة الإسلامية، ص٢٧، ٢٥٣-٢٥٨، مرجع سابق.

(٢) انظر: دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج ص١٩٥، مرجع سابق.

إن هذه الخطوة مهمة جدا، ولها فوائد لاتحصى، ومن ذلك :

- شعور أفراد هذه المجتمعات القاصية بالأخوة الإسلامية، وأن هناك من يذكرهم ويأتي لزيارتهم، وتفقدهم بين الحين والآخر.

- القبول الكبير الذي يواجه به هؤلاء الدعاة من أبناء هذه المجتمعات لأنهم قادمون من بلاد الحرمين، وهذا مما ساعدهم في التأكيد على نبيذ البدع والخرافات والدعوة إلى العقيدة الصحيحة في محاضراتهم ودروسهم، على الرغم من تمكنها من نفوس بعضهم واعتقادهم بأنها من الدين.

نسأل الله لهذه الجامعة وللقائمين عليها التوفيق والسداد.

ثالثاً : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية :

مع بداية النهضة العلمية الشاملة عام ١٣٧٠هـ، ونظراً لإقبال الشباب على مناهل العلم، افتتحت حكومة المملكة العربية السعودية معهد الرياض العلمي، وأسند الإشراف عليه إلى سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ.

وكان اللبنة الأولى للمعاهد العلمية التي انتشرت في المملكة، وكان كذلك النواة الأساسية لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية فيما بعد.

وفي عام ١٣٧٣هـ افتتحت كلية الشريعة بالرياض، ثم في عام ١٣٧٤هـ افتتحت كلية اللغة العربية بالرياض، ثم تتابع افتتاح المعاهد العلمية، وكانت منضوية تحت مسمى (الرئاسة العامة للكليات والمعاهد العلمية).

وفي ١٣٩٤/٨/٢٣هـ صدر المرسوم الملكي رقم م/٥٠، الفبني على قرار مجلس الوزراء، رقم ١١٠٠ وتاريخ ١٣٩٤/٨/١٧هـ بالموافقة على نظام جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية، واعتبارها مؤسسة تعليمية وثقافية عالية، وقد شملت المعاهد العليا، والكليات، والمعاهد العلمية.

ومنذ إنشاء الجامعة، وهي في توسع مستمر، حيث يوجد بها الآن عشر كليات،

خمس في الرياض، هي :

١ - كلية الشريعة.

٢ - كلية اللغة العربية.

٣ - كلية أصول الدين.

٤ - كلية العلوم الاجتماعية.

٥ - كلية الدعوة والإعلام.

بالإضافة إلى المعهد العالي للقضاء.

أما الكليات الخمس التي خارج الرياض، فهي:

١ - كلية الشريعة وأصول الدين بالقصيم.

٢ - كلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم.

٣ - كلية الشريعة وأصول الدين بأبها.

٤ - كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بأبها.

٥ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بالأحساء.

بالإضافة إلى المعهد العالي للدعوة الإسلامية بالمدينة المنورة.

كما يوجد بالجامعة أربعة وخمسون معهداً علمياً منتشرة في أنحاء المملكة، وتؤدي دوراً رائداً في المجال العلمي والاجتماعي، وبخاصة في المدن والمناطق التي تبعد عن الرياض، أو لا يوجد بها كليات أو فروع للجامعات.

كما أن هناك خمسة معاهد في الخارج لتعليم العلوم العربية والإسلامية في

كل من : رأس الخيمة، وموريتانيا، وجيبوتي، وأندونيسيا، واليابان. (١)

وقد حددت أهداف هذه الجامعة بأنها: (٢)

١ - توفير أسباب التعليم الجامعي، والدراسات العليا في العلوم الإسلامية، وعلوم اللغة العربية وما يتصل بها من علوم أخرى، كالعلوم الاجتماعية، والتاريخ الإسلامي.

٢ - العناية بالبحوث الإسلامية، والعناية بترجمتها ونشرها، وتنظيم العلاقة بين هذه الجامعة، وجامعات العالم لسد فراغ الدراسات الإسلامية.

٣ - العناية في نطاق الدراسات الشرعية بالبحوث الفقهية والقانونية المقارنة.

٤ - إعداد علماء متخصصين في العلوم الإسلامية، وعلوم اللغة العربية، والعلوم الاجتماعية والتاريخية، وإعداد مدرسين في هذه الحقول، وإعداد قضاة ودعاة مؤهلين.

(١) انظر: دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٦، ٧، عام ١٤٠٧هـ.

- ودليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي، ص ٢٦٢، ٢٦٣، مرجع سابق.

(٢) المرجعين السابقين، دليل الجامعة، ص ٥.

- دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي، ص ٢٦٣.

٥ - المساهمة في تلبية حاجات البلاد الإسلامية إلى تخصص طائفة من أبنائها في العلوم المتقدم ذكرها.

وللجامعة اتخاذ الوسائل الملائمة لنشر الدعوة الإسلامية، وإصدار المنشورات الدورية لهذا الغرض.

ومن الوسائل التي تتخذها الجامعة لنشر الدعوة الإسلامية، ما يلي :

- استقبال العديد من الشخصيات الإسلامية التي تفر إلى المملكة من الخارج، وتبحث معهم أمور الدعوة ومشاكلها في العالم.

- التعرف على أحوال المسلمين في كثير من بلاد العالم التي تحتاج إلى التعريف بالإسلام، ونشاط في الدعوة إليه، مثل: اليابان، وجنوب شرق آسيا، وأستراليا، والهند، وأمريكا، وبريطانيا، وبلجيكا، ودول غرب إفريقيا.

- إيفاد بعض رجالها إلى إفريقيا، وآسيا في أوقات مختلفة للدعوة إلى الله، والدفاع عن الإسلام، وتبصير المسلمين بأمور دينهم.

- توثيق العلاقة والتعاون بينها وبين الجامعات، والمعاهد، والمراكز، والمؤسسات الإسلامية في الخارج، ودعمها بالكتب الدينية والمدرسين.

- تعنى الجامعة بتشجيع البحث العلمي الإسلامي في الموضوعات المتخصصة، وتقديم العون المادي والمعنوي، والمكافآت المجزية.

- استضافة المؤتمرات والندوات والطققات التي تبحث ما يتصل بالشريعة الإسلامية، وما فيه نفع للإسلام والمسلمين، وإيفاد مندوبين عنها للمؤتمرات والندوات والطققات التي تعقد في الخارج.

وفي هذا الصدد كان عقد مؤتمر عالمي باسم (أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب) - في رحاب الجامعة، وتحت إشرافها - حدثا بارزا، وسبقا عظيما وفقت إليه، حيث إن هذا المؤتمر الذي نوقشت فيه دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشبهات التي أثيرت حولها، والردود عليها، بالإضافة إلى آثارها في العالم الإسلامي؛ ساهم بقدر كبير في إزالة الغشاوة عن عيون كثير من المسلمين حول هذه الدعوة السلفية، بسبب الشبهات والأكاذيب التي ألمقت بها من قبل أعداء

التوحيد، وأصحاب المصالح من الفرق المنحرفة وأهل الأهواء والباطل.
- تقديم المساعدات العلمية إلى مراكز الدعوة الإسلامية في الخارج.
- إرسال مدرسين في المرطة الجامعية، وفيما دونها في بعض الجامعات والكليات والمدارس بالخارج، بهدف الدعوة، عن طريق التعليم وتصحيح المفاهيم الخاطئة عن الإسلام. (١)

وهكذا نجد أن هذه الجامعة العريقة تقوم بجهود كبيرة في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، ولها كذلك دور بارز في مواجهة الانحراف العقدي في مجتمعات المسلمين.

فمن خلال عملية التعليم تسهم الجامعة في تبصير أبناء هذه البلاد، وأبناء البلاد الإسلامية الأخرى الذين يدرسون في الجامعات بالعقيدة الإسلامية الصحيحة في جميع أقسامها العلمية، ويقدر أكبر في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، ثم يتخرج هؤلاء الطلاب ليصبحوا مشاعل تضيء في مجتمعاتهم وبلادهم بما يحملونه من عقيدة صحيحة وفكر سليم، بالإضافة إلى حصانة جيدة ضد الأفكار المنحرفة.

كما نلاحظ أن للجامعة حرماً عظيماً، واهتماماً بالغاً بنشر كتب العقيدة التي ألفها علماء السلف، كشرح الطحاوية - التي تدرس في كلياتها -، وكتب ابن تيمية رحمه الله، ولها جهود مميزة في هذا المقام، بالإضافة إلى كتب إمام الدعوة الإصلاحية الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده وتلامذته رحمهم الله، ومما سهل عملية النشر هذه وجود مطابع خاصة بالجامعة.

أما الدعوة فإنها من الأهداف الأساسية لهذه الجامعة، وفي هذا المجال نجد أن لديها قسمين للدعوة، واحد في الرياض، وآخر في المدينة المنورة، يدرس فيهما المرطة الجامعية، ومرطتي الماجستير، والدكتوراه.

ومن المواد الأساسية في هذه الأقسام مواد العقيدة، بالإضافة إلى المواد

(١) انظر: دليل جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ص ٨٤-٨٦، إدارة الدراسات والمعلومات بالجامعة، عام ٩٧/٩٨هـ.

المتصلة بالعقيدة، والمهمة للدعاة، كالاستشراق، والتنصير، والمذاهب المعاصرة.

كما أوجدت الجامعة إدارة مستقلة في هيكلها الإداري لشئون الدعوة، وأنشأت لجنة للدعوة الإسلامية منبثقة عن مجلس الجامعة، ومن أهم أعمالها: توثيق العلاقة بين الجامعة والهيئات، والمؤسسات، والمراكز الإسلامية في شتى أنحاء العالم، واقتراح تقديم العون الممكن لها. (١)

نسأل الله لهذه الجامعة وللقائمين عليها العون والتوفيق والسداد في خدمة الإسلام والدعوة الإسلامية، والمساهمة الفعالة في مواجهة الانحراف العقدي في مجتمعات المسلمين.

(١) انظر: عبد الحكيم عبد السلام، دور العهد السعودي الثالث في خدمة الإسلام، ص٢٠٠، مرجع سابق.

رابعاً : جامعة أم القرى :

تعتبر نقطة البداية في نشأة جامعة أم القرى بمكة المكرمة في إنشاء كلية الشريعة عام ١٣٦٩هـ، ثم أضيفت إليها التربية عام ١٣٨٠/١٣٨١هـ، وسميت كلية الشريعة والتربية.

وفي عام ١٣٨٢هـ تم إنشاء كلية التربية مستقلة عن كلية الشريعة، وكانت الكليتان تابعتين لوزارة المعارف، ثم ضمتا إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة عام ١٣٩٠/١٣٩١هـ.

وفي ١٤٠١/٦/٢٢هـ صدر قرار مجلس الوزراء، رقم ٩٦ بإنشاء جامعة أم القرى، أعقبه صدور المرسوم الملكي رقم م/ ٣٩، وتاريخ ١٤٠١/٩/٢٨هـ بالموافقة على نظام الجامعة، فأصبح لها استقلالها الكامل، وصارت تضم الكليات الآتية :

١ - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية.

٢ - كلية التربية بمكة.

٣ - كلية العلوم التطبيقية والهندسية.

٤ - كلية اللغة العربية.

٥ - كلية التربية بالطائف.

٦ - كلية الدعوة وأصول الدين.

٧ - كلية العلوم الاجتماعية.

وتحتوي هذه الكليات على أكثر من (٥٠) قسماً علمياً، بالإضافة إلى معهد

لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها. (١)

(١) انظر: التعليم العالي في المملكة العربية، تقرير دوري عام ١٤٠٤هـ

ص٢٣٨، وزارة التعليم العالي.

- ودليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي، ص٣٢١، مرجع

سابق.

وتهدف الجامعة إلى إعداد الكوادر التعليمية من الطلاب والطالبات في مجالات واختصاصات الكليات في الدراسات الأولية، والدراسات العليا، وتدريب منسوبي المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية في المجالات الإدارية والتربوية والفنية، وتسهيل تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، وتشجيع البحث العلمي من خلال المراكز العلمية والفنية المتوفرة في الجامعة، وتشجيع الراغبين في الدراسة لمواصلة دراساتهم، سواء أكانوا موظفين أو غيرهم، بالتفرغ الجزئي، وبما لا يتعارض مع أنظمة الدولة. (١)

وهكذا نجد أن هذه الجامعة تخدم المسلمين في مجال التعليم بتخصصاته المختلفة، سواء الدراسات الشرعية، أو الاجتماعية، أو العربية، أو المهنية والتقنية.

وتولي هذه الجامعة عناية كبيرة بالدراسات الشرعية، من خلال كلياتها المتخصصة.

ويهمنا هنا أن نشير إلى كلية الدعوة وأصول الدين التي لها دور فعال في تخريج المتخصصين في عدد من فروع الدراسات التي تخدم الإسلام والدعوة الإسلامية، من خلال أقسامها الخمسة:

- قسم الدعوة.
- قسم العقيدة.
- قسم الكتاب والسنة.
- قسم القراءات.
- قسم الإعلام.

وقد جاءت أهداف هذه الكلية كما يلي:

أولا : المحافظة على كتاب الله عز وجل تلاوة وحفظا، بتخريج طلاب متخصصين في القراءات الواردة، وفهم وجهها الصحيح.

(١) دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج العربي، ص ٢٢٢، مرجع سابق.

ثانيا : المحافظة على الأصول الإسلامية بتخريج طلاب متخصصين في التفسير، وفي الحديث، وفي العقيدة الإسلامية.

ثالثا : المحافظة على الإسلام ببيانه وتبليغه والدعوة إليه، وفق منهج تربوي سليم، واستخدام أحدث وسائل العصر، وذلك بتخريج طلاب متخصصين في الدعوة إلى الله تعالى، وفي الإعلام بمجالاته الفنية المختلفة. (١)

كما أن المراكز العلمية المتخصصة تساهم بدور جيد في قيام الجامعة برسالتها من خلال البحوث التي تنشرها هذه المراكز.

ومن المراكز التي يهمننا الإشارة إليها:

- مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي.

- المركز العالمي للتعليم الإسلامي. (٢)

وقد نشر هذان المركزان عددا من البحوث المهمة والمفيدة للمسلمين في مجاليهما.

وهذه الجامعة تعطي المنح الدراسية للدارسين من البلاد الإسلامية الأخرى، ليعودوا إلى بلادهم وقد تسلحوا بالعلم النافع الذي يعود على بلادهم ومجتمعاتهم بالخير والفائدة.

(١) انظر: التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، من ٢٤٠-٢٤٢، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق من ٢٣٨، ٢٣٩ .

الخاتمة

- ملخص البحث .
- أهم النتائج .
- التوصيات والمقترحات .

بمعون الله وتوفيقه فقد بحثت هذه الدراسة قضية الانحراف العقدي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة، وأكدت على مسئولية الدعوة في مواجهته؛ إذ هو أهم قضية أمام الدعوة الإسلامية المعاصرة.

وقد بدأت الدراسة ببيان للعقيدة في منهج الدعوة، وذلك بذكر أسس العقيدة الإسلامية؛ وهي أركان الإيمان الستة، مع مزيد بيان للركن الأول، وهو الإيمان بالله وتوحيده، تلا ذلك عرض لأهم ثمرات العقيدة.

ثم جاء ذكر أهمية الدعوة إلى العقيدة من خلال كونها أول ما يبدأ بالدعوة إليه في الدعوة إلى الإسلام، ومن خلال إيضاح ارتباط الأعمال والشرائع في الإسلام بالعقيدة.

وبعد ذلك يأتي الحديث عن قضية الانحراف العقدي، ببيان أبرز مظاهره وأهم أسبابه، وقد اعتمدت هذه الدراسة بيان تلك المظاهر، وهي: البدع، والشرك، وإنكار ما علم من الدين بالضرورة، وعدم الحكم بما أنزل الله، ومخالفة مفهوم الولاء والبراء، بشرح لتلك المظاهر، واختيار نماذج لكل نوع منها.

وكذلك أسباب الانحراف، وهي: الانحراف الموروث في العقيدة، والجهل، والاستعمار السياسي، والغزو الفكري، وضعف إجراءات حماية العقيدة، فقد تم إيضاحها، وإيراد شواهد على نتائجها.

وفي الجزء الأخير نجد بياناً لوسائل الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي، وهي الوسائل المباشرة من الاتصال المباشر بين الأفراد، والخطابة، والحوار، والمنظرة، والتعليم، والجهاد، بالإضافة إلى الوسائل غير المباشرة، وهي الصحافة، والكتاب، والإذاعة والتسجيلات الصوتية، والتلفاز والتسجيلات المرئية.

وأخيراً نجد نماذج من المؤسسات العاملة في الدعوة والتعليم الإسلامي وجهودها في الدعوة، وهي: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ورابطة العالم الإسلامي، ومنظمة الدعوة الإسلامية في السودان، والجامع الأزهر، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى.

- وقد كان من أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث ما يلي:
- ١ - سهولة العقيدة الإسلامية ويسرها وبساطتها وموافقها لفطرة الإنسان.
 - ٢ - زيادة اليقين بهذه العقيدة عند معرفة ثمراتها في الإنسان والحياة.
 - ٣ - أن أهم ما يجب مراعاته في منهج الدعوة إلى الإسلام هو العناية بالعقيدة؛ من البدء بها وإعطائها الأولوية على وجه العموم، وربطها بالأعمال وأركان الدين ونظام الإسلام وشرائعه عند دعوة المسلمين بوجه خاص، وعدم التفريق بين التوحيد ومقتضياته.
 - ٤ - أن ضعف الارتباط بالكتاب والسنة يعتبر مدخلا هاما لانحراف كثير من المسلمين عن دينهم وعقيدتهم، حيث تقدم آراء الرجال والأهواء المختلفة على الكتاب والسنة، فينتج عن ذلك كثير من الانحرافات.
 - ٥ - انتشار البدع بين كثير من المسلمين، واختلال مفهوم البدعة عند بعضهم، مما كان سببا في نسبة أمور كثيرة إلى الإسلام، وهي ليست منه.
 - ٦ - وجود الشرك، وتعدد صورته في بعض البلاد الإسلامية، مع أن هذه المسألة واضحة في مخالفتها لدين الإسلام، فهو دين التوحيد.
 - ٧ - أثر الفرق المنحرفة كالقاديانية، والأفكار والتيارات المضللة، كالمدرسة العقلية في إنكار بعض المسلمين لأمر معلومة من دين الإسلام بالضرورة.
 - ٨ - ارتباط الحكم بما أنزل الله - عز وجل - بالعقيدة، وأن الحاكمية من حق الله سبحانه وحده، فهي مرتبطة بالتوحيد، وهذا يرد على بعض الآراء التي تقول بحصر العقيدة في المعتقدات القلبية والقلوبية، فعدم الحكم بما أنزل الله إذا انحراف عقدي.
 - ٩ - أن أصل الولاء والبراء الحب والبعض، فمخالفة ما أمر الله به من موالة المؤمنين والبراءة من الكافرين، انحراف عقدي، إذ التعامل أمر، والولاء والبراء أمر آخر.

- ١٠ - هناك آثار للانحراف العقدي في العصور الماضية على المسلمين في العصر الحاضر، من خلال استمرار بعض الفرق المنحرفة وآثارها، كالشيعة والصفوية، أو بقاء آثار فكرية لفرق غير قائمة حالياً، كالمعتزلة.
- ١١ - أن الجهل الذي ييسود كثيراً من أرجاء العالم الإسلامي من الأسباب المهمة في وجود الانحراف العقدي واستمراره بين المسلمين، بالإضافة إلى استغلال أصحاب المصالح المختلفة من دجالين وغيرهم له.
- ١٢ - تأكيد دور الاستعمار السياسي الذي تعرض له العالم الإسلامي في انحراف المسلمين عن العقيدة الصحيحة من خلال جهوده المتعددة في حرب الإسلام، ومن ذلك تشجيع أعمال التنصير بين المسلمين، ومآزرة الاستشراق والتيارات الفكرية المنحرفة ضد المسلمين، وبالأخص في عقيدتهم.
- ١٣ - تأكيد دور الغزو الفكري الموجه ضد الإسلام والمسلمين من خلال قنواته المتعددة، ومن أهمها الإعلام والتعليم، وآثار ذلك في وجود الانحراف العقدي.
- ١٤ - بالإضافة إلى الضعف العام في الحياة الإسلامية المعاصرة، هناك ضعف خاص في حماية العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، مما أدى إلى آثار سيئة كثيرة، ومنها: اختلاط العقائد لدى بعض المسلمين، وعدم تفريقهم بين ما هو من الإسلام، وما ليس منه.
- ١٥ - هناك وسائل مختلفة لمواجهة الانحراف العقدي، ولكل وسيلة مزاياها الخاصة، ومن ذلك الوسائل المباشرة من الاتصال المباشر بين الأفراد، والخطابة، والحوار، والمنظرة، والتعليم، والجهاد، بالإضافة إلى الوسائل غير المباشرة من الصحافة، والكتاب، والإذاعة، والتسجيلات الصوتية، والتلفاز، والتسجيلات المرئية، وكلها وسائل شرعية يمكن للدعوة استخدامها.
- ١٦ - تقوم المؤسسات العاملة في الدعوة والتعليم الإسلامي بجهود طيبة في مواجهة الانحراف العقدي، ويؤكد بعضها على أن العقيدة وتصحيحها في نفوس المسلمين أهم أهدافها، وهو منهج ينبغي أن يحتذى من بقية المؤسسات الإسلامية.

التوصيات والمقترحات :

١ - أهمية الاعتناء بعرض العقيدة الإسلامية للمسلمين كما هي في القرآن والسنة، بعيدا عن المباحث الفلسفية والكلامية ومصطلحاتها الدخيلة، مما يمكن المسلمين من فهم عقيدتهم فهما صحيحا، ويساهم في إيجاد الحصانة عندهم ضد أنواع الانحرافات المختلفة.

٢ - ضرورة عناية الجمعيات والمؤسسات والمراكز الإسلامية بالعقيدة في مناهجها، وإعطائها الأولوية في برامجها، وربط قضايا المسلمين العملية، مثل الحكم والاقتصاد والعلاقات بها، وعدم فصل التوحيد عن مقتضياته في الدعوة بين المسلمين.

٣ - وجوب مواجهة الانحراف العقدي بكافة مظاهره وأشكاله على كل قادر من المسلمين، الحاكم بسلطته، والعالم بعلمه، والداعية والمرشد ببلاغه وبيانه، فالدعوة ليست مقصورة على إدارة أو فئة بعينها، بل هي واجبة على المسلمين كلهم وجوبا كفائيا؛ كما قال تعالى: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون). (١)

وهي واجبة وجوبا عينيا على كل بحسبه، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان]. (٢)

٤ - أهمية دراسة أسباب الانحرافات المختلفة، فمعرفة أسباب أي مرض، أهم جزء في علاجه، وكما يقال: إن تحديد المشكلة هو نصف العلاج.

٥ - يجب استخدام الوسائل المختلفة لمواجهة الانحراف العقدي، وعدم الاقتصار على وسائل دون أخرى، وهنا نؤكد على أهمية الاستثمار الأمثل لوسائل الاتصال المختلفة، لأن لها من الانتشار والأثر ما ليس لغيرها.

(١) سورة آل عمران ١٠٤ .

(٢) سبق في ص ٩ .

٦ - الحاجة إلى القيام بدراسة العالم الإسلامي (عقديا)، وهو أمر ليس بالمستحيل، فهناك دراسات سكانية تجرى لمناطق شاسعة من العالم لدراسة انتشار مرض ما، أو دراسة ظاهرة اجتماعية أو اقتصادية معينة.

ومن الممكن القيام بمثل ذلك لإيجاد دراسة مسحية للعالم الإسلامي، عقديا. وهذه الدراسة ستساهم في تعريف الدعاة بالعقائد المنتشرة في العالم الإسلامي، وبين المسلمين، وستساعدهم في دعوتهم وحركتهم بين الناس.

٧ - ضرورة دعم وتشجيع الهيئات العاملة في الدعوة التي تحرص على مواجهة الانحراف العقدي، ونشر العقيدة الصحيحة بين المسلمين بكافة صور الدعم والتشجيع، سواء بالدعم المادي من المال والخبرة والوسائل، أو الدعم المعنوي من الإشادة بهم وذكر جهودهم، والثناء عليهم والدعاء لهم.

٨ - أهمية عقد المؤتمرات الإسلامية العامة، حول العقيدة الإسلامية ودراساتها، ورجالها، ونحو ذلك، مما يساهم في تعريف المسلمين بها، وتقارب آراء المختلفين في بعض مسائلها، وعلى أقل تقدير إقامة الحجة على الذين يحملون فهما منحرفا لبعض جوانبها (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى). (١)

وأخيرا أسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يرد ضال المسلمين، وأن يزيد المهتدين هدى وثباتا، وأن يجنب المسلمين كل ما من شأنه أن يصددهم عن دينهم الحق، أو يرددهم عن هدي كتابه وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن ييسر لهم من أسباب الهداية ما هو أعلم به.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وملى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

- ١- فهرس الآيات .
- ٢- فهرس الأحاديث والآثار .
- ٣- فهرس الأعلام .
- ٤- فهرس الفروع والطوائف والقبائل .
- ٥- ثبت المصادر والمراجع .
- ٦- فهرس المحتويات .

١- فهرس الآيات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الفاتحة)
١٦	٧-١	الحمد لله رب العلمين ...
١٧٤	٥	إياك نعبد وإياك نستعين
		(سورة البقرة)
١٩٥، ٥٨	٣-١	الم . ذلك الكتب لاربيب فيه ...
٩٣	٤-٢	هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ...
١٦٢، ١٥٠، ٤٠، ٣٩	٢٢، ٢١	يأيتها الناس اعبدا ربكم ...
٧٠، ٢٤	٦٢	من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا
٢٩١	٦٧	قالوا أتتخذنا هزوا ...
٨١	٧٥	وقد كان فريق منهم يسمعون كلم الله ...
٨١	٧٩	فويل للذين يكتبون الكتب بأيديهم ...
٧٧	٨٥	أفتؤمنون ببعض الكتب ...
١٧	٩٧	من كان عدوا لجبريل ...
٣١٢	١٠٩	ود كثير من أهل الكتب لو يردوكم ...
٢٢٣، ٣١٢	١٢٠	ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى ...
٨٨	١٣٦	قولوا ءامنا بالله وما أنزل الينا ...
٤٠٤	١٥٩	إن الذين يكتفون ما أنزلنا من البيئت ..
		إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك
٣٩	١٦٤	التي تجري في البحر ...
٢٤٥، ٢٤٣، ١٧٢، ١٥٦	١٦٥	ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا ..
٢٢٨	١٦٦	إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ...
٢٦٨	١٦٨	يأيتها الناس كلوا مما فى الأرض طلا ...
١٧٩	١٧٣	فمن اضطر غير باغ ولا عاد ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٤٠٤	١٧٤	إن الذين يكتُمون ما أنزل الله من الكتاب ..
٧٠،٥٨،٢٢،١٤	١٧٧	ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق ..
٤١٢	١٩٠	وقتلوا في سبيل الله الذين يقتلونكم...
٣٢٨	١٩١	والفتنة أشد من القتل ...
٤١٣	١٩٣	وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ...
٢٠٨	٢١٣	كان الناس أمة واحدة ...
		ولا يزالون يقتلونكم حتى يردوكم عن دينكم
٣٢٨،٣٢٢،٣١٢	٢١٧	إن استطعوا ...
٥٧	٢٢٩	تلك حدود الله فلا تعتدوها ...
٧٠	٢٣٢	ذلك يوعظ به من كان يؤمن بالله ...
٤٥	٢٥٥	الله لا إله إلا هو الحي القيوم ...
٢٤٣	٢٥٧	الله ولي الذين آمنوا ...
٣٩٤،٣٩٠،٧٩	٢٥٨	ألم تر إلى الذي حآج إبراهيم ...
١٥٩	٢٦٤	كالذي ينفق ماله رياء الناس ...
١٧٩	٢٧٠	وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر ...
		يأتيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا
٤١٥	٢٧٩،٢٧٨	ما بقي من الربوا ...
١٧،١٤	٢٨٥	كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...
		(سورة آل عمران)
٦٢	٤،٣	نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا ...
٥٦	٥	إن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ...
١١٩	١٦	الذين يقولون ربنا إنا آمننا ...
٤٠٣	١٨	شهد الله أنه لا إله إلا هو ...
٢٣٦،٢٣١	٢٨	لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٢٤٣، ١٧٢	٣١	قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني
٦٣	٤٤	ذلك من أنباء الغيب ...
٨٢	٤٨-٥١	ورسولا إلى بنى إسرائيل ...
١١٩	٥٣	ربنا ءامنا بما أنزلت ...
٨٥	٦٤	يا أهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء ...
٢٢٦	٨٥	ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ...
٢٩٨	١٠٣	واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ...
٤٨٥	١٠٤	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ...
٢٥٨	١٥٤	هل لنا من الأمر من شيء ...
٢٥٨	١٥٤	لو كان لنا من الأمر شيء ماقتلنا ههنا ..
٢٥٨	١٥٦	لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ...
٣٧٤	١٥٩	ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا ...
٦٦	١٦٤	لقد من الله على المؤمنين ...
١٧٢	١٧٥	فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين
٢٠٢	١١	يوصيكم الله في أولادكم
٢٩٢	١٧	إنما التوبة على الله ...
٢٠٣	٣٤	الرجال قومون على النساء
١٧١	٣٦	واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ...
٨١	٤٦	من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ...
١٥٣، ١٥٢، ٩٠	٤٨	إن الله لا يفر أن يشرك به ...
٤٠٢، ٢١١، ٢٠٩	٥٩	فإن تنزعتن في شيء فردوه إلى الله ...
٢١١، ٢٠٧، ٩١	٦٠	ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم ءامنوا ...
٢١١، ١٠١	٦٥	فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك ...
٤١١	٧٧	ألم تر إلى الذين قيل لهم كفوا أيديكم ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة النساء)
٢٠٦	١٠٥	إننا أنزلنا إليك الكتاب بالحق ...
١٥٣، ١٥٢، ١١٣	١١٦	إن الله لا يغفر أن يشرك به ...
١٣	١٢٥	ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله ...
١٤	١٣٦	ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ...
٢٣١	١٣٩، ١٣٨	بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً ...
٢٤٤	١٤٠	وقد نزل عليكم في الكتاب ...
١٥٩	١٤٢	إن المنافقين يخدعون الله وهو خدعهم ...
٦٥	١٥٢-١٥٠	إن الذين يكفرون بالله ورسوله ...
٦٧	١٦٤، ١٦٣	إننا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ...
٢٢	١٦٤	ورسلاً قد قمصنهم عليك من قبل ...
٢٠٣	١٧٦	وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً ...
		(سورة المائدة)
٣٧٥، ٢٤٠، ٩١	٢	وتعاونوا على البر والتقوى ...
١٧٧	٣	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ...
٩٤	٥	ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ...
٢٣٩	٨	ولا يجرمكم شيطان قوم على ألا تعدلوا ...
١٧٣	٢٣	وعلى الله فتوكوا إن كنتم مؤمنين يأيتها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا
١١٧	٣٥	إليه الوسيلة ...
٢١٨، ٢١٤، ٢٠٧، ١٧٢	٤٤	فلا تخشوا الناس واخشون ...
٢٦٠		
٢٠٧		ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون ٤٥
٢٠٧		ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ٤٧

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٦٢،٢١	٤٨	وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا ...
٢٠٦	٤٩	وأن احكم بينهم بما أنزل الله ...
٢٠٨،٢٠٧	٥٠	أفحكم الجاهلية يبغون ... يأئبها الذين آمنوا لاتتخذوا اليهود والنصارى
٢٤٨،٢٣٧،٢٣٢	٥٢،٥١	أولياء ...
٢٤٥،٢٤٢	٥٤	يأئبها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه .. يأئبها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا
٢٣٢	٥٧	دينكم هزوا ولعبا ...
١٥٢،١١٣	٧٢	إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة
٢٣٢	٨١،٨٠	ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا ...
١٠٢	٩١،٩٠	يأئبها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ...
(سورة الأنعام)		
٢١٩	١	ثم الذين كفروا بربهم يعدلون
٦٨	١٠	ولقد استهزىء برسلك من قبلك ...
١٨٥	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ..
٦٩	٣٤	ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا ...
٤٨٦	٣٥	ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ...
١٦٧	٥٠	قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ...
٢٠٦	٥٧	إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين
١٨	٦١	حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا ...
٢٠٦	٦٢	إلا له الحكم وهو أسرع الحاسبين
٢٤٤	٦٨	وإذا رأيت الذين يخوضون فى آيتنا ...
٣٩٠	٨٣	وتلك حجتنا آتيتها إبراهيم على قومه ...
١٥٣	٨٨	ذلك هدى الله ليهدى به من يشاء من عباده ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٥٩	٩٣	ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت ...
١٨٧	١١٩	إلا ما اضطررتم إليه ...
٥١	١٢٢	أومن كان ميتا فأحييناه ...
١٨٧	١٤٥	فمن اضطر غير باغ ولا عاد ...
١٧٦	١٦٢	قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله ...
(سورة الأعراف)		
٢٦٨	٣٣	قل إنما حرم ربي الفواحش ...
٢١٥، ٢٨	٥٤	ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العلمين
٧٩، ٧٨	٦٥-٧٢	وإلى عاد أخاهم هودا ...
٧٩	٧٣	وإلى ثمود أخاهم صلحا ...
٤	١٥٤	وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون
٨٤، ٦٦	١٥٨	قل يأيها الناس إنى رسول الله إليكم ...
٣٧٧	١٦٥، ١٦٤	وإذ قالت طائفة منهم لم تعظون قوما ...
١١٨، ٤٣	١٨٠	ولله الأسماء الصنى فادعوه بها ...
٢٥	١٨٧	يسألونك عن الساعة أيان مرسها ...
١٥٩	١٩٠	فلما اتهمنا صلحا جعلنا له شركاء ...
١٧٤	١٩٤	إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم ..
٣٧٤	١٩٩	خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجهلين
٦٠	٢٠٦	إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ...
(سورة الأنفال)		
١٧٤	٩	إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم ...
٥٩	١٢	إذ يوحى ربك الى الملائكة ...
٤١٧، ٤١٥، ٤١٣، ٢٤٤	٣٩	وقتلوهم حتى لا تكون فتنة ...
٨٨	٤٠	فاعلموا أن الله مولكم ...
٢٤٦	٧٤	والذين آمنوا وهاجروا وجهدوا ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة التوبة)
٢٧٧	١	براءة من الله ورسوله ...
٤١٢	٥	فإذا انسلخ الأشهر الحرم ...
٩٥	٢٠، ١٩	أجعلتم سقاية الحاج ...
٧٠، ٢٤	٢٩	قتلوا الذين لا يؤمنون بالله ...
٩٩	٣١	اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا ...
٥٣	٤١	انفروا خفافا وثقالا ...
٢٤٨	٦٦، ٦٥	قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ...
٢٤٧	٦٧	المنفقون والمنفقات بعضهم من بعض ..
٢٧٥، ٢٤٧، ٩١	٧١	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض...
٥٥	١٠٥	وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ...
٢٣٣	١١٤	وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة ... بأيها الذين آمنوا قتلوا الذين يلونكم من
٤١٢	١٢٣	الكفار وليجدوا فيكم غلظة ...
١٠	١٢٤	فزادتهم إيماننا ...
٦٩	١٢٨	لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...
		(سورة يونس)
١٥٦	١٨	ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم...
٢٩٥	٢٨	قل فأتوا بسورة مثله ...
٦٦	٤٧	ولكل أمة رسول ...
٤	٨٣	فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه ...
١٦٤	١٠٦	ولا تدع من دون مالا ينفكك ولا يضرك ...
٢٠٦	١٠٩	واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة هود)
٢٩٥	١٣	قل فاتوا بعشر سور مثله مفترية ...
٨٨	١٤	فاعلموا انما انزل بعلم الله ...
٧٨	٢٦، ٢٥	ولقد ارسلنا نوحا الى قومه ...
٢٩٤، ٢٩٠	٣٢	قالوا يئوح قد جدلتنا ...
٢٠٦	٤٥	رب ان ابنى من اهلى ...
٦٣	٤٩	تلك من انباء الغيب نوحيها إليك ...
		قالوا يشعيب اطلوتك تاامرك ان نترك ما يعبد
٢٩٢	٨٧	اباؤنا ...
٢٧٥	٨٨	وما ارىد ان اخالفكم الى ما انهكم عنه ...
		(سورة يوسف)
٣	١٧	وما انت بمؤمن لنا ...
٣٧١، ٢٠٦، ٨٠، ٧٩	٤٠-٣٦	ودخل معه السجن فتيان ...
٦٣	١٠٢	ذلك من انباء الغيب نوحيه إليك ...
١٥٩، ٨٢	١٠٦	وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون
		(سورة الرعد)
٦٠، ١٨	١١	له معقبات من بين يديه ومن خلفه ...
٢٥٩، ٢٥٨	١٣	ويارسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ...
٥٢	٢٨، ٢٧	قل ان الله يضل من يشاء ...
٢١٢	٤١	والله يحكم لامعقب لحكمه ...
		(سورة ابراهيم)
٤٤٠	٤	وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ...
١٧٢	١٢	وعلى الله فليتوكل المؤمنون
٢٦	٤٨	يوم تبدل الارض غير الارض والسموات

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الحجر)
٦١،٢١	٩	إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحفظون
		(سورة النحل)
٧٠	٢٢	إلهكم إله واحد ...
٢٥٨	٢٤	لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء...٤
٢٢	٣٥	فهل على الرسل إلا البلاغ المبين
٢٥٦،١٠٠،٧٨،٤٠	٣٦	ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ...
٥٨	٥٠،٤٩	والله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض ...
٢٨٩	٧٨	والله أخرجكم من بطون أمهتكم ...
١٥٤	٨٣	يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها ...
٣٢٧	٩٢	أن تكون أمة هى أربى من أمة ...
١٨٧	١١٥	فمن اضطر غير باغ ولا عاد ...
٣٩٠،٣٦٦	١٢٥	ادع إلى سبيل ربك بالحكمة ...
		(سورة الاسراء)
٧١	١٤،١٣	ونخرج له يوم القيمة كتباً ...
١٣٩	١٥	وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
٢٦٨	٣٦	ولا تقف ما ليس لك به علم ...
٣٩٦	٥٨	ويسألونك عن الروح ...
		(سورة الكهف)
٢٧	٤٨	وعرضوا على ربك صفا ...
٤٦	٤٩	ولا يظلم ربك أحدا
٩٤	١٠٦-١٠٣	قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً ...
١٦٢،١٥٨،٤٣	١١٠	فمن كان يرجوا لقاء ربه ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة مريم)
٣٧١	٤٥-٤١	واذكر في الكتب إبراهيم ...
٥٥	٩٦	إن الذين آمنوا وعملوا الصلحت ...
		(سورة طه)
٨٠	١٥-٩	وهل أتتكَ حديث موسى . إذ رأى نارا ...
١٤٩	٣٢	وأشركه في أمرى
٣٧٢	٤٤-٤٣	اذهباً إلى فرعون إنه طغى ...
٣٧٢	٤٨،٤٧	إنا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ...
٤٠٣،٢٩٣	١١٤	رب زدنى علما
٥٣	١٢٦-١٢٤	ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ...
		(سورة الأنبياء)
٧٨	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه ...
٢٩	٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ...
٣٩٢	٦٢	قالوا أنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم
٣٧٢	١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين
		(سورة الحج)
٢٨٩	٣	ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ...
١٥٣	٣١،٣٠	فاجتنبوا الرجس من الأوثان ...
٤١١	٤١-٣٩	أذن للذين يقتلون بأنهم ظلموا ...
٥٤	٤٠	ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز
٣١	٧٠	ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض..
		(سورة المؤمنون)
٢٥٦	٤٤	ثم أرسلنا رسلنا متترا ...
٦٧	٥٣-٥١	يأيتها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صلحا...
١١٧	١٠٩	إنه كان فريق من عبادى يقولون ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة النور)
٩٤	٣٩	والذين كفروا أعملهم كسراب ...
٢١١	٥١	إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ...
٢٢	٥٤	وما على الرسل إلا البليغ المبين
		(سورة الفرقان)
٣٠	٢	وخلق كل شيء فقدره تقديرا
٤٠٢	٣٣	ولا يأتونك بمثل إلا جعناك بالحق ..
٤٦	٥٨	وتوكل على الحى الذى لا يموت ...
٢٩٢	٦٣	وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلما
		(سورة الشعراء)
٣٩٤	٢٨-٢٣	قال فرعون وما رب العلمين ...
٨٠	٣١-٢٩	قال لئن اتخذت إلها غيرى ...
٨١، ٨٠	٥١-٤٦	فألقي السحرة سجين ...
٤	٤٩	ءامنتم له قبل أن ءاذن لكم ...
١٧	١٩٥-١٩٢	نزل به الروح الامين ...
		(سورة النمل)
٢٨٩	١٤	وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا ...
١٦٧	٦٥	قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله
		(سورة القصص)
٢٨	٨٤	من جاء بالحسنة فله خير منها ...
		(سورة العنكبوت)
٧٩	١٨-١٦	وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله ...
٤	٢٦	فأمن له لوط ...
٢٩٣	٤٣	وما يعقلها إلا العلمون

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٩٠	٤٦	ولا تجدلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ...
١٧٥	٦٥	فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله ... (سورة الروم)
٣٥٠	٣٠	فطرت الله التي فطر الناس عليها ... (سورة لقمان)
٢٣٩	١٥	وإن جهداك على أن تشرك بي ... (سورة السجدة)
١٨	١١	قل يتوفلكم ملك الموت الذي وكل بكم ... (سورة الأحزاب)
٢٣	٧	وإذ أخذنا من النبيين ميثقهم ...
١٧٢	٢١	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ...
٣٠	٣٨	وكان أمر الله قادرا مقدورا
١٩٦	٤٠	ماكان محمد أباً أحد من رجالكم ...
١٧٣	٤٨	وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً
٣٩١	٦٣	يستلك الناس عن الساعة ... (سورة سبأ)
١٥٥	٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله (سورة فاطر)
٦٨	٤	وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ...
٦٦	٢٤	وإن من أمة إلا خلا فيها نذير
٢٩٣	٢٨	إنما يخشى الله من عباده العلماء ... (سورة يس)
٢٦	٥٢	يؤيلنا من بعثنا من مرقدنا ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الصافات)
٣٩٢	٩٦،٩٥	قال أتعبدون ما تنحتون ...
٦١	١٦٤-١٦٢	وما منا إلا له مقام معلوم ...
		(سورة الزمر)
١٥٦	٣	إلا لله الدين الخالص ...
١٥٠	٨	وجعل لله أندادا ليضل عن سبيله ...
٢٩٤	٩	قل هل يستوى الذي يعلمون والذين لا يعلمون ...
٨٤	١١-١٨	قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ...
٩٣	٣٣	والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون
٣١	٦٣،٦٢	خلق كل شيء وهو على كل شيء وكيل ...
١٥٤	٦٦،٦٥	ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك ...
١٨	٧٣	وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا ...
		(سورة غافر)
٢٨٩	٥،٤	ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ...
٦١،٦٠	٧-٩	الذين يحملون العرش ومن حوله ...
٢٩٩	٢٦	إني أخاف أن يبدل دينكم ...
٢٩٩	٢٩	ما أريكم إلا ما أرى ...
٢٥	٤٥	وحاق بغال فرعون سوء العذاب
٢٢	٧٨	ولقد أرسلنا رسلا من قبلك ...
		(سورة فصلت)
٥٤	١٥	وأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق ...
١٩	٣١،٣٠	إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقموا ...
١٣٤	٤٢	لاياتيه البطل من بين يديه ولا من خلفه ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الشورى)
٢١١، ٢٠٨	١٠	وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ...
٢١٦	١١	ليس كمثله شيء ...
٢٣	١٣	شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ...
		(سورة الزخرف)
٢٢٣، ٢٢٨	٢٦	إننى براء مما تعبدون
٢٢٣	٢٧	إلا الذى فطرنى فإنه سيهدين
٢٨٩	٥٨	وقالوا ءألهتنا خير أم هو ...
١٩	٧٧	ونادوا يملك ليقض علينا ربك ...
		(سورة الدخان)
٢٩	٥٢، ٥١	إن المتقين فى مقام أمين ...
		(سورة الجاثية)
٢٥١	٢٤	ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ...
		(سورة الأحقاف)
١٠٧	٩	قل ما كنت بدعا من الرسل ...
٣٧٤	٣٥	فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ...
		(سورة محمد)
٢٩٣، ٨٨	١٩	فاعلم أنه لا إله إلا الله ...
		(سورة الفتح)
١٠	٤	ليزدادوا إيمنا ...
٢٤٥	٢٩	محمد رسول الله والذين معه ...
		(سورة الحجرات)
٢٩١	٦	فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهلة ...
٦٩	٧	واعلموا أن فيكم رسول الله ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
٣٥٦، ٢٣٦	١٠، ٩	وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ...
٣	١٤	قالت الأعراب ءامننا قل لم تؤمنوا ...
٢٤٤	١٥	إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله ورسوله ...
		(سورة ق)
٥٩، ٥٧	١٦	ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ..
٥٩	١٦-١٨	... إذ ينلقى المتلقيان ...
٢٩	٣٠	يوم نقول لجهنم هل امتلأت ...
		(سورة الذاريات)
٣٤	٥٦	وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون
		(سورة الطور)
٣٩٥	٣٤	فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صدقين
٥١	٣٥-٣٧	أم خلقوا من غير شيء أم هم الخلقون ...
		(سورة النجم)
٢٠١، ١٦٩، ١٣٢	٤، ٣	وما ينطق عن الهوى. إن هو إلا وحى يوحى
٢٩٨	٢٣	إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ...
		(سورة القمر)
٣٠	٤٩	إننا كل شيء خلقناه بقدر
		(سورة الواقعة)
٥٢	٥٨، ٥٩	أفرءيتم ما تمنون . ءأنتم تخلقونه ...
٥٢	٦٣، ٦٤	أفرءيتم ما تحرثون . ءأنتم تزرعونه ...
٥٢	٦٨-٧٢	أفرءيتم الماء الذى تشربون ...
		(سورة الحديد)
٤٤	٣	هو الأول والآخر والظهر والباطن ...
٧٥	٢٢، ٢٣	ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة المجادلة)
٤٥	١	والله يسمع تحاوركما إن الله سميع بصير
٤٠٣، ٢٩٣	١١	يرفع الله الذين آمنوا منكم ... لاتجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون
٢٣٩	٢٢	من حاد الله ورسوله ...
		(سورة الحشر)
٢٠١	٧	وما آتاكم الرسول فخذوه ...
		(سورة الممتحنة)
٢٤٤، ٢٢٩	١	يأيتها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم ...
٢٣٣	٤	قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم ...
٢٣٩	٨	لاينهاكم الله عن الذين لم يقتلوكم فى الدين ..
		(سورة الصف)
٣٧٥	٣، ٢	يأيتها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ...
		(سورة الجمعة)
٤٠٣	٢	هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ...
		(سورة التغابن)
٢٢	١٢	وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ...
		(سورة الطلاق)
٢٢٩	٣، ٢	ومن يتق الله يجعل له مخرجا ...
٥٤	٢	ومن يتوكل على الله فهو حسبه ...
		(سورة التحريم)
١٧	٦	لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الملك)
٤٢	٢	ليبلوكم أيكم أحسن عملا ...
١٤٠	١٦	أمنتم من في السماء أن يخسف بكم ...
٢٩٤	٢٨	وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ...
		(سورة الحاقة)
٢٧	١٨	يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية
٢٦	١٦-١٣	فإذا نفخ في الصور نفخة و حدة ...
		(سورة نوح)
٢٥٦	٢٣	وقالوا لاتذرن أهتكم ...
		(سورة الجن)
١٧٤	١٨	وان المسجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا
١٦٧	٢٨-٢٦	علم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ...
		(سورة المدثر)
٣٧٤	٧-١	يأئبها المدثر ...
٢٤٤	٥	والرجز فاهجر
١٩	٣١-٢٧	وما أدريك ما سقر ...
		(سورة الانسان)
١٧٩	٧	يوفون بالندر ويخافون يوما ...
		(سورة النازعات)
٢٦	٧،٦	يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة
		(سورة الانفطار)
٥٩،١٨	١١،١٠	وان عليكم لحُفظين . كراما كتبين
		(سورة الانشقاق)
٢٨	٨،٧	فأما من أوتى كتبه بيمينه ...

رقم الصفحة	رقمها	الآية
		(سورة الأعلى)
٣٠	٣،٢	الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى
		(سورة التين)
٢٠٦	٨،٧	فما يكذبك بعد بالدين ...
		(سورة البينة)
١٣٧،١٠	٥	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين ...
		(سورة العصر)
٩٣	٣-١	والعصر. إن الإنسان لفى خسر ...
		(سورة الكوثر)
١٧٥	٢	فصل لربك وانحر
		(سورة الكافرون)
٣٥٢	١	قل يأيها الكفرون
		(سورة الإخلاص)
٤٤	٢،١	قل هو الله أحد . الله الصمد

٢- فهرس الأحاديث والآثار

رقم الصفحة	الحديث
١٢	أمركم بأربع؛ شهادة أن لا إله إلا الله
٢٢٤	أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة
١٦١	أجعلتني لله عدلا
٢٨١	إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت
٢٥٥	أسماء رجال صالحين من قوم نوح - ابن عباس -
٢٥، ١٧، ١٥، ١١	الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله
١٦٢	أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر
٨٦، ٨٥	اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا
٢٦٥، ٢٦٤، ١٠٥	افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة
١٢٢	ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله - علي -
٢٢٤	ألا إن آل أبي - يعني فلانا - ليسوا لي بأولياء
١٦٠	ألا إن الله ينهاكم أن تطفوا
٢٢٨	ألحقوا الفرائض بأهلها
١٢١	اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا - عمر -
٣٩	اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك
١٢٢، ١٢١	اللهم إنه لم ينزل بلاء إلا بذنب - العباس -
١١٨	اللهم إني أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني
١٢١	اللهم على رؤوس الجبال والآكام
١١٢	أما بعد، فإنه لم يخف علي مكانكم
٣٩٦، ٤٠	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله
٨٩، ٨٧	أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله
٢٨	أنا أول الناس يشفع في الجنة
٢٨	أنا فرطكم على الحوض

رقم الصفحة	الحديث
١٢٤	إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره
١٥٨	إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
٢٩٦	إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من العباد
٢٣٤	إن أوليائي يوم القيامة المتقون
١٥٤، ١٥٠	أن تجعل لله ندا وقد خلقك
٢٩٠	أنت ومالك لأبيك
٢٤٧	انصر أخاك ظالما أو مظلوما
١٢٠، ١١٩	انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم
٢٨٧، ٢٨٦	إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه
٨٥، ٨٤	إنك ستأتي قوما من أهل الكتاب
٢١٠	إنكم تخطمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض
١٦٠	إنما الأعمال بالنيات
١٩٧، ١٩٦	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا
٢٩٤	إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل
٢٩٦	إن من أشراط الساعة أن يلعن العلم عند الأصغر
٢٤١	أن النبي - صلى الله عليه وسلم - توفي ودرعه مرهون
٢٥	إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير
١١٥	أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة
٦١، ٢٠، ١٩	إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أظنت السماء
١٢٧	إن يوم الجمعة يوم عيد
١٤، ١٠	الإيمان بضع وسبعون شعبة
٢٤٠	بيعا أم عطية ؟
٢٤٣	ثلاث من كن فيه وجد بهن حلوة الإيمان
٤٠٥	خيركم من تعلم القرآن وعلمه

رقم الصفحة	الحديث
٢٥٨	سيخرج من ضئضء هذا الرجل قوم يمرقون من الدين
٢٦٢	سيكون بعد أمراء يؤخرون الصلاة عن وقتها
١٥١	العظمة اراري والكبرياء رداشي
٧٥	عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير
١٩٨	فإني آخر الأنبياء
٤٠٤	فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم
١٢٨	قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة ولهم يومان
١١٨	قد غفر له، قد غفر له
١٩٦	كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء
٣٠	كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض
٣٠٥، ٢٦٤	كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر كنت أصلي معي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكانت صلاته قصدا، وخطبته قصدا - جابر بن سمرة -
٢٨٦	لاألفين أحدكم متكئا على أريكته
٢٠٢	لايتدخلون الجنة حتى تؤمنوا
٢٤٦، ٢٤٥	لاتجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها
١٢٤	لاتخبروني على موسى
٢٧، ٢٦	لاتقولوا ما شاء الله وشاء فلان
١٦٢	لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من أن يكون لك حمر النعم
٣٧٦	لاياتي ابن آدم النذر بشيء لم أكن قدرته
١٧٩	لايجد أحد طلوة الإيمان حتى يحب المرء لايبه إلا لله
٢٤٥، ٢٣٥	لاينفعه، إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين
٩٥	لايؤمن أحدكم حتى يكون أحب إليه
٢٣٥	لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه - أو قال لجاره - ما يحب لنفسه
٢٣٥	

رقم الصفحة	الحديث
٢٦٤، ١٦٤، ١٣١	لنتبعن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا
١٧٧	لعن الله من لعن والده
٣٥٧، ١٢٣	لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد
٢٨، ٢٧	ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك
٢٤٦	ما من امرئ يخذل امرأ مسلما
٢٤	ما من شيء لم أكن أريته إلا قد رأيت في مقامي هذا
٣٥٠	ما من مولود إلا يولد على الفطرة
٢٤٥	مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم
١٦٨	من أتى عرافا أو كاهنا فصدقه بما يقول
١٦٨	من أتى عرافا فسأله عن شيء
١١٦	من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد
٢٧٥	من بدل دينه فاقتلوه
١٦١	من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك
١٦١	من حلف فقال في حلفه باللوات والعزى
٤٠٥، ٤٠٤	من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه
١٩٩	من سن في الإسلام سنة حسنة
٤٨٥، ٩	من رأى منكم منكرا فليغيره بيده
١١٦	من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد
١١٢	من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه
٤٠٤	من كتم علما ألجمه الله يوم القيام بلجام من نار
١٥٤	من مات يشرك بالله شيئا دخل النار
٢٩٤	من يرد الله به خيرا يفقهه
١١٦، ١١٥	من يهده الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له
١٧٨، ١٧٧	نذر رجل أن ينحر إبلا ببوانة

رقم الصفحة	الحديث
١١١	نَعَمْ البدعة هذه - عمر -
٩٥	نَعَمْ. وجدته في غمرات من نار فأخرجته إلى ضحاح
١٢٢	نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجمص القبر - جابر -
٤١٠	وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله
٢٩	ويضرب الصراط بين ظهري جهنم
١٥٨	يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك
١٠٢	يا أيها الناس إن الله تعالى يعرض بالخمير
١٧٤	يا غلام إني أعلمك كلمات تحفظهن
٢٧	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا
١٠	يخرج من النار من قال لا إله إلا الله
٢٧٢، ٢٧١	يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان
١٩	يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام
١٢٨	يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الإسلام

٣- فهرس الأعلام *

(حرف الألف)

- آدم عليه السلام : ٢٥٥
آدم ميز : ١٤٠
إبراهيم عليه السلام : ٢٣، ٦٧، ٧٩، ٨٢، ٨٣، ٢٣٣، ٢٥٤، ٣٧١، ٣٩٠، ٣٩٤
إبراهيم بن محمد آل الشيخ : ٤٤٢
إحسان الهي ظهير : ٢٨٧
أحمد التجاني : ١٦٦
أحمد بن حجر آل بو طامي : ٣٣، ٣٥، ٣٧
أحمد بن عرفان الشهيد : ٣١٧، ٣١٨
أحمد محمد جلي، الدكتور : ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٩
أحمد محمد شاکر : ٢٢٣
ادموند هنري النبي : ٣٠٧
أرسطو : ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٨٧
ابن إسحاق، محمد بن اسحاق بن يسار : ٨٢
إسحاق وايز، الدكتور : ٣٤٠
الإسفراييني، أبو المظفر : ٢٨٠
إسماعيل عليه السلام : ٦٧، ٨٣
إسماعيل بن جعفر الصادق : ٢٨٢
الأشعري، أبو الحسن : ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٢٧٢
أبو الأعلى المودودي : ٢٩٧، ٢٩٨

* ترتيب أسماء الأعلام حسب الشهرة بالنسبة للمتقدمين، سواء كانت لقبا أو كنية أو غير ذلك، والاسم الأول للمتأخرين، مع عدم الالتفات في كل إلى ألفاظ الكنى وائل التعريف .

الأعمش : سليمان بن مهران الأسدي : ١٢٨

أليجا محمد : ٣٦٢

أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه : ٤٠٤،٤٠٣

أنس بن مالك رضي الله عنه : ٢٤٥،٢٤٣،٢٣٥،١٢٨،١٢١،٢٨

الأهدل : ١٢٦

الأوزاعي، عبد الرحمن بن عمرو : ٦

(حرف الباء)

الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف : ١٨٨

البارفروشي، الملقب بالقدوس من زعماء البهائية : ٣١٤

الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب : ١٨٨،١٨٥

البخاري، محمد بن إسماعيل، الإمام : ٢٤٠،٢٥٠،٨٧،١٢١،١٢٢،١٢٧،٢٤٢،٢٥٦،٢٧٥،٢٧٩،

٢٩٣

البدوي، أحمد بن علي بن إبراهيم الحسيني، السيد البدوي : ١٢٢،١٢٥،١٣٠،١٧٨،

١٨٠

البغدادي، عبد القاهر بن طاهر : ٢٧٨

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد : ٢٣

ابن بطلال : ٢٤٠

أبو بكر الجزائري : ٢٨٦

أبو بكر الصديق : ٨٧،٩٠،٢٠٠،٢٤١،٢٧٣،٢٧٦،٢٧٧،٢٧٨،٣٧٢،٣٩٦

البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين : ٨٨

(حرف التاء)

الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي : ١٩،٢٠٢

توماس سنكره، رئيس بوركينا فاسو، فولتا العليا سابقا : ٢٨٦

ابن تيمية، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم تقي الدين : ٣،٧،١٤،٤١،١١٢،١٣١،

١٢٥،١٤٦،١٤٧،١٤٨،١٨٢،١٨٨،١٨٩،١٩١،١٩٢،٢٠٨،٢٢٨،٢٣٦،٢٤٠،٢٤١،٢٤٢،٢٥٥،

٢٥٩،٢٦٢،٢٦٥،٢٦٨،٢٦٩،٢٧٥،٢٧٦،٢٧٧،٢٧٨،٢٩٠،٢٩٢،٣٠٠،٣٠١،٣٠٢،٤١٤،

(حرف الثاء)

ثابت بن الضحاك رضي الله عنه : ١٧٧

(حرف الجيم)

جابر بن سمرة رضي الله عنه : ٣٨٦

جابر بن عبد الله رضي الله عنه : ١٢٣، ١١٥

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : ٣٨٧، ٣٧٩، ٢٨١

جاردنر : ٣٠٦

جان بول سارتر : ٤٥٥

جب ، المستشرق : ٣٤٣

جبريل عليه السلام : ٣٠، ٢٩، ٢٥، ٢٠، ١٧، ١٥، ١٣، ١٢، ١١

ابن جُدعان، عبد الله : ٩٥

الجعدي بن درهم : ١٤٤

جعفر بن محمد الصادق : ٢٨٢، ٢٨١

جمال عبد الناصر : ٣١١

جنكيز خان : ٢٠٨

الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز : ٢٨٤

الجهم بن صفوان : ١٤٤

ابن الجوزي، أبو الفرج : ٢٦٧

جولد تسيهر : ٣٣٩، ٣٣٥، ١٤٠

جوهر المقلبي : ٤٦٢

الجيلاني، عبد القادر : ١٢٢

(حرف الحاء)

حافظ الحكمي، الشيخ : ٣٩٤

الحاكم، أبو عبد الله : ١٢٧

ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد، أبو حاتم البستي : ٢٥٥

أم حبيبة رضي الله عنها : ١٢٤

ابن حجر العسقلاني : ٢٣٩

ابن حجر الهيتمي المكي : ١١١

حذيفة بن اليمان رضي الله عنه : ٣٠٥، ٢٦٤، ١٦٢

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد : ٢١٠، ٢٠٥

الحسن البصري : ٤١٤، ٢٨٤

أبو الحسن علي بن النعمان : ٤٦٢

الحسين بن علي رضي الله عنهما : ١٢٢، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧

حسين علي المازندراني، المرزء الملقب بالبهاء، مؤسس البهائية : ٣١٣-٣١٧

الحلاج، الحسين بن منصور : ٢٨٣، ٣٣٧

ابن حنبل، أحمد بن محمد، الامام : ٦، ١٧، ١٩، ١٢٧، ١٤٦، ١٤٧، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٩٨

أبو حنيفة، الإمام : ١٩٧، ٣٦٦

(حرف الخاء)

ابن خباب ، عبد الله بن خباب رضي الله عنه : ٢٥٩

خديجة بنت خويلد رضي الله عنها : ٣٧٢

الخضر عليه السلام : ١٢٥

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد : ٢٨٣، ٣٥٨

الخميني : ٢٧٩، ٢٨٠

خير الدين التونسي : ٣٤٦

(حرف الدال)

دارون : ٣٤١، ٣٤٥

داود عليه السلام : ٦٧

الدسوقي : ١٢٢

دوجارين : ٤٥٦

(حرف الذال)

- أبو ذر الغفاري رضي الله عنه : ٢٩٤،١٩
الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان : ٢٧٨
ذو الخويصرة التميمي، حرقوص بن زهير السعدي : ٢٥٧
ذو القرنين : ٣٩٥

(حرف الراء)

- الرازي، فخر الدين : ٢٧٨،٢٧٣
الراغب الأمفهانى : ٢٩١،١٨٨،١٧٩،١٥٩،١٤٩،١١٧
ابن راهويه، إسحق بن إبراهيم : ٦
ابن الراوندي الملحد : ٣٣٧
الربيع بن أنس : ٤١٤
ابن رجب الصنبلي، عبد الرحمن بن أحمد : ١٠٩
رشته : ٣٠٦
رضا محمد لاري : ٣٠٢
رفاعة الطهطاوي : ٣٤٦
الرفاعي : ١٣٠،١٢٦

(حرف الزاي)

- الزبير بن العوام رضي الله عنه : ٢٧٢،٢٧٨،٢٧٣
زكي نجيب محمود، الدكتور : ٣٤٦،٣٠٢،٣٠١
زويمر، القسيس صموئيل زويمر : ٣٣٩،٣٣٣
زيد بن أسلم : ٤١٤
أبو زيدان : ١٢٥
زيد بن ثابت رضي الله عنه : ١٣٥
زيد بن حارثة رضي الله عنه : ٣٧٢
زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه : ١٦٢

زيد بن علي بن الحسين : ٢٧٩، ٢٧٧

زيد بن وهب : ١٢٨

زينب، السيدة زينب، والدة الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ١٢٥، ١٢٠

(حرف السين)

ستينر : ١٤٠

السدي، إسماعيل بن عبد الرحمن : ٤١٤

سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : ٣٧٢

سعد صادق محمد : ١٣٠

ابن سعد، محمد بن سعد : ٣٧٣

أبو سعيد الخدري رضي الله عنه : ٢٤٦، ١٠٢، ٩

سعيد بن المسيب : ٣٥

أبو سفيان بن حرب رضي الله عنه : ٨٥

سكينة بنت الحسين : ١٢٦

ابن سلام، أبو عبيد القاسم : ٨

سلمان الفارسي رضي الله عنه : ٢٧٩

أم سلمة رضي الله عنها : ١٢٤

ابن سلومان : ١٢٥

سليمان بن سحمان : ٢٣٧

سليمان ويدراغو : ٢٨٦

سليمان عليه السلام : ٦٧

ابن السوداء : ٢٧٦

سيد قطب : ١٥٢، ١٤٢

(حرف الشين)

الشاطبي، أبو إسحاق، إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي: ٢٩٤، ٢٦٧، ٢٦٦، ١١٢، ١١٠

الشافعي، محمد بن إدريس، الإمام : ٣٦٦، ٦

أبو شامة، أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل : ١٠٨
شريك بن عبد الله النخعي الكوفي : ٢٧٧
شعيب عليه السلام : ٣٩٢، ٣٧٤
الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أحمد : ٢٦٦، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٥،
٢٧٩

(حرف الصاد)

صالح عليه السلام : ١٢٥، ٧٩
معصعة : ١٢٥
صلاح الدين الأيوبي : ٤٦٣
صهيب بن سنان رضي الله عنه : ٧٥

(حرف الضاد)

الضحاك بن مخلد الشيباني : ٤١٤

(حرف الطاء)

أبو طالب، عم الرسول صلى الله عليه وسلم : ٩٥
طه حسين : ٣٣٩، ٣٤٦
الطبري، ابن جرير : ١١٧، ١٥٨، ٢١٦، ٢٣١، ٤١٤
الطرطوشي، أبو بكر : ١٠٨، ٢٦٧
أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه : ٥٣
طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه : ٢٧٣، ٢٧٨

(حرف العين)

عائشة رضي الله عنها : ٢٧، ٩٥، ١١٢، ١١٦، ١٢٣
أبو العالية، رفيع بن مهران الرياحي : ٤١٤
عباس أفندي، ابن البهاء : ٣١٥، ٣١٦
عباس محمود العقاد : ١٤٢
ابن عباس، عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : ١٣، ١٧، ١٨، ٢٥، ١٦١، ١٦٢، ١٧٤،
٢١٦، ٢١٧، ٢١٩، ٢٥٦، ٢٥٩، ٢٧٥، ٢٩٤، ٣٩٦، ٤١٤

- العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : ١٢١،٩٥
عبد الله بن إباح : ٢٧٣
عبد الله أحمد القادري، الدكتور : ٤٧٠،٢٢٠،٢١٩
عبد الله بن سحيم، إمام أهل المصنعة : ٣٦٧
عبد الله عزام، الدكتور : ١٩٢
عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ١٦٠،١١٩،٨٦
عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : ٤٠٤،١٩٨،٣٠
عبد الله بن أم مكتوم رضي الله عنه : ٣٧٦
ابن عبد البر، الحافظ : ٤٠١،٣٩٨،٣٩٦
عبد الجبار المعتزلي، القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار : ١٢٧
عبد الجليل شلبي، الدكتور : ٢٨٣
عبد رب الرسول سياف : ٢٥٠
عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما : ٢٤٠
عبد الرحمن الدوسري : ٣٢٨،٣٤
عبد الرحمن دمشقية : ٢٨٧
عبد الرحمن السعدي، الشيخ : ٢٣٣،٢٣٠
عبد الرحمن عبد الخالق : ٢٨٧،٢٨٥،٢١٨
عبد الرحمن بن عبد الله السويدي، عالم من أهل العراق : ٣٦٧
عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : ٣٧٢
عبد الرحمن الوكيل : ٢٨٧
عبد العزيز جاويش : ١٤٣
عبد العزيز السلطان : ٣٣
عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، الملك : ٢٤٩
عبد العزيز بن عبد الله بن باز : ٤٤٢،٢١٣،١٣٣،١٣٢،٣٥،٣٤،٣٣
عبد القادر عودة : ٣٠٥

- عبد القادر المغربي : ١٤٢، ١٤١
- عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ : ٢٢٩
- عبد المجيد الزنداني : ٣٧، ٣٦
- أبو العتاهية : ٢٨٩
- عثمان بن عفان رضي الله عنه : ٤٠٥، ٣٧٢، ٣٧٨، ٣٧٦، ٣٧٣، ٣٦٠، ٢٠٠
- عثمان فودي : ٤١٦
- عدي بن حاتم رضي الله عنه : ٩٩
- عرايبي باشا : ٣٢٣
- ابن عربي، محيي الدين محمد بن علي : ٢٨٥
- عقبة بن عامر رضي الله عنه : ١٢٨
- أبو العلا : ١٢٦
- علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ٣٧٢، ٢٨٤، ٣٧٨، ٣٧٦، ٣٧٥، ٣٧٣، ٣٦٠، ٢٥٩، ١٧٧، ١٢٦
- ٣٧٦
- علي الدخيل الله، الدكتور : ٢٨٧
- علي عبد الرازق : ٣٤٦
- علي لبن : ٣٤٦
- عمار بن بيسار رضي الله عنه : ٣٨٦، ٢٧٩
- عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ٣٧٣، ٣٤١، ٢٠٠، ١٦٠، ١٣٥، ١٢١، ١١٢، ١١١، ٨٨، ٨٧، ١١
- ٣٩٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٧، ٣٧٦
- عمر بن عبد العزيز : ١٢٥
- عمرو بن العاص رضي الله عنه : ٢٣٤
- عمرو بن عبيد : ١٢٨
- عمرو بن لحي : ٣٥٤، ٨٢
- عياض، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى : ١٩٧
- العيدر وس : ١٢٦
- عيسى عليه السلام : ١٥٣، ٨٢، ٨١، ٦٨، ٦٧، ٦٦، ٦٣، ٦٢، ٢٣

(حرف الغين)

الغزالي، أبو حامد : ١٣٦، ٤٠٠

غلام أحمد القادياني ، مؤسس القاديانية : ١٩٩، ٣١٦، ٣١٧

(حرف الفاء)

فرانك كونراد، الدكتور : ٤٢٩

فرعون : ٤، ٨٠، ٢٩٩، ٣٥٠، ٣٧١، ٣٧٢

الفضيل بن عياض : ٤٣

فنسك : ٣٣٩

فيليب فونداسي : ٣٢١

(حرف القاف)

قابيل : ٢٥٥

قتادة بن دَعَامَة : ٢٣، ٤١٤

ابن قدامة، موفق الدين عبد الله بن أحمد المقدسي : ٩، ١٣٥

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر : ٢٣٢، ٤٠٣

قرة العين : ٣١٣، ٣١٤

قس بن ساعدة الإيادي : ٣٨٠

قلاوون : ١٢٥

ابن القيم، شمس الدين محمد بن أبي بكر : ١١٣، ١٥٦، ١٦٣، ٢١٥، ٤٠١، ٤١١

(حرف الكاف)

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير : ٢٠٧، ٢٣٦، ٢٥٥، ٣٥٣، ٤١٤

كرومر : ٣٤٢

ابن كُلاب، أبو محمد عبد الله بن سعيد القطان : ١٤٦

الكناني، عبد العزيز، الإمام : ٣٩٧، ٣٩٨

(حرف اللام)

أبو لهب : ٣٧٣

لوط عليه السلام : ٤

لويد، اللورد لويد : ٣٤٢

لويس داست : ٣٣٨

لينين : ٣٣٢، ٣٠٨

(حرف الميم)

المأمون، الخليفة العباسي : ٣٩٧، ٢٦٣

ابن ماجة، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني : ١٩

ماركس : ٣٤١

مالك عليه السلام : ١٩

مالك بن أنس، الإمام : ٣٦٦، ٦

مايلز كوبلاند : ٣١١

ابن المبارك، عبد الله : ٢٩٧، ٢٦٦

المتوكل، الخليفة العباسي : ٢٦٩

مجاهد بن جبر المكي : ٤١٤

محسن عبد الحميد، الدكتور : ٣٠٤، ٣٠١

محمد بن إبراهيم آل الشيخ : ٤٤٢، ٢١٥

محمد أبو زهرة : ٣٨٧، ٢٨٠

محمد إقبال : ٣٤٣

محمد الأمين الشنقيطي : ٢٠٣

محمد برهان الدين، الدكتور، زعيم البهرة : ٢٩٨

محمد البهي، الدكتور : ٤٦٥

محمد خليل هراس، الدكتور : ٣٧، ٣٦، ٣٢

محمد رشيد رضا : ١٤٢، ١٤١

- محمد بن سعود ، الإمام : ٤١٦، ٤٧٣
محمد سعيد القحطاني، الدكتور : ٢٣٠
محمد عبده : ٣٦، ٣٤، ١٤٠، ١٤٢
محمد بن عبد الوهاب، الشيخ : ٣٣، ٣٤، ٢٣٧، ٣٦٧، ٤١٦، ٤٧٥
محمد فخر شقفه : ٢٨٧، ٣٢١
محمد قطب : ٢٢٣، ٣١٢
محمد علي، والي مصر : ٤٦٣
محمد بن علي الشوكاني : ٤١٤
محمد علي الشيرازي، الباب، مؤسس البابية : ٣١٤، ٣١٦
محمود شاکر : ٢٧٤، ٢٧٩
محمود مهدي الاستامبولي : ٣٢٢
أبو محية : ١٢٥
أبو مرثد الغنوي، كَتَّان بن الحصين رضي الله عنه : ١٢٤
مرجیلیوٲ، المستشرق : ٣٣٩
مرسي أبو العباس : ١٢٦
مروان بن الحكم، الخليفة الأموي : ٩
المريسي، بشر : ٣٩٧
مريم عليها السلام : ٦٣
ابن مسعود، عبد الله رضي الله عنه : ١٣٩، ١٥٠، ١٥٤
مسلم بن الحجاج ، الإمام : ١٩، ٢٥، ٧٥، ٩٥، ١٢٣، ١٧٧، ١٩٩، ٢٣٤، ٢٥٥
المسيح الدجال : ٢٤
مسيلمۃ الكذاب : ١٩٧
مصطفى كمال أتاتورك : ٣٤٠
معاذ بن جبل رضي الله عنه : ٨٤، ٨٧
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما : ٢٥٩، ٢٧٨

- المعز لدين الله الفاطمي : ٤٦٢
مقاتل بن حيان : ٤١٤
المقريزي، أحمد بن علي : ١٥٠
ابن مندة، محمد بن اسحاق، الحافظ : ٨٧، ٨٠
المهدي المنتظر : ٣١٩، ٣١٧، ٣١٣
موسى عليه السلام : ٤، ٢٣، ٢٦، ٢٧، ٨٠، ٢٠٢، ٢٩٩، ٣١٧، ٣٧١
ميكائيل عليه السلام : ١٧، ٢٠
ميمونة أم المؤمنين رضي الله عنها : ١٩٨
(حرف النون)
نابليون : ٣٣١، ٤٦٣
ناصر الدين، شاه إيران زمن ظهور البهائية : ٣١٤، ٣١٥
النجاشي، ملك الحبشة : ٦٨
أبو نجیح العرياض بن سارية رضي الله عنه : ١١٥
النسائي، أحمد بن علي بن شعيب : ٢٣٤
النظام، إبراهيم بن سيار بن هانئ : ١٣٨
نمرود بن كنعان، ملك بابل : ٧٩، ٣٩٤
نوح عليه السلام : ٢٣، ٦٧، ٧٨، ٢٥٥، ٢٥٦، ٣٩٠، ٣٩٤
نور حسن آل عبيدة : ٤٥٥
النووي، يحيى بن شرف، الإمام الحافظ : ١٢، ١٧٧
نيتشه : ٢٤١
(حرف الهاء)
هارون عليه السلام : ٦٧، ٣١٧
هاملتون : ١٤٠
هشام بن عبد الملك : ٢٧٧
هرقل : ٨٥

أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه : ٢٩، ٨٧، ٨٩، ١١٢، ١٢٧، ١٦١،

١٧٩، ١٩٨، ٢٦٤، ٣٣٧

هود عليه السلام : ٧٨

أبي الهياج الأسدي رضي الله عنه : ١٢٣

هيثم الجرائي الشيعي : ١٢٥

(حرف الواو)

وارث الدين محمد : ٣٦٢

ابن وضاح، محمد وضاح القرطبي : ١٠٨

ولفرد كانتول سمث : ٣٤٧

الوليد بن عبد الملك : ١٢٥

(حرف الياء)

يحيى علي المازندراني، الملقب بصيح الأزل : ٣١٤، ٣١٥

يعقوب بن كلس : ٤٦٢

يوسف عليه السلام : ٧٩، ٣٧١

يوسف بن أسباط : ٢٦٥، ٢٦٦

يوسف محمد صديق، الدكتور : ٣٦٧

يونس عليه السلام : ٦٧

٤ - فهرس الفرق والطوائف والقبائل

(حرف الألف)

٢٧٤، ٢٧٢	الإباضية (من فرق الخوارج):
٢٧٩	الاثنا عشرية (من فرق الشيعة):
٢٧٢	الأزارقة (من فرق الخوارج):
٢٩٨، ٢٨٢، ٢٧٨	الإسماعيلية (من فرق الشيعة):
١٤٨، ١٤٧، ١٤٤	الأشعرية، الأشعرية:
٣٥٥، ٣٣٢	الاشتراكية:
٢٨٢	الأغاخانية (من فرق الباطنية):
٣٥٢، ٣٥١	الأفلاطونية الحديثة:
٥٥	الأكاسرة:
٢٤٠	الأكراد:
٣٣٣، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٩، ٣٠٠، ٢٨١، ١٩٦، ٤٠	الإلحاد، الملحدون، المذاهب الإلحادية:
٤٣٢، ٤١٥، ٤١٣، ٤١٠، ٤٠٨، ٤٠٠، ٣٥٦، ٣٤٥	
٤٥٤	
٢٨٤، ٢٨١، ٢٧٩، ٢٧٨	الإمامية (من فرق الشيعة):
١٤٧، ١٤٦، ١٣٣، ٦	أهل الحديث:
	أهل السنة والجماعة، السلف الصالح - وما
١٦٣، ١٤٦، ١٤٥، ١٤١، ١٣٩، ٤٤، ٣٨، ٩، ٧، ٦	في معانها:
٣١٣، ٢٩٥، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٧٩، ٢٦٩، ٢٦٦، ١٦٨	
٤٦٢، ٤٢٣، ٤١٥، ٤٠٠، ٣٩٩، ٣٩٨، ٣٨٠، ٣٦٦	
٤٧٦، ٤٧٠، ٤٦٣	
٦	أهل الظاهر:
٤٠٢، ٣٨٨، ٢٨٨، ١٩١، ١٣٥، ٧	أهل الكلام، المتكلمون:
١٨٤، ٣	أهل اللغة:

٣٥٣،٢٦٧	الجبرية :
٢٦٧،٢٦٦،١٤٧،١٤٤	الجهمية :
(حرف الحاء)	
٢٥٣	الحدائفة، الحدائيون :
٢٦٧،١٤٧	الحرورية (وانظر الخوارج) :
(حرف الخوارج)	
٢٣١،٢٣٠،٢٢٩،٢٢٨،٢٢٧،٢٢٦،٢٢٥،٢٢٤،٢٢٣،٢٢٢،٢٢١،٢٢٠،٢١٩،٢١٨،٢١٧،٢١٦،٢١٥،٢١٤،٢١٣،٢١٢،٢١١،٢١٠،٢٠٩،٢٠٨،٢٠٧،٢٠٦،٢٠٥،٢٠٤،٢٠٣،٢٠٢،٢٠١،٢٠٠،١٩٩،١٩٨،١٩٧،١٩٦،١٩٥،١٩٤،١٩٣،١٩٢،١٩١،١٩٠،١٨٩،١٨٨،١٨٧،١٨٦،١٨٥،١٨٤،١٨٣،١٨٢،١٨١،١٨٠،١٧٩،١٧٨،١٧٧،١٧٦،١٧٥،١٧٤،١٧٣،١٧٢،١٧١،١٧٠،١٦٩،١٦٨،١٦٧،١٦٦،١٦٥،١٦٤،١٦٣،١٦٢،١٦١،١٦٠،١٥٩،١٥٨،١٥٧،١٥٦،١٥٥،١٥٤،١٥٣،١٥٢،١٥١،١٥٠،١٤٩،١٤٨،١٤٧،١٤٦،١٤٥،١٤٤،١٤٣،١٤٢،١٤١،١٤٠،١٣٩،١٣٨،١٣٧،١٣٦،١٣٥،١٣٤،١٣٣،١٣٢،١٣١،١٣٠،١٢٩،١٢٨،١٢٧،١٢٦،١٢٥،١٢٤،١٢٣،١٢٢،١٢١،١٢٠،١١٩،١١٨،١١٧،١١٦،١١٥،١١٤،١١٣،١١٢،١١١،١١٠،١٠٩،١٠٨،١٠٧،١٠٦،١٠٥،١٠٤،١٠٣،١٠٢،١٠١،١٠٠،٩٩،٩٨،٩٧،٩٦،٩٥،٩٤،٩٣،٩٢،٩١،٩٠،٨٩،٨٨،٨٧،٨٦،٨٥،٨٤،٨٣،٨٢،٨١،٨٠،٧٩،٧٨،٧٧،٧٦،٧٥،٧٤،٧٣،٧٢،٧١،٧٠،٦٩،٦٨،٦٧،٦٦،٦٥،٦٤،٦٣،٦٢،٦١،٦٠،٥٩،٥٨،٥٧،٥٦،٥٥،٥٤،٥٣،٥٢،٥١،٥٠،٤٩،٤٨،٤٧،٤٦،٤٥،٤٤،٤٣،٤٢،٤١،٤٠،٣٩،٣٨،٣٧،٣٦،٣٥،٣٤،٣٣،٣٢،٣١،٣٠،٢٩،٢٨،٢٧،٢٦،٢٥،٢٤،٢٣،٢٢،٢١،٢٠،١٩،١٨،١٧،١٦،١٥،١٤،١٣،١٢،١١،١٠،٩،٨،٧،٦،٥،٤،٣،٢،١،٠	الخوارج
٣٩٦،٢٧٤،٢٧٣	
(حرف الدال)	
٢٥١	الدهريون :
٢٨٢	الدروز :
(حرف الراء)	
١٢	ربيعة :
٢٨٧،١٠٥	الرفاعية :
٢٦٢،٢٥٩،٥٥	الرومان، الروم :
(حرف الزاي)	
٣٢١	الزنوج
٢٧٩،٢٧٨،٢٧٠،١٤٥	الزيدية (من فرق الشيعة) :
(حرف السين)	
٢٧٦	السابة (من فرق الشيعة) :
٣٠٨	السارائيون :
٢٧٩	السليمانية (من فرق الزيدية) :
٢٧٩	السوفسطائيون :
٣٦٣	السيخ :

(حرف الشين)	
١٠٥	: الشاذلية
٣٠٩	: الشيشيون
٢٦٩، ٢٦٧، ٢٦٦، ٢٦١، ٢٦٠، ٢٠١، ١٤٧، ١٠٦	: الشيعة، الرافضة، الروافض
٢٨٢، ٢٨١، ٢٨٠، ٢٧٩، ٢٧٨، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥	
٤٦٣، ٤٢٣، ٣٣٧، ٢٨٤، ٣٨٣	
٣١١، ٣٠٩، ٣٠٨، ٣٠٠، ٢٥٣، ٢٥٠، ٢٤٨، ٤١	: الشيوعية، الشيوعيون
٤٢٣، ٣٥٨	
(حرف الصاد)	
١٤٤	: الصابئون
٢٧٩	: الصالحية (من فرق الزيدية)
٢٦٦	: الصفاتية
٢٧٣، ٢٧٢	: الصفرية (من فرق الخوارج)
٣٤١، ٣٣٨، ٣٣٢	: الصهيونية
٢٨٣، ٢٨٢، ٢٦٩، ١٩٧، ١٦٨، ١٦٧، ١٦٥، ١٣٦	: الصوفية، المتصوفة، التصوف
٣٣٧، ٣٢٢، ٣٢١، ٣١٨، ٢٨٧، ٢٨٦، ٢٨٥، ٢٨٤	
٤٦٧، ٤٢٣، ٣٧٦، ٣٥٢، ٣٥١	
(حرف العين)	
١٣	: عبد القيس
٢٧٢	: العجاردة (من فرق الخوارج)
٣٤٧، ١٤٣، ١٤٢، ١٤٠	: العقلانيون، المدرسة العقلية
٣٤٢، ٣٣١، ٣٠٤، ٢٥٣، ٢٢٢، ٢٢١، ٢٢٠، ١٢٩	: العلمانية، العلمانيون
٤٦٤، ٤٢٨، ٤٢٠، ٣٦١، ٣٥٥، ٣٤٨، ٣٤٤، ٣٤٣	
(حرف الغين)	
٢٧٨	: الغالية، الغلاة (من فرق الشيعة)

(حرف الفاء)	
٤٦٣،٤٦٢	الفاطمية، الفاطميون :
٢٦٢،٢٥٩	الفرس :
٤٠٢،٢٦٢،١٩٧،١٩٦،١٩١،١٤٢،١٣٦	الفلسفة، الفلاسفة :
١٣٦	الفلسفة اليونانية :
(حرف القاف)	
١٠٥	القادرية :
٤٦٦،٤٥٥،٣٣٧،٣٢٠،٣١٦،١٩٩	القاديانية :
٢٥٢،٢٦٧،٢٦٦،٢٦١،١٤٦	القدرية :
٢٠١	القرآنيون :
٨٣	قريش :
٥٥	القيامة :
(حرف الكاف)	
٨٣	كنانة :
٢٧٥	بني كندة :
٣٠٨	الكير قيز :
٢٧٨	الكيسانية (من فرق الشيعة) :
(حرف الميم)	
٤٥٤،٣٤١،٣٤٠،٣٢٠	الماسونية :
٢٧٢	المحكمة (من فرق الخوارج) :
٢٦٧،٢٦٦،١٤٧،١٤٥	المرجئة :
٣٣٦،٣٣٥،٣٣١،٣٣٠،٣٠٢،٢٧١،٢٥٢،١٤٠	المستشرقون، الاستشراق :
٣٤٩،٣٤٧،٣٣٩،٣٣٧	
٢٩٠	المشبهة :
١٣	مضر :



- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شمس الدين، أبو عبد الله، الكافية الشافية، في الانتصار للفرقة الناجية، المعروفة بالقصيدة النونية، إدارة ترجمان السنة، لاهور، ١٣٩٧هـ.
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر، شمس الدين، أبو عبد الله، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
- الكتبي، محمد شاكراً، فوات الوفيات، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، الحافظ، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، ط٣، ١٩٧٨م.
- ابن كثير، إسماعيل بن كثير، الحافظ، تفسير القرآن العظيم، المكتبة التجارية الكبرى، ط٣، ١٣٧٥هـ.
- الكعبي، أبو القاسم، عبد الله بن أحمد بن محمود، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة (ثلاثة نصوص من ثلاثة كتب) تحقيق فؤاد سيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٣٩٣هـ.
- الكناني، عبد العزيز بن يحيى بن مسلم، الحيدة، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- أبو لبابة حسين، موقف المعتزلة من السنة النبوية ومواطن انحرافهم عنها، دار اللواء، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، تعريب مروان خير، انترناشيونال سنتر، بيروت.
- ابن المبارك، عبد الله بن المبارك، كتاب الزهد والرقائق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- محجوب بن ميلاد، الفكر الإسلامي بين الأمس واليوم، الشركة القومية للنشر والتوزيع، تونس، ط٢، ١٩٦١م.

- د. محسن عبد الحميد، أزمة المثقفين تجاه الإسلام، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- د. محسن عبد الحميد، المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري، سلسلة كتاب الأمة، رئاسة المحاكم الشرعية، والشؤون الدينية في قطر، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- حماس بن عبد الله الطعود، الموالة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ.
- محمد بن ابراهيم آل الشيخ، تحكيم القوانين، مطابع دار الثقافة بمكة، رجب ١٣٨٠هـ.
- د. محمد أحمد الطحان، من للسنة اليوم، مكتبة التراث، ط١، ١٤٠٤هـ.
- محمد بن إسماعيل المنعاني، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، المكتب الإسلامي، ط٥، ١٤٠٥هـ.
- د. محمد أمان بن علي الجامي، تصحيح المفاهيم في جوانب من العقيدة، مكتبة ابن الجوزي، الأحساء، ط١، ١٤٠٧هـ.
- د. محمد أمان بن علي الجامي، منزلة السنة في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- محمد الأمين الشنقيطي، محاسن الإسلام والرد على أباطيل خصومه، المكتبة القيمة، القاهرة.
- د. محمد البهي، غيوم تحجب الإسلام، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت والقاهرة، ط١، ١٣٩٢هـ.
- محمد جلال عباس، المد الإسلامي في افريقيا، المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.
- محمد جمال الدين القاسمي، قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث، مكتب النشر العربي، دمشق.
- د. محمد حبيب الله مختار (مغرب)، المسلمون في الهند يجبرون على قبول الهندوكية، نشرة من إصدار الوقف المديقي، باكستان، ١٤٠٥هـ.

- محمد حسن الحمصي، الإيمان بالله، دار الرشيد، دمشق.
- محمد الخفزي، تاريخ التشريع الإسلامي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٧، ١٤٠١هـ.
- محمد خليفة التونسي (مترجم)، بروتوكولات حكماء صهيون، ترجمة محمد خليفة التونسي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٤ .
- د. محمد خليل هراس، دعوة التوحيد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ
- محمد رشيد رضا، شبهات النصارى، وحجج الإسلام، دار المنار، القاهرة، ١٣٦٧هـ.
- محمد رضا المظفر، عقائد الإمامية، منشورات مطبعة النعمان، النجف.
- محمد أبو زهرة، الإمام زيد، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد أبو زهرة، الإمام الصادق، حياته وعصره، آراؤه الفقهية، دار الفكر العربي، القاهرة.
- محمد أبو زهرة، تاريخ الجدل، دار الفكر العربي، ط٨ ، ١٩٨٠م.
- محمد أبو زهرة، الخطابة، دار الفكر العربي، ط٢، ١٩٨٠م.
- محمد محمد أبو زهو ، الحديث والمحدثون، ط١، ١٣٧٨هـ.
- د. محمد زين الهادي العرماني، نشأة العلمانية ودخولها إلى المجتمع الإسلامي، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
- محمد سعيد الجابي، النقد والتزييف، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- د. محمد سعيد القحطاني، الولاء والبراء في الإسلام، رسالة ماجستير، قسم العقيدة بجامعة أم القرى، (١٤٠١هـ)، دار طيبة، الرياض، ط ١ .
- محمد سلطان المعصومي الخجندي، المشاهدات المعصومية عند قبر خير البرية، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- د. محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة وآداب الدعاة، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ودار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، ط٢، ١٤٠٦هـ

- محمد بن صالح بن عثيمين، عقيدة أهل السنة والجماعة، الدار السلفية بالكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ.
- محمد بن صالح بن عثيمين، القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- محمد الصباغ، التشريع الإسلامي، وحاجتنا إليه، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط ٢، ١٣٩٧هـ.
- محمد صفوت السقا أمينى، المسلمون في الاتحاد السوفيتي، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، ط ١، ١٤٠٠هـ.
- د. محمد عبد العليم مرسى، هجرة العلماء من العالم الإسلامي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٠٤هـ.
- محمد عبده، الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية، دار المنار، القاهرة، ط ٧، ١٣٦٧هـ.
- محمد عبده، رسالة التوحيد، دار احياء العلوم، بيروت، ط ٢، ١٣٩٧هـ.
- محمد العبد، وطارق الحكيم، مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم، دار الأرقم، الكويت، ١٤٠٥هـ.
- محمد عبد الهادي المصري، أهل السنة والجماعة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٠٨هـ.
- محمد بن عبد الوهاب، الشيخ، أصول الإيمان، تحقيق إسماعيل الأنصاري، وعبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، الناشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
- محمد بن عبد الوهاب، الشيخ، كشف الشبهات، المكتبة السلفية، القاهرة، ط ٤، ١٣٩٩هـ.
- محمد بن علي الشوكاني، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، مطبعة مطمقى البابي الطبي وأولاده بمصر، ط ١، ١٣٥٦هـ.
- محمد بن علي الشوكاني، الرسائل السلفية، دار الكتب العلمية، بيروت.

- محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، دار الفكر، ١٤٠١هـ.
- د. محمد أبو الغيط الفرت، و د. محمد رواس قلعه جي، العقيدة الإسلامية في مواجهة المذاهب الهدامة، دار البحوث العلمية، الكويت، ١، ١٤٠٣هـ.
- محمد قطب، واقعنا المعاصر، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ.
- محمد لبيب البتانوني، الرحلة الحجازية، القاهرة، ط٢، ١٣٢٩هـ.
- د. محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، الناشر مكتبة الآداب، القاهرة، ط٢، ١٣٨٨هـ.
- محمد محمود المصطفى، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، دار الاعتصام، القاهرة.
- محمد المبارك، نظام الإسلام (العقيدة والعبادة) المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٥هـ.
- محمد موفق الغلاييني، وسائل الاعلام وأثرها في وحدة الأمة، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، التوسل أنواعه وأحكامه، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط٢، ١٣٩٧هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ١٣٩٢هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع المغير، المكتب الإسلامي، بيروت ودمشق، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- محمد ناصر الدين الألباني، منزلة السنة في الإسلام، وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، الدار السلفية، الكويت، ط٤، ١٤٠٤هـ.
- د. محمد نعيم الياسين، الإيمان، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، بمصر.

- د. محمد نعيم الياسين، الجهاد، مياديننه وأساليبه، دار الفرقان، عمان، الأردن، ط٣، ١٤٠٦هـ.
- محمود شاكر، العالم الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- محمود شاكر، العالم الإسلامي اليوم، دار الصحوة، القاهرة، ط١، ١٤٠٥هـ.
- محمود شاكر، المسلمون تحت السيطرة الشيوعية، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٣٩٩هـ.
- محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ط١٣، ١٩٨٥م.
- محمود غنيم، صرخة في واد، (ديوان).
- محمود مهدي الاستانبولي، هل نحن بحاجة إلى نظام عقائدي جديد، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- د. محيي الدين عبد الطيم، الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ودار الرفاعي بالرياض، ط٢، ١٤٠٤هـ.
- محيي الدين القليبي، (معرب) الاستعمار الفرنسي في إفريقيا السوداء.
- مسلم بن الحجاج، الإمام، صحيح مسلم، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ١٤٠٠هـ.
- د. مصطفى خالدي، و د. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العمريية، بيروت، صيدا، ١٩٨٢م.
- د. مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي، دمشق وبيروت، ط٢، ١٣٩٨هـ.
- مصطفى صبري، القول الفصل بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط٧، ١٤٠٧هـ.
- المقرئزي، أبو العباس أحمد بن علي بن عبد القادر، تجريد التوحيد المفيد، تحقيق علي حسن عبد الحميد، دار عمار، ط١، ١٤٠٧هـ.
- مكتب التربية العربي لدول الخليج، دليل التعليم العالي والجامعي في دول الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- مكتب التربية العربي لدول الخليج، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٥هـ.
- مناع خليل القطان، وجوب تحكيم الشريعة الإسلامية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٥هـ.
- ابن منده، الحافظ محمد بن منده، كتاب الإيمان، تحقيق د. علي محمد الفقيهي، الجامعة الإسلامية، المجلس العلمي، ط١، ١٤٠١هـ.
- ابن منده، الحافظ محمد بن منده، كتاب التوحيد، مركز شؤون الدعوة بالجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة.
- منظمة الدعوة الإسلامية، النظام الأساسي، ط٣، رجب، ١٤٠٤هـ.
- منظمة الدعوة الإسلامية، نشرات مختلفة لعدد من مشاريع المنظمة.
- ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، أصول الحوار، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وحدة الدراسات والبحوث، الرياض.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، مجموعة أبحاث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٦هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الأقليات المسلمة في العالم، أبحاث ووقائع المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض من ١٢-١٧ جمادى الأولى، ١٤٠٦هـ.
- الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- نذير حمدان، في الغزو الفكري، المفهوم، الوسائل، المحاولات، مكتبة الصديق، الطائف.
- النسائي، أحمد بن علي بن شعيب، أبو عبد الرحمن، سنن النسائي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

- نور الدين أحمد سليم، وسائل الاتصال المعاصرة ودورها في نشر الدعوة الإسلامية، - رسالة ماجستير - قدمت لقسم الإعلام بجامعة الإمام، ١٤٠٢هـ غير منشورة.
- النووي، يحيى بن شرف، الحافظ، شرح النووي على صحيح مسلم، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٨هـ.
- ابن هشام، عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وزملائه، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.
- أبو هلال الأندونيسي، غارة تبشيرية جديدة على أندونيسيا، دار الشروق، جدة، ط٤، ١٤٠٤هـ.
- الهيثمي، علي بن أبي بكر بن سليمان، أبو الحسن، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٦٧م.
- وزارة الأوقاف وشئون الأزهر بمصر، الأزهر، تاريخه وتطوره، وزارة الأوقاف وشئون الأزهر بمصر، ١٣٨٣هـ.
- ابن وضاح، محمد بن وضاح القرطبي، البدع والنهي عنها، تحقيق محمد أحمد دهمان، دار البصائر، دمشق، ط٢، ١٤٠٠هـ.
- أبو الوليد الباجي، سليمان بن خلف بن سعد، كتاب الحدود في الأصول، تحقيق د. نزيه حماد، الناشر مؤسسة الزعبي، بيروت ودمشق، ط١، ١٣٩٢هـ.
- يوسف البرقاوي وعبد الرؤوف العبوشي، أوهابية أم قرآن وسنة؟! دار عمار، ودار الفيحاء، عمان ط١، ١٤٠٦هـ.
- يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، ١٤٠١هـ.
- رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠٤هـ.
- يوسف كمال، المصريون معترلة اليوم، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤٠٦هـ.
- د. يوسف محمد صديق، دقائق العقيدة عند الأئمة الأربعة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

د. يوسف محيي الدين أبو هلاله، الإعلام اليهودي المعاصر، وأثره في الأمة الإسلامية، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، ط١، ١٤٠٨هـ.

ب - التقارير :

- رابطة العالم الإسلامي، تقرير الأمانة العامة للدورة ٢٣ .
- رابطة العالم الإسلامي، تقرير الأمانة العامة للدورة ٢٦ .
- رابطة العالم الإسلامي، مقررات وتوصيات المؤتمر الإسلامي، العام، الأول.
- وزارة التعليم العالي، التعليم العالي في المملكة العربية السعودية، تقرير دوري، عام ١٤٠٤هـ.

ج - المجلات والصحف :

- مجلة الأمة، عدد ٥ ، جمادى الأولى ١٤٠١هـ.
- مجلة الأمة، عدد ٢٩ ، جمادى الأولى ١٤٠٢هـ.
- مجلة الأمة، عدد ٥١ ، ربيع الأول ١٤٠٥هـ.
- مجلة البحوث الإسلامية، المجلد الأول، العدد الأول، ١٣٩٥هـ، رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
- مجلة التوحيد المصرية، السنة ٩ عدد ٣ ربيع الأول ١٤٠٠هـ.
- مجلة التوحيد المصرية، السنة ١٥ عدد ٥ جمادى الأولى ١٤٠٧هـ.
- مجلة التوحيد المصرية، السنة ١٦ عدد ٦ جمادى الآخرة ١٤٠٨هـ.
- مجلة الجامعة الإسلامية، عدد ٥١، ٥٠، ربيع الآخر - رمضان، ١٤٠١هـ.
- مجلة المجتمع الكويتية، عدد ٥٥٠ في ١٣/١/١٤٠٢هـ.
- جريدة أم القرى، عدد ١٥٦٥ في ٢٠ رمضان، ١٣٧٤هـ.
- جريدة أم القرى، عدد ٢٢٨٧ في ١٣ رجب، ١٣٩١هـ.
- جريدة أم القرى، عدد ٢٥٩٨ في ١٩ شوال، ١٣٩٥هـ.
- جريدة الرياض، ١/١/١٤٠٩ الى ٧/١/١٤٠٩ هـ.

- جريدة الرياض، ١٤٠٩/٢/١هـ.

- جريدة الشرق الأوسط، السبت ١٤٠٦/١١/١٩هـ.

د - المراجع الأجنبية :

- Webster,s Third New International Dictionary

MERRIAM CO. 1971 U. S. A.

٦- فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
---------	------------

١ - ح

المقدمة

الباب الأول

(العقيدة في منهج الدعوة الإسلامية)

الفصل الأول : العقيدة الإسلامية، أسسها، وثمراتها

٣	المبحث الأول : الإيمان
٣	أولا : مفهوم الإيمان لغة
٦	ثانيا: مفهوم الإيمان شرعا
١١	ثالثا: مرتبة الإيمان بين مراتب الدين
١٣	- العلاقة بين الإسلام والإيمان
١٤	رابعا : أركان الإيمان:
١٥	الأول : الإيمان بالله
١٦	الثاني : الإيمان بالملائكة
٢١	الثالث : الإيمان بالكتب
٢٢	الرابع : الإيمان بالرسول
٢٣	الخامس: الإيمان باليوم الآخر
٢٩	السادس: الإيمان بالقدر خيره وشره
٣٢	المبحث الثاني: التوحيد
٣٢	أولا : مفهوم التوحيد :
٣٢	- التوحيد لغة
٣٣	- التوحيد اصطلاحا
٣٤	- مناقشة التعريفات
٣٥	- علم التوحيد
٣٦	- مناقشة التعريفات

الموضوع	رقم الصفحة
ثانياً: أقسام التوحيد	٣٨
- القسم الأول : توحيد الربوبية	٣٨
- القسم الثاني : توحيد الألوهية	٤١
- القسم الثالث : توحيد الأسماء والصفات	٤٣
- التلازم بين أقسام التوحيد الثلاثة	٤٦
المبحث الثالث : ثمرات العقيدة الإسلامية :	٤٨
- تمهيد	٤٨
أولاً : ثمرات الإيمان بالله وتوحيده	٥١
ثانياً: ثمرات الإيمان بالملائكة	٥٨
ثالثاً: ثمرات الإيمان بالكتب	٦١
رابعاً: ثمرات الإيمان بالرسول	٦٥
خامساً: ثمرات الإيمان باليوم الآخر	٧٠
سادساً: ثمرات الإيمان بالقدر خيره وشره	٧٣
الفصل الثاني : أهمية الدعوة إلى العقيدة	
المبحث الأول : البدء بالدعوة إلى العقيدة	٧٧
- تمهيد	٧٧
١ - نماذج من دعوات الرسل في القرآن الكريم	٧٨
٢ - نماذج من دعوة نبينا محمد - صلى الله عليه	
وسلم - في القرآن والسنة	٨٢
٣ - نماذج من أقوال سلف الأمة رضوان الله عليهم	٨٦
٤ - تعليق	٨٩
المبحث الثاني: ارتباط الأعمال والشرائع في الإسلام بالعقيدة	٩٢
أولاً : كون العقيدة أساساً في قبول العمل أو رده	٩٢
ثانياً: كونها الأساس في صلاح التشريع وموابه	٩٦

الباب الثاني

(الانحراف العقدي، مظاهره، وأسبابه)

الفصل الأول : أبرز مظاهر الانحراف العقدي :

١٠٥ المبحث الأول : البدع

١٠٥ - تمهيد

١٠٧ أولا : تعريف البدع لغة

١٠٧ ثانيا : تعريف البدع شرعا

١١١ - هل هناك بدعة حسنة في الدين ؟

١١٢ ثالثا : البدعة والشرك

رابعا : البدعة في الدين انحراف عن العقيدة

١١٥ الصحيحة

١١٧ خامسا : نماذج من البدع المعاصرة :

١١٧ ١ - التوسل بغير ما شرع الله

١١٧ أ - معنى التوسل

١١٨ ب - التوسل المشروع

١١٨ ١ - بأسماء الله وصفاته

١١٩ ٢ - بالعمل الصالح

١٢١ ٣ - بدعاء العبد الصالح

٢ - رفع القبور، والبناء عليها، والصلاة

١٢٣ إليها، والطواف بها، وشد الرحال إليها

١٢٧ ٣ - الأعياد البدعية

- عيد مولد النبي صلى الله عليه

١٢٩ وسلم

- أعياد بدعية أخذها المسلمون من

١٣١ الكفار

- الاحتفال بليلة الإسراء والمعراج
- ١٣٢ والنصف من شعبان
- ١٣٤ ٤ - بدعة تقديم العقل على النقل
- ١٤٤ ٥ - بدعة تأويل صفات الله جل وعلا
- ١٤٩ المبحث الثاني : الشرك
- ١٤٩ أولا : معنى الشرك في اللغة
- ١٥٠ ثانيا : معنى الشرك في الشرع
- ثالثا : أنواع الشرك :
- ١٥٣ ١ - الشرك الأكبر
- ١٥٥ أ - الشرك في الربوبية
- ١٥٥ ب - الشرك في الألوهية
- ١٥٨ ٢ - الشرك الأصغر
- رابعاً : نماذج من الشركات المعاصرة :
- ١٦٤ ١ - الشرك الأكبر
- ١٦٤ أ - شرك الربوبية
- ١٧١ ب - شرك الألوهية
- ١٨٢ ٢ - الشرك الأصغر
- ١٨٤ المبحث الثالث : إنكار ما علم من الدين بالضرورة
- ١٨٤ أولا : مفهوم العبادة وحدودها
- ١٨٤ أ - الإنكار
- ١٨٥ ب - الضرورة، العلم الضروري
- ١٩١ ج - المعلوم من الدين بالضرورة
- ١٩٥ ثانيا : نماذج لإنكار المعلوم من الدين بالضرورة
- ١٩٥ أ - إنكار الغيب والأمور الغيبية

الموضوع	رقم الصفحة
ب - إنكار ختم النبوة	١٩٦
ج - إنكار السنة النبوية أو شيئا منها	١٩٩
د - إنكار اعطاء المرأة نصف ما يعطى	
الذكر من الميراث	٢٠٢
المبحث الرابع : عدم الحكم بما أنزل الله	٢٠٥
أولا : بين الحكم والتحاكم والحاكمية :	
- الحكم	٢٠٥
- التحاكم	٢٠٩
- الحاكمية	٢١٢
ثانيا : أنواع الحكم بغير ما أنزل الله	٢١٤
ثالثا : نظرات في الواقع المعاصر	٢٢٠
المبحث الخامس : مخالفة مفهوم الولاء والبراء	٢٢٧
أولا : مفهوم الولاء والبراء :	
أ - الولاء لغة	٢٢٧
ب - البراء لغة	٢٢٧
ج - الولاء والبراء في الاصطلاح الشرعي	٢٢٨
ثانيا : أدلة الولاء والبراء :	
أ - من القرآن الكريم	٢٣١
ب - من السنة النبوية	٢٣٤
ج - من أقوال علماء المسلمين	٢٣٦
ثالثا : الفرق بين الولاء وبين البر والصلة	
والتعامل	٢٣٨
رابعا : مقتضيات الولاء والبراء في الإسلام	٢٤٢
أ - الولاء لله ورسوله ودينه والبراء ممن	
خالفهم	٢٤٣

الموضوع _____ وع

رقم الصفحة

- ٢٤٣ ١ - محبة الله ورسوله
- ٢ - الغضب لله ورسوله عندما
- ٢٤٤ تنتهك حرماته
- ٢٤٤ ٣ - الجهاد في سبيل الله
- ٢٤٥ ب - الولاء للمسلمين والبراء من أعدائهم
- ٢٤٥ ١ - الحب في الله والبغض في الله
- ٢٤٦ ٢ - النصرة
- ٣ - التآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر
- ٢٤٧
- خامسا: نماذج من مخالفة مفهوم الولاء والبراء في
- العصر الحاضر :
- ٢٤٨ ١ - الولاء لغير الله ورسوله ودينه
- ٢٤٩ ٢ - خذلان المسلمين
- ٢٤٩ أ - فلسطين
- ٢٥٠ ب - أفغانستان
- ٣ - السماح للنصارى بنشر ديانتهم الباطلة
- ٢٥١ بين المسلمين
- ٤ - تقديم الكفار على المسلمين في الأعمال والاستشارات ونحوها
- ٢٥١ ٥ - الرضا بتقافات وأفكار غير إسلامية، واعتناقها ونقلها إلى المسلمين
- ٢٥٢

الفصل الثاني : أهم أسباب الانحراف العقدي :

- ٢٥٥ المبحث الأول : الانحراف الموروث في العقيدة

الموضوع	رقم الصفحة
أولا : نشأة الانحراف عن العقيدة الإسلامية :	
١ - الانحراف الأول في تاريخ البشرية	٢٥٥
٢ - نشأة الانحراف في الملة الإسلامية	٢٥٧
ثانيا: أحاديث في وقوع الانحراف في هذه الأمة	٢٦٤
ثالثا: بعض الفرق المنحرفة قديما، والموجودة	
حاضرا :	٢٦٩
١ - الخوارج	٢٧١
٢ - الشيعة	٢٧٥
٣ - الصوفية	٢٨٣
المبحث الثاني : الجهل واستغلال أصحاب المصالح له :	
أولا : تعريف الجهل وأقسامه	٢٨٨
ثانيا: الجهل بالعقيدة الإسلامية في العالم الإسلامي	٢٩٣
١ - جهل أتباع المبتدعة	٢٩٥
٢ - جهل المثقفين	٣٠٠
المبحث الثالث : الاستعمار السياسي :	
أولا : لمحة عن الاستعمار في العالم الإسلامي	٣٠٦
١ - الاستعمار الصليبي المباشر	٣٠٧
٢ - الاستعمار الشيوعي المباشر	٣٠٨
٣ - الاستعمار غير المباشر	٣١٠
ثانيا: نماذج من جهود الاستعمار في حرب العقيدة الإسلامية	
والتمكن للانحراف العقدي	
١ - المساهمة في إنشاء فرق منحرفة عن	
الإسلام :	
١ - البهائية	٣١٣
٢ - القاديانية	٣١٦

الموضوع	رقم الصفحة
ب - تشجيع التصوف والطرق الصوفية	٣٢١
ج - تمكين العمل التنصيري بين المسلمين	٣٢٢
المبحث الرابع : الغزو الفكري :	
- توطئة	٣٢٧
أولا : ركائز الغزو الفكري	٣٣٠
١ - الاستعمار	٣٣٠
٢ - التنصير	٣٣٣
٣ - الاستشراق	٣٣٥
٤ - اليهودية والصهيونية	٣٣٨
ثانيا : من وسائل الغزو الفكري :	
أ - التعليم	٣٤٢
- علمانية التعليم	٣٤٢
- إنشاء المدارس التنصيرية	٣٤٤
- مناهج التعليم	٣٤٥
- الابتعاث	٣٤٦
ب - الإعلام	٣٤٨
المبحث الخامس : ضعف إجراءات حماية العقيدة :	
أولا : اختلاط العقيدة الصحيحة بغيرها، ودخول الانحراف إليها نتيجة لضعف الحماية	٣٥٠
ثانيا : الحياة المعاصرة وضرورة التنبه الى اختلاط العقائد والأفكار	٣٥٣
ثالثا : اختلاط عقائد المسلمين بغيرها لدى الأقليات المسلمة	٣٥٧

الباب الثالث

(وسائل الدعوة في مواجهة الانحراف العقدي)

- ٢٦٦ - تمهيد
الفصل الأول : الوسائل المباشرة :
- ٣٦٩ المبحث الأول : الاتصال الشخصي
٢٧٨ المبحث الثاني : الخطابة
٢٨٨ المبحث الثالث : الحوار والمناظرة والجدال بالحسنى
٤٠٣ المبحث الرابع : التعليم
٤١٠ المبحث الخامس : الجهاد
- الفصل الثاني : الوسائل غير المباشرة :
- ٤١٩ - مدخل
٤٢٢ المبحث الأول : الكتاب والصحافة
٤٢٩ المبحث الثاني : الإذاعة، والتسجيلات الصوتية
٤٣٦ المبحث الثالث : التلفزيون، والتسجيلات المرئية
- الفصل الثالث : نماذج من جهود بعض الهيئات العاملة في الدعوة والتعليم الإسلامي :
- المبحث الأول : الهيئات المتخصصة في الدعوة :
أولا : رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد
٤٤٢
ثانيا : رابطة العالم الإسلامي
٤٤٨
ثالثا : منظمة الدعوة الإسلامية بالسودان
٤٥٦
المبحث الثاني : الجامعات الإسلامية :
أولا : الجامع الأزهر
٤٦٢

الموضوع _____ وع

رقم الصفحة

- ٤٦٩ ثانيا: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
٤٧٣ ثالثا: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
٤٧٨ رابعا: جامعة أم القرى

الخاتمة :

- ٤٨٢ - ملخص البحث
٤٨٣ - أهم النتائج
٤٨٥ - التوصيات والمقترحات

الفهارس :

- ٤٨٨ ١ - فهرس الآيات
٥٠٦ ٢ - فهرس الأحاديث والآثار
٥١١ ٣ - فهرس الأعلام
٥٢٥ ٤ - فهرس الفرق والطوائف والقبائل
٥٣١ ٥ - ثبت المصادر والمراجع
٥٥٩ ٦ - فهرس المحتويات